



A close-up photograph of a piece of aged, yellowish-brown paper. The paper has a visible vertical crease down the center. A prominent, dark, wavy, and irregular pattern, possibly a watermark or a stain, runs horizontally across the center of the page. The pattern consists of dark, almost black, ink-like markings that form a series of connected, somewhat circular and elongated shapes. The background of the paper is a mottled yellowish-brown color with some subtle texture and minor discolorations.







卷之三

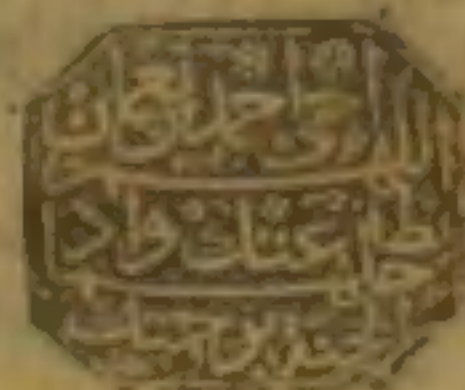




١١



من ممتلكات الفقير المحدث  
نعمان الوزير السابق المعروف بكبير  
فأذهانا الله في ما أداوه







رب اكشف لنا بفضلك عن اسرار التنزيل وارزقنا بلاوتك  
 انا اللبل والنهار بالترتيل الحمد لله الذي اظهر من اثار سلطانه  
 وجلال كبريائه ما حير مقل العقول من عجائب قدرته  
 وردع خطر هاهم التفريق عن عرفان كنه صفته يعلم عجج  
 الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف  
 النيران في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصف  
 الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم بما يفي  
 وما مضى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى  
 وان تجهر بالقول فانه يعلم السر والخفي الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى كان ولا مكان ولا حين ولا اوان  
 ولا وقت ولا زمان ولا ظل ولا غمام ولا هواء ولا هوام  
 ولا انام ولا خلق ولا انام ولا جامد ولا خامد ولا راكد  
 ولا هامد ولا محرك ولا ساكن ولا ظاهر ولا باطن ولا لوح

ولا قلم ولا جسم ولا روح ولا عرش ولا كرس ولا جنة ولا ارض  
 ولا خفض ولا رفع ولا ضر ولا نفع ولا طول ولا عرض  
 ولا سماء ولا ارض ولا ليل ولا نهار ولا جنة ولا نار  
 واحد وحداني ليس معه ثان باق لا يبقى دائم لا يبغي  
 عالم يلهو حافظ لا يسهو جبار لا يضام عزيز لا يرام  
 حي لا يموت ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت  
 احمد حمدا يليق بعلو شانته وباهر برهانه وقديم احسانه وعظم  
 امتنانه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة  
 مقرونة بالصدق والصواب مبراة عن الشك والشبهة و  
 الارتباب واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى  
 ودين الحق ليظهر على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه  
 وعلى آله واصحابه **اما بعد** فهذا كتاب نرجوا من فضل  
 الله العظيم واحسانه القديم ان يوفقنا لتنظيمه وتفحيره  
 وتهذيبه وتلويحه ورتبناه على اربعة اقسام القسم الاول  
 ما يتعلق بعلم الاصول والثاني ما يتعلق بعلم الفروع والثالث  
 ما يتعلق بعلم الاخلاق وتصفية الباطن والرابع ما يتعلق  
 بالمناجات والدعوات ونسأل الله العظيم ان يوفقنا لاتمامه  
 انه خير مأمول واكرم مسؤل **القسم الاول من هذا الكتاب**  
**ما يتعلق بعلم الاصول** واعلم ان القرآن



العظيم قد دل على ان معاقدا الايمان مبنية على اربعة امور كما قال  
الله تعالى والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ونحن  
رتبنا علم الاصول على هذه القواعد الاربعة **القاعدة الاولى**  
في معرفة الله تعالى واعلم ان معرفة الله تعالى لا تحصل الا بمعرفة امور  
معرفة الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء ونحن  
جعلنا معرفة الله تعالى مبنية على هذه الاصول الخمسة **الباب الاول**  
**في معرفة الذات** وفيه فصول **الفصل الاول** في اسرار  
كلمة لا اله الا الله قال سبحانه الرسول عفا عما مضى فاعلم ان لا اله الا الله  
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات واعلم ان تعاقب الامر  
بمعرفة التوحيد على الامر بالاستغفار والسبب فيه ان معرفة الحق  
اشارة الى علم الاصول والاشتغال بالاستغفار اشارة الى علم الفروع  
والاصل يجب تقديمه على الفروع فانه ما لم يعلم وجود الصانع  
امتنع الاشتغال بطاعته وخدمته وهذه الدقيقة معتبرة في  
ايات كثيرة اولها ان ابراهيم عفا عما مضى لما استقل بالدعاء قدم المعرفة  
على الطاعة قال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين فقوله هب  
حكما اشارة الى استكمال القوة النظرية بمعرفة الاشياء وقوله  
الحقني بالصالحين اشارة الى استكمال القوة العملية بالاجتناب عن  
طريق الافراط والتفريط فقدم العلم على العمل وثانيها ان تعاقب الامر  
الى موسى عفا عما مضى راعي هذا الترتيب فقال وانا اخترتك فاستمع لما يوحى

انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فقوله لا اله الا انا اشارة  
الى علم الاصول وقوله فاعبدني اشارة الى علم الفروع وثالثها  
ان يعيسى عفا عما مضى لما انطقه الله في وقت الطفولية قال انني عبد الله  
اتاني الكتاب فقوله انني عبد الله اشارة الى علم الاصول وقوله  
اتاني الكتاب اشارة الى علم الفروع فان الاحتياج في الكتاب  
انما يكون في معرفة الاحكام والشرائع لا في معرفة ذات الله تعالى  
وصفاته ورابعها الآية التي نحن فيها على ما قرناه ولا نزاع ان  
افضل الانبياء والرسل هؤلاء الاربعة صلوات الله عليهم اجمعين  
فلما ثبت ان الله تعالى قدم الامر بمعرفة الاصول على معرفة الفروع  
في حق هؤلاء الانبياء المكرمين عليهم السلام ثبت ان الحق الصريح  
الصرح ليس الا ذلك وما يؤكده ذلك وجوه اخرى احداث  
اكثر المفسرين على ان اول ما انزل الله تعالى على محمد عفا عما مضى هو قوله اقرا  
باسم ربك الذي خلق الانسان من علق اقراء وربك الاكرم  
الآية وهذه الآية مشتملة على دلائل التوحيد وذلك ان اظهر  
الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم تولد الانسان من تلك  
النفطة ثم انه تعاقبه في هذه الآية على لطيفة عجيبة ولايتأتى  
شرحها الا في معرض السؤال والجواب فان قال قائل لا بد في  
رعاية النظم بين اجزاء الكلام وههنا ذكر ان الله تعالى يولد من النفطة  
فقال الذي خلق خلق الانسان من علق ثم ذكر بعد ان تعاقب العلم الانساني



ما لم يعلم فإني المناسبة بين هذين الأمرين الجواب أن اخت  
المراتب وأدناها العلة وذلك لأنه يستقدرها كل واحد  
وعلى المراتب وأشرفها كون الإنسان عالما محيطا بحقائق الأشياء  
كأنه قال عبدي تأمل إلى أول حالك حين كنت علة وهي اخت  
الأشياء وإلى آخر حالك حين صرت ناطقا عالما بحقائق الأشياء  
وهو أشرف المراتب حتى يظهر لك أنه لا يمكن الانتقال من تلك  
الحالة الخمسة إلى هذه الدرجة الشريفة الابتدير أقدر  
القادرين وأحكم الحاكمين سبحانه وتعالى عن قول الظالمين وتأييدها  
أنه تعالى أول سورة البقرة مدح المؤمنين من أول السورة  
إلى قوله أولئك هم المفلحون ثم ذم الكافرين في آيتين أولهما أن  
الذين كفروا إلى ولهم عذاب عظيم ثم ذم المنافقين في ثلث عشرة  
آية أولها ومن الناس من يقول آمنا بالله وآياته وناسا عهدا  
ثم لما مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين كأنه قيل هذا  
المدح والذم لا يستقيم إلا بتقديم الدلائل على إثبات النبوة  
والنبوة والمعاد فإن أصول الإسلام هي هذه الثلاثة فلهاذا  
السبب بين تعاضد هذه الأصول الأربعة بالدلائل القاطعة  
فبدأ أولا بإثبات الصانع وتوحيده وبين ذلك بخمسة أنواع  
من الدلائل أولها أنه تعالى استدلى على التوحيد بانفسهم والله الإشارة  
بقوله ربكم الذي خلقكم وتأييدها بأحوال آباؤهم وأجدادهم  
والله الإشارة بقوله والذين من قبلكم وتأنيدها بأحوال الأرض

والله

والله الإشارة بقوله جعل لكم الأرض فراشا ورابعها أحوال  
السماء والله الإشارة بقوله والسماء بناء وخامسها بالأحوال  
للمادثة المتعلقة بالسماء والأرض والله الإشارة بقوله وانزل  
من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فإن السماء كالآب  
والأرض كالآم ينزل قطرة المطر من صلب السماء إلى رحم الأرض  
فيتولد منها أنواع النبات ولما ذكر هذه الدلائل الخمسة رتب  
المطلوب عليها فقال فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون وذلك  
لأن هذه الدلائل تدل على وجود الصانع من وجه وعلى كونه  
تعالى واحدا من وجه آخر وإثباتها من حيث أنها حدث مع جواز أن لا  
يحدث ومع جواز أن يحدث على خلاف مما حدث يدل على وجود  
الصانع القادر ومن حيث أنها حدث لا على وجه الحثل والفساد  
دلت على وحدة الصانع كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا  
فلهاذا السبب ذكر بعد تلك الدلائل الخمسة ذينك المطلوبين  
أحدهما إثبات الصانع والثاني إثبات أنه واحد كأن قوله فلا  
تجعلوا لله اندادا مشتمل على إثبات الآلهة وعلى إثبات كونه واحدا  
ثم ههنا الطيفة أخرى مرعية في هذه الآية وهي أن الترتيب  
الحسن المفيد في التعليم أن يقع الابتداء في التعليم من الأظهر  
فالأظهر مرتقيا من الأختفى فالأختفى وهذه الدقيقة مرعية في  
هذه الآية وذلك لأنه سبحانه قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم فجعل



استدلال كل عاقل بنفسه مقدما على جميع الاستدلالات لان  
اطلاع كل احد على نفسه اتم من اطلاعه على احوال غيره فجد  
بالضرورة من نفسه انه تارة يكون مريضا وتارة صحيحا وتارة  
ملتا وتارة متألما وتارة شابا وتارة شيخا والانفعال من بعض  
هذه الصفات الى غير ما ليس باختياره ولا باختيار احد  
وايضا كثيرا ما يجتهد في طلب شئ فلا يجد وكثيرا ما يكون غافلا  
عنه فيحصل وعند ذلك يعلم كل احد نقض الغريم وضيح اللهم  
انه لا بد من مدبر يكون تدبيره فوق تدبير الغير ورتبا اجتهد  
العاقل الذي في الطلب ولا يجد والفراغ الغني يتيسر له ذلك  
المطلوب فعند هذه الاعتباران يلوح له صدق قول الشافعي رحمه  
ومن الدليل على القضاء وكونه • بوس اللب وطيب عيش الاحق  
ويظهر له ان هذه المطالب انما يحصل ويتسربا على قسمة  
فنام لا يمكن منازعته ومغالبة كما قال نحن قسمنا بينهم  
في الحيق الدنيا ثم ان مراتب هذه الاعتباران غير محصورة  
فتارة كما في قوله امن يحيب المضطر اذا دعاه واخرى كما في  
قوله قل من يكلمكم بالليل والنهار وبالجملة فلما كان اطلاع  
كل احد على احوال نفسه اشد من اطلاعه على احوال غيره لاجرم  
قدم هذا الدليل على سائر الدلائل ثم هذه المراتب يعلوها مرتبة  
اخرى وهي علم كل احد باحوال ابائه واجداده واهل بلده

ثم هذه المرتبة الثانية يتلوها المرتبة الثالثة وهي علم الانسان باحوال  
الارض التي يسكن الخلائق فانها مختلفة الاجزاء كما قال وفي  
الارض قطع متجاوران وقال ايضا ومن الجبال جدد بيض  
وحمر مختلف الوانها وعز ابيب سود ثم هذه المرتبة الثالثة  
يتلوها مرتبة رابعة وهي العلم باحوال الافلاك فان بعضهم يخالف  
البعض في العلو والسفل والصغر والكبر والبطؤ والسرعة واختلاف  
احوال الكواكب المركوزة فيها كما قال كل في فلك يسبحون وقال  
رب المشرق والمغرب وقال رب المشرقين ورب المغربين وقال  
رب المشارق والمغارب وقال والشمس والقمر والنجوم مسخرات  
بامره وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقال في سورة  
نوح الم تركيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن  
نورا وجعل الشمس سراجا وقال لا الشمس ينبغي لها ان تدرك  
القمر ولا الليل سابق النهار وقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس  
والليل اذا عسعس ثم بعد هذه المرتبة الرابعة مرتبة خامسة  
وهي الاحوال المنزلة من السماء والارض وهي نزول القطر من  
صلب السماء ووقوعه في رحم الارض ثم بعد ذلك يحدث في  
الارض الواحدة انواع من النبات بحيث يخالف كل واحد منها  
صاحبه في اللون والشكل والطعم والخاصية فانه ما يكون قوتا  
ومنه ما يكون ادا ما ومنه ما يكون فاكهة ومنه ما يكون دواء



ومنه ما يكون سماء ومنه ما يكون علفا لساير الحيوانات  
 فذكر في تفصيل المطعومات قوله انا صببنا الماء صبنا ثم شققنا  
 الارض شقا الى اخره وقال ان الله قال للجب والنوى بل اذا  
 نظرت الى ورقة واحدة من اوراق الورود وجد احد وجهيها  
 في غاية الحمرة والوجه الاخر في غاية الصفرة مع انها تكون في غاية  
 الرقة وقلة الثخانة ونحن نعلم بالضرورة ان نسبة تأثير الكواكب  
 وحركات الافلاك والطبايع الى كل واحد من وجهي تلك الورقة  
 الرقيقة جدا من الورد نسبة واحدة فاختص احد وجهي تلك  
 الورقة بالحمرة والاخر بالصفرة لا بد وان يكون لاجل القادر المختار  
 الذي يفعل بالعلم والقدرة لا بالعلّة والطبيعة واذ عرفت ذلك  
 ظهر لك ان الله تعالى في ترتيب هذه الدلائل الخفية وتقديم بعضها على  
 بعض حكمة بالغة واسراراً مرعية فنبهنا من لانهاية لعل ولا غاية  
 حكمته ثم انه تعالى ما بين دلائل اثبات الصانع ووجدانية اردف  
 هذه المسئلة بمسئلة اقامة الدلائل على نبوة محمد وم هي قوله  
 وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانوا بسورة من مثله وذلك  
 لان التحدي وقع بكل القرآن في قوله قل لن اجتمعن الا اني ولجن  
 علي ان ياتوا بمثل هذا القرآن الآية فلما عجزوا عن معارضة كل القرآن  
 اتبعه بالتحدي بعشر سور فقال ههنا فانوا بعشر سور مثله  
 مفتريات فلما عجزوا عنه ايضا اتبعه بالتحدي بسورة واحدة

فقال ههنا فلما اتوا بحديث مثله فلما عجزوا عنه ايضا مع توفّر الدواعي  
 ظهر كونه معجزا باهرا وبرهانا قاهرا ثم انه اتبع هذه المسئلة بمسئلة  
 المعاد وهي قوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات  
 تجري من تحتها انا قد قدمنا مع المؤمنين وذم الكافرين  
 فلم يكن معاد لم يجد المحسن ثمرة احسن ولم يجد المسي عاقبة  
 اساءة لم يكن ذلك لا يقابح حكمته وهذا هو المراد من قوله ليجزي  
 الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنة وقال في طه  
 واتم الصلوة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها الآية وقال  
 في ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض <sup>الآية</sup>  
 فظهر بما ذكرناه انه تعالى يذكر في اول كتابه الادلائل التوحيد  
 والنبوة والمعاد وثبت انه لا بد من تقديم الاصول على الفروع  
 فلهذا السبب قدم الله الامر بالتوحيد على الامر بالاستغفار فقال  
 فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك الوجه الثالث في تقرير  
 هذا الاصل انه تعالى قال في اول سورة النحل ينزل الملائكة بالروح  
 من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا  
 فانقون فقوله لا اله الا انا اشارة الى علم الاصول وقوله  
 فانقون اشارة الى علم الفروع الوجه الرابع ان موسى دم لما  
 ادى الرسالة عند فرعون قال له فرعون ومارب العالمين  
 يعني ان رسالتك منفرجة على اثبات ان للعالم الها فما الدليل عليه



ثم ان موسي وم لم ينكر عليه هذا السؤال بل اشتغل بذكر الدلائل  
على وجود الصانع فقال ربكم ورب ابائكم الاولين فاستدل  
على وجود الصانع اولاً باحوال نفسه وثانياً باحوال ابائه وهو <sup>نظر</sup>  
قوله في سورة البقرة اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم  
فظهر بما ذكرنا وجوب الغاية في انه تعالى ذكر اولاً في قوله فاعلم  
انه لا اله الا الله وذكر ثانياً واستغفر لذنبك والله اعلم بحقايق  
كتابه فهذا ما يتعلق بالدلائل القرآنية الدالة على تقديم علم الاصول  
على علم الفروع ولتؤكد هذه الوجوه بعشرة اوجه اخرى الاول وهو  
ان شرف العلم بشرف المعلوم ومهما كان المعلوم اشرف كان العلم  
الحاصل اشرف فلما كان اشرف ذات الله تعالى وصفاته وجب ان يكون  
توحيد اشرف للحجة الثانية ان العلم اما ان يكون دينياً او غير ديني  
ولاشك ان العلم الديني اشرف من غير الديني واما العلم الديني  
فاما ان يكون علم الاصول او ماعده اما ماعداً علم الاصول فان  
صحته موقوفة على صحته علم الاصول لان المفسر انما يبحث عن معاني  
كلام الله تعالى وذلك فرع على معرفة الصانع المختار المتكلم واما المحدث  
فانه يبحث عن كلام رسول الله وذلك فرع على ثبوت نبوته والفقهية  
انما يبحث عن احكام الله تعالى وذلك فرع على ثبوت التوحيد فثبت  
ان هذه العلوم باسرها مفتقرة الى علم الاصول وظاهر ان علم الاصول  
عني عنها باسرها فوجب ان يكون علم الاصول اشرف للحجة الثالثة

ان شرف الشيء قد يظهر بواسطة حساسية ضده فكما كان ضده الشيء  
اخس كان هو اشرف ولا شك ان ضده علم الاصول هو الكفر والبدعة  
وهما من اخس الاشياء فوجب ان يكون علم الاصول من اشرف العلوم  
للحجة الرابعة ان شرف العلم تارة يكون لشرف موضوعه وتارة  
لشدته للحاجة اليه وتارة لقوة براهينه ودلائله وذلك لان  
علم الهيئته اشرف من علم الطب نظراً الى ان موضوع علم الهيئته  
اشرف من موضوع علم الطب وان كان علم الطب اشرف من حيث  
ان الحاجة الى الطب اشدد وعلم الطب اشرف منهما من حيث ان براهينه  
هذه العلوم اقوى وعلم الاصول مسجع لهذه الخصال اما شرف  
الموضوع وذلك لان المبحث عند ذات الله وصفاته وقدرته  
وعظمته فلا شك انه اشرف واما شدة الحاجة اليه فظاهر اما في  
الدين واما في الدنيا اما في الدين فلان من عرف هذه المطالب  
استحق الثواب العظيم ومخلص من العقاب العظيم وصار في زمرة  
الملائكة المقربين في جوار رب العالمين ومن جهلها صار محروماً  
من الثواب العظيم مستوجباً للعقاب الاليم وصار من زمرة الالبسة  
والشياطين وبقى في دركات الضلالة ابد الابدين ودهور الدهرين  
واما في الدنيا فلان معظم مصالح العالم انما ينتظم بسبب الرغبة  
في الثواب والرغبة من العقاب والالتوقع المخرج والمرج في العالم  
واما قوة براهينه هذا العلم فلان براهينها مركبة من المقدمات



البديهة الضرورية وهي اقوى العلوم والمعارف فثبت ان علم الاصول  
 مستمع لجميع خصال الشرف فوجب ان يكون اشرف العلوم الحجة الى  
 ان هذا العلم لا يتطرق اليه النسخ والتغيير ولا يختلف باختلاف  
 النواحي والامم بخلاف سائر العلوم فوجب ان يكون اشرف العلوم  
الحجة السادة ان الانسان لا يكون من اهل النجاة والدرجات الاعلى  
 هذا العلم وقد يكون من اهل النجاة بان لم يتعلم شيئا من الفقه اصلا  
 والنبذة اما انه لا بد في النجاة من علم الاصول لان الجاهل بالله البتة  
 لا يكون من اهل النجاة بالاجماع واما انه قد حصل النجاة بدون الفقه  
 فلان الانسان قبل البلوغ لا يكون مكلفا بشيء من الاعمال فاذا بلغ  
 وقت الفحوى ففي هذه الساعة لم يجب عليه شيء من الصلوات والزكوة  
 والصيام وسائر العبادات فلو مات في هذه الساعة مع المعرفة  
 والتوحيد لقي الله مؤمنا حقا ولو قدرنا ان هذا الذي بلغ كانت  
 امراده ثم كما بلغت حاضرت ونفقت فاذا انقضى زمان حيزها ما  
 هي قد لقيت حضرة الله ثم مؤمنة حقا فعلمنا ان النجاة والنجاة  
 الدرجات لا يتوقف على الفقه وهي موقوفة على معرفة الاصول  
الحجة السابعة ان الآيات المشتملة على دلائل علم الاصول اشرف  
 من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع بدليل انه جاء في فضيلة  
 قل هو الله احد وآمن الرسول وآية الكرسي وشهد الله مالم يحج  
 مثله في فضيلة قوله ويسئلونك عن المهيض واحل الله البيع يا ايها

الذين امنوا اذا تدابرتهم بدين ولذلك فان الزهاد والعباد  
 يواظبون في شرايف الاوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة  
 على البينات دون الآيات المشتملة على هذه الاحكام الحجة الثامنة  
 ان الآيات الواردة في الاحكام الشرعية اقل من ستمائة آية واما  
 البواقي فهي في بيان التوحيد والرد على عبدة الاوثان واصناف  
 المشركين وفي اثبات النبوة والمعاد ومسئلة القضاء والقدر  
 واما الآيات الواردة في القصص والمقصود منها اما التوحيد  
 واما النبوة اما التوحيد فهي الاستدلال بها على قدرة الله  
 وحكمته كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب واما على النبوة  
 فمن وجهين الاول بالفاظ مختلفة كما قال في سورة الشعراء بعد  
 ذكر القصص وانه لتزيل رب العالمين نزل به الروح الامين  
 على قلبك ووجه الاستدلال به انه علم لما يعلم علما ولم يقرأ  
 كتابا ولم يتلمذ الاستاذ استحالة منه رواية هذه القصص الا عن  
 وحى الله وتزليله والثاني انه يذكر القصة الواحدة مرارا مختلفة  
 وكل ذلك متشابهة في الفصاحة مع ان الفصح اذا ذكر قصة  
 واحدة مرة بالالفاظ الفصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة اخرى  
 بالالفاظ الفصيحة فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله  
 لامن البشر فدل هذا على ان معظم القرآن في علم الاصول فلنشتر  
 الى مقاعد الدلائل اما دلائل التوحيد فتارة باخلاق الانسا



من النطفة والله تعالى ذكر هذا الدليل في القرآن أكثر من ثمانين  
مرة وقارة بدلائل الافاق وهي احوال السماء والارض والهواء  
والنبات والحيوان وهو اظهر من ان يحتاج الى الشرح واما  
الدلائل الدالة على الصفات فنقول اما الذي يدل على العلم فكقوله  
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ثم اردفه بقوله  
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء هذا هو دليل المتكلمين  
فانهم يستدلون باحكام الافعال وانقائها على علم الفاعل فزعموا  
استدل سبحانه بتصوير الصور في ظلمات الارحام على كون الفاعل  
عالما وقال ايضا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وهو غنى  
عن تلك الدلالة وقال وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وهذا  
تنبيه على كونه تعالى عالما بكل المعلومات لان تعجب عن المعينات فيقع  
تلك الاشياء على وفق ذلك الخبر وذلك يدل على كونه تعالى عالما بالمعقبات  
واما صفة القدرة فكل ما ذكر الله تعالى في القرآن من الثمار المختلفة  
والحيوانات المختلفة مع استواء تأثير الطبايع والافلاك فانه  
يدل على صفة القدرة وسيجيء الاستقصاء في هذه الدلائل القرآنية  
الحجة التاسعة انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء عليهم السلام انهم كانوا  
طول عمرهم مستغفلين بهذه الدلائل ولذا ذكر ما ينبت على المقصود  
اما الملائكة فانهم لما قالوا اجعل فيها من يفسد فيها ويسفك  
الدماء كان المراد ان خلق امثال هؤلاء سبب للشر والفتنة

وذلك

وذلك الحقيق والحكيم لا يفعل البعيج فاجابهم الله تعالى بقوله اعلم ما لا  
تعلمون والمعنى والله اعلم اني لما كنت عالما بكل المعلومات كنت قد  
علمت في خلقهم واجادهم حكمة لا تعلمونها انتم فلما سمعوا ذلك  
سكتوا عما مناظره الله واما مناظره الله تعالى مع ابليس فالقرآن  
ناطق بها واما الانبياء عموما فاولهم آدم عموما وقد اظهر الله تعالى  
الحجة على فضله بان اظهر علمه على الملائكة وذلك محض الاستدلال  
واما نوح عموما فقد حكى الله عن الكفار انهم قالوا يا نوح قد  
جادلنا فاكثرت جدالنا ومعلوم ان مجادلة الرسول مع  
الكفار لا تكون في تفاصيل الاحكام الشرعية فلم يبق الا انها  
كانت في التوحيد والنبوة وايضا انه عموما لما امرهم بالاستغفار  
في قوله فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ففي الحال ذكر ما  
يدل على التوحيد المبرور وكيف خلق الله سبع سموات طباقا  
الآية واما ابراهيم عموما فالاشتغال في شرح احواله في هذا الباب  
يطول وله مقامات احدها مع نفسه وهو قوله فلما جئت  
عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي الى اخر الايات وهذه  
طريقة المتكلمين فانه استدلال باقوتها وتغيرها على حدوثها  
ثم استدلال بحدوثها على وجود محدثها كما اخبر الله تعالى عنه  
في قوله يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي  
فطر السموات والارض ثم انه تعالى عظم شأنه بسبب ذلك



فقال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات  
من نشاء وايضا في وقت دعائه ما هو محض الاستدلال  
وهو قوله الذي خلقني فهو يهدين الى آخر الآية وثانيها حال  
ابراهيم ~~ع~~ مع ابيه وهو قوله يا ابيت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر  
الى آخر الايات وثالثها حاله مع قومه تارة بالقول واخرى  
بالفعل اما القول فهو قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها تكفون  
واما بالفعل فجعلهم جزاذا الاكبر اهلهم لعلمهم اليه يرجعون  
ورابعها حاله مع ملك زمانه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت  
الى آخر الآية فهذا كله مباحث ابراهيم ~~ع~~ في معرفة المبدأ  
واما بحثه في معرفة المعاد فهو قوله رب ارنى كيف يحيى الموتى  
الى آخره واما موسى ~~ع~~ فانظر الى مباحثه مع فرعون واعلم  
ان موسى ~~ع~~ علم ما كان يقول في الاستدلال على دلائل ابراهيم  
وذلك لانه تم حكمي في سورة طه ان فرعون قال له ولهارون  
من ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى  
هذا هو الدليل الذي ذكره ابراهيم ~~ع~~ حيث قال الذي خلقني  
فهو يهدين ثم حكمي عن موسى في سورة الشعراء انه قال فرعون  
ربكم ورب ابائكم الاولين وهذا هو الذي عول عليه ابراهيم ~~ع~~  
في قوله ربي الذي يحيي ويميت فلما لم يكن فرعون بذلك  
وطالبه بدليل اخر قال موسى ~~ع~~ رب المشرق والمغرب وهذا

هو الذي

هو الذي عول عليه ابراهيم ~~ع~~ في قوله فان الله ياتي بالشمس  
من المشرق فأت بها من المغرب وهذا ينبتك على ان التمسك  
بهذه الدلائل حرفة هؤلاء الانبياء عليهم السلام ثم ان موسى ~~ع~~  
لما فرغ من تحرير دلائل التوحيد ذكر بعد ذلك دلائل النبوة فقال  
أو لو جئتكم بشئ مبين وهذا يدل على انه ~~ع~~ فرغ بيان النبوة  
على بيان التوحيد والمعرفة واما سليمان ~~ع~~ فله مقامان  
احدهما في اثبات التوحيد والاخر في اثبات النبوة اما المقام  
الاول في اثبات التوحيد فهو قوله سبحنا حكاية عنه الا يسجدوا  
لله الذي يخرج الخبأ في السموات والآية وهذه الآية دالة  
على وصف الله ~~ع~~ بالعلم والقدرة واما القدرة فقوله يخرج  
الخبأ في السموات والارض وسمى الخبأ بالمصدر وهو يتناول  
جميع الارزاق والاموال واخرجه من السماء بالغيث ومن  
الارض بالنبات وتقرير ما قد مناه واما العلم فيدل  
على بئوته قوله ويعلم ما يخفون وما يعلنون واعلم ان المقصود  
من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وتلخيص الدلائل على  
قانون الجدول على وجهين الاول الاله يجب ان يكون قادرا  
على اخراج الخبأ او يكون عالما بالخفيات والشمس ليست كذلك  
فهو لا تكون الها اما انه سبحانه يجب ان يكون عالما على الوجه المذكور  
فكما انه يجب واجب الوجود لذاته فلا يختص قدرته ببعض



المقدورات وبعض المعلومات دون بعض وأما أن الشمس  
ليست كذلك فإنها جسم متناه وكل ما كان متناهياً في الدنا  
كان متناهياً في الصفات وإذا كان كذلك امتنع أن يكون الشمس  
قادرة على إخراج الحياء وعالمه بالخصفيات وإذا لم يعلم من حالها  
وكونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضار فراجع حاصل  
هذا الدليل إلى ما ذكره إبراهيم ع لم تقبل ما لا يسمع ولا يبصر  
ولا يفهم عندك شيئاً الوجه الثاني أن هذا إشارة إلى دليل  
إبراهيم في قوله ربي الذي يحي ويميت إلى آخر الآية وبيانه أنه  
سبحانه وتعالى هو الذي يخرج الشمس من المشرق إلى المغرب  
بعد أفولها فهذا هو المراد بإخراج الحياء في السموات وهو المراد  
من قول إبراهيم لا أحب الأولين ومن قوله أن الله يأتي  
بالشمس من المشرق ومن قول موسى ربي المشرق والمغرب  
وحاصل الكلام يرجع إلى أن أفول الشمس وطلوعها يدل أن  
على كونها تحت تدبير مدبر قاهر فكانت العبادة لقاهرها ومدبرها  
والمشرف فيها أولى وأما إخراج الحياء من الأرض فالمراد منه  
إخراج النطفة من بين الصلب والترائب وهو المراد من قول  
إبراهيم ربي الذي يحي ويميت ومن قول موسى ع ربكم ورب  
آبائكم الأولين فإن قيل إن إبراهيم وموسى عليهما السلام قدما  
دلائل النفس على دلائل الأفلاك فإن إبراهيم قال أولاد ربي الله

يحي ويميت ثم قال إن الله يأتي بالشمس من المشرق وموسى ع قال  
أولاد ربكم ورب آبائكم الأولين ثم قال ربي المشرق والمغرب  
فلم عكس هذا الترتيب فقدم دلائل السموات على دلائل النفس  
فقال لله الذي يخرج الحياء في السموات والأرض قلنا إن إبراهيم  
وموسى ع كانت مناظرة ما مع من ادعى الألوهية للبشر فإن  
مخروء وفرعون كل واحد منهما كان يدعى الألوهية فلما جرم ابتداء إبراهيم  
وموسى عليهما السلام بإبطال ألوهية البشر ثم انتقلا إلى إبطال  
ألوهية الأفلاك والكواكب وأما سليمان ع فإنه كانت مناظرة  
مع من يدعى ألوهية الشمس فإن الهدهد قال وجدتها وقومها  
يسجدون للشمس من دون الله فلما جرم ابتداء بذكر السموات  
ثم بذكر الأرضيات ثم أن سليمان ع لما تم دلائل التوحيد  
قال بعد لا اله الا هو رب العرش العظيم والمراد أنه لما بين افتقار  
السموات والشمس وسائر الكواكب إلى مدبر خالق ذكر بعد ذلك  
أن كل ما كان جسماً فهو مخلوق ومربوب سواء كان عظيماً أو  
صغيراً فقال لا اله الا هو رب العرش العظيم فهذا مقام سليمان  
ع في تقرير دلائل التوحيد وأما المقام الثاني النبوة فهو كقول  
نوح عليه السلام يا بني بعشرتها قبل أن يأتيك  
مسلمين قال عفرت من الحق أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك  
إلى قوله هذا من فضل ربي ليبلوني إذ شكوا من كفر واعلم أن كثيراً



من الناس قالوا ذلك الشخص الذي قال انا آتيك به قبل ان يرتد  
اليك طرفك هو غير سليمان وظنوا ان الكاف في قوله اتيك خطاب  
مع سليمان عم وعلى هذا التقدير لابد وان يكون ذلك القائل  
غير سليمان الا ان هذا ضعيف بل الصحيح عندنا ان الآتي بذلك  
العرش هو سليمان وم وذلك لانه عم انما قال اتيكم يا بني  
بعرشها على سبيل التحدى فقال العفريت انا اتيك به قبل ان  
تقوم من مقامك فقال سليمان عم للعفريت انا اتيك به  
قبل ان يرتد اليك طرفك فهذا الكلام قال سليمان للعفريت  
تقرير التحدي الذي ذكره اولا وكسر للعفريت واظهار المعجزة  
والذي يدل عليه وجوب الاول ان سليمان عم كان قد ذكر  
دلائل التوحيد اولا فافتقر بعد ذلك الى تقرير دلائل النبوة  
مع بلقيس فان سليمان عم كان قد كلفها الاقوله بالتوحيد  
والنبوة فلما ذكر دلائل التوحيد وجب عليه ان يذكر بعد ذلك  
دلائل النبوة وهذا مع دلائل النبوة فوجب جعله معجزا سليما  
وم حتى يتم الدليل الثاني ان لفظ الذي موضوع في اللفظ  
الاشارة الى شخص معين عند مجادلة تقريرها بقصة معلومة  
والشخص المعروف بان عنده علم من الكتاب هو سليمان قال تعالى  
ففرمناها سليمان وقال وورث سليمان داود فوجب ان يضاف اليه  
افقي ما في الباب ان اصف كان ايضا عالما بالكتاب الا ان سليمان

كان اعرف من اصف لان الرسول اعرف بكلام الله من غيره فكان  
مرف هذا اللفظ الى سليمان اولى الثالث ان احضار العرش  
في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصل للاصف دون  
سليمان لاقتضى ذلك تفضيل اصف على سليمان وانما غير جائز  
الرابع ان سليمان وم لو افتقر في هذا الفرض الى اصف لاقتضى  
ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق الخامس ان سليمان عم  
قال هذا من فضل ربي ليبلوني اءشكر ام اكفر وظاهره يقتضي  
ان يكون ذلك المعجز قد اظهر الله بدعاء سليمان فهذا ما يتعلق  
باشغال سليمان بتقرير التوحيد والنبوة اما عيسى وم فانه  
اول ما تكلم شرح امر التوحيد فقال اني عبد الله وشهادة  
حاله كانت دالة على صدق مقاليته وهذه الكلمة الواحدة كانت  
جامعة لكل المقاصد اما دلائل النبوة فلان انطاق  
الطفل في زمان الطفولية لا يتأتى الا من الاله القادر على كل  
المقدورات واما دلائل النبوة فلان اختصاصه بهذا  
الفعل الخارق للعادة دالة على النبوة واما دلائل النبوة فبراهمة  
عن طعن اليهود فلانه لا يليق بحكمة الحكيم تخصيص ولد الزنا  
بهذه الرتبة العالية والدرجة الشريفة ثم انه وم بعد هذه  
الكلمة الواقية بتقرير كل الافتراض انتقل الى بيان الشرايع  
انا في الكتاب وجعلني نبيا واما محمد صلى الله عليه وسلم



ان اشتغاله بتقرير دلالة التوحيد والنبوة والمعاد اظهر من  
ان يحتاج فيه الى مزيد تقرير وذلك لانه وم كان مبتلا بالرد  
على جميع الفرق من الكفار فالاول الذرية الذين كانوا  
يقولون وما يهلكنا الا الدهر والله تعالى ابطال قولهم بانه خالق  
الدهر والزمان والثاني الذين ينكرون القادر المختار والله تعالى  
ابطال قولهم بحدوث انواع النباتات واصناف الحيوانات مع  
اشتراك الكل في تأثير الطبايع والافلاك والثالث الذين  
اشتوا شريكا مع الله تعالى وذلك الشريك اما ان يكون علويا او غليا  
والشريك العلوي فمنهم من اثبت ان ذلك الشريك هو الكوكب  
والشمس والقمر والله تعالى ابطاله بدليل الخليل وهو قوله لا احب  
الاقلين ومنهم من قال هو النور والظلمة والله تعالى ابطاله بقوله  
لمحمد الله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور  
ومنهم من قال انه يزidan واهرم والله تعالى ابطاله بقوله تعالى  
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبقوله اذ الاستغوا الى ذي  
العرش سبيلا وبقوله ولعلنا بعضهم على بعض واما الشريك  
السفلي فمنهم من قال بالهية المسيح والله تعالى ابطاله بقوله لن  
يستكف المسيح ان يكون عبد الله ومنهم من قال انه الوثني  
والله تعالى ابطاله بقوله امن يخلق من لا يخلق والرابع الذين  
طعنوا في النبوة وحكي الله تعالى فيهم قولهم ابعت الله بشرا رسولا

ثم انه تم رد عليهم بقوله اتم يقسمون رحمة ربك الخامس الذين  
طعنوا تارة بانه لا فائدة فيه والله تعالى رد عليهم بقوله ان احسنتم  
احسنتم لانفسكم وان اساءتم فلها واهرى بان الحق هو الجبر  
وهو بيان في صحة التكليف وانه تعالى اجاب عنه بقوله لا يسئل  
عما يفعل والسادس الذين سلموا اصل النبوة وطعنوا في  
نبوة محمد ع وم والقرآن مملوء من الرد عليهم ثم طعنهم في كان  
من وجود تارة بالظن في القرآن من حيث انه مشتمل على ذكر  
الحاسيس الحيوانات من البعوضة والنملة والذبابه فاجاب الله تعالى  
بقوله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة وتارة بان  
القرآن سحر شعر فاجاب الله بقوله فانوا بسورة من مثله وتارة  
بالتماس ساير المعجزات وهو قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا  
من الارض ينابيع فاجاب الله عنه بان الدليل لما تم لم يبق  
الامتزاج في الزيادات فائدة وهو قوله قل سجدوا لي هل كنت  
الا بشرا رسولا وتارة بان هذا القرآن نزل بحجنا وذلك  
بطريق التهمة فاجاب الله بقوله لنسبت به فوادك وتارة  
بانه يحتمل ان يكون هذا القرآن من إلقاء الجن والشياطين كما في  
حق الشعراء فاجاب الله تعالى هل انبئكم عما من تنزل الشياطين  
تنزل على كل افاك انهم السابغ الذين انكروا الحشر والنشر والقرآن  
مملوء من الرد عليهم فثبت بمجموع ما ذكرنا ان الاشتغال بدلائل



التوحيد والنبوة حرفة جميع الانبياء عليهم السلام الحجة العاشر  
اعلى نهاية شرف هذا العلم قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة الآية وليس المراد منه المجادلة في فروع الشرايع  
لان من انكر نبوته فلا فائدة في الخوض معه في تفاريع الاحكام  
ومن اثبت نبوته فلا يخالف فعلنا ان هذا الجدل المأمور به  
كان في تقرير مسائل الاصول واذا ثبت هذا في حق الرسول ثبت  
في حق امته لقوله تعالى حكاية عنده وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه  
وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله  
عليكم بسنة وسنة الخلفاء من بعدى الحجة الحادية عشر قوله  
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير  
وذلك ان الجدل مع العلم لا يكون مذموما وايضا حكى الله عن قوم  
نوح انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومن المعلوم  
ان ذلك الجدل ما كان الا تقرير دلائل الاصول واذا ثبت بهذه  
الآيات ان الجدل في تقرير الدلائل مستحسن ثبت ان المراد من  
قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون محمول على ذم  
الجدل في تقرير الباطل الحجة الثانية عشر انه تعالى امرنا بالنظر  
فقال افلا يتدبرون القرآن افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت  
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اولم يروا اننا انما في الارض  
ننقصها من اطرافها ولم ينظروا في ملكوت السموات الحجة الثالثة

عشرة تعالى ذكر التفكير في معرض المدح فقال ان في ذلك لآيات  
لاولى الالباب ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار وايضا  
ذم المعرضين فقال وكأين من آية في السموات والارض يمحرون  
عليها وهم عنها معرضون وقال لهم قلوب لا يفقهون بها الآية  
الحجة الرابعة عشر تعالى ذم التقليد فقال حكاية عن الكفار  
انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وقالوا بل  
نتبع ما القينا عليه اباؤنا وقال بل وجدنا اباؤنا كذلك يفعلون  
وقال ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وقال في والد  
ابراهيم ولم يئن لم تنته لارجعتك واهجرني مليا كل ذلك يدل  
على وجوب النظر وفساد التقليد الحجة الخامسة عشر تعالى  
حكى عنهم انهم سألوا امهم عن امور كقوله ويسئلونك عن  
الانفال فذكر في هذه المواضع قل كذا وكذا الآية واحدة وهي  
انهم سألوا عن مسألة اصولية وهو قوله ويسئلونك عن الجبال  
فقل ينسفها ربي نسفا فانها هنا ذكر حرف التعقيب يعني يا محمد اذكر  
هذا الجواب في الحال لان هذه مسألة اصولية فلا يجوز تأخير الجواب  
عنها لان ذلك يعدح في الايمان اما سائر المسائل فهي فروعية  
فلا يكون تأخير الجواب عنها الى وقت الحاجة صارا فثبت مجموع  
هذه الدلائل وجوب تقديم علم الاصول على علم الفروع فلا جرم  
قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك قدم الامر



بمعرفه التوحيد على الامر بالاستغفار **الفصل الثاني** في فوائد  
كلمه لا اله الا الله **الفائدة الاولى** ان هذا الذكر لما كان افضل  
الازكار فالعدو لما جاءته المحنة فزع اليه والوحي لما جاءته  
المحنة فزع اليه اما العدو فلان فرعون لما قرب من الفرق  
قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل والمعنى انه  
لا اله يقدر على ان يجعل النار راحة كما في حق ابراهيم وم والماء عذابا  
كما في حق الا الذي امنت به بنو اسرائيل واما الوحي فكما في حق يونس  
قال تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت  
من الظالمين والمعنى لا اله الا انت فانك انت الذي تقدر  
على حفظ الانساحيا في بطن الحوت ولا قدرة لغيرك على هذه الحالة  
فان قيل كل واحد منهما نادى فلم قبل نداء احدهما ولم يقبل نداء  
الثاني قلنا الفرق من وجوه الاول ان يونس عم كان قد سقت  
له المعرفة مع هذه الكلمة فسبق الكلمة اعانه على قبولها منه  
واما فرعون فقد تقدمت له سبق النكرة وذلك لان الله  
تقدم له النداء الى نفسه كما قال فخر فنادى فقال انا ربكم الاعلى  
واما يونس فقد كان ينادى الله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت  
اذ نادى وايضا فلولا انه كان من المسيحين للبت في بطنه  
اليوم يبعثون وهذا ينهك على ان من حفظ الله في الخلوات  
يحفظه في الخلوات الثاني ان يونس عم انما ذكر هذه الكلمة

مع الحضور فقال لا اله الا انت وكان في الحضور والشهود واما  
فرعون فانه قالها عن الغيبة فقال امنت انه لا اله الا الذي امنت  
به بنو اسرائيل فاحال العلم بحقيقة هذه الكلمة على الغير الثالث  
ان فرعون ذكر هذه الكلمة على سبيل التقليد لبني اسرائيل فقال  
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل واما يونس عم  
فانه انما ذكر هذا على سبيل الاستدلال مع العجز وانكسار القلب  
وذلك لانه قال فنادى في الظلمات فحصل له العجز والانكسار  
وسبب تلك الظلمات ثم بعد ذلك سبحانك اني كنت من الظالمين  
فحصل له العجز والانكسار ومحروقة بهما للجرم صارت مقبولة  
لقوله نعم ام من يجب المضطر اذ ادعاه والرابع ان فرعون  
انما ذكر هذه الكلمة لالعبودية بل الطلب للخلاص من الفرق  
بدليل قوله فلما ادركه الفرق قال امنت واما يونس عم فهو  
انما قالها لما حصل له غم والانكسار بسبب التقصير في الطاعة  
والعبودية بدليل قوله بعد سبحانك اني كنت من الظالمين  
فقد ظهر الفرق من هذه الوجوه الفضية الثانية لهذه الكلمة  
انه تعالى امرك بطاعة كثير من الصلوات والصيام والزكوة  
والجوع وبسبب ان يكون موافقا لك في شئ منها ثم امرك  
بان تقول لا اله الا الله ثم ان الله تعالى يوافقك فيها فقال  
شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله لا اله الا هو العزيز الحكيم



والمقصود من التكرير وجهان الأول ان يكون العبد مواظبا  
على تكريرها طول عمره الثاني كأنه قال عبك جعلت هذه الكلمة  
أول الآية وأخرها فاجعلها انت ايضا أول عمرك وأخره حتى تقف  
بالجنة والسلامة وهما نكتة ثالثة الأولى ان تم جعلك ثالث  
نفسه في هذه الآية وكفاك هذا في الثانية روى ان يوسف عم  
اراد ان يتخذ وزيراً فجاء جبرئيل م وقال ان الله يأمرك ان يتخذ  
فلانا وزيراً لك فنظر اليه يوسف فم كان في غاية الدناءة فسئل  
جبرئيل م عن السب فقال ان له عليك حق الشهادة لانه هو الذي  
شهد ان كان مقبضه قد من قبل الآية والاشارة ان من شهد مخلوق  
واحد وجد وزارته في الدنيا فمن شهد الله بالتوحيد والجلال  
الأجل معرفة ورحمة في العقبة الثالثة في الحديث ان الله ملائكة  
يؤمنون عند تأمين الامام فمن وافق تأمينه تأمين الملك  
مرة واحدة صار مغفورا ومن وافقت شهادته بوحدة الله  
شهادة الله الالف مرة الانصير مغفورا الرابعة ان تم سماك وقت  
التخليق مختاراً قال وربك يخلق ما يشاء ويختار وفي موضع  
الذنب جاهلاً ان كان ظلو ما جهولا وفي موضع الرزق دابة  
وما من دابة في الارض الا اعطى الله رزقها وفي وقت الطاعة اجيراً  
ليوفيتهم اجورهم وعند الشهادة عالماً والملائكة واولو العلم  
ثم ان العلم افضل الدرجات وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله

عليك عظيماً والعرض منه التشبيه على الدرجات فانت من حيث اني  
خلقتك كما اختارني فلك درجة من سي حيث قلت وقال وانا اخترتك  
وحين اذ نبت فانت جاهل والجهل عذر من بعض الوجوه وحين  
يشتغل بطلب الرزق فكما البهيمه لانه لا يكفك برزقك مما هو مقدر  
لك يصل اليك وما ليس مقدرالك لا يصل اليك فكان الطلب عديم  
الفائدة فكان شبه افعال البهائم وحين تشتغل بالعمل كنت  
كالاجير وكل ذلك درجات فاذلة اما حين تشتغل بالشهادة والتوحيد  
فانت من العلماء والفايدين في لجنة مجر التحقيق والتوحيد بلفظ  
الغاية القصوى في المنقبة والشرف كما قال يرفع الله الذين امنوا  
الآية الخامسة قال تعالى لموسى ومما نلك يمينك وقت هذه  
الاشارة على العصا وعلى اليد اما العصا فقوله ومما نلك واما اليد  
فقوله يمينك فصار العصا من قوة هذه الاشارة تلفف حبال  
الشجرة وعصيتهم وصارت اليد أبيضاء وادخل يدك في جيبك  
الآية وكلمة لا اله الا الله وهي صفة وهداية وفردانية وجلالة  
وعزته لا تستقل بافناء اثار العصا عن قلب العبد وازالة  
روح بنور المعرفة والهداية والسادسة عصا موسى ومخرج  
من الجنة فبطل عصا الشجرة عندها هذه الكلمة اما ظهرت من شجرة  
العرقة والزبونية والعظمة فزجوا ان يبطل الذنوب عندها  
السابعة حكى عن الحاج ان امر بقتل رجل فقال لا تقتلني حتى تاخذ



بيدي وتمشي معي فاجابه اليه فقال الرجل بحجة صحيحة معك  
في هذه الساعة ان لا تنقلني فعصا عنه فنهنا وقعت للمؤمن بحجة  
مع الله الكريم في هذه الشهادة فزجوا ان يضر الله له الثامنة  
وجد المؤمن بهذه الشهادة ابوة ابراهيم قوله ملكة ابيكم ابراهيم  
وامومية ازواج النبي عم وازواجهم اثم واثق المؤمن انما  
المؤمنون اخوة واستغفار الانبياء واستغفر لذنبيك وللمؤمنين  
والمؤمنات واستغفار الملائكة ويستغفرون للذين امنوا وشفيها  
مثل محمد دم شفاعة لاهل الكبار من امته ومشاركة في الاسم  
المؤمن المهيمن قد نبت ما اراك عنه هذه التشرفات افتري  
انه يخرج عن رحمة الرحمن وكرم اكرم الاكرمين التاسعة حكى  
انه عرض على نضر بن احمد عسكره وكان يسأله عن اسماء الرجال فيجيبه  
فسأل واحدا عن اسمه فسكت لانه سمى ففطن لذلك واعطاه  
خلعة حشيمة فاذا كان حال سمي الملك ذلك فكيف من كان  
يؤتي برجل يوم القيامة اسمه محمد فيقول الله تعالى  
اما اسحيت ان عصيتي وانت سمي جيبه فانا اسحيت ان اعذبك  
وانت سمي جيبه فاذا كان لا يعذب سمي رسولهم فزجوا من فضل  
ان لا يعذب سمي نفسه وهو المؤمن الفضيلة الثالثة هذه  
الكلمة ان كل طاعة فانه يصعد الملك بها اما قوله لا اله الا الله  
فانه يصعد بنفسه دليله قوله اليه يصعد الكلم الطيب ثم قال

والعمل

والعمل الصالح يرفعه اي العمل الصالح يرفعه الملك الى الله تعالى هكذا قاله  
بعضهم الفضيلة الرابعة قول بعضهم للحكمة في قوله اذا الشمس كورت  
واذا النجوم انكدرت لان يوم القيمة يبطل نور كلمة لا اله الا الله  
فينتجح من ذلك النور نور الشمس والقمر لان تلك الانوار مجازية  
عرضية ونور لا اله الا الله نور ذات واجب الوجود لذاته والمجاز  
يبطل في مقابلة الحقيقة فلا جرم يبطل كل نور في مقابلة هذا النور  
بل يبطل كل وجود في مقابلة هذا الوجود كما قال كل شيء هالك الا  
وجهه الفضيلة الخامسة ان جميع الطاعات تزول يوم القيمة مثل  
الصلوة والصوم والحج فان التكليف الظاهرة تزول في عالم القيمة  
اما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم وكيف يمكن زوالها  
عنهم والقرآن يدل على انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد يوجب  
المواظبة على الذكر والتوحيد وانما قلنا انهم مواظبون على الحمد  
لقوله تعالى حكاية عنهم وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن  
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده دعويهم فيها سبحانه اللهم  
وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين  
لا اله الا هو الحمد في الاولى والاخرة فثبت انهم مواظبون على الحمد  
والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر لا محالة فعلنا ان جميع العبادات  
زايلة عن اهل الجنة الا طاعة الذكر والتوحيد والتحميد الفضيلة  
السادسة ما روي في الآثار انه قال اذا قال العبد لا اله الا الله



فانه سبحانه يعطيه من الثواب بعد ذلك كافر وكافرة عما وجهه الارض  
قال المحققون السبب في ذلك انه لما قال هذه الكلمة فكانه قدرة  
على كل كافر اثبت الله صدأ وندأ وشريكا فلا جرم استحق الثواب  
بعددهم الفضيلة التابعة قال السدي في قوله نعم حم عسق الحاء  
حكمة وحلم وحجة والميم ملكة ومجد والعين عظيمة وعلمه  
وعدله وعزفه والسين سناؤه وسره والقاف فهم وقد رتبه  
يقول الله عز وجل جل جلاله وبحكمي وحجتي وملكوتي وعظمي وعزتي  
وعلي وعدتي وعزتي وسناتي وسري وقد رتبه في قوله لا اعذب  
في النار ابدا من قال لا اله الا الله الفضيلة الثامنة قيل اذا كان  
اخر الزمان فليس لشئ من الطاعات فضل كفضل لا اله الا الله لان  
صلواتهم وصياماتهم يشوبها الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها  
الحرام ولا اخلاص في شئ منها اما كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله  
والمؤمن لا يذكرها الا عن صميم القلب الفضيلة التاسعة الاحاديث  
الواردة في فضل هذه الكلمة فالاول قوله عليه السلام افضل الذكر  
لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله والثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما  
قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشر وكان  
انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفذون شعورهم من التراب  
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الثالث يروى ان المأمون  
لما انصرف من مروي بريد العراق واجتاز نيسابور وعلى مقامه

علي بن موسى الرضا فقام اليه قوم من المشايخ رج وقالوا نساك  
بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحذتنا بحديث ينفعنا فروي  
عن ابيه عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل ادم عن الله تعالى انه قال  
كلمة لا اله الا الله حقني ومن دخل حصني امن من عذابي والرابع  
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يفتح الله ابواب الجنة وينادي  
مناد من تحت العرش ايها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن انت  
فتنادي الجنة وكل ما فيها نحن لاهل لا اله الا الله ونشاق الى اهل  
لا اله الا الله ولا نطلب الا اهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا  
اهل لا اله الا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا اله الا الله ولم يؤمن  
بلا اله الا الله وعند هذا نقول النار وكل ما فيها من العذاب  
لا يدخلني الا من انكر لا اله الا الله ولا اطلب الا من كذب بلا اله  
الا الله وانا حرام على من قال لا اله الا الله ولا امتلي الا من جحد  
لا اله الا الله وليس غيبي الا عما من انكر لا اله الا الله قال في رحمة  
الله ومغفرته ويقولان انا لاهل لا اله الا الله وناصر لمن قال  
لا اله الا الله ومحبت لمن قال لا اله الا الله ومتفضل على من قال لا  
اله الا الله ولا احب رحمة ومغفرة ممن قال لا اله الا الله وما خلقت  
الا لاهل لا اله الا الله فلا تخطوا لا اله الا الله الا بما يوافق لا اله  
الا الله الخامس قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا  
لا اله الا الله فاذا قالوا ها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها



وحسابهم على الله قال بعض العلماء انه تعالى جعل العذاب عذابين  
 احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة والسيف بلاغلا  
 يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى رسوله من اخرج لسان من  
 الغلاف المرقى وهو النعم فقال لا اله الا الله ادخلك السيف في الغمد  
 الذي يرى ومن اخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو  
 السر فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف الآخرة في غمد الرحمة حتى يكون  
 واحد بواحد ولا ظلم ولا جور **والسادس** عن انس رضي قال النبي  
 من قراء عند منامه شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام  
 خلق الله سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيمة ثم قال  
 وانا على ذلك من الشاهدين **والسابع** عن علي بن ابي طالب رضي  
 قال لم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله الى قوله ان  
 الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب  
 تعلقات ما بينهن وبين الله حجاب يقول الله في حلفت لا  
 كن احد من عبادي اني جعلت الجنة مثواه ولا قضيت له كل يوم  
 سبعين حاجة ادناها المغفرة واحفظه من كل عدو وحاسد **والثامن**  
 قال ابو سعيد الخدري قال لم ما من عبد يقول اربع مرات اللهم  
 اني اشهدك وكفى بك شهيدا واشهد حمة عرشك وملائكتك  
 وجميع خلقك اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك  
 واشهد ان محمدا عبدك ورسولك الا كتب الله به صكاً بالحق

عن النار **التاسع** عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم يجاء برجل من امة يوم  
 القيمة على رؤس الخلايق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل  
 سجل مثل مد البصر فيقال له ائتكم من هذا شيئا اطعمك الخافطون  
 فيقول لا يا رب فيقال له الاك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله  
 ان لا عذري وديعة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة له  
 فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله  
 فيقال يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى  
 لا ظلم اليوم فيوضع في كفة والبطاقة في كفة **فطاشت السجلات**  
 وثقلت البطاقة فلا تنقل مع لم الله شيء **والعاشر** عن انس رضي قال  
 عليه السلام ما رلت اشفع الى ربي فيشفني حتى اموت يا رب شفني  
 فيمن قال لا اله الا الله فيقول الله تعالى هذه ليست لك يا محمد اما هذه  
 لي وعزتي وجلالي وحلي ورحمتي لا ادع في النار احدا قال لا اله الا  
 الله **واعلم** ان اهل العرفان ذكروا في تفسير لا اله الا الله وجوها  
 الاول قال ابن عبيد رضي لا اله الا الله لا نافع ولا منار ولا مفر  
 ولا مذل ولا معطي ولا مانع الا الله يرحمني فضله ويخافه ونؤمن  
 جوره ويوكل رزقه ويذل امره ويسأل عفوه ويتركب نهيه ولا نهم  
 فضله الا الله الذي هو رب المؤمن وغفار المذنبين وعلو النابئين  
 وستار المعيوبين وغاية رحاء الراغبين ومنتهى مقصد العارفين  
**الثاني** قول العبد لا اله الا الله اشارة الى المعرفة والتوحيد



بلنا الحمد والتشديد الى الملك المجيد فاذا قال العبد لا اله الا الله  
 فالله لا اله الا الله والنعمة والبقاء والقدرة والعظمة والنساء  
 والعز والنساء والتعظيم والرضا الا الله الذي هو رب العالمين  
 وخالق الاولين والآخرين وديان يوم الدين الثالث مع لا اله  
 للرعية ولا اله للرعية الا الله الذي هو كاشف الكربة عن عمر بن  
 الحصين قال دم لابي الحصين كم تقبذ اليوم من اله فقال اعبد  
 سنة او سبعة في الارض وواحدة في السماء ثم قال يا حصين لو  
 علمتك كلمتين تنفعانك فاسلم حصين ثم قال يا رسول الله علمني  
 هاتين الكلمتين فقال دم قل اللهم اهلني رشدي واغفر لي وعيبي  
 من شرفني الرابع قيل في قوله تعالى شهد الله يشهد الله في عوالم  
 وخطاير الجلال والسرادات القدية والملائكة يشهدون بهذه  
 الشهادة في السموات واولو العلم يشهدون بهذه الشهادة في الارض  
 قال جعفر الصادق وقد سألوه عن هذه الآية ان الله شهد نفسه  
 بالفرذانية والحمدية والاحدية والازلية والابدية ثم خلق الخلق  
 فسفلهم بعبارة هذه الكلمة وذلك لان شهادة الحق لنفسه حق  
 وشهادتهم له رسم فكيف يستوي الرسم مع الحق ومن أين للتراب  
 طاقة تجلي نور رب الارباب قال سعيد بن جبير كان حول  
 الكعبة بن ثمانية وستون صنما فلما نزل شهد الله ان لا اله الا هو  
 خرب الاصنام سجد حول الكعبة واما حاتمة المجلس فيها وجوه

فقال دم وانهم قد  
 لعنك ورهبتك فقال الذي  
 فقال صلى الله عليه وسلم  
 فكيف يد السوء

الاول اسلم نراقي ببغداد ايام النبي <sup>فصل</sup> ما سبب اسلامك قال كنت  
 في حال النفرانية اكرم دين النصرانية ورزقت دين الاسلام  
 بركة اكرام ذلك الدين فصاح النبي وقال اذا كان من بكرم الدين  
 الباطل فالله يوزقه دين الحق فمن بكرم الدين الحق لا يرزقه الله اة  
 الرحمة والمغفرة الثاني يحكي ان رجلا كان واقفا بصرفات  
 وكان في يده سبعة احجار فقال يا ايها الاحجار السبعة يشهداني  
 اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنام  
 فزأى في المنام ان القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجب  
 له النار فلما ساقوا به الى باب من ابواب جهنم جاء حجر من تلك  
 الاحجار السبعة والقت نفسها على تلك الباب فاجتمعت ملائكة  
 العذاب على رفعها فاقدروا ثم سيق الى الباب الثانية فكان الامر  
 كما في الاول وهكذا الابواب السبعة فسيق به الى العرش فقال الله  
 عبدي اشهد ان الاحجار فلم تضع حقلك وانا شاهد على شهادتك  
 عاتو حيدا دخل الجنة فلما قرب من باب الجنان فاذا ابوابها  
 مغلقة فجاءت شهادة ان لا اله الا الله وفتحت الابواب ودخلها  
 الرجل الثالث روى يزيد بن هرون في المنام بعد موته فقالوا  
 ما فعل الله بك فقال غفر لي قلنا بالحدث قال لا بالعلم بالزهد  
 قال لا قلنا فماذا قال اتاني ملكان مهيبان فقالا من ربك وما يدريك  
 ومن نبيك قلت امثلي يسأل عن هذا وقد كنت ادعو المخلوق اليه



منذ سبعين سنة فافترقا عني الرابع زاد الماء في بغداد حتى اشرفت  
على الفرق فقال بعض الصالحين رايت في بعض تلك الليالي كاتي  
واقف على طرف واقول لاصول والاقوة الاله بالله عرفت بغداد فجاء  
انسان حسن الصورة وكنت اعلم انه ملك وجاء اخر من ناحية اخرى  
فقال احدهما للاخر ما الذي امرت به قال امرت به بتفريق بغداد  
ثم نيت عنه فقال ولم رفعت ملائكة الليل ان البارحة اقتضت  
بغداد سبعائة فخرج حرام فغضب الله وامرني بتفريقها ثم رفعت  
ملائكة النهار في صبح هذا اليوم سبعائة اذان واقامة فغفر الله  
هو لاه هؤلاء قال صاحب الرواية فانتهت وحيث الى دجلة فاذ  
الماء قد نقص الخامس قال بعضهم لا اله الا الله محمد رسول الله  
اربعة وعشرون حرفا وساعات الليل والنهار كذلك فكانه قيل  
كل ذنب اذ نبته من الصغير والكبير وايضا قوله لا اله الا الله محمد  
رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة اعضاء وللنار سبعة ابواب  
كما قال لها سبعة ابواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا  
من الابواب السبعة على عضو من الاعضاء السبعة فقبل ايضا  
ان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا فلا حرم وجب به اثنا عشر فرقة  
سنة ظاهرة وستة باطنة اما الظاهرة الطهارة والصلوة والزكاة  
والصوم والحب والجهل واما الباطنة والتوكل والتفويض والصبر  
والرضا والزهد والتوبة السالكين سأل الشبلي رجل وقال

لم تقول

لم تقول الله ولا تقول لا اله الا الله فقال لان ابا بكر الصديق  
اعطى ماله كله فلم يبق له شيء فجلد بكسار بين يدي النبي ثم فقال  
عليه السلام ما خلفت لعيالك فقال الله فكذا انا افود الله فقال  
السائل اريد اعلى من هذا فقال الشبلي استحي من ذكر كلمة النبي في  
حضرة والكل نوره فقال الشبلي اخش ان اموت عند الانكار  
فلا اصل الى الاقرار قال السائل اريد اعلى من هذا فقال  
الشبلي قال الله لرسوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فقام  
شاب فزعق زعقة فقال الشبلي الله فزعق ثانيا فقال الشبلي  
الله فزعق ثالثا ومات فجعل اقرباء الفتي وتعلقوا بالشبلي وادعوا  
عليه الدم وحملوه الى الخليفة فاذن لهم فدخلوا وادعوا عليه الدم  
فقال الخليفة للشبلي وما جوابك فقال روح خت وشم  
فضاحت فدعيت فسمعت فعلت فاجابت فما ذنبي قال فصاح  
الخليفة وقال خلوا سبيله السابع سئل بعض العلماء عن قوله  
وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطلة  
من قوله لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمر بقوله  
لا اله الا الله الثامن جاءت امرأة الى بعض اكابر الصوفية  
بقارورة من زيت احب ان تصلح قناديل المسجد من هذا الزيت  
فقال الشيخ انما احب اليك نور تصعد الى السقف او نور يصعد  
الى العرش فقالت المرأة بل نور يصعد الى العرش فقال الشيخ



اذا اصبت هذا الدهن في القناديل صعد النور الى السقف  
فاذا اصبت به في طعام الفقراء صعد النور الى العرش ثم اصلح  
طعاما بذلك الدهن للفقراء فلما اكلوا قال قولوا من صدق  
واخلاص لا اله الا الله واجعلوا ثوابها لتلك المرأة التاسعة روى  
ان امية بن خلف لم يكن ذا مال واولاد وكان له صنم يعبد  
من دون الله وكان له اثنا عشر مملوكا ولم يكن احب اليه من بلال  
وكان في بيت الصنم وكان بلال يسجد لله ثم في بيت الصنم وكان  
يقول احد فبلغ ذلك الى النبي فاستر بذلك وبلغ هذا الخبر الى امية  
فقال يا بلال اسجد لرب محمد فقال اسجد لله الكبير المتعال فوثب  
اليه امية يضربه ويعذبه فلما كان نصف النهار جعله عريانا  
وطلى عليه الزيت واقامه على الرضا بحرم الصبيان فكان اذا اصابته  
الشمس وحر الرمل يقول احد اخر عليه ابو بكر رض فقال يا امية  
كم تعذب هذا العلام فقال اشتريته بمالي فانا احق بعذابه  
فقال لا كرامة لك تعذب عبدا قال لا اله الا الله فاختصما قال  
ابو بكر لي علام ابين علي دينك فانا اشتريته بذلك العبد وعثر  
اواق من الذهب وفي رواية اخرى باوقيتين فقال لو طلبت منه  
هذا العلام بدرهمين بعته فقال ابو بكر ولو ساومتني بكل ما  
املكه لاشتريته فاخذ بيد بلال وستره بردائه ومسح وجهه  
من التراب وجاء به الى النبي عم وقال يا معشر قريش اشهدوا

انه حر

انه حر لوجه الله ثم فانزل الله تعالى في شأنه والليل اذا يغشى والنهار  
اذا تجلى العاشر قال بعضهم للحكمة في سؤال الملكين ان الملائكة طعنت  
في بني ادم بقوله اتجعل فيها من يفسد فيها فقال الله اني اعلم  
ما لا تعلمون فاذا مات المؤمن بعث الله ثم الى قبره ملكين ويقولان  
له من ربك وما دينك فيقول ربي الله وديني الاسلام فيا مرها  
الله تعالى ويقول اشهدا بما سمعنا لان اقل اليهود اثنا عشر ثم  
يقول الله ثم ملائكة انظروا الى عبد قد اخذت روحه وماله  
فلله لعدوه وزوجه في حجر غيرم وصيغته في يد غيرم ثم ان الملائكة  
سألوه في بطن الارض فلم يذكر عن شيء الا عن توحيد وتزيه  
لنعموا اني اعلم ما لا تعلمون وايضا قالوا للحكمة في هذا السؤال  
ان الله ثم قال في الابتداء انت بركم قالوا بلى فشهد الله عليهم  
فلا اخرجهن من الدنيا حتى تشهدوا بالتوحيد وشهد عليهم الانبياء  
والمؤمنون بذلك فاذا مات وادخله القبر سئله الملكان من هذه  
الشهادة فيشهد بها في قبره فسمع تلك الشهادة فاذا جاء يوم  
القيامة جاء ابليس واراد ان ياخذ ويقول هذا من شيعتي  
لانه تبعني في المعصية فيقول الله ثم لا سلطان لك عليه لاني سمعت  
التوحيد في الابتداء والانبياء والوسل سمعوا منه ذلك في الوسط  
والملائكة سمعوا منه ذلك في الانتهاء فكيف يكون من شيعتك  
وكيف يكون لك عليه سلطان اذهبوا به الى الجنة الحادي عشر



قال بعضهم حضرت مجلس يحى بن معاذ الرازي فقرأ قوله فقولا له  
قولاً لينا فبكي يحى وقال هذا رفك بمن يعاديك فكيف رفك  
بمن يقولك ويناديك هذا رفك بمن يقول انا الرب فكيف رفك  
بمن يقول انا العبد وانت الرب الهى قوله لا اله الا الله يهدم كفر  
خمس سنين فما يصنع بذنوب ساعة الثمان عشرة قال بعضهم في تفسير  
قوله تم فقولا له قولاً لينا معنى ذلك القول اللين ان يقول موسى  
وهرون لفرعون وجدت عمرك اربعائة سنة تقول انا ربكم الاعلى  
فانيت بقوله منكرو ما ذكره احد من الكفار قبلك فقل مرة واحدة  
انت الرب الاعلى ليغفر لك كفر اربعائة سنة ويطهرتك عن نجاسة  
الشرك والكفر الثالث عشر سئل الشبل عن ارجى آية في القرآن  
فقال قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف  
فقاله تم اطلق للكافر ذنوب الجنة بذكر الكلمة مرة واحدة الا  
ترى من واطب على هذه الكلمة طول عمره كيف يمنع من الجنة  
**الفصل الثالث** في اسماء كلمة التوحيد الاسم الاول كلمة  
التوحيد وذلك لانها تدل على نفي الشرك عما الاطلاق وفائدة  
قولنا عما الاطلاق انه تعالى لما قال والهمم اله واحد امكن ان  
يبال احد ان يقول هب ان الهنا واحد فلعل اله غيرنا مغايراً  
الهنا فانه تعالى ازال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال  
لا اله الا هو وذلك لان قولنا لا ادخل يقتضى نفي هذه الماهية

ومع انتفت الماهية انتفى جميع افرادها اذ لو حصل فرد من افراد  
الماهية مشتمل على تلك الماهية واذا وجدت الماهية فذلك يناقض  
نفي الماهية فثبت ان قولنا لا رجل يفيد النفي العام الشامل  
فاذا قيل بعد ذلك الا زيد افاد التوحيد التام الكامل **تم اعلم**  
ان لهذه الكلمة ثمرتان احدهما ان جوهر الانس خلق في الاصل  
مشرفاً مكرم ما قال الله تم ولقد كرمنا بنى آدم واذا كان الاصل  
كونه مكرم ما كان كونه مطهراً عما فوق الاصل وكونه منجساً عما خلا  
الاصل ثم انا اذا راينا الانسان في شرك صار نجساً بدليل قوله  
انما المشركون نجس واذا كان الشرك يقتضى كونه نجساً مع ان  
ذلك على خلاف الاصل فكونه موحداً بان يقتضى كونه طاهراً  
اولى لانه عما فوق الاصل واذا ثبت ان الموحداً كامل في كونه طاهراً  
وجب ان يكون من خواص الله تم لقوله تم الطيبان للطيبين الآية  
والثانية ان الشرك سبب الخراب العالم بدليل قوله تكاد السحابة  
يتفطر منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً ان دعوا للقرينين  
ولذا واذا كان الشرك سبب الخراب العالم وجب ان يكون التوحيد  
سبب العماره ضرورة كون الصديقين مختلفين في الحكم واذا ثبت  
ان كلمة التوحيد سبب لعماره العالم فاولى ان يكون سبب لعمار  
القلب الذي هو محل معرفة الوحدانية وعماره اللسان الذي  
هو محل ذكر الوحدانية وذلك يناسب عفو الله عن اهل التوحيد



الاسم الثاني ان هذه الكلمة سمي كلمة الاخلاص فكان معروف  
 الكرخي يقول يا نفس اخلصي نتخلص ثم التحقيق فيه اي كل شيء  
 يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص سمي خالصا  
 وسمي الفعل المصفي اخلاصا ولا شك ان كل رجل اتى بفعل اختيار  
 فلا بد له في ذلك الفعل من غرض فاما كان الغرض في الفعل واحدا  
 سمي ذلك الفعل اخلاصا من تصديق وعرضه محض الرياء فهو  
 غير مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله فهو مخلص ولكن  
 العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بمجرد قصد التقرب الى الله  
 عز وجل عن جميع الشوايب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن  
 خصصه العرف بالميل عن الحق واذا عرفت هذا فنقول الباعث  
 على الفعل اما ان يكون رحمانيا فقط وهو الاخلاص او شيطانيا  
 وهو الزيادة او مركبا منهما وهو على ثلاثة اقسام لان الطرفين  
 اما ان يكونا على السوية او يكون الرحمان اقوى او يكون النفس  
 اقوى القسم الاول وهو ان يكون الباعث رحمانيا فقط  
 وهذا لا يتصور الا من محبة لله مستغرق الهمة به بحيث لم يبق  
 حب الدنيا في قلبه مفرجة لا يجب الاكل والشرب بل يكون  
 رغبته فيه كورغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة للجيلة  
 فكذا لا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقوته على عبادة الله  
 فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالصا للعمل

في جميع

في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليرجع نفسه ليقوى على العبادة  
 كان نومه ايضا عبادة واما القسم الثاني وهو ان يكون الباعث  
 نفسانيا فهذا لا يتصور الا من محبة للنفس والدنيا ومستغرق  
 الهمة بهما بحيث لم يبق له حب الله في قلبه نقيضا لانه في القسم الاول  
 لما غلب حب الله وحب الآخرة على قلبه اكتسب بحركاته الاختيار  
 هذه الصفة كذلك من غلب حب النفس والدنيا على قلبه اكتسب  
 في جميع افعاله وحركاته وسكناته تلك الصفة فلا يسلم له شيء  
 من عباداته وهذا القسم لا يخفى حكمه في الثواب والعقاب  
 واما الاقسام الثلاثة الباقية فنقول اما الذي يستوي فيه  
 الباعثات فيه فالظاهر انها يتعاضدان ويتساقتان فيصير ذلك  
 العمل لاله ولا عليه واما الذي يكون احد الطرفين فيه اقل فتختبط  
 فيه ما يساوي الطرف الاخر ويبقى الزيادة موجبة اثرها للآخر  
 وذلك هو المراد بقوله من يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله ان  
 الله لا يظلم مثقال ذرة وتمام التحقيق فيه ان الاعمال لها تأثيران  
 في القلب فان خلا الموتر عن المعارض خلا الاثر عن الضعف <sup>ان كان</sup>  
 الموتر مقرونا بالمعارض فان تساويا ساقتا وان كان احدهما  
 اقل فلا بد وان يحصل في الزايد بمقدار الناقص فيحصل التساوي  
 بينهما ويحصل التساوي ويبقى القدر الزايد خاليا عن المعارض  
 فيؤثر لا محالة اثره اما وكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام



والشراب والدواء عن اثر في الجسد فكذا لا يضيع مثقال ذرة  
من الخير والشر عن اثر في التقريب من باب الله والتباعد منه  
فاجاء بما يقرب شبرا مع ما يبعد شبرا فقد عاد الى ما كان  
لا له ولا عليه وان كان احد الفعلين مما يقرب شبرا والفعل  
الثاني مما يبعد شبرا واحدا فضله لا محالة شبرا واجتمع من  
زعم ان المشوب لا ثواب عليه بوجهين الحجة الاولى ما روى  
ان رجلا سأل النبي عن من يصطنع المعروف ثم تحب ان يمجد  
ويوجر فلم يدري ما يقول حتى نزل قوله فمن كان يرجو لقاء رب  
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والحجة الثانية  
ما روى ابو هريرة انه سمع قال لمن اشرك في عمله خذ امرك من  
عملة له وعن النبي عن ان الله تعالى يقول انا اغني الاغنياء عن الشرك  
من عمل عملا اشرك فيه غري تركت نصيبه لشريكه والجواب عن  
الحجة الاولى انها محمولة على ما اذا اتى بالعمل لغرض الدنيا فقط  
والجواب عن الثانية ان لفظ الشرك محمول على تساوي اللاعبين  
وقد بينا ان عند تساوي ينحط كل واحد منهما بالآخر اذا  
عرفت هذه المقدمة فنقول كلمة لا اله الا الله مستامة بكلمة  
الاخلاص وذلك لان الاصل في هذه الكلمة عمل القلب  
وهو كون الانسان عارفا بقلبه وهو كون الانسان وحدانية  
الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب يستحيل ان يؤتى بها

لغرض آخر سوى طاعة الله وحبته وعبودية فهذه المعرفة ان  
طلبت لوجه الله تعالى لا لغرض آخر البتة بخلاف سائر الطلعات البتة  
فانها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يؤتى بها من الرياء والملاح  
والنساء فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الاخلاص الاسم  
الثالث هذه الكلمة كلمة الاحسان ويدل على صحة هذه التسمية  
القران والخبر والمعقول اما القران فايان احدها قوله تعالى  
هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال المفسرون المراد من قوله هل  
جزاء الاحسان اي هل جزاء الايمان والتحقيق فيه ان عليك عهد العبودية  
وعلى كرمه عهد الربوبية كما قال او فوا بعهدى او فبعهدكم  
وعهد عبوديتك ان تكون عبدا له لا لغيره ثم كمال هذه الذمة  
ان يعرف ان كل ما سوى الله فهو عبد الله كما قال ان كل من في  
السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ومن اتى بالفعل على  
احسن الوجوه كان محسنا فيه وقول لا اله الا الله يدل على  
اعترافه بان كل من سواه فهو عبده ومربوبه فثبت ان قول  
لا اله الا الله احسن العبد فقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان  
اي هل جزاء من اتى بقول لا اله الا الله الا ان اجعله في حماية  
لا اله الا الله وثانيتها هو قوله تعالى للذين احسنوا الحسنة وزيادة  
والمراد من قوله احسنوا الحسنة قوله لا اله الا الله بانفاق ائمة  
التفسير وبدليل انه لو قال ذلك ومات ولم يتفرغ لعمل آخر



دخل الجنة وثالثها قوله ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل  
صالحاً وانفقوا بما انزلت في فضيلة الاذان وما ذاك  
الا لاشتمال الاذان على كلمة لا اله الا الله ايضاً فلانة قال في صفة  
الكافرين ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً فكما ان لا يفتح اقباح  
من كلمة الكفر فكذلك لا احسن احسن من كلمة التوحيد ولهذا  
قال في اول سورة المؤمنين قد افتح المؤمنين وقال في اخر هذه  
السورة انه لا يفتح الكافرون ثم انه لما كان قول الموحدين حسناً  
كان مقيله ايضاً حسناً كما قال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً  
واحسن مقيلاً ولما كان قول الكافر قبيحاً مظلماً كان مقيله ايضاً  
مظلاً قال والذين كفروا اوليادهم الطاغوت الآية ورابعها  
قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ولا شك ان احسن  
الاقوال هو قول لا اله الا الله وخامسها قوله ان الله يأمر بالعدل  
والاحسان قيل العدل الاعراض عما سوى الله والاحسان الاقبال  
على الله تعالى وسادسها قوله تعالى ان احسنتم لانفسكم ولا شك  
ان اول هذا الاحسان هو قول لا اله الا الله واما الخبر ما روى  
ابو موسى الاشعري رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين احسنوا للجنة  
اي الذين قالوا لا اله الا الله الجنة وهي الجنة والزيادة هي النظر  
الى الوجه الكريم واما المفعول وهو ان الفعل كلما كان اشده  
حسناً كان فاعله اكثر احساناً ولا شك ان احسن الاذكار لا اله الا

واحسن المعارف معرفة لا اله الا الله واذا كان كذلك كانت هذه  
المعرفة وهذا الذكر احساناً الاسم الرابع دعوة الحق قال في سورة  
الرعد له دعوة الحق قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله واعلم  
ان قوله ثم له دعوة الحق يفيد الحصر معناه له هذه الدعوة لا غيره  
كما ان قوله لكم دينكم وفي دين معناه لكم دينكم لا غيركم وتحقيق  
الكلام في اثبات هذا الحصر ان الحق نقيض الباطل والحق هو الموجود  
والباطل هو المعدوم فلما كان الحق توتراً حقا في ذاته ولذاته وكان  
ممتنع التغير في حقيقة كانت معرفة هي المعرفة الحقية وذكره هو الذكر  
الحق والدعوة اليه هي الدعوة الحقية اما كل ما سواه فهو ممكن لذاته  
والممكن لذاته لا يكون حقاً لذاته معرفة واجب التحقيق  
ولا ذكره ولا الدعوة اليه واذا ثبت هذا ظهر تحقيق قوله تعالى  
له دعوة الحق واعلم ان دعوة الحق تارة يكون من الحق للحق  
للحق الى الحق وتارة يكون من الخلق الى الحق اما الاول فنقول  
اما ان دعوة الحق فيكون من الحق فلانة ثم هو الذي دعا القلوب  
الى حضرة فلولا دعوة الى تلك الحضرة وتوفيقها في ذلك الوصول  
والآمن اي يمكن العقل البشري من الوصول الى جلال حضرة الله ثم  
وايضاً فلان مبادئ الحركات واوائل المحدثات ينتهي الى قدرة  
الله ثم وقضائه وقدره ولهذا المعنى قال ثم لله الامر من قبل  
ومن بعد واما ان تلك الدعوة للحق فكقوله تعالى من الملك اليوم



واما انها الحق فلقوله وان الى ربك المنهجي واما ان دعوة الحق  
تارة يكون من الخلق فلقوله ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وقوله  
اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان الاسم الخامس كلمة العدل  
قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال عثمان بن مظعون للحج  
ما اسلمت الاحياء من محمد دم وذلك انه كان كثير ايعرض الاسلام  
على فاستحييت منه واسلمت ولكن الاسلام مكان مستقر في قلبه  
ثم انه دم دعاني يوماً فجلست اليه فبينما هو يحدثني اذا رايت  
بصره تشخص الى السماء فنزل جبريل دم وقال يا محمد ان الله يأمر  
بالعدل والاحسان العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام  
بالعبودية قال عثمان فوقع الايمان في قلبه وقال ابن عباس العدل  
شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص فيه وقال الآخرون  
العدل مع الناس والاحسان مع نفسك بالطاعة كما قال ان احسن  
احسن لانفسكم وقال آخرون يأمر بالعدل مع الاعضاء وبالاحسان  
مع القلب بان يربيه بعزاء التوحيد وشرب الخبة وقال آخرون  
العدل رؤية الافتقار الى الحق والاحسان مشاهدة احسان الحق  
على كل شئ في الخلق واعلم ان السب في تسمية هذه الكلمة بكلمة العدل  
وجوه الاول ان العدل في كل شئ تحصيل ما هو سب اعتداله  
وكما حاله ومن العلوم ان كمال حال القوى الجسمية في ادراك  
المحسوسات وكما حال القوى الشهوانية في جلب الاشياء النافعة

الجسمانية وكما حال القوى الغضبية في دفع الاشياء المانفة للجسمانية  
واما القوى العقلية فكما لها غاية سعادتها اي برسم فيها  
صور الحقائق واشباه المعقولات كما هي حتى تصير القوى العقلية  
كالمرآة التي تجلت صورة الموجودات تمامها ولا شك ان اشرف  
المعقولات واعلاها معرفة حلال الله وقدره وعظمته وعزته  
فكان غاية العدل والاعتدال للارواح البشرية والقوى العقلية  
كونها مقبلة على هذه الحالة مستغرقة فيها فلهذا السب سميت  
كلمة لا اله الا الله بكلمة العدل السب الثالث ان هذه الكلمة انما  
سميت بكلمة العدل لان معرفة الله تم متوسط بين الافراط الذي  
هو التشبيه وبين التفريط الذي هو التقطيل فمن بالغ في الاثبات  
وقع في التشبيه ومن بالغ في النفي وقع في التقطيل والحق هو طريق  
الاعتدال بين هذين الطرفين المتباينين السب الثالث من ترك  
النظر والاستدلال في معرفة الله وعول على الطريقة التي فيها  
بحسه وخياله وقع في الضلالات واما من توغل في البحث واراد  
الوصول الى كنه العظمة وهوية الجلال تحير وتردد بل عجز فان  
نور الجلال الالهية مما يعجز احداً من العقول البشرية فصار هذان  
الطرفان مذمومين والطريق المستقيم هو ان يخوض الانسان  
في البحث المعتدل ويترك التعميق الى هذا الكلام والاشارة لقوله  
تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فهذه هي الوجوه التي لاجلها



سميت كلمة لا اله الا الله بكلمة العدل فان قيل كيف امر الله في بحر  
 التوحيد وقال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو  
 حرصتم فمن عجز عن العدل في حق النساء كيف يقدر على العدل في معرفة  
 الاحد الصمد الجواب اظهر عجزك في الضعيف على الشريف  
 لنعلم ان الكل منه الاسم السكوت وهدوا الى الطيب من القول  
 وهدوا الى صراط الحميد واي كلمة توجد اظهر والحيث من هذه الكلمة  
 وقد قال تعالى انما المشركون نجس ثم ان النجاسة الحاصلة بسبب كفر  
 سبعين سنة تزول بسبب ذكر هذه الكلمة مرة واحدة وتحقيق الف  
 فيه ان الطيب هو اللذيد واللذيد هو ادراك الملايم وقد بينا  
 ان الملايم للقوى الحساسة ادراك المحسوس والملايم للقوى الشهوانية  
 جلب المنافع للجسم وللنفس الفضية رفع المنافع للجسم واما  
 الملايم للقوى العقلية فهو ادراك جلاله وقدره وعزته اذا عرفت  
 هذا فنقول ادراك القوة العقلية هو اقوى من ادراك القوى  
 الحساسة وسيأتي شرح هذا فيما بعد ذلك واما مدركات القوى  
 الحساسة فهي الاعراض القائمة بالاجسام الكائنة الفاسدة و  
 مدركات القوة العاقلة هو ذات الله وجلاله وعظمته وظاهر انه  
 كلما كان الادراك اقوى والمدرك اشرف كانت اللذة الحاصلة بسبب  
 ذلك الادراك اشرف واعلى فعلى هذا يشبه اللذة العقلية الى اللذة الحسية  
 في الشرف والقوة كنسبة الادراك العقلي الى الادراك الحسي وكنسبة ذات الله

على الشريف  
 في الحقيقة واقدرك

وصفاته في الشرف والتعالى الى الاعراض القائمة بالاجسام وكما انه  
 لا نهاية للنسبة الحاصلة بين هذين الادراكين وبين هذين المدركين  
 فكذلك لا نهاية للنسبة الحاصلة بين الذات العقلية الحاصلة بسبب  
 ادراك جلال الله تم وبين الذات الحاصلة بسبب ادراك الطعم  
 والروائح وسائر الحواس واذا عرفت هذا ظهر ان الطيب المطلق  
 هو معرفة لا اله الا الله وذكر لا اله الا الله والاستغراق في انوار جلال  
 لا اله الا الله فلهذا السبب قال الله تعالى وهدوا الى الطيب من القول  
 والمراد منه لا اله الا الله والالف واللام في لفظ الطيب للاستغراق  
 كانه تعالى انه لا لزيد الا هذا وذلك هو الحق لا انا بيتا ان الطيب  
 المحسوس بالنسبة الى طيب هذه الحالة عدم محض فلذلك بين بحرف  
 الاستغراق ان كل الطيب ليس الا ذلك الاسم السابع الكلمة كلمة  
 طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واختلجوا في انهم تعالى  
 لم سماها كلمة طيبة على وجوه الاول انها طيبة بمعنى انها طاهرة  
 عن التشبيه والتعطيل ولكنها طريقة متوسطة بينهما مباينة لكل  
 واحد منهما كما ان اللبن خارج من بين الفرت والدم مبرأ عنها  
 مصفى عن شائبة كل واحد منهما الثاني انها طيبة بمعنى ان صاحبها  
 يكون طيب الاسم في الدنيا طيب المسكن في العقب اما طيب اسمه  
 فلفظه تعالى الطيبان للطيبين واراد به المؤمنين والمؤمنات  
 واما طيب المسكن فلفظه تعالى ومسكن طيبة في جنات عدن



والثالث انها طيبة بمعنى انها مقبولة بقبلها الله تعالى اليه يصعد  
الكلم الطيب قال اهل الاشارة والسبب في ان هذه الكلمة تصعد  
الى الله تعالى بذاتها لان هذه الكلمة طيبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب  
لا يقبل الا الطيب وتمام التحقيق فيه ان العقل والروح عاشقان  
على التخلي في المعرفة والمعرفة المكاشفة عما سبق فزير بالبرهان  
والمعرفة متجذبة الى المعروف واذ انصاعد العرفان الى المعروف  
والعارف ملازم العرفان فان انجذب العارف الى المعروف وصعد  
اليه فذاك هو المراد من قوله اليه يصعد الكلم الطيب **سؤال**  
قال المفسرون الشجرة الطيبة هي الخلة فما البت في تشبيه كلمة التوحيد  
بالخلة **الجواب** عند من وجوب الاول ان شجرة الخلة لا تنبت  
في جميع البلدان بل في البعض دون البعض فكذلك كلمة التوحيد  
لا تجري على كل لسان ومعرفة التوحيد لا يحصل في كل قلب والثاني  
ان الخلة اطول الاشجار فكذلك كلمة التوحيد اعلى الكلمات  
والثالث ان الشجرة الطيبة ثابتة في الارض وروعها في السماء  
فكذلك اصل الكلمة الطيبة ثابت في القلب وهو المعرفة وروعها  
ثابت في السماء اليه يصعد الكلم الطيب والرابع ان شجرة الخلة  
تحمل كل سنة مرتين كذا الايمان يحمل في الدنيا مرة في ثياب الاجل  
ايمانه وهو اهلية الشهادة والولاية والامانة ومرة اخرى  
في الآخرة وهي الجنة الباقية والنعمة الدائمة الخامسة ان الخلة

ان حصل في وسط ثمرتها نواة لا خير فيها ولا منفعة فان قيمة  
تلك الثمرة لا تنقص بسبب تلك النواة فكذلك كلمة التوحيد وان كان  
يحصل معها شيء من المعاصي الا ان قيمتها لا تنقص بسبب ذلك  
قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من  
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا السادس ان الخلة  
اسفلها الذي يقرب من الناس كله شوك والثمره والمنفعة  
لا يحصل الا في اعلاها فكذلك الدين اوله التكليف الشاق  
التي هي كالشوك وفي اعلاه الثمرة الحلوة اللذيذة وهي المعرفة  
والحبة الاسم الثامن الكلمة الثابتة قال الله تعالى ثبت الله  
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي علة  
هذه التسمية وجوب الاول ان المذكور والمعلوم ثابت واجب  
الثبوت لذاته ممنوع العدم لذاته والقول والاعتقاد يتبعان  
المقول والمعتقد فلما كان المقول والمعتقد واجب الثبوت  
لذاته كان القول والاعتقاد كذلك فلهذا سماه الله بالقول  
الثابت والثاني ان هذا القول ثابت لا يؤثر فيه الاعمال  
وذلك اشارة الى ان الايمان لا يزداد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية  
الثالث ان هذا القول ثابت لا يؤثر الذنب فيه بل هو مؤثر  
في ازالة الذنب لان الموجد وان عظم ذنبه الا انه يرجي له  
المغفرة قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك



لمن يشاء والكافر وان عظم كفره فان رجع عن الكفر الى التوحيد  
 هدم التوحيد كفره والرابع ان هذه الكلمة ثابتة في الاخر  
 ليرتفع عن العبيد وذلك لان اهل الجنة يشتغلون في الجنة  
 بذكر التوحيد الا ترى ان الله تم اخبر عنهم قال وقال الحمد لله  
 الذي اذهب عنا الحزن وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده  
 الحمد لله الذي هدانا لهذا والخامس انها ثابتة لان لها اصلا محكما  
 وذلك لان اول من شهد هذه الشهادة هو الله سبحانه وتعالى  
 بدليل قوله شهد الله فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله  
 فرع على شهادة الله تعالى وشهادته هي الاصل وكل شهادة  
 اصلها شهادة الله فهي ثابتة في الدنيا والاخرة والسادس ان  
 الانساب دون هذه الكلمة يعمل فيه الماء والنار مع هذه الكلمة  
 لا يعمل فيه الماء والنار واما بيان ان الانسان بدون هذه الكلمة  
 يعمل فيه الماء والنار ان فرعون اغرق في الماء ثم نقل من الماء  
 الى النار اغرقوا فادخلوا نارا وعجل السامري احرق بالنار  
 اولا ثم نقل من النار الى الماء لخرقته ثم لتسفته في اليم  
 اما ابراهيم وموسى عليهما السلام فقد كانا مع حقيقة هذه الكلمة  
 فلم يعمل النار في ابراهيم فلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم  
 ولم يعمل الماء في موسى دم فاذا خفت عليه في اليم فالقيته في اليم  
 ولا تخافي ولا تحزني الآية الاسم التاسع كلمة التقوى

قالتم والزهم كلمة التقوى وفي سبب هذه التسمية وجوه الاول  
 انه لما اتفق صاحب هذه الكلمة ان يصف دبة بما وصفه المشركون  
 وصف هذه الكلمة بانها كلمة التقوى ورأس التقوى اتقاء الكفر  
 ثم في هذه الآية اشارة وبشارة اما الاشارة فهي انه تعالى  
 سما نفسه اهل التقوى فقال هو اهل التقوى وسمى الموحدين  
 اهل كلمة التقوى فقال والزهم كلمة التقوى وكأنه تعالى يقول  
 انا اهل ان اكون مذكورا بهذه الكلمة وانت اهل ان تكون  
 ذكرا لهذه الكلمة فما اعظم هذا الشرف واما البشارة فهي انه  
 تعالى قال والزهم كلمة التقوى وكانوا الحق بها واهلها فثبت  
 ان الموحدين اهل لفظ هذه الكلمة وهم اهل هذه الكلمة وانه  
 كريم لا ينزع الحق عن مستحقه فهذا يدل على انه لا ينزع الايمان  
 من المؤمن الوجه الثاني في بيان انه لم يسميت هذه الكلمة بكلمة  
 التقوى هو ان هذه الكلمة واقية لبدنك من السيف ولما لك  
 عن الاستغنام ولذمتك عن الجزية ولا اولادك عن السبي فان انضاف  
 القلب الى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر وان انضم التقوى  
 اليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي ثم قال والزهم كلمة التقوى  
 اي نحن الزمانهم هذه الكلمة التي هي المفتاح لباب الجنة فمن  
 اردناهم اولا وهم ما ارادونا فلنا المنة عليهم في فتح هذا الباب  
 وتقرير بقوله تعالى يمتنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلمكم



بل الله يمين عليكم ان هداكم للايمان الاسم العاشر الكلمة الباقية  
 روى عن كثير من المفسرين انهم قالوا تفسير قوله تعالى وجعلها  
 كلمة باقية في عقبه انما قوله لا اله الا الله ويدل عليه وجوه الاول  
 مقدمة هذه الآية وهي قوله واذا قال ابراهيم الابيه وقومه انني  
 براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين فكان معنى قوله  
 انني براء في الاطهية عن الاشياء التي كانوا يعبدونها ثم قال الا الذي  
 فطرني وكان فيه اثبات الالهية لله الذي فطره فاذا حصل هذا  
 المعنيان كان مجموعهما هو قول لا اله الا الله ثم قال وجعلها كلمة  
 باقية في عقبه فثبت ان المراد من الكلمة الباقية هو قول لا اله الا  
الله الثاني انه تعالى قال في اخر القصص ولا تدع مع الله الها اخر لا اله  
 الا هو كل شئ هالك الا وجهه فبين ان كل شئ هالك الا هو فانه  
 واجب الدوام والبقاء والسرمدية لذاته وقد عرفت ان القول  
 يتبع المقول والاعتقاد يتبع المعتقد وكان صدق لا اله الا الله  
 وحقيقة لا اله الا الله واجب الثبوت والبقاء والدوام وذلك  
 هو المراد بكونها كلمة باقية في عقبه الثالث اننا بينا ان التوحيد  
 لا يزول بسبب المعصية البتة وينزول بالمعصية نزول بسبب التوحيد  
 وايضا التوحيد يبقى مع اهل الجنة وسائر الطاعات لا يبقى روى  
 جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل ع يقول الله تعالى يوم  
 القيامة مالي اري فلان في صفوف اهل النار فاقول يا رب

انما تجزيه حسنة فيقول الله تعالى اني سمعته في الدنيا يقول يا حسنة  
 يا منان فاذهب اليه فساله فيايتيه فيجزيه في زاوية من زوايا  
 جهنم يقول يا حسنة يا منان فيساله جبرئيل عن هذه الكلمة  
 فسقوله وهل حسنة ومنان غير الله قال جبرئيل فاخذ بيده  
 من صفوف اهل النار فادخله في صفوف اهل الجنة الاسم الحادي عشر  
 كلمة الله هي العليا قال تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة  
 الله هي العليا واعلم ان السبب في علو هذه الكلمة وجوه الاول  
 وهو ان القلب اذا اجتمع فيه نور هذه الكلمة كان ذلك النجلى  
 من نور الربوبية ونور الربوبية اذا اجتمع في القلب استغقب  
 حصول قوة الهية ربانية ولهذا السبب فان العارفين المستقرين  
 في انوار جلال الله يستحقرون الاحوال الدنيوية فيستحقرون  
 عظماء الملوك ولا يبالون بالقتل ولا يقيمون لشئ من طيبات  
 الدنيا وزنا البتة وكل ذلك يدل على استقلال قوة هذه الكلمة  
 على جميع الاشياء فان سلطان كل شئ يقتصر في سلطان جلال  
 هذه الكلمة انظر الى استغراق سحر فرعون لما اجتمع لهم نور هذه  
 الكلمة كيف لم يلتفتوا الى قطع الايدي والارجل وان همداء  
 لما استغرق في هذا النور لم يلتفت الى الملكوت كما قال تعالى ما زاع  
 البصر وما طفي روى ان ابراهيم الخواص كان في البادية فظهر عليه  
 شئ من هذه الاحوال فاضطرب في جأته السباع واحاطوا به وما كان



وما كان يبالي بها فحاف صاحبه الذي كان معه وصعد بعض تلك  
الاشجار وبقى هناك خائفا ثم في الليلة الثانية زال ذلك الوجود  
فوقعت بعوضة على يده فتألم وظهر الجرح والابن فقال له صاحبه  
ما اظهرت الجرح في البارحة من حمى والسباع واظهرت الجرح في هذه  
الليلة من البعوضة فقال ابراهيم كان في البارحة نزل في القلب سلطان  
فبقوة ذلك السلطان ما كنت ابالي بجميع الملوك واما الآن فقد  
غاب ذلك السلطان فظهر الجرح كما ترى السبب الثاني في كون هذه  
الكلمة عالية ان استعلاؤها في الدنيا على سائر الاديان كما قال تعالى  
ليظهره على الدين كله والسبب الثالث في استعلاؤها كونها مستعلية  
على جميع الذنوب فانها يزيل جميع الذنوب وشئ من الذنوب لا يزيل  
نور هذه الكلمة الاسم الثاني عشر المثل الاعلى قال قتادة في قوله  
ولله المثل الاعلى قال معناه قول لا اله الا الله واعلم ان معنى المثل  
ههنا الصفة كذا قال اهل اللغة ونظم قوله مثل الجنة التي وعد  
المتقون اي صفتها فصار المراد من قوله وله المثل الاعلى عين المراد  
من قوله وكلمة الله هي العليا الاسم الثالث عشر كلمة السواء قال  
تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم قال ابو العالية الرباعي هي كلمة  
لا اله الا الله والدليل عليه انه لو قال بعد ان لا تقبل الا الله ولا  
تشارك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا معنى  
لهذه الآية الا ما هو المراد من قولنا لا اله الا الله فثبت ان المراد

من كلمة السواء هي كلمة لا اله الا الله وتما يقر ذلك ان جميع العقول  
معرفة بصحة لا اله الا الله وجميع الالسنه ناطقة بها وجميع  
الرقاب منصرفة متخضعة لها قال الله تعالى ولئن سألتم من  
خلق السموات والارض ليقولن الله وايضا يحتمل انها سميت  
بكلمة السواء لانها تفيد الاستواء في الدين والعقل والروح  
وتوجب الاستقامة وترك الاعوجاج في كل الامور الاسم  
الرابع عشر انها كلمة النجاة والذي يدل عليه القرآن والحديث والمعقول  
اما القرآن فمن وجوه الاول قوله تعالى ان الله لا يغير ان يشرك به  
الاية هذه الاية صريحة في ان النجاة لا تحصل بدون الايمان  
بلا اله الا الله وتخلص مع الايمان بلا اله الا الله الثاني قوله تعالى  
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى قول لا اله الا الله واما الذي  
يندل عليه الاخبار التي ذكرناها في الفصل الثاني ونزيد ههنا  
اخبارا اخرى احدها ما روى جابر بن عبد الله قال سئل رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عن الموحدين فقال دم من لقي الله لا يشرك به شيا دخل  
الجنة ومن لقي الله يشرك به شيا دخل النار وثانيها عن ابي سعيد  
الخدري عن قال دم ليقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله  
وثالثها راي عمر بن الخطاب عن طلحة بن عبيد الله ثقيلا مغموما بعد  
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك فقال طلحة سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول ان اسأله الا العذرة عليه حجة مان سمعته يقول



اني لا علم كلمة لا يقولها عبد عند موته الا اشرف لها لونه ونفس  
 بسببها كربته فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما قال وما هي الكلمة  
 التي امرت بها عمه عند الموت وهي لا اله الا الله وقال طلحة صدق  
 هي والله هي ورابعها روى ابو امامة قال بعث رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ابابكر ينادي في الناس من شهد ان لا اله الا الله دخل الجنة  
 وخامسها قال معاذ بن جبل روى عن حضرت الوفاة الكوفة <sup>ابو جعفر</sup>  
 القبة حتى احدثكم حديثا لكم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لم يمنعني ان احدثكم الا ان تتكلموا وتركوا العمل به سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه  
 دخل الجنة ولم تمسه النار وسادسها عن عبد الله بن ابي قتادة  
 عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اشهد ان لا اله الا الله  
 واشهد ان محمدا رسول الله فخرى به لسا واطمان به قلبه حرم  
 النار عليه وسابعها روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم لا اله الا الله من شهد ان لا اله الا الله وجبت له  
 الجنة قال ابو الدرداء وان زنى وان سرق حتى قالها مرات وقال  
 في الثالث وان رجم انفا ابى الدرداء وثامنها روى معاذ بن جبل  
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان اخيرا كلامه لا اله الا الله وقامت  
 نفسه بعد دخل الجنة الاسم الخامس عشر العهد قال ابن عباس  
 في قوله يومئذ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا

العهد هو قول لا اله الا الله وقوله الذي يدل على صحة قول ابن عباس  
 وجوه الاول ان قوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فكره  
 في طرف الثبوت وذلك لا يفيد الا العهد واحد فلهذا الآية تدل  
 على ان الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد ثم اجمعنا على ان ما  
 سوى الايمان فان الواحد منه بل مجموع لا يفيد تلك الشفاعة  
 البتة فوجب ان يكون ذلك العهد الواحد الذي يفيد تلك الشفاعة  
 هو الايمان وهو قول لا اله الا الله والثاني ان جماعة من المفسرين  
 قالوا في تفسير قوله واوفوا بعهدى اوفى بعهدكم انه هو عهد  
 الايمان بدليل ان لفظ العهد مجمل فلما عقبه بقوله وامنوا بما نزلت  
 مصداقا لما معكم علمنا ان المراد من ذلك العهد هو الايمان وهو  
 قول لا اله الا الله محمد رسول الله الثالث ان قوله ما وقع من العهد  
 قوله ائت بربكم قالوا بلى وذلك في الحقيقة هو قول لا اله الا الله  
 فكان لفظ العهد محمولا عليه الرابع انه تعالى قال ان الله اشترى  
 من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية الى قوله ومن اوفى بعهد الله  
 فكان العهد من جانبك عهد الاقرار بالعبودية ومن جانب الحق  
 عهد الكرم والربوبية فثبت بهذه الوجوه ان المراد من قوله  
 الا من اتخذ عند الرحمن عهدا هو قول لا اله الا الله الخامس قوله  
 قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدا اي قلتم لا اله الا الله  
 الاسم السادس عشر كلمة الاستقامة قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله



ثم استقاموا قال ابن مسعود المراد من قولهم استقاموا هو قول لا اله الا الله وذلك لان قولهم ربنا الله اقرار بوجوب الرب ثم ات المتقين بذلك من اثبت له نذراً وشريكاً فالذين نفوا الشركاء والالهة هم الذين استقاموا على النهج القويم والشرط المستقيم واعلم ان القيمة في القيامة بقدر الاستقامة في نفي الشركاء فمن الناس من اثبت الشرك ظاهراً وهو الشرك الظاهر فالاستقامة في الدين لا يحصل الا بنفي الشركاء كما قال تعالى فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون ومنهم من اقر بالوحدانية في الظاهر الا انه يقول قولاً يهدم ذلك التوحيد مثل ان يصنف السعادة والخساسة الى الكواكب او يصنف الصحة والمرض الى الدواء والغذاء او يصنف الفعل الى العبد على سبيل الاستقلال وكل ذلك يبطل الاستقامة في معرفة الحق ومنهم من ترك كل ذلك ولكن قد يطبع النفس والشهوة في بعض الافعال واليه الاشارة بقوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وهذا النوع من الشرك هو المستحق بالشرك الحقيق والمراد من قوله ثم حكايته عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك وقول يوسف وم توفني مسلماً فات الانبياء عليهم السلام مبرؤن عن الشرك الحقيق اما الحالة المستمارة بالشرك الحقيق وهو التفات الى غير الله فالبشر لا ينفك عنه في جميع الاوقات فلهذا السبب نزع الانبياء والرسل عليهم السلام الى الله في ان يصوم عنه الاسم السابع عشر مقاليد السموات قال تعالى له مقاليد السموات

قال ابن

قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله واقول هذا هو الحق ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى بين انه لو كان في الوجود الهان لحصل الفناء في العالم ولا خلت المصلحة قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدت فثبت ان الشرك سبب لفناء العالم وانه التوحيد سبب لانتظام العالم فثبت ان مقاليد السموات هو قول لا اله الا الله الثاني انا بينا ان الشرك سبب لاختلال العالم قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن من الالة واذا كان كذلك كان التوحيد سبباً لمعارة العالم الثالث ان ابواب السموات لا يفتح عند الدعاء الا بقول لا اله الا الله وابواب الجنان لا تفتح الا بهذا القول وابواب النيران لا ينفلق الا بهذا القول وباب القلب لا يفتح الا بهذه الكلمات وانواع الوسوس لا يندفع الا بهذا القول فكانت هذه الكلمة اشرف مقاليد السموات والارض واعز مغايب الارواح والاصنام والنفوس والعقول الاسم الثامن عشر القول السديد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً فقيل في تفسير الفعل قد يكون بمعنى الفاعل كالسميع بمعنى السامع وقد يكون بمعنى المفعول كالقتيل بمعنى المقتول والجريح بمعنى المجرع واذا كان حملته على معنى الفاعل كان معناه انه يستدعي صاحبه ابواب جهنم واذا حملته على معنى المفعول كان معناه انه يستدعي ان يضربه شيء من الذنب وايضا ان ذا القرنين بنى السد رفعا للضرر يا جوج وما جوج والله تعالى جعل الايمان سداً



دفع الضرر الشياطين من الجن والانس الاسم التاسع عشر البتر  
قال نعم ليس البتر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البتر  
من امن بالله الآتية والاشارة في الآتية ان من كان مشغلا لجميع الجوانب  
والجهات لم يكن صاحب البتر وانما صاحب البتر هو الذي يتوجه الى  
الكعبة وجهه وللذي فطر السموات فقوله ليس البتر ان تولوا  
وجوهكم قبل المشرق اشارة الى الكفر والقول بالشركاء وقوله ولكن  
البتر من امن بالله اشارة الى التوحيد فصار معناه هو المفهوم من  
قولنا لا اله الا الله الاسم العشرون الذين قال الآلهة الذين الخالص  
اعلم ان الدين هو الانقياد والخضوع قال نعم في دعواته من دانت  
له الرقاب اى خضعت فقوله الآلهة الذين الخالص اى له الخضوع  
والخشوع لا غير وانما يكون كذلك اذا كان واحدا في الالهية اذ لو  
الهان لكان كما ان الخضوع حاصل لاحدهما كان ايضا حاصل للآخر  
فحينئذ لا يتمكن حصريته للخضوع لله فقط فالخضوع لانه لا اله  
سواه ولا معبود الا اياه الاسم الحادي والعشرون الصراط قال نعم  
اهدنا الصراط المستقيم قال نعم حكاية عن رسوله وان هذا صراطي  
مستقيما فاتبعوه وقال نعم انك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي  
له ما في السموات وما في الارض ولعلم ان هذا الصراط المستقيم هو قول  
لا اله الا الله وذلك باعتبار ان حدوث كل محدث وامكان كل ممكن  
يجوز به الى المؤثر الذي يوجهه وينقله من العدم الى الوجود فاذا كان

الموجد والمؤثر والمدبر واحد ففيه نسبت حدوث المحدثات ووجود  
الممكنات الى قدرته كان ذلك مراطا مستقيما وطريقا قويا ومنه  
نسبت حدوث محدث او وجود ممكن الى غير قدرته كان ذلك طريقا  
معوجا وسيا متعرجا ثبت ان الصراط المستقيم لا يحصل الا باسناد  
كل الحوادث والممكنات الى تخلق الله تعالى وتكوينه واسناد الكل اليه  
هو التوحيد فثبت ان الصراط المستقيم هو قول لا اله الا الله  
الاسم الثاني والعشرون كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون  
من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق يعني قول لا اله الا الله  
والاسم الثالث والعشرون العروة الوثقى قال نعم من يكفر بالطاغوت  
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعني بلا اله الا الله  
الاسم الرابع والعشرون كلمة الصدق والذي جاء بالصدق وصدق  
به فهذا جملة الكلام في اسماء قول لا اله الا الله اللهم بحق اسمائك  
الطاهرة المظهر المقدسة احفظ بحفظك معرفة هذه الكلمة  
في قلوبنا وذكرها على الكسبية يا ارحم الراحمين **الفصل الرابع**  
في الاشياء التي شبه الله تعالى كلمة التوحيد بها **قال اول**  
ان الله تعالى شبه الايمان بالنار فقال مثلهم كمثل الذي استوقد  
نارا وقال في آية اخرى وما توقدون عليه في النار وفيه اشوات  
ثلثة الاولى كما ان النار اذا عرض عليها الذهب المغشوش  
احرق كل ما فيه من الفس وبقى جوهر الذهب سليما عن الاحتراق



فكذا لذي يوم القيامة اذا عرض المذنب على نار جهنم احترقت ذنوبه  
 ومعاصيه وبقي ايمانه سليما عن الاحراق الثانية ان النار تحرق  
 كل شئ فكذا الايمان اذا قوى بنوره احرق ما سوى الله عن القلب  
 قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الثاني ان نغ شبه الايمان  
 بنوره فقال مثل نوره والسبب في انه اضاف المعرفة الى نفسه وجوه  
الاول انه تعالى اضاف المعرفة الى نفسه قطعا لا طماع عنها  
 وذلك انها جوهره نفيسة وقيمتها رفيعة وصاحبها غافل والشيطان  
 محتمل مكار وكان مقصوده ان يأخذ المعرفة من العارف ويجو  
 بينها وبينه فالحق سبحانه برحمته جعل المعرفة في حمايته حتى ينقطع  
 طمع ابليس عنها وتحقيقه انه لما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان  
 فلما اضاف العباد الى نفسه انقطع طمع ابليس عنهم فقال فبغيرك  
 لا عوينتهم اجمعين الاعداد فكيف هذا لما اضاف الايمان الى نفسه  
 بقوله مثل نوره لاجرم كان طمع ابليس منقطعا الثاني ان كل ما  
 للعبد هو للحق لانه حصل بتخليقه واجاده فاذا بلغ العبد في درجته  
 المكاشفات الى ان تشاهد هذه الحالة فقد كملت حاله وعظمت  
 درجته فعند ذلك قبل كل ماله هو لنا وكل ما لنا هو له بالمعرفة ظلمة  
 التي هي لنا ولا جرم اضافها الى نفسه فقال مثل نوره الثالث ان تخصيص  
 الشئ باضافة الى الله سبب لتشريفه كما في قوله ان طهر ابيته وكما في قوله  
 هذه ناقة الله وقوله وانه لما قام عبد الله فهكذا ههنا اضافة المعرفة

الى نفسه يدل على انها اشرف الخلق والتشريفات ثم ههنا سوالات  
السؤال الاول ما الحكمة ان الله تم شبه نور المعرفة بنور السراج  
 قال مثل نوره كشكوة فيها مصباح والجواب من وجوه الاول ان  
 البيت اذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص على دخوله مخافة ان يفتضح  
 فكذا القلب اذا كان فيه سراج المعرفة لم يتجاسر الشيطان على دخوله  
 مخافة ان يفتضح الثاني ان البيت اذا كان فيه سراج اهتدى  
 صاحبه الى طلب الامتعة فكذا القلب اذا كان فيه سراج المعرفة  
 اهتدى صاحبه الى الشروع في الطاعات الثالث السراج اذا كان  
 في البيت انتفع بضيائه كل احد من غير ان ينقص من استضاءة صاحبه  
 بنوره شئ فكذا القلب اذا كان فيه سراج المعرفة انتفع بنوره غير صاحبه  
 من غير ان ينقص من نور صاحبه شئ الرابع ان السراج اذا كان  
 في البيت وكان موضوعا في كونه مشدودة برجاجة اصناء داخل  
 البيت وخارجه فكذا سراج المعرفة في القلب يضيء داخل القلب  
 وخارج القلب حتى يظهر نوره على الاذنين والعينين واللسان  
 فيظهر فنون الطاعات في هذه الاعضاء واليه الاشارة بقوله وم  
 اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي عظمي نورا  
 وفي مخي نورا الخامس ان البيت اذا كان فيه سراج كان صاحبه مستانسا  
 مسرورا فاذا اطفئ صار مستوحشا فكذا القلب مادام فيه سراج المعرفة  
 كان صاحبه مستانسا مسرورا فان فارقه والعياذ بالله صار مفوما



قال تعالى من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن  
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كما انما يصعد في السماء  
السادس ان جرم السراج صغير وصنوه منتشر من كل جانب  
فكذلك صنو المعرفة ينتشر من القلب لجميع الجوانب كما قال تعالى  
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وخصوصا  
من جانب العلو قال تعالى يصعد الكلم الطيب **السؤال الثاني**  
ما الفرق بين سراج الدنيا التي هي الشمس وبين سراج المعرفة  
**الجواب** الفرق من وجوه **الاول** ان الشمس محجبة غمامة  
والمعرفة لا يحجبها سبع سموات **الثاني** ان الشمس تغيب بالليل  
والمعرفة لا تغيب بالليل والنهار بل هي في الليل اكثر قال تعالى ان ناسية  
الليل هي استد وطأ واقوم قبيلا وقال سبحانه الذي اسرى بعبده  
وقال ليلة القدر خير من الف شهر **الثالث** ان الشمس تفتن قال تعالى  
اذا الشمس كبرت واما المعرفة لا يفتن قال تعالى كل شئ هالك الا  
وجهه اي الاما حصل برضاءه **الرابع** الشمس تنكسف والمعرفة  
لا تنكسف **الخامس** الشمس يسود الاشياء والمعرفة تبيضها  
**السادس** الشمس تحرق والمعرفة تنقي من الحرق **السابع** الشمس تارة  
تضرو تارة تنفع والمعرفة لا تضرب البتة **الثامن** الشمس منفعتها  
في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدنيا والعقب **التاسع** الشمس  
في السماء زينة لاهل الارض والمعرفة في الارض زينة لاهل السماء

**العاشر** الشمس في الفوق وهي تضيئ ملتحمة والمعرفة في قلب المؤمن  
وهو في تحت وتضيئ بما فوقه اليه يصعد الكلم الطيب **الحادي عشر**  
بالشمس ينكشف وجود الخلق وبالمعرفة ينكشف وجود الخالق  
والدليل عليه قول امر المؤمنين على رض حين قيل له هل رايت ربك  
فقال لا اعبد وبالم اراه **الثاني عشر** الشمس تقع على الوقي والعدو  
والمعرفة ليست الا للوقي **الثالث عشر** ولاية الشمس في الدنيا دون  
الآخرة واما المعرفة فانها في الدنيا ذات هداية وفي الآخرة ذات  
ولاية وايضا فان الكواكب مصباح الخلق والمعرفة مصباح الخلق  
وايضا فان شعاع الكواكب ينزل الى الاسفل وشعاع المعرفة  
يصعد الى العلو وايضا فان الكواكب تطلع من خزانة الظلم والمعرفة  
تطلع من خزانة الملك وايضا فان الكواكب علامة والمعرفة كرام  
وايضا فان الكواكب موضع نظر المخلوقين والمعرفة موضع نظر  
رب العالمين قال عدم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم  
ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم **السؤال الثالث** ما الفرق بين  
السراج والمعرفة **الجواب من وجوه** **الاول** ان سراج الدنيا  
نوره مشوب بالظلمة وهي الدخان الذي يعلو وسراج المعرفة نوره  
صافي لا ظلمة معه **الثاني** ان سراج الدنيا يحرق نفسه ليتنفع به  
غيره وسراج المعرفة يحرق الذنب ويروح السر وينور الصدر  
**الثالث** ان سراج الدنيا يضيئ في نور الشمس واما سراج المعرفة



والتوحيد فانه يصح بضمحل نور الشمس في نوره الرابع ان سراج  
الدنيا لا وفاء له يحرق من اوقده ومن امده بالفتيلة كما يحرق  
من لم يوقده ولم يمد به شئ وسراج المعرفة ذو وفاء لا يحرق صاحبه  
البتة بل ينجيه من الحرق فستان ما بين السراجين **والسؤال الرابع**  
ما الحكمة في تشبيه المعرفة بالمصباح **والجواب من وجوه الاول**  
**ان المصباح يضره الرياح** والمعرفة يضرها الوسواس والشبهات  
الثاني **ان المصباح لا يبقى** بغير الدهن والمعرفة لا تبقى بغير التواقيع  
الثالث **لا بد للمصباح** من حافظ يتعهده ولا بد لمصباح المعرفة  
من متعهده وهو فضل الله ورحمته **السؤال الخامس** ما الحكمة  
في تشبيه القلب بالزجاجة وهذا شبهه بالذهب والفضة فانها  
اعز من الزجاجة **الجواب من وجوه الاول** ان الذهب والفضة  
ان كانا نفسيين رفيعين الا انهما كئيفين يوقعان للحجاب والزجاجة  
وان كانت قليلة القيمة الا انها لطيفة صافية لا توقع للحجاب  
فانه يرى باطنها من ظاهرها وبالضد والله تع ذكر هذا المثل لرفع  
الحجاب لا لوصفه والثاني ان ليس لآنية الزجاجة خطر انما الخطر لما  
في الآنية فكذلك ليس لقلبك خطر انما الخطر للايمان والثالث اذا انكسرت  
الزجاجة لم يصلح الا بادخال النار والاذابة وان منكم **الاواردها**  
كان على رتب حتمها مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا الرابع ان صاحب  
الذهب والفضة لا يخاف كسرهما لعله ان قيمتهما لا يبطل بسبب الانكسار

اما صاحب الزجاجة فانه يكون على حذر ووجل لعله بانها  
اذا انكسرت بطلت قيمتها فكذلك المؤمن ينبغي ان يكون على حذر  
ووجل كصاحب الزجاجة ولا يكون على امن وسكون كصاحب الذهب  
والفضة **الخامس** شبهه بالزجاجة لان النور في الزجاجة احسن  
واتم ضياء منه في الذهب والفضة فالزجاجة لقله قيمتها واعتقادها  
للا انكسار والبطان صار النور فيها احسن وهو اشارة الى قوله  
انا عند المنكسرة قلوبهم لاجله **السؤال السادس** ما الحكمة في تشبيه  
تلك الزجاجة بالكوكب الدري **والجواب من وجوه الاول** ان  
الكواكب الدري في لاهل الارض هداية كما قال وعلامات وبالنجم  
هم يهتدون ولا لاهل السماء زينة كما قال انا زينا السماء الدنيا  
بزينة الكواكب فكذلك قلب المؤمن سبب لهداية صاحب القلب  
الى الخيرات وايضا تزينة لاهل السماء فانه روى ان معرفة القادر  
يضئ لاهل السماء كما يضيئ الكواكب الدري لاهل الارض والثاني  
ان الكواكب لا قدرة للشيطان عليه بل الكواكب يحرق الشيطان قال  
وجعلناها رجوما للشياطين فكذلك هم هنا قلب المؤمن لا سبيل  
للسيطان عليه بل نور قلبه وايمانه يحرق الشيطان ولذلك قال  
ان عباد ليس لا عليهم سلطان وقال يوسوس في صدور الناس  
ولم يقل في قلوب الناس وقال ان الذين اتقوا اذا امسهم حليف  
من الشيطان تذكروا فاذ ا هم مبصرون فذلك تذكر ظهور النور



الايمان وقوله فاذا هم مبصرون اشارة الى احتراق وساوس  
الشیطان **السؤال السابع** ما الحكمة في انه شبه القلب بالكوكب  
لا بالشمس والقمر **والجواب من وجوه** الاول ان الكوكب يستتر  
بالنهار ويظهر بالليل والعارف مستور بالنهار فاذا اظلم الليل  
ظهر بالحكمة والتضرع والثاني ان الكوكب زينة السماء والقلب  
زينة العارف والثالث ان الكواكب مصابيح السماء ولقد زيننا  
السماء الدنيا بمصابيح والقلب مصباح العارف وقال مثل نوره  
مكتوفة فيها مصباح **السؤال الثامن** هل في تشبيه الايمان بالسراج  
بشارة لاهل الايمان **والجواب نعم** **لوجوه** الاول ان الشمس  
سراج استوقده الله للضياء ثم لا يقدر احد على اطفائه والمعرفة  
سراج استوقده الله للبقاء فكيف يقدر ابليس على اطفائه **الثاني**  
استوقده الله سراج الشمس في السماء فهي تنزل الظلمة عن بيتك مع  
غاية البعد فاذا استوقد شمس المعرفة في قلبك فكيف لا تنزل ظلمة  
المعصية عنك مع شدة القرب **الثالث** من استوقد سراجا فعليه  
نعمته والله هو موقد لسراج المعرفة قال اولئك كتب في قلوبهم  
الايمان فلا يجرم على رحمة امداده وتعهده قال انما نحن نزلنا  
الذكر وانما له حافظون **الرابع** اللص ان راي السراج في البيت مستورا  
لا يقصد ذلك البيت بالسرقة والله تعالى او قد سراج المعرفة في قلبك  
فكيف يقدر لص الشيطان من القرب منك **الخامس** المجوس او قدوا

نارا فلا يريدون اطفاءها فالملك القدوس او قد نارا المحبة  
والمعرفة فكيف يرضى باطفائها **السادس** من اراد ان  
يستوقد سراجا احتاج الى سبعة اشياء رتد وحجر وحرارة و  
كبريت ومسحجة وفتيلة ودهن فالعبد اذا طلب سراج المعرفة  
فلا بد له من زهد الجهاد والذين جاهدوا وحجر التضرع ادعوا ربكم  
نضرعوا وما لخرق منو حراق النفس بمنعها من شهواتها قال الله تعالى  
وهي النفس عن الهوى **والرابع** كبريت الانابة وايضا الى ربكم  
**والخامس** مسحجة الصبر واصبروا ان الله مع الصابرين **والسادس**  
فتيلة الشكر واشكروا نعمة الله عليكم **والسابع** دهن الرضا بقضاء  
الله قال تعالى واصبر لحكم ربك وقاعد الرضا بالقضاء باب الله  
الاعظم فهذه الحرفة يتعلق بك في حفظ عهد العبودية فاذا اوفيت  
بعهد العبودية فهو اولى ان يفي بعهد الربوبية كما قال او فوا  
بعهد اوف بعهدكم فيحفظ هذه المعرفة في قلبك وهذا الذكر  
في لسانك ويجعلها نورا باقيا معك في القبر والظلمات والقيامة  
**النوع الثالث** من الامور التي شبه الله تعالى الايمان بها التراب  
قال تعالى والبلاد الطيب يخرج نباته باذن ربه ووجه المشابهة ان  
التراب ذو امانة من اودع فيه شيئا سلم اليه اصعافه قال تعالى  
في كل سنبلة مائة حبة فكذا المؤمن اذا عمل عملا سلم الله تعالى  
ذلك العمل اليه يوم القيامة قال تعالى انما يؤمن الصابرون اجرهم



بغير حساب الثاني من خاصية الارض انه يطرح عليها كل قبيح ويخرج  
منها كل مليم فكذا ارض الايمان يطرح عليها قبايح الكفر والذنوب  
ثم يخرج منها ثمرات المغفرة والرحمة والرضوان فاولئك يبذل  
الله سيئاتهم حسنات الثالث من خاصية الارض انها كالآلة الحاضرة  
لك منى لك كالمهد قال تعالى الذي جعل لكم الارض مهدا وكالخراب  
لك خلق لكم ما في الارض جميعا وكالآلة المشفقة عليكم من اخلقناكم  
وفيها نفيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فكذا الايمان منه يحصل  
جميع منافع في الدنيا والعقب النوع الرابع من الاشياء التي  
شبه الله الايمان والقران بهما الماء قال الله تعالى انزل من السماء  
ماء فسالن اودية بقدرها الى قوله كذا يضرب الله الحق والباطل  
اي الايمان والكفر فالزبد الكفر والماء هو الايمان وفي تقرير وجه  
المشابهة وجوه الاول ان الماء يزيل النجاسة عن الثوب وانزلنا  
من السماء ماء طهورا وثيابك فطهر فكذا الايمان يزيل نجاسة  
الكفر والمعاصي عن القلب قال عم الاسلام محبت ما قبله الثاني  
ان الله تعالى سمى الماء المنزل من السماء رحمة قال تعالى وهو الذي  
يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وسمى القران رحمة فقال  
وهدي ورحمة للمؤمنين وجعل الايمان رحمة وسببا للرحمة  
فقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال كتب ربكم على نفسه  
الرحمة فلاجرم شبه الايمان والقران بالماء لهذا السبب الثالث

انه سمي القران مباركا فقال وهذا ذكر مبارك انزلناه وقال  
كتاب انزلناه اليك مبارك وقال في الماء وانزلنا من السماء  
ماء مباركا فلاجرم شبه القران بالماء لكون كل واحد منهما مباركا  
الرابع ان الماء شفاء للنفوس والقران شفاء للقلوب قال  
ونزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وهو شفاء لقلوبهم  
ورحمة لذنوبهم الخامس كما انه تعالى هو الذي تولى انزال الماء  
من السماء ولا يقدر عليه احد سواه فكذا الله الذي تولى انزال  
القران ولا يقدر عليه احد غيره السادس كما ان الله تعالى اذا انزل  
المطر من السماء لم يقدر عليه احد على دفعه فكذا لما انزل القران  
من السماء لم يقدر احد على دفعه وادخال الباطل عليه والله كتاب  
عزيز لا ياتيه الظالم الباطل من بين يديه ولا من خلفه السابع  
ان المطر لا يقدر مخلوق على ان تحصي عدد قطرات فكذا القران  
لا يحيط احد بكمال اسراره ولطائف حقايقه الثامن كما ان  
المطر ينزل من السماء قطرة قطرة ثم يسيل في الارض نهرا نهرا  
ومجر مجرى فكذا القران نزل من السماء آية آية ونجا نجا ثم صار  
المجموع انهارا ومجارا وفي الخبر ان القران بحر عميق لا يدرك  
قعره التاسع كما ان المطر لو نزل من السماء دفعة واحدة  
لقلع الاشجار وخرّب الديار فكان الفساد فيه اكثر من الصلاح  
فكذا القران لو نزل جملة واحدة لصلت فيه الافهام وتاهت



الاوهام قال ثم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا  
متصدعا من خشية الله العاشر كما ان الله ثم يحيي الارض بعد  
موتها بالمطر فكذلك يحيي القلوب الميتة بالقران او من  
كان ميتا فاحييناه الحادي عشر كما ان المطر واحد ثم انه يقع  
على الارض فيخرج منه الورد والريحان وعلى ارض اخرى فيخرج منها  
الشوك والسم فكذلك القران يقع على قلب المطيعين فيخرج منه  
ورد العبودية وريحان الطاعة ويقع على قلب الكافرين فيخرج  
منه سم الكفر وشوك المعصية قال ثم يصل به كثيرا ويهد به كثيرا  
الثاني عشر ان في الماء النازل من السماء غنية عن جميع المياه فكذلك  
في القران غنية عن جميع الكتب والعلوم الثالث عشر ان الماء  
الكثير اذا انغرس من لا يحسن السباحة هلك فيه فكذلك القران  
اذا اتكلم به احد بغير علم هلك قال دم من فسر القران برأيه  
فليتهوا مقعد من النار الرابع عشر كما ان الشرب فوق الكفاية  
يضر ولا ينفع فكذلك الكلام في القران فوق الفهم واللفظة  
يضر ولا ينفع قال دم امرت ان اكلم الناس على قدر عقولهم  
الخامس عشر انزل المطر زال القحط وظهر النبات والافاء  
والفاكهة فكذلك كان قبل نزول القران قحط الدين فلما نزل  
القران زال القحط في الدين وظهر انواع الفداء والفاكهة  
للروح وهو نبات التوحيد والنبوة والتشريع السادس عشر

كما ان الماء يطفي النار فكذلك القران والايمان يطفي عن المؤمن  
الذي هو حامل القران نار جهنم النوع الخامس من الاشياء التي  
شبه الله الايمانها الجبل قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا و  
بشبهه من وجوه الاول ان من اراد ان يصعد من السفلى  
الى العلو وخاف من الانزلاق فاذا تمسك بليل امين من ذلك  
لخوف فالعبد يريد ان يصعد من سفلى البشرية الى عالم الجلال  
والكبرياء ويخاف من ان ينزل قدام عقله فاذا تمسك بالقران  
امين من الثاني ان الاعمي اذا اراد الذهاب الى موضع فان كان  
بين مكانه وبين ذلك الموضع جبل مشدود تمسك بذلك الجبل  
وذهب فارغا من غير خوف فكذلك العقول البشرية كالعمي في  
سلوك سبل التوحيد والمعرفة فاذا تمسكوا بالقران امنوا  
من الخوف الثالث ان من سقط في البئر فطرق تخليصه ان يربط  
اليه جبل حتى يتعلق به ويصعد ويخرج من الهلاك فالارواح البشرية  
وقعت في هاوية عالم الاجسام فالملك الرحيم جل وعز ارسل  
اليهم جبل القران فمن تعلق به وصعد ونجى ومن لم يتعلق  
به بقى في بئر الظلمات وكان من الهالكين النوع السادس من الاشياء  
التي شبه الله تعالى الايمانها شجرة الزيتون وشجرة تخرج من طور  
سيناء تنبت بالدهن وصنع للاكلين وذكر وافي وجه التشبيه  
امورا الاول انه تعالى انما شبه الايمان بهذه الشجرة لان هذه



لأن هذه الشجرة في أكثر الامم انما تنبت في الاممكة المطهرة فكذلك  
المعرفة لا يستقر في كل قلب بل في قلوب المطهرة الثالثة ان شجرة  
الزيتون يتولد من ثمرتها ذلك الدهن الذي هو في غاية الصفا  
فكذلك قلب المؤمن يتولد منه الايمان والمعرفة وهما اصفي  
الانوار واشرفها **واعلم** ان الله وعد المؤمنين بعشر كرامات  
احدها المغفرة المغفرة قال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم  
ما قد سلف والمغني ان قبلوا الايمان وتركوا الكفر وثانيها الامن  
قال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم  
مهدون والثالث الهداية قال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات  
يهدى بهم ربهم بايمانهم الرابع الزيادة قال ان الذين احسنوا الحسن  
وزيادة الخامس الفلاح قال ان اولئك على هدى من ربهم واولئك  
هم المفلحون وقد اخرج المؤمنون والسادس التثبيت قال تعالى  
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت السابع الشفاعة قال ان  
يومئذ لا ينفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له مقولا  
يعني قول لا اله الا الله والثامن اصلاح الاعمال قال ان يا ايها  
الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم  
والتاسع البشارة قال وابشروا بالجنة العاشر سماع كلام ورؤية  
الله سلام قول من رب رحيم ووجوه يومئذ ناضرة الى ربها  
فاخرة **اما الخاتمة** فمن وجوه قال بعضهم عجبا لمن عرفك كيف

يخلو

يخلو قلبه من ذكرك وكيف يكون هم نفسه وولده أكثر من هم  
مناجاتك وكيف يفرح بغير احسانك وكيف لم يطلب الفخ بالقرن  
بك وكيف لم يطلب الكفاية في صدق التوكل عليك وكيف لم يعد  
البلاء في طاعتك اعظم انواع السعادات وكيف لم يشغل معرفتك  
عن معرفة غيرك وكيف لم يلهي قلبه مصائب الدنيا وكيف لم يطلب  
راحة وروحة بتقويض امره اليك وكيف يطلب لذة العيش  
في غير وقت المعرفة وكيف يستلذ بما يشغله عنك وكيف يوش  
شهوة الدنيا مع سرعة فناها على محبتك وكيف يفعل عنك وهو  
يعلم انك لا تفعل عنه الثاني قال بنو حنين من اقبل على الدنيا  
احرقته نيرانها يعني الحرض وضار رما دأ ومن اقبل على الآخرة احرقته  
نيرانها يعني نار الخوف وضار سبيكة ذهب ينشفع بها ومن اقبل  
على الله احرقته نار التوحيد والمحبة وضار جوهره نفيسة لا قيمة  
لها الثالث قيل لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يكون خيرا مأمولا  
وسره مأمونا وحتى يكون الصفة احب اليه من الرفعة والفقر اليه  
احب من الفخ والذل في الله احب اليه من الغر فيما سواه ويستكثر  
القليل من عمل غيره ويستعمل القليل من عمل نفسه ولا يرى احدا الا  
ظن ان خير منه الرابع قال لقمان لابنه يا بني للايمان سبع حقايق  
ولكل حقيقة منها حقيقة فالحقايق السبعة اليقين والخافة والمعرفة  
والهدى والعمل والتفكر والورع فحقيقة اليقين الهيبة وحقيقة



الخوف الطاعة وحقيقة المعرفة الايمان وحقيقة الهدى البصيرة  
وحقيقة العمل النية وحقيقة التفكير الفطنة وحقيقة الورع الكفاد  
الخامس قيل اركان الايمان اربعة توحيد بلاحد وذكر بلايث  
وحال بلاغت ووجد بلاوقت ومفهوم بلاحال بلاغت ان يصير  
بحيث لا يصف حال الامن الاصول الرفيعة الا ويكون حاصله لانه  
لو لم يكن حاصله لكان غاييا وقيل ذكر الغايب غيبة السادس  
قال علي رضي اربع حصال من كن فيه فهو مؤمن اذا قال صدق  
واذا وعد وفا واذا ائتمن ادق واذا عاهد لم يفر السابع  
قال الجنييد المؤمن كالارض تطيق حمل كل شئ وكالقطر اذا سقط  
سقى كل شئ والتحقيق فيه ان في جميع احواله ناظر الى الله وهو لا ينظر  
مع من يعامل ولكنه ينظر لاجل من يعامل فلا جرم يستوي الكل  
عنده الثامن قال يحيى بن معاذ الايمان نقي فلا تدنسه بانامك  
والليل طويل فلا تقصره بمنامك والايام قصيرة فلا تخلفها عن  
صياك وقال ايضا اذا لم يكن الايمان هادماللتيان كان الكفر  
هادم للحنان فما فضل الايمان التاسع قال سهل بن عبد الله  
المؤمن بين ستة اعداء نفس تنازعه وموافق يبغضه وحرص يردبه  
وشيطان يغويه ومؤمن يحسد وكافر يقاتله العاشر قال ابو بكر  
الوراق للمؤمن اربع علامات كلامه ذكر وصحة فكه ونظرة عمرة  
وعمله طاعة الحادي عشر قال ابو بكر الواسطي في معنى قوله معاذ

تعالوا

تعالوا تؤمن ساعة اي حصة يخرج من الارادات والمنازعات  
لان كل ارادة ارادها الانسان على خلاف ارادة الحق فهي منازعة  
مع الربوبية الثاني عشر قال ابو يزيد الهيثمي انك خلقت هذا الخلق  
بغير علمهم وقلدتهم امانة بغير ارادتهم فان لم تقمهم فمن يعينهم  
الثالث عشر قال رسول الله ص المؤمن من يكون نفسه منه  
في عناء والناس منه في راحة **الفصل الخامس** في شرح المباحث  
المتعلقة بكلمة لا اله الا الله وهي وجوه **المبحث الاول**  
زعم جماعة من الخويعين ان هذا الكلام فيه حذف واضمار ثم  
ذكر وفيه وجهين احدهما التقدير لا اله لنا الا الله والثاني  
لا اله في الوجود الله واعلم ان هذا الكلام غير سديد اما الاول  
فلانه لو كان التقدير لا اله لنا الا الله لم يكن هذا الكلام مضيدا  
بتوحيد الحق اذ يجمل ان يقال هب انه لا اله لنا الا الله فلم قلتم انه  
لا اله لجميع المحدثات والممكنات الا الله ولهذا السبب انه تع لما قال  
والحكم اله واحد قال بعد لا اله الا هو الرحمن الرحيم لانه لما قال  
والحكم اله واحد بقي لسائل ان يسأل ويقول هب ان الهنا واحد  
فلم قلتم ان الهنا ~~الكل~~ واحد فلاجل ازالة هذا السؤال قال بعد  
لا اله الا هو ولو كان المراد من قوله لا اله الا هو انه لا اله لنا  
الا هو كان ذلك تكرارا محضا واما الثاني وهو قولهم التقدير  
لا اله في الوجود الا الله فنقول واي حامل يحكمكم على التزام



هذا الاضمار بل نقول حمل الكلام على ظاهره اولى من ذلك الاضمار  
الذي ذكرتم وذلك لانا لو التزمنا ذلك الاضمار كان معناه لا اله  
في الوجود الا هو فكان هذا نفيا للوجود الا اله الثاني لو اجرينا  
الكلام على ظاهره كان هذا نفيا لماهية الاله الثاني ومعلوم ان  
نفي الماهية اولى اقوى في اثبات التوحيد من نفي الوجود فثبت  
ان اجراء هذا الكلام على ظاهره اولى فان قيل نفي الماهية غير معقول  
فانك اذا قلت السواد ليس بسواد كنت قد حكمت بان السواد انقلب  
الى نقيضه وصيرورة الشيء عين نقيضه غير معقول اما اذا قلت  
السواد غير موجود كان هذا كلاما معقولا فلم هذا السبب اضمارنا  
فيه هذا الاضمار والجواب قولكم نفي الماهية غير معقول قلنا هذا  
باطل فانك اذا قلت السواد ليس بموجود فقد نفيت الوجود ولكن  
الوجود من حيث هو وجود ماهية فاذا نفيت الماهية المطلقة  
نفيت الماهية المستماة بالوجود واذا كان كذلك صار نفي الماهية  
امرا معقولا واذا عقل ذلك فلم لا يجوز اجراء هذه الكلمة على ظاهرها  
فان قلت انا اذا قلنا السواد ليس بموجود فانك ما نفيت الماهية  
وما نفيت الوجود ايضا واما نفيت موصوفية الماهية بالوجود  
فنقول موصوفية الماهية بالوجود هل هي امر مغاير للماهية  
للوجود ام لا فان كانت مغايرة لهما كان لذلك المغاير ماهية  
فكان قولنا السواد ليس بموجود نفيا لتلك الماهية المستماة

بالموصوفية وحينئذ يعود الكلام المذكور واما ان قلنا  
ان موصوفية الماهية بالوجود ليست امر مغاير للماهية  
وللوجود امتنع توجيه النفي اليها واذا امتنع ذلك بقي النفي متوجها  
اما الى الماهية واما الى الوجود وحينئذ يحصل غرضنا من ان  
الماهية يمكن نفيها واذا كان الامر كذلك صح ان قولنا لا اله الا الله  
حق وصدق من غير حاجة الى اضمار **البحت الثاني** قال الخوي  
قولنا لا اله الا هو ارتفع هولاء بدل من موضوع لامع الاسم  
وبيانه انك اذا قلت ما جاء في رجل الا زيد فعوله الا زيد مرفوع  
بالبدلية لان البدل هو الاعراض عن الاول والاعراض بالثاني فصار  
التقدير ما جاء في الا زيد وهذا معقول لانه يفيد نفي الخي عن الكل  
الا عن زيد واما قوله جاء في القوم الا زيد فهنا البدلية غير ممكنة  
لانه يصير التقدير جاء في الكل الا زيد وذلك يقتضي انه جاءه كل  
احد الا زيد وذلك محال فظهر الفرق **البحت الثالث** اتفق الخويون  
على ان محل الآ في هذه الكلمة محل غير والتقدير لا اله غير الله وهو  
قول الشاعر • وكل اخ مفارقة اخوم • لعمريك الا الفرق قد ان •  
المعنى كل اخ غير الفرقين فانه يفارقة اخوم وقالوا لو كان فيهما  
آلهة الا الله لفسدتا وقالوا التقدير لو كان فيهما آلهة غير الله  
لفسدتا والذي يدل على صحة ما قلنا انا لو حملنا الآية الاستثناء  
لم يكن قولنا الا الله توحيدا محضا لانه يصير تقدير الكلام



لا اله يستثنى عنهم الله فيكون هذا نفيا لالهية يستثنى عنهم ولا يكون  
نفيا لالهة لا يستثنى عنهم الله بل عند من يقول بدليل الخطاب  
يكون اثباتا لذلك وهو كمن قضت انه لو كانت كلمة الا محمولة على  
الاستثناء لم يكن قولنا لا اله الا الله توحيداً محضاً ولما اجمعت  
العقلاء على انه يفيد التوحيد المحض وجب حمل الاعمال على غير  
محملة يكون معنى الكلام لا اله غير الله **المبحث الرابع** قال جماعة  
من الاصوليين الاستثناء من النفي لا يكون اثباتاً واعتجوا عليه  
بوجهين الاول ان الاستثناء مأخوذ من قولك ثبتت الشيئ من  
جهته اذا صرفته عنها فاذا قلت لا علم فلهنا امران احدهما  
الحكم بهذا العدم والثاني نفس هذا العدم ثم اذا قلت عقيب  
الازيد وهذا الاستثناء يحتمل ان يكون عابداً الى حكمك بذلك  
العدم ويحتمل ان يكون عابداً الى نفس ذلك العدم فان كان عابداً  
الى الحكم بالعدم لم يلزم تحقق الشبوت لان سبب الاستثناء يزول  
الحكم بالعدم وعند زوال الحكم بالعدم يبقى المستثنى مسكوتاً عنه  
غير محكوم عليه بالنفي والاثبات وحينئذ لا يلزم الشبوت  
اما ان كان تأثير الاستثناء في صرف العدم ومنعه فحينئذ يلزم  
تحقق الشبوت لانه لما ارتفع العدم وجب حصول الوجود فزوجة  
انه لا واسطة بين النفيين اذا ثبت هذا فنقول عود الاستثناء  
الى الحكم اولى من عوده الى نفس العدم ويدل عليه وجوه الاول

ان الالفاظ وصفت دالة على الاحكام الذهنية لا على الموجودات  
الخارجية فانك اذا قلت العالم قديم فهذا يدل على كون العالم  
قديماً في نفسه والا لكانا اذا قلنا العالم حادث لزم كون العالم  
قديماً وحادثاً واذ كان محال بل هذا الكلام يدل على حكمك بعدم  
العالم واذا كان الالفاظ وصفت دالة على الاحكام الذهنية  
لا على الموجودات الخارجية كان صرف ذلك الاستثناء الى الحكم بالعدم  
اولى من صرفه الى نفس ذلك العدم والوجه الثالث في بيان ان عود  
الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من عوده الى نفس ذلك العدم  
وذلك لان عدم الشيء في نفسه ووجوده لا يقبل تفرق هذا  
القائل بل القائل بصرفه هو حكمه بذلك الوجود والعدم واذا  
كان كذلك كان عود الاستثناء الى الحكم اولى من عودها الى المحكوم  
**المحبة الثانية** في بيان ان الاستثناء من النفي باثبات هو انه جاء  
في الحديث والعرف صور كثيرة في الاستثناء في النفي مع انه لا يقتضي  
الشبوت قالوا لانكاح الابوي والصلوة الا بطهور ويقال في  
العرف لا عز الا بالمال ولا مال الا بالرجال ومرادهم من الكل  
مجردة لاشتراط اقصي ما في الباب ان يقال وقد ورد هذا اللفظ  
في صورة اخرى وكان المراد ان يكون المستثنى من النفي اثباتاً  
الا انا نقول لا بد وان يكون مجازاً في احد الصورتين الا انا  
نقول ان قلنا انه لا يقتضي ان يكون الخارج من النفي اثباتاً



حيث افاد ذلك احتمال ان يكون تلك الزيادة مستفادة من دليل اخر  
 ولا يكون ذلك تركا لماد اللفظ عليه فان قلنا انه يقتضي ان يكون  
 الخارج من النفي اثباتا حيث لا يفيد ذلك لزمن ترك العمل بما يكون  
 اللفظ دليل عليه ومعلوم ان الاول اولى لان اثبات الامر الزايد  
 بدليل زايد ليس فيه مخالفة الدليل اما ترك ماد الدليل عليه  
 يكون مخالفا للدليل ثبت بما ذكرنا ان الاستثناء من النفي لا يكون  
 اثباتا واذا ثبت هذا كان قولنا لا اله الا الله نصرا يحاكي سائر الالهة  
 ولا يكون اعترافا بوجود الله واذا كان كذلك لم يكن مجرد هذا القول  
 كافيا في صحة الايمان وههنا اشكال اخر وهو ان قد دللنا على ان  
 كلمة لا بمعنى غير في هذا الموضع واذا كان كذلك كان قولنا لا اله الا  
 معناه لا اله غير الله فيصير المعنى نفي اله بغير الله ولا يلزم من نفي  
 ما بغير الله اثبات هذا الله وحينئذ يعود الاشكال الجواب  
 من وجهين الاول ان اثبات الاله سبحانه كان متفقا عليه بين  
 كل العقلاء بدليل قوله ولئن سألتم من خلق السموات والارض  
 ليقولن الله فكان ذلك مفروعا عنه متفقا عليه الا انهم كانوا  
 يشبهون الشركاء والانداد فكان المقصود من هذه الكلمة نفي الالهة  
 والانداد فاما القول باثبات الاله للعالم فذلك من لوازم العقول  
 الثاني ان سلما ان هذه الكلمة كادت على نفي سائر الالهة دلت  
 على اثبات الالهية لله تعالى انا نقول هذه الدلالة تكون حاصلة

بوضع الشرح لا المفهوم اصل اللفظ فهذا تمام القول في هذا المقام  
**البجته الخامس** اعلم انه يجوز ان يقال لا رجل في الدار وان يقال  
 لا رجل في الدار اما الوجه الاول فانه يوجب نفي الرجال بالكلية  
 والدليل عليه ان قولنا لا رجل يقتضي نفي ماهية الرجل ونفي الماهية  
 يقتضي استفاء كل افراد الماهية لانه لو ثبت فرد من افراد الماهية  
 لثبت الماهية ضرورة انه مما ثبت فرد من افراد الماهية يثبت  
 الماهية لا محالة واما قولنا لا رجل في الدار فهو يقتضي قولنا لا رجل  
 في الدار ولكن رجل في الدار يفيد ثبوت رجل واحد فنقولنا لا رجل  
 في الدار وجب ان يفيد عموم النفي حتى يتحقق التناقض بين القولين  
 فلما حصل ان قولنا لا رجل اقوى في الدلالة على عموم النفي من قولنا  
 لا رجل مع ان كل واحد منهما يفيد عموم النفي ولا اجل كون كل واحد منهما  
 يفيد العموم قرئ قوله لا ريب بالقرائنين فكذا قوله فلا ريب  
 ولا فسوق ولا جداله في الحج ولا اجل ان البناء على الفتح اقوى في الدلالة  
 على العموم اتفقوا في قولنا لا اله الا الله **البجته السادس** من الناس  
 من قال ان تصور الاثبات مقدم على تصور النفي بدليل ان الواحد  
 منا يمكنه ان يتصور الاثبات وان لم يحضر بباله مع النفي والعدم  
 ويمتنع عليه ان يتصور العدم والنفي الا وقد تصور الاثبات  
 أولا وذلك لانه العدم المطلق غير معقول بل العدم لا يعقل  
 الا اذا اضيف الى امر معين فيقال عدم الدار وعدم الفلام



فثبت ان تصور الاثبات اصل ومتقدم وتصور النفي متأخر  
 وفرع واذا ثبت هذا فالسبب في ان جعل النفي الذي هو الفرع مقدا  
 والاثبات الذي هو الاصل مؤخر الجواب ان في تقديم النفي على  
 الاثبات ههنا اعراض الاول ان نفي الربوبية عن غيره ثم اثباتها  
 الكد في الاثبات من اثباتها من غير نفيها عن غيره كما ان قولنا العايل  
 ليس في البلد عالم غير فلان من باب المخرج من قولنا فلان عالم البلد  
 والثاني ان لكل انسان قلبا واحدا والقلب الواحد لا يتسع بثنيتين  
 شيئين دفعة واحدة فنقدر ما سبق مشغولا باحد الشيئين يبقى  
 محروما عن الشيء الثاني فنقول لا اله الا الله اخراج لكل ما سوا الله  
 عن القلب حتى اذا صار القلب خاليا عن كل ما سوا الله ثم حضر فيه  
 سلطان الآله واشرق نوره اشراقا تاما وكل استيلاءه عليه  
 كما لا قوتيا الثالث ان النفي الحاصل بلا مجرى مجرى الطهارة  
 والاثبات الحاصل مجرى مجرى الصلوة وكما ان الطهارة مقدمة على  
 الصلوة فكذا وجب تقديم لا اله على قولنا الآله ويجري مجرى  
 تقديم الاستعاذة على القراءة وكما ان تقدم الاستعاذة على قراءة القرا  
 فكذا ههنا وايضا من اراد ان يحضر الملك في بيت وجب عليه تقديم  
 نظير البيت عن الاقدار وعن هذا قال المحققون النصف الاول  
 من هذه الكلمة تنظيف الاسرار والنصف الثاني انجبال الانوار  
 عن حضرة الملك الجبار والنصف الاول فناء والنصف الثاني بقاء

والنصف الاول انفصال والثاني اتصال والنصف الاول اشارة  
 الى قوله ففر والى الله والنصف الثاني اشارة الى قوله قل الله  
 ثم دزهم **البج السابع** لقائل ان يقول ان من عرف ان للعالم  
 صانعا قادرا عالما موصوفا بجميع الصفات المعبرة في الالهية  
 من الصفات السلبية والاثبتية فقد عرف الله معرفة تامة ثم  
 ان علمه بعدم الاله الثاني لا يزيد على حقيقة ذات الاله وصفا  
 لان عدم الاله الثاني ليس عبارة عن وجود الاله الاول ولا صفة  
 من صفاته ثم انا اجمعنا على ان علمه بذات الاله وصفاته لا يكفي  
 في تحقيق النجاة ما لم يعلم عدم الاله الثاني لا يحصل العلم المعبر في النجاة  
 فما السبب في ان كانت معرفة ذات الله وصفاته غير كافية في تحقيق  
 النجاة بل كان العلم بعدم الاله الثاني معتبرا في تحقيق النجاة الجواب  
 ان بتقدير ان يكون للعالم الهين فالعبد لا يعلم انه عبد لهذا الاله  
 او عبد لذلك او عبدا لهما معا فحينئذ لا يكون جازما بكونه مستغلا  
 بشكر مولاه وخالقه بل يجوز ان يكون عبادة لغير خالقه وممت  
 كان كذلك لم يكن جازما في تلك العبودية وتلك الطاعة اما اذا عرف  
 انه لا اله للعالم الا انه واحد فحينئذ يكون جازما بكونه مستغلا  
 بشكر مولاه وخالقه بل يجوز ان يكون عبادة لغير خالقه وممت  
 كان الامر كذلك لم يكن جازما في تلك العبودية وتلك الطاعة  
 اما اذا عرف انه لا اله للعالم الا اله واحد فحينئذ يكون جازما



بكونه مستغلا بعبودية مولاه وخالفه فلماذا لم يحصل النجاة  
والفوز بالدرجة الأجمرفة التوحيد **المبحث الثامن** ان المكلف  
اذا تم النظر والاستدلال في معرفة الله ثم كانت ممتمة ولم يجد من الوقت  
ما يمكنه ان يقول لا اله الا الله فهنا لا شك انه يموت مؤمنا لانه  
ادى ما وجب عليه ولم يجد مهلة التلفظ بهذه الكلمة فاما اذا تم  
النظر والاستدلال في معرفة الله ووجد من الوقت ما يمكنه ان يقول  
فيه لا اله الا الله ثم انه لم يقل ثم مات فهذا الشخص هل مات مؤمنا  
ام لا من الناس من قال انه مات كافرا لانه صحت الايمان متوقفة على  
التلفظ بهذه الكلمة عند القدرة عليه ومن الناس من قال انه مؤمن  
لاجل انه حصل العرفان التام وفاسق لاجل انه كان ما مورا بذكر هذه  
الكلمة وما ذكرها والدليل على انه مؤمن قوله ومخرج من النار  
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا الشخص قلبه مملوء بالايمان  
فكيف لا يخرج من النار **المبحث التاسع** من الناس من قال بتطويل  
المد في كلمة لا من قولنا لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن لان المكلف  
في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الاضداد والانداد وينفيها  
ثم بعد ذلك يعقب هذه الكلمة بقوله لا اله الا الله فيكون ذلك اقرب  
الى الاطلاق والكمال ومنهم من قال بل ترك التمديد اولى لانه ربما  
مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال الى كلمة الا والذي عندي  
انه التلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها لينقل بها من الكفر

الى الايمان فترك التمديد اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان  
على اسرع الوجوه وان كان التلفظ بها مؤمنا وانما نذكرها كيف  
شاء ليجتهد هذه الكلمة فالتمديد اولى حتى يحصل في زمان التمديد  
صور الاضداد والانداد على التفصيل في الحاضر وينفيها ثم يعقبها  
بقوله لا اله الا الله فيكون الاقرار بالالهية اصفى واكمل **المبحث العاشر**  
اعلم ان الناس في قول هذه الكلمة على مذاهب وطبقات وادناسها  
طبقة من قائلها يتحرم دمه واحرفه ماله على ما اقتضاه بموجب قوله  
عزم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالواها  
عصموا من دمائهم واموالهم الا بحمها الحديث وهذه درجة يشترك  
فيها المحلصون والمنافقون فكل من يعلق بهذه الكلمة نال من بركتها  
واحرز حظا من فوائدها وان طلب بها الدنيا نال الامن فيها  
والسلامة من آفاتنا وان قصد بها الآخرة جمع بين الحظي  
واحرز بها السعادة في الدارين والطبقة الثانية الذين ضموا  
الى القول باللسان الاعتقاد بالقلب على سبيل التقليد واعلم ان الاعتقاد  
التقليدي لا يكون علما وذلك لانه العقد ضد الانحلال والاشراح  
والعلم عبارة عن اشراح الصدر قال تعالى فمن شرح الله صدره  
للاسلام فهو على نور من ربه فثبت ان صاحب التقليد لا يكون  
عارفا ولا عالما وهل يكون مسلما فيه الخلاف المشهور بين الامة  
الطبقة الثالثة الذين ضموا الى الاعتقاد بالقلب معرفة الدلائل



الاقتناعية المقوية لذلك الاعتقاد الآن تلك الدلائل لا يكون  
 برهانية يقينية بل اقناعية ظنية الطبقة الرابعة الذين أكدوا  
 تلك العقائد بالدلائل العقلية القطعية والبراهين اليقينية  
 الآنهم لا يكونون من ارباب المشاهدات والمكاشفات ولا من  
 اصحاب التجلي وارباب مطالعة انوار الالهية نعم اعلم ان الاقرار  
 باللسان له درجة واحدة اما الاعتقاد بالقلب فله درجات  
 مختلفة بحسب قوة الاعتقاد وضعفه ودوامه وعدم دوامه  
 وكثرة تلك الاعتقادات وقلتها فان المقلد ربما كان مقلدا  
 في مجرد ان الله احد وربما زاد عليه وكان مقلدا في ذلك  
 وفي ان الصانع عالم قادر واعلم ان كلما كان وقوف الانسا  
 على هذه المطالب اكثر كان تشويش امر التقليد عليه اكثر  
 وذلك لان الطالب اذا حصل له شعور بهذه المطالب وحصل  
 له وقوف على هذه المباحث مال الى العلم وكرم التقليد فيفسر  
 التقليد واما المرتبة الثالثة وهي تقوية الاعتقاد بالدلائل الاقتناعية  
 فراتب الخلق فيها متفاوتة وغير مطبوعة واما المرتبة الرابعة  
 وهي الترقى من الدلائل الاقتناعية الى البراهنية القطعية فالاصل  
 الذين يكونون واصليين الى هذه الدرجة يكونون في غاية القوة  
 ونهاية الندرة لان ذلك يتوقف على معرفة شرايط البراهين  
 واستعمالها في المطالب وذلك في غاية العرة واما المرتبة الخامسة

وهم اصحاب المشاهدات والمكاشفات فسيتم في القوة الى  
 اصحاب البراهين القطعية كنسبة اصحاب البراهين القطعية  
 الى عوام الخلق واعلم ان عالم المكاشفات لانهاية لها لانه  
 عبارة عن سير العقل في مقامات جلال الله ومدارج عظيمته  
 ومنازل كبريائه وقدره ولما كان لانهاية لهذه المقامات  
 فذلك لانهاية للسفر في تلك المقامات واعلم ان الانسان  
 اذا انكشف له اسرار لا اله الا الله اقبل على الله واخلص في عبادة  
 ولم يلتفت الى احد سواه فلا يرجو ولا يخاف غير ولا يرى الضر  
 والنفع الا منه فانقطع بالكلية عمن دونه وتبرا من شرك الباطن  
 كما قد تبرا من شرك الظاهر وذلك كله موجب كلمة التوحيد  
 ولهذا السبب لما قال محمد ص فاعلم انه لا اله الا الله قال بعد  
 واستغفر لذنبك والمغنى والله اعلم ان الامر بالاستغفار في  
 تقصير وقع في موجب كلمة لا اله الا الله اما الغفلة بحول دونه  
 او لغرض شغل ويعوق عنه وهو معنى قوله ص انه ليغان  
 على قلبه فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وقد روى مائة مرة  
 في الحديث وجوب الاول ان المراد ما يغشى قلبه من غفلة او يقصره  
 من فتن بحكم الطبع البشري فكان عند ذلك يفرغ الى الاستغفار  
 والثاني انه ص كان ابد في الترقى فاذا انتقل الى درجة نظر الى  
 الدرجة المستقل عنها فكان يستحقها في العبودية فكان



يستغفر الله منها والثالث انه عم رتب الاح له شئ من استغفامه  
لها وابتهاجه بها شاغلا له عن الاستغراق في المستهيج به فكان  
يستغفر الله عن ذلك والرابع انه كلما لاح له شئ من عالم الغيب  
كان يعلم ان الذي لاح له انما لاح بقدر قوته وطاقته وكان يعلم  
ان قدر عقله وطاقته بالنسبة الى جلال الله ثم وعلو كبريائه كالقدم  
فحينئذ يعلم ان الذي لاح من كمال الغيب بالنسبة الى ما لم يبلغ كماله  
بالنسبة الى الوجود وكان يستغفر الله من ان يقع بما يصل اليه قلبه  
وعقله وفكره وذكره وخاطره **الفصل السادس** في فضل المؤمن  
اعلم ان الله تعالى سمي المؤمن ثالث نفسه في عشرة اشياء في المراقبة  
والولاية والموالاتة والصلوات والقرّة والطاعة والمشاقة والآذنين  
والالتجاء والشهادة المقام الاول في المراقبة ويدل عليه قوله  
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون هذه الملتزمين  
وللجاحدين برؤية المؤمنين كما هدهم برؤية نفسه وفيه  
لطائف الاول روى ان عمر بن الخطاب خرج ليلة فسمع امرأة تقول  
لا يستها يا بنتاه قومي وامرني الماء بالذين قالت اوليس قد نانا  
عن ذلك امير المؤمنين قالت لا يرانا امير المؤمنين قالت بلى  
ولكن يرانا رب العالمين فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب خطبها في الغد  
لابنه وكان عمر بن عبد العزيز من خير صفاتها الثانية امرأة  
شاطرة كانت بمكة قالت لا اتزوج حتى افتي طاووس اليماني

وكان رجلا جميلا فرضت نفسها عليه مرارحة طلت انها تعجبه  
فقال طاووس احضري الليلة فجاها الى المقام فقال اضطجعي ههنا  
فقالت سبحان الله الا يرى الناس فقال طاووس اوليس قد يرانا  
الله في كل موضع فباتت المرأة الثالثة قال ابو عبد الرحمن العيني  
خرجت ليلة فاذا انا بجارية مليحة فاردتها فقالت وبيك مالك  
زاجر من عقل ان لم يكن لك ناهي من الذين فقلت انه لا يرانا  
الا الكواكب فقالت فابن مكوكبها الرابعة قال خاتم الاقلام راع  
نفسك في ثلثة اوقات اذا علمت بالجوارح فاذا ذكر نظر الله اليك  
واذا قلت بلسانك فاذا ذكر سمع الله اليك واذا كنت ساكنا  
فاذا ذكر علم الله فيك لانه تعالى قال انني معكم اسمع واري الخامسة  
ثلثة نفر حضروا عند بعض الزهاد فقالوا اوصنا فقال للواحد  
الست تقول انه عالم قال بلى قال اياك ان يعلم منك شئ يفضلك  
به غدا وقال للثاني اليس هو بصير قال بلى قال اياك ان تراك  
على عمل تسجي منه يوم القيامة وقال للثالث اليس هو سميع قال  
بلى قال احذر ان لا يسمع منك شئ ايرد بك عن باب رحمة بسببه  
السادسة قال سفيان من وجد في نفسه ثلثة اشياء فليحكم  
عليه بالسعادة الهيبة للعزيز الجبار والحرمة للنبي المختار والحياء  
من الابرار والاخيار المقام الثاني الولاية وانه تعالى جعل المؤمن  
ثالث نفسه فقال انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا



قيل نزلت في عبد الله بن سلام حين شكى من عداوة اليهود  
بعد اسلامه فنزلت وقال محمد بن اسحق نزلت في عبادة بن  
الصّامت قال يا رسول الله تترأت من خلف اليهود توليت  
الله ورسوله والمسلمين عامة وفيه نكت الأولى ان يوسف  
عليه السلام قال انت ولي في الدنيا والاخرة فوجد الملك والعز  
بسبب ذلك القول الذي هو قائله وهما قال الله للمؤمن  
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا فاولى ان يرجو المؤمن  
ملك الجنة والغفر الثانية قوله انما وليكم الله ورسوله  
يعني حافظكم وناصركم الله ورسوله والمؤمنون ثم قال ام  
المرء مع من احب ثم ان كل مسلم يحب الله فوجب بحكم ذلك  
الخبر ان يكون المسلم ابداً مع حفظ الله ثم فاذا كان حفظ الله  
لا يفارقه بسبب اني احب الله فكيف يفارقه حفظ الله مع  
ان الله ثم ولي وحافظ وناصر الثالثة هذه الآية دللت  
على ان الصحابة يحبوننا لان الله تعالى جعل المؤمنين اولياء لنا  
وهو قوله والمؤمنون الذين يقيمون الصلوة ثم أكد بقوله  
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ثم امرنا بان نحب  
الصحابة بدليل قوله والسابقون الاولون من المهاجرين  
والانصار الى قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا  
فثبت بمجموع هاتين الآيتين حصول المحبة بيننا وبين الصحابة

والجيب

51  
والجيب لا يرضى بعذاب الجيب فدل ذلك على ان جمهور  
الصحابة والتابعين وسلف المؤمنين كلهم يكونون شفعاء  
في ذنوب المذنبين المقام الثالث الموالاة قوله تعالى فان الله  
هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فكم بان مولى المؤمنين  
هو الله وجبريل وصالح المؤمنين ثم اسقط شركة جبرئيل  
والمؤمنين فقال واعتصموا بالله هو مولىكم فكم المولى ونعم  
النصير وقال في حق الكافرين اوبىكم النار هي مولىكم ثم قال لبئس  
المولى ولبئس العشير فمن كان الله موليه فلا يذل ولا يخزي  
ومن كان المؤمنون مواليه فلا يضيع ولا يشقى قال عمر بن الخطاب  
يوم احد للكفار حيث قالوا لنا عزى ولا لكم عزى فقال عمر رضي  
لنا مولى ولا لكم مولى فنزل على وفق قوله ذلك بان الله مولى  
الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم الثانية ان الله تعالى سمي  
النار مولى الكفار فقال النار مولىكم وانما سمي النار مولى لهم لانها  
لا يتركهم فلما سمي نفسه مولى المؤمنين فخرجوا ان لا يترك  
اعانتهم ورعايتهم الثالثة قال بعضهم من كان مولاه ربه  
لا يغلب ومن كان ناصره ربه لا يغلب ومن كان هاديه ربه  
لا يضل ومن كان معينه ربه لا يشقى ومن كان مولاه ربه  
لا يضيع ولا يحتاج الى احد المقام الرابع الصلوات قال تعالى  
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه



وسلموا تسليما جعل المؤمنين ثالثة في الصلوات على الرسول  
وهي نكته الاولى في الجزالة لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام  
هنيؤاني هنيؤاني فقالوا هنيؤالك يا رسول الله فما حفظنا  
فنزله قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية والاشارة  
انه صلى على الرسول في الدنيا فامترك المذنبين حتى صلى ايضا  
عليهم في يوم القيامة كيف يترك المذنبين محرومين عن المغفرة  
الثانية الصلوات من الله على رسوله على ثلاثة اوجه عام وخاص  
وخاص الخاص فالعام هو قوله هو الذي يصلي عليكم والخاص  
قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم وخاص الخاص قوله ان الله  
وملائكته يصلون على النبي الثالثة في الحديث ان الله ملائكة بايهم  
قراطيس من فضة واقلام من ذهب لا يكتبون شيئا الا الصلوة  
على وعلى اهل بيته والسبب في الامر بهذه الصلوات ان روح  
الانسان الضعفة لا يستعد لقبول الانوار الالهية فاذا استحسنت  
العلاقة بين روحه وروح الانبياء عليهم السلام فالانوار  
الفايضة من عالم الغيب على ارواح الانبياء ينعكس الى ارواح  
هؤلاء المصلين بسبب الانعكاس مثال الشمس والطقس المملوء  
من الماء والسقف معلوم الرابعة جعل الله اهل بيته مساويا له  
في خمسة اشياء في المحبة قال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال  
لا اهل بيته لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى والثاني

في محريم

في محريم الصدقة حرمت الصدقة على وعلى اهل بيته والثالث  
في الطهارة قال طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن  
يخشى وقال لا اهل بيته ويظهركم تطهيرا والرابع في السلام قال  
السلام عليك ايها النبي وقال في اهل بيته سلام على الياسين  
والخامس الصلوات على الرسول وعلى اله كما في آخر تشهد المقام  
الحامس الغرة قال في الغرة ولله الغرة ولرسوله وللمؤمنين فغرة الله  
غرة الربوبية وغرة الرسول غرة النبوة وغرة المؤمنين غرة  
التلفظ بكلمة لا اله الا الله ثم كما ان غرة الله وغرة رسوله لا  
يقبلان الذل فكذا غرة المؤمنين لا يقبل الذل الثانية لله غرة  
الاشياء والتكوين قال ثم كن فيكون وللرسول غرة الدنيا حيث  
اشار الى الغرة فاشق ببركة دعائه وللمؤمنين غرة الايمان والثالثة  
ثم ان الاشياء تكونت عند قوله كن فيكون والغرة اشق عند  
دعاء الرسول فزجوان فحصل الغفران والرحمة للمؤمن عند  
كلمة الشهادة والثالثة عن المؤمن في الفيل المعرفة وصيده  
الجنة وعند الرؤية غرة في ان له ربنا كافيا وكتابا شافيا ورسولا  
وافيا اسمه اسم الله ولسانه شاهد الله ونفسه طالبة لرضا  
الله وقلبه محل نظر الله وسراجه معرفة الله وشهادته محبة  
الله وروحه نور الله وبصيرته مشافة الى رؤية الله فحقيق  
به ان يكون غره متصلا بغرة الله الرابعة لله الغرة سواء اوجد



او اعدم وللرسول الغزة سواء بلغ او سكت فكذا للمؤمن الغزة  
سواء اطاع او عصى الحامسة لله الغزة بالولاية لقوله ان ولي الله  
الذي نزل الكتاب وللرسول ايضا الغزة بالولاية لقوله ثم النبي  
اولى بالمؤمنين من انفسهم وللمؤمن ايضا الغزة لقوله ثم والمؤمنون  
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض السادسة لله الغزة بالعلق  
والعظمة لقوله ثم وهو العلي العظيم وللرسول بالرفعة لقوله ورفضنا  
ذكر للمؤمنين بالقبول والرحمة لقوله يغفر الذنوب جميعا  
السابعة لله عز المعبودية لقوله وانا ربكم فاعبدون وللرسول  
عز المتبوعة لقوله فاستعوني لعلكم تهتدون وللمؤمنين عز  
العبودية يا عبادي الذين اسرفوا الثامنة لله عز الاستغفار  
والله الغني وانتم الفقراء وللرسول عز الاغنياء ووجدك عاليا  
فانغني وللمؤمنين عز الاستغناء وان يتفرق ايقن الله كلامه سبعة  
التاسعة قال علي رضي عن الله عن ابي بكر وعمر وعثمان  
وعني بلامال وحب بالانسان فلينرج نفسه من ذل المعصية  
الى عز الطاعة العاشرة قال هارون الرشيد لمصور بن عماد  
من اعقل الناس واجهلهم واغناهم واعزهم فقال اعقلهم محسن  
خائف واجهلهم مبيي امن واغناهم القانع واعزهم الاتقياء  
المقام السادس الطاعة قال تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول  
واولي الامر منكم فنه نكثت روى في الخبر اني ملك لا ازول فاطعني

حتى اجعلك ملكا لا تزول واني حتى لا اموت فاطعني حتى اجعلك  
حيلا لا تموت فاني اذا اردت شيئا قلت له كن فيكون فاطعني حتى  
انزلك دارا اذا قلت لشيء كن فانه يكون الثانية في الخبر ما راه  
المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما راه المسلمون قبيحا فهو  
عند الله قبيح وقال لا يجمع امة على الضلالة وقال عليكم بسنة و  
سنة الخلفاء الراشدين من بعدك عصوا عليها بالتواجد وقال اقدوا  
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وكل ذلك يدل على انه كما يجب طاعة  
الله وطاعة الرسول فكذا يجب طاعة اولى الامر من المؤمنين  
الثالثة قيل بقاء الدنيا سيوف الامراء ولسان العلماء فعليك  
بطاعتها الاربع معصية الله ثم المقام السابع المسافة قال تعالى  
ومن يشاقق الرسول فان الله شديد العقاب وقال في المؤمنين  
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل  
المؤمنين النكبة الاولى ان الله ثم ثلثة بحور عظيمة يهلك  
العبد منها ان لم يكن له معصية يتمسك بها فجعل حب التوحيد سببا  
للنجاة من الكفر والخلاص من البدعة قالتم فقد استمسك بالعرف  
الوثيق وجعل القرآن سببا للنجاة عن الفتن لقوله ثم ويتبع البدعة  
لقوله واعتصموا بحبل الله وجعل الاجماع سببا للنجاة عن الفتن لقوله  
ويتبع غير سبيل المؤمنين ثم قال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا  
والثانية قالهم سبع من الهدى وفيهم الجماعة من خرج منهم



فقد خرج من الجماعة لا تشهد وعلی اهل قبلتكم بكفر ولا بترك واتركوا  
سرايرهم الى الله وصلوا علی من مات من اهل القبلة وصلوا الصلوات  
المحسنة في الجماعة خلف كل تبر وفاجر وجاهد وامع كل خليفة ولا تخرجوا  
على ائمتكم بالسيف وادعوا لهم بالصلاح ولا تدعوا عليهم وجانبوا  
الاهواء كلها فان اولها واخرها باطل الثالثة سئل واحد عن القلب  
السليم فقال هو الذي دينه بلا شك ومذهبه بلاهواء وعمله بلا رياء  
وبدنه بلا خصم المقام الثامن في الاذي ويدل عليه قوله تع  
ان الذين يؤذون رسول الله الى قوله يؤذون المؤمنين والمؤمنات  
اعلم انه تعالى نهى عن اذائه نفسه واذا رسول الله ثم أكد ذلك بقوله  
وقولوا للناس حسنا قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما  
وقال هم المؤمنون قوم بررة وهم المتحابون المتبادلون  
والمنافقون قوم فجرة وهم المتقاطعون المتدابرون وقال هم  
لعائشة رضي الله عنهما يبغض الفاحش والمتفحش وفيه نكت  
الاولى قال ثم الملائكة يستغفرون للذين امنوا ولم نقل بلغوهم  
ويؤذوه الثانية قال هم ان الله رفيق يحب الرفق الثالثة عاتب  
الله ثم نوحا حين دعا لظومه بالهلاك وقال والمؤمنون والمؤمنات  
بعضهم اولياء بعض ولم يقل بعضهم اعداء بعض وقال هم من اذنا  
مؤمننا بغير حق فكانما هدم مكة والبيت المعمور عشر مرات  
وكأنما قتل الف ملك من المقربين وقال ابن عمر اذ لعن العبد دابة

نقول

نقول الدابة لعن الله اعصانا للرببة الرابعة قال تعالى لرسوله  
فما رحمة من الله لنت لهم الى قوله فاعف عنهم واستغفر لهم  
وقال تع هذا عفوا وأمر بالعرف ونهى عن الجهر واللمز فقال ويل  
لكل همزة لمزة وقال ولا تطع كل حلاف مهين هزاز وقال تع لموسى  
وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا وقال فقل هل لك  
الى ان تركي المقام التاسع الانجاء قال تع ولم يتخذوا من دون  
الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة مدح المؤمنين على الجهاد وعلى  
الموت في ذلك بالمؤمن لان المنافقين كانوا يتولون اليهود  
واخذوهم وليجة وبطانة فغلبك ان يتولى الله ورسوله والمؤمنين  
وليجة وبطانة النكتة الاولى انه تم مدح ابراهيم ثم حيث نبأ من ابيه  
شكى عن حاطب بن ابي بكتة حيث كانت الكفار فقال لا تتخذوا  
عدوى وعدوكم اولياء وقال لا تتخذ قوما يؤمنون بالله واليوم  
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فقال ومن يتولى الله  
ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون فسمى من يتولى  
الله ورسوله حزب الله ثم قال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم  
ولا هم يحزنون النكتة الثانية قال الواسطي علامة الولي اربعة  
لا يشكوا من المصائب ولا يتخذ عمل رياء ويحتمل اذى خلفه ولا  
يكافهم ويديري عبادته على تفاوت اخلاقهم وقال الشبلي احوال  
الاولياء ثلث ترك الاختيار وترك السكوى عند الاضطراب



والافتقار الى الله الجبار المقام العاشر في الشهادة على التوحيد  
قال نعم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وفي الآية  
سؤالان السؤال الاول هو ان الله شهد لنفسه بالوحدانية ومن  
شهد لنفسه في الشاهد فان تلك الشهادة لا تقبل والجواب  
من وجوب الاول ان هذا في الظاهر شهادة وفي المعنى اقرار وقرار  
المقر على نفسه مقبول وانما قلنا ان هذا اقرار وذلك لانه  
لما ادعى الوحدانية في الالهية فقد اقر بان الخلق كلهم عبيده ورزق  
العبيد على المولى لازم فكانت في اقراره لنفسه بالخلق كلهم بالرزق  
والتربية والحفظ والنصرة الا ترى انه قال وما من دابة في الارض  
الا على الله رزقها الثاني ان الشهادة عبارة عن قول يدعي  
على شيء دلالة ظاهرة ثم ان ذلك القول لا يراد لكونه قولاً بل لكونه  
دالاً على ذلك المطلوب فلا جرم كل فعل قام مقام القول في ذلك  
التعريف كان شهادة ثم ان القول الدال لو كان دلالة قطعية  
غير محتمل كان اولى بان يكون شهادة واذا ثبت ذلك بجميع مخلوقات  
الله دالة على وحدانيته والهيبة الدالة على الوحدانية قطعاً  
فكانت اولى بان يكون شهادة فاذا شهد الله على التوحيد  
لاجل انه خلق الدلائل الدالة على الوحدانية قطعاً واما شهادة  
الملائكة واولوا العلم فعنها شهادة الاقرار والاعتراف  
فكانت شهادة الله على ذلك اقوى وانتم الثالث وهو ان كل

مسئلة لا يتوقف العلم بصدق الرسول على العلم بصحتها فانه يمكن  
اثباتها بالدلائل السمعية ومسئلة الوحدانية كذلك فلا جرم  
ذكر العلماء انه يمكن اثبات ان الله واحد بالدلائل السمعية واذا  
كان الامر كذلك كان المقصود من هذه الشهادة ان يستدل بها  
على وحدانية الله السؤال الثاني انه تعالى نهى العباد عن ان يمدحوا  
انفسهم بقوله فلا تزكوا انفسكم ثم انه مدح نفسه واشنى  
على نفسه فما السبب فيه الجواب من وجوب الاول انه لما حصل  
لواحد من انواع فضيلة فذلك من فضل الله تعالى وكرمه فالمستحق  
للتثناء هو الله تعالى وحيث اعطى تلك الفضيلة فلا جرم اقبل من الوامد  
ان يشنى على نفسه اما الحق سبحانه فانه قد حصلت له صفات الكمال  
ونفوت الجلال على وجه يمتنع ذواله وتغيره فظهر الفرق الوجه الثاني  
في الفرق ان ما فيها من الخصال المدوحة لا ينفك عن اصداها  
فان علمنا مشوب بالجهل وقد رتبنا مشوبة بالضعف وملكتنا  
بعرض الهلاك وبقائنا بعرض الفناء وحيوتنا بعرض الموت  
واما صفات الله سبحانه فانها خالية عن اصداها فانه عالم بلا جهل  
قادر بلا عجز ملكه بلا زوال وبقاؤه بلا فناء وحيوته بلا موت  
وعزيمه بلا ذل فظهر الفرق الوجه الثالث ان الله تعالى امتا نهى عبده  
عن تزكية نفسه لان العبد يقدم الدعوى على اظهار المعنى فاما  
الحق تعالى فانه كان قد اظهر المعنى قبل الدعوى لانه خلقك واعطاك



الحجة والعقل وانواع المنافع والاظهار بعد اقامة البرهان  
 على المعنى يكون مستحقنا بخلاف حال العبد فان اكثر احواله يكون  
 اظهار الدعوى متقدما على اظهار المعنى الوجه الرابع انه من اوله  
 نطفة قدرة واخره جيفة مدرة وفيما بين ذلك حال عذق  
 لا يليق به ان يمدح نفسه انما حق مدح النفس لمن هو الاول  
 والاخر والظاهر والباطن والوجه الخامس ان حب الانسان نفسه  
 غالب فاذا شرع في مدح النفس استولى حب ذلك عليه ثم ان ذلك  
 يعيه وبضمة عن التنبه لما فيه من المعايير فيصير ذلك سببا  
 لبقائه في ظلمات الخماقات والجهالات بخلاف الحق سبحانه فانه منزّه  
 عن النقائص والآفات فلا يصير مدحه لنفسه سببا للتثنية من المعاني  
 والنقصات السؤال الثالث لما شهد لنفسه بالوحدانية فأتى  
 حاجة مع حصول شهادته الى شهادة الملائكة واولوا العلم فما  
 الحكمة في انهم ذكر بعد شهادة نفسه شهادة الملائكة والمؤمنين  
 والجواب من وجوه الاول روى انه لم كان يمشي خلف جنازة  
 فقال واحد هذا الميت كان رجلا صالحا فقال اعم فقال الثاني  
 والثالث كذلك فقال اعم اسات ثلثة فلما قال الرابع مثل ذلك  
 قال اعم وجبت فقيل له يا رسول الله وما الذي وجبت رحمة  
 ومغفرة فيكرم رسول الله وذلك لان المؤمنين شهدوا الله  
 على وحدانيته فلم يقبل شهادتهم ها هنا لصارت شهادتهم في الوحدة

غير مقبولة وهو حكيم لا يفعل ذلك اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى  
 لما جعل المؤمنين شهداء او صارت شهادتهم مردودة فذلك لا  
 يليق بالحكمة فما جعلهم في هذه الوحدانية فلو اظهر ذنبهم ومعضيتهم  
 يوم القيامة صارت شهادتهم مردودة فذلك لا يليق بحكمة  
 الحكيم فلما جعلهم في هذه الالة شهداء او وحدانية دل ذلك  
 على انه تعالى لا يظهر ذنبهم وفتح عملهم يوم القيامة الاثم حقق  
 رجاءنا بكرمك وفضلك التل ان ليس المقصود من ذكر شهادة  
 الملائكة والمؤمنين توقيف هذا المطلوب على شهادتهم بل المقصود  
 فيه شهادة الله لهم بانهم يوافقون الله في كل ما وصل اليهم  
 من امر ونهي وخبر فالمقصود اظهار شرفهم في كونهم مؤلفين  
 لله في هذه الشهادة لا توقيف المطلوب على شرفهم السؤال  
 الرابع ما الحكمة في تكرير لا اله الا الله في قوله شهد الله والجواب  
 من وجوه احدها ان المقصود من التكرار التنبه على ان  
 الانسان يجب ان يكون مواظبا على ذكر هذه الكلمة في اكثر اوقات  
 عمره وثانيها انه لما حصل هذه الكلمة اول هذه الالة واخرها  
 صار ذلك تنبيها على انه يجب على العاقل ان يجعل هذه الكلمة  
 مذكورا في اول عمره وفي اخر عمره حتى يكون في الدنيا سعيدا وفي  
 الآخرة حميدا الثالث انه في ذكر هذه الشهادة تنبيه عن نفسه والفرغ  
 عن خلقه الفصل السابع في اقامة الدلائل على ان الله تعالى

كانت قبل الخلق وان الله  
 بعد خلقهم السابع انه لم



واحد لا شريك له فديتنا في هذا المطلوب يمكن اثباته بالدلائل العقلية وبالدلائل النقلية فلنذكر الكل **أما الدلائل العقلية** فمن وجوه **الاول** القول بوجود الالهين يفضي الى المحال فيكون القول به محالا وانما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا الهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه فاذا فرضنا ان احدهما حاول تحريكه والاخر حاول تسكينه فاما ان يقع المراد ان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو ايضا محال لانه المانع من وجود مراد كل واحد منهما حصول مراد الاخر ولا يمتنع وجود هذا المراد الا عند وجود مراد ذاك وبالعكس فلو امتنع معا او وجد معا وذلك محال واما ان يقع مراد احدهما دون الثاني وهو ايضا محال لوجهين **احدهما** انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الاخر بل لا بد وان استويا في القدرة استحالة ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع والا لزم ترجيح احد المتساويين على الاخر من غير مرجح وهو محال والثاني انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي يحصل مراده يكون الها قادرا والذي لا يقع مراده يكون عاجزا والعاجز لا يكون اله المخلق **فان قل** لا نسلم صحة المخالفة في الارادة ويدل عليه

وجها **الاول** انه لا بد وان يكون كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات واذا كان كذلك كان كل واحد منهما بالآتي احد الضدين يقع وايهما لا يقع وما علم الله انه لا يقع كان ممنوع الوقوع ومكان ممنوع الوقوع فان العالم بامتناعه لا يريدك واذا كان كذلك كان كل واحد منهما لا يريد الا يقع شيء واحد والثاني ان كل واحد منهما لا بد وان يكون حكما فيكون كل واحد منهما عالما بانه ايها هو الاصل وايهما ليس هو الاصل فيكونان متوافقين في ارادة ما علم انه هو الاصل وبهذا الطريق يمتنع وقوع المخالفة بينهما سلمنا انه يصح المخالفة ولكن المحال انما يلزم من وقوع المخالفة لامن جواز المخالفة فلا جرم نقول المخالفة لا يقع وان كانت ممكنة الوقوع للجواب انه لو كان العلم بان ايتهما يقع وايهما لا يقع وجب ارادة ما علم وقوعه ويمتنع ارادة ما علم عدم وقوعه لزم ان يكون الله موجبا لا فعالة لا موجد الهها على سبيل الاختيار والكلام في الوعدانية فرج على الكلام في اثبات القادر المختار **الحجة الثانية** لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات وذلك يفضي الى وقوع واحد بين قادرين مستقلين وذلك محال فالقول بوجود الالهين محال ببيان الملازمة انه اذا كان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات كان <sup>مقدور</sup>



كل واحد منهما مقدور الاخر ثم اذا اتفقا على انه لا بد من دخول  
احد تلك المقدورات في الوجود فحينئذ لا يكون وقوع ذلك المقدور  
باحدهما اولي من وقوعه بالثاني لان كل واحد منهما مستقل بايجاده  
وكل واحد منهما يريد وجوده ولا رجحان لاحدهما على الاخر في ذلك  
فيلزم وقوع المقدور الواحد بالقادرين المستقلين وانما قلنا  
ان ذلك محال لان ذلك الفعل مستغن بكل واحد منهما عن كل واحد  
منهما فيكون محتاجا اليهما معا وغنيا عنهما معا وذلك جمع بين  
التقيضين وهو محال **الحجة الثالثة** اذا قدرنا الهين فاما ان يقع  
عليهما ان يختلفا او لا يصح عليهما فان صح الاختلاف افض ذلك  
الى عجز احدهما على ما بيناه في الحجة الاولى وان لم يصح عليهما الاختلاف  
كان كل واحد منهما عاجزا عن اظهار مخالفة صاحبه فيعود الامر  
الى كون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها واعلم انك متى  
وقفت على تقدير هذه الوجوه الثلاثة عرفت ان جميع ما في العالم  
العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات هو دال على وحدانية  
الله تعالى لانه لو اراد احدهما ان يكون صيفا والاخر ان يكون شتا وصحاحا  
ومريضا وسعدا ونحسا فحينئذ يعود التقييم المذكور **الحجة**  
**الرابعة** لو فرضنا موجودين واجبه الوجود لذاته فلما لا بد  
وان يكون كل واحد منهما مشاركا للآخر في الوجود ومباينا له في  
نفسه وما به المشاركة غير ما به المباينة وكل واحد منهما مركب

عن الوجود الذي به يشارك الاخر وعن التباين الذي به يتباين الاخر  
فكل مركب فانه محتاج الى كل واحد من اجزائه واجزاؤه غيره فكل  
مركب محتاج الى غير وكل ما كان محتاجا الى غير فهو ممكن لذاته فلو وجد  
شيان كل واحد منهما واجب الوجود لذاته لكان كل واحد منهما ممكن  
الوجود لذاته وذلك محال فالقول بان واجب الوجود اكثر من واحد  
**الحجة الخامسة** لو فرضنا موجودين كل واحد منهما واجب الوجود  
لذاته فلا بد وان يتميز كل واحد منهما عن الاخر بامور والآل يحصل  
التعدد ثم نقول ما به المماثلة اما ان يكون صفة كمال او لا يكون  
فان كان صفة كمال فالحال فيهما يكون خاليا عن صفة الكمال فيكون  
ناقصا والناقص لا يكون الها وان لم يكن صفة كمال فالموصوف  
به يكون موصوفا بها لا يكون صفة كمال وما لا يكون صفة كمال كان  
صفة نقصان فالموصوف به يكون ناقصا والناقص لا يكون الها  
**الحجة السادسة** ان يقال ما به امتياز احدهما عن الاخر اما  
ان يكون معتبرا في تحقق الالهية واما ان لا يكون معتبرا فيه فان كان  
معتبرا فالحال فيهما لا يكون الها فان لم يكن معتبرا في الالهية لم يكن  
الانصاف به واجبا فيفتقر الى المنخص فالموصوف به مفتقر محتاج  
فلا يكون الها **الحجة السابعة** لو فرضنا الهين لا بد وان يكون  
كل واحد منهما بحيث يتمكن العبد من التمييز بينهما لكن الامتياز  
في عقولنا لا يحصل الا بالتباين في المكان او في الزمان او في الوقت



والامكان وكل ذلك على الاله محال فيمتنع حصول الامتياز **الحجة**  
**الثامنة** احد الالهين اما ان يكون كافيا في تدبير العالم وتخليقه  
اولا ليكون فان كان كافيا كان الثاني ضائعا غير محتاج اليه وذلك  
نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص والناقص  
لا يكون الها **الحجة التاسعة** العقل يقتضي احتياج الفعل الى الفاعل  
والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد اولي من عدد  
فيفضي ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذلك محال فالقول بوجود  
الالهين باطل **الحجة العاشرة** احد الالهين اما ان يقدر على  
تحقق نفسه بدليل يدل على التبيين او لا يقدر والاو محال لان  
ذلك اثبات الصانع ليس الاحدوث المحدثات وامكانها وليس في  
الحدوث والامكان ما يدل على تعيين احدهما والثاني ايضا باطل  
لانه يفضي الى كون كل واحد منهما عاجزا عن تعريف نفسه على التبيين  
والعاجز لا يكون الها **الحجة الحادية عشر** احد الالهين اما ان يقدر  
على ان يستر شيئا من افعاله عن الآخر او لا يقدر وان قدر لزم كونه  
المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا **الحجة الثانية عشر**  
لو قدرنا الهين لكان مجموع قدرتهما اقوى من قدرة كل واحد منهما  
والاقل من الغير متناه فقدره كل واحد منهما متناهية وكل واحد منهما  
متناهية عاجز **الحجة الثالثة عشر** العدد ناقص لاحتياجه الى الواحد  
وايضا الواحد الذي يوجد من جنسه ونوعه وغيره ايضا ناقص

لان مجموع

لان مجموع العدد ازديده منه والناقص لا يكون الها **الحجة الرابعة**  
**عشر** لو فرضنا معدوما يمكن الوجود ثم قدرنا الهين فان لم يقدر  
واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون  
الها وان قدر احدهما دون الآخر فهذا الآخر لا يكون الها وان قدرنا  
جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى  
اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما  
على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني  
قادر اعليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ  
يكون الاول قد ازال قدرة الثاني وعجزه فيكون معثورا تحت تصرفه  
فلا يكون الها فان قيل الواحد اذا اوجد مقدور بنفسه فقد زالت  
قدرته فليزكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا  
الواحد اذا اوجد وجد مقدور بنفسه فقد نفذت قدرته فيفاد  
القدرة لا يكون تعجيزا واما الشريك فانه ما نفذت قدرته البتة  
بل زالت قدرته بسبب قدرة الاول فيكون ذلك تعجيزا **الحجة الخامسة**  
**عشر** انا نعين جسما ونقول هل يقدر كل واحد منهما على خلق الحركة  
فيه بدلا عن السكون وبالعكس او لا يقدر فان لم يقدر كان عاجزا  
وان قدر فسق الدلالة المتقدمة الى ان نقول اذا خلق احدهما  
فيه حركة امتنع على الثاني خلق السكون فالاول ازال قدرة الثاني  
وجعله عاجزا فلا يكون الها **الحجة السادسة عشر** انا لو قدرنا



الهين لكان كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات فكان علم كل واحد  
 منهما متعلقا بعين معلوم الآخر فوجب تماثل علمها والذات القابلة  
 لاحد المتكئين قابلة للمثل الآخر فاختصاص هذه الذوات بهذا  
 العلم مع جواز انضمامها بذلك العلم الثاني بدلا عن هذا العالم يكون  
 امرا جازا فيستدعي اختصاصا بخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته  
 فيكون كل واحد منهما عبدا ناقضا مفتقرا الى الآله وانه محال **الحجة**  
**السابعة عشر** ان الشركة في الملك عيب في الشاهد والفردانية  
 والتوحيد بالملك والاستقلال به صفة كال ويزى الملوك يكرهون  
 الشركة في الملك الحقير المختصر اشد الكراهية ويزى انه كلما كانت  
 المملكة اعظم كانت النفرة عن الشركة اشد فاطنك يملك الله و  
 ملكوته فاذا اراد احدى الخلفاء من الملك لنفسه فان قدر عليه كان المظفر  
 فقيرا عاجزا فلا يكون الها **الحجة الثامنة عشر** اننا لو قدرنا الهين  
 لكان اما ان يحتاج كل واحد منهما الى الآخر ويستغنى كل واحد منهما  
 عن الآخر او يحتاج احدهما الى الآخر ويستغنى الاول عن الآخر فان كان  
 الاول كان كل واحد منهما محتاجا وكل محتاج ناقص والناقص لا يكون  
 الها وان كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنى عنه ناقص لا ترى  
 ان البلد ان كان له رئيس فالتناس يحصلون مصالح البلد من غير رجوع  
 منهم اليه ومن غير التفات منهم اليه عند ذلك الرئيس غاية الدقة  
 والمهانة فالاله هو المستغنى به ولا يستغنى عنه وان احتاج احد

الا الاخر من غير عكس كان المحتاج ناقضا والمستغنى هو الآله واعلم  
 ان هذه الوجوه بعضها قطعية وبعضها اقتناعية واما الدلائل الشرعية  
**الحجة الاولى** قوله تعالى والهمم اله واحد لا اله الا هو وقال تعالى  
 قل هو الله احد وقال تعالى لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد  
**الحجة الثانية** قوله تعالى هو الاول والاخر فالاول هو الفرد السابق  
 ولذلك لو قال اول عبد استقر به هو حر فلو اشترى اول العابدين  
 لم يحث لان الاول يجب ان يكون فردا وهذا ليس بفرد ثم لو اشترى  
 بعد ذلك واحدا لم يحث ايضا لان الاول يجب ان يكون سابقا  
 وذلك يقتضي ان لا يكون له شريك **الحجة الثالثة** قوله تعالى وعندك  
 مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو فالنقص يقتضي ان لا يعلم احد سواه  
 ملك الغيبات ولو كان له شريك كان عالما بالغيب وهو على خلاف  
 هذا النص **الحجة الرابعة** ان الله تعالى خرج بكلمة لا اله الا الله  
 في سبعة وثلاثين موضعا في كتابه وكل ذلك يدل على المقصود  
**الحجة الخامسة** قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه حكم بان كل ما سواه  
 وكل ما جاز عليه العدم بعد وجوده لا يكون قديما لان ما ثبت  
 قدمه امتنع عدمه وما لا يكون قديما لا يكون الها **الحجة السادسة**  
 قوله وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسك  
 بغير فهو على كل شيء قدير ولو كان له شريك لكان ذلك الشريك  
 قادرا على النفع والضرر وذلك خلاف قوله وان يمسك الله بضر



فلا كاشف له الا هو **الحجة السابعة** انه تم استدلال في كتابه على صحة  
 التوحيد بثلاثة اوجه احدها قوله تم لو كان فيها الهة الا الله  
 لفسدتا والثانية قوله تم ولعلنا بعضهم على بعض والثالثة قوله تم  
 اذا الابتغوا الى ذى العرش سبيلا واعلم انه تعالى ذكر قوله لو كان  
 فيها الهة الا الله لفسدتا قال بعده فسبحا الله رب العرش  
 عما يصفون وفيه لطايف الاولى انه تم لما اقام الدلالة القاطعة  
 على صحة التوحيد قال فسبحا الله رب العرش عما يصفون وذلك  
 تنبيه على ان **الاشتغال** بالتبجح انما ينفع بعد اقامة الدلائل على  
 كونه تم منزها وثانيها ان لم يقل فسبحا الله عما يصفون بل قال  
 فسبحا الله رب العرش عما يصفون والسبب فيه ان هذه المناظرة  
 انما وقعت مع عبدة الاوثان الا ان الدليل الذي ذكره الله لو كان  
 فيها الهة الا الله لفسدتا فيفيد الرد على كل من اثبت لله شريكا  
 ثم انه تم بعد ان ذكر هذا الدليل العام نية على نكتة خاصة لعبدة  
 الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجواد الذي لا يحس  
 ولا يعقل شريكا في الالهية بخالق العرش العظيم وموجد السموات  
 والارضين واما قوله تم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاعلم انه تم  
 على هذه الآية بما قبلها ان من اثبت لله شريكا ليست الا طلب  
 الكمية في افعال الله وذلك لان الشئوية والمجوس وهم الذين اثبتوا  
 لله شريكا عولوا في تقرير مذهبهم على ثلثة احوال وهي ان انزى

في العالم خيرا وشرا ولذة والمأ ومحنة وسقما وحيوة وموت  
 وغنى وفقرا وقد ثبت في العقول ان فاعل الخير خير وفاعل  
 الشر شرير ويستحيل ان يكون الفاعل خيرا وشرا معا فلا بد  
 من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر للشر ويرجع  
 حاصل هذه الشبهة الى ان الفاعل الحكيم لا يجوز ان يخفى بعض  
 عبده بالفقر والالم والموت فيرجع حاصل الكلام الى طلب  
 الكمية في افعال الله سبحانه الجواب الاصل لهذه الشبهة ان افعال  
 الله لا يعمل وله ان يفعل كل ما يشاء فلما كان مدار المنبئين  
 لشريك الله على طلب الكمية في افعال الله لاجرم انه سبحانه وقع  
 بعد ان ذكر الدليل الدال ذكر ما هو النكتة الاصلية في الجواب  
 عن شبهة القائلين بالشريك لان الترتيب الحسن في المناظرة  
 ان يقع الابتداء بذكر الدليل المثبت المطلوب ثم يذكر بعده  
 بما هو الجواب المعتمد عن شبهة الخصم فان قال قائل فما الدليل  
 العقلي على انه لا يسئل عما يفعل وانه لا يجوز تعليل افعاله واحكامه  
 برعاية الصالح قلنا اما اصحابنا اهل السنة قد استدلوا عليه  
 من وجوه **الحجة الاولى** انه لو كان كل شئ معللا بعللة لكانت  
 عليه تلك العلة لعللة اخرى ولزم التسلسل والدور وهما محالان  
 فلا بد في قطع التسلسلة من الانتهاء الى ما يكون غنيا عن العلة  
 واولى الاشياء بذلك ذات الله وصفاته فكما ان ذاته منزهة



عن الافتقار الى المؤثر والعلّة وصفاته مبرّاة عن الافتقار  
 والى المبدع والمختص فلذلك فاعليته وجب ان يكون مقدّم  
 عن الافتقار الى الموجب والمؤثر **الحجة الثانية** فاعليته لو كانت  
 معللة بعلّة لكانت تلك العلّة اما ان يكون واجبة او ممكنة  
 فان كانت واجبة لزّم وجوبها وجوب كونها فاعلا وحينئذ  
 يكون موجبها بالذات لا فاعلا بالاختيار وان كانت ممكنة كانت  
 تلك العلّة ايضا فعلا لله ثم فيفتقر كونها فاعلا لها الى علّة  
 اخرى ولزّم التسلسل **الحجة الرابعة** ان من فعل فعلا لغرض فاما  
 ان يكون قادرا على تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة او لا  
 يكون قادرا عليه فان كان الاول كان توسط تلك الواسطة  
 عبثا وان لم يكن قادرا عليه كان عاجزا وذلك على الله محال بخلاف  
 الواحد منا فان العجز علينا جائز فلا جرم كانت افعالنا معللة  
 بالاعراض **الحجة الخامسة** لو كان فعله فاعلا بغرض لكان  
 ذلك الغرض اما ان يكون عايدا الى الله ثم الى العباد والاول  
 محال لانه منزّه عن النفع والضرر واذ ابطال هذا فحين ان يكون  
 الغرض لا بد وان يكون عايدا الى العباد ولا غرض للعباد الا  
 حصول اللذات وعدم حصول الآلام والله قادر على تحصيلها  
 ابتداء من غير شيء من الوسائط واذ كان كذلك استحال ان يفعل  
 شيئا لاجل شيء **الحجة السادسة** لو فعل فعلا لاجل غرض لكان

وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه اما ان يكون على السوّة  
 او لا يكون فان كان على السوّة استحال ان يكون غرضا وان لم يكن  
 على السوّة لزّم كونه نافعا لذاته مستكبرا لغيره وهو محال فان قلت  
 وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه على السوّة اما بالنسبة  
 الى عباده فالوجود اولى من العدم فنقول تحصيل تلك الاولوية  
 للعبد وعدم تحصيلها له اما ان يكون بالنسبة الى الله ثم على السوّة  
 او لا على السوّة وحينئذ يعود التفسير الاول **الحجة السابعة**  
 ان الموجودات باسرها مملوكة له وهو سبحانه مالك ومن تصرف  
 في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت **الحجة الثامنة** من قال لغيره لم  
 فعلت ذلك فهذا السؤال انما يحتمل حيث بقدر السائل على  
 منع المسؤول عنه عن فعله وذلك من العبد في حق الله ثم محال  
 فانه لو فعل شيئا اى فعل شيئا فالعبد كيف يمنع عن ذلك المنع  
 بان يهذره بالعقاب والابلام وذلك على الله ثم محال او بان يهدّ  
 باستحقاق الدم والجرح في الحكمة والانصاف بالسفّه على ما نقوله  
 المعنوية وذلك ايضا محال لان استحقاق المدح والانصاف  
 بانصاف الحكمة والجلال انوار ذاتية له وما ثبت لشيء لذاته  
 يستحيل ان يتبدل لاجل تبدل الصفات الفرضية فثبت بهذه  
 الوجوه انه لا يجوز ان يقال لله ثم في افعاله لم فعلت وظهر  
 صدق قول مشايخنا ان كل شيء صنعه ولا علّة لصنعه



أما المعتزلة فاتهم سلموا انه يجوز ان يقال لله لم فعلت لكنهم تبوأ  
 الجواب عن شبهة التنوية على اصل آخر وهو انه تعالى عالم بفتح القبايح  
 وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل  
 القبيح واذا عرفنا ذلك عرفنا اجمالا ان كل ما يفعله الله فهو حكمه  
 وصواب واذا كان كذلك لم يحجز للعبد ان يقول لله لم فعلت هذا  
 فظهر بما ذكرناه على اختلاف المذهبين صدق قوله لا يسئل عما  
 يفعل واذا ظهر ذلك سقطت شبهة التنوية في اثبات الشريك  
**الفصل الثامن في الاحكام الفقهية المتفرعة على قولنا**  
**لا اله الا الله واعلم** ان الايمان لا بد له من امرين احدهما وهو  
 ان الاصل حصول المعرفة بالقلب واليه الإشارة بقوله فاعلم  
 انه لا اله الا الله وثانيها الاقرار باللسان بالتوحيد واليه الإشارة  
 بقوله قل هو الله احد وذلك لان قوله قل امر المكلف بان يقول  
 بلسان ما يدل على التوحيد ثم تأكدت هذه الدلالة بالسنة  
 الفراء أمرت ان اقاتل الناس الحديث والسبب انه لا بد من هذا  
 القول هو ان للايمان احكاما بعضها يتعلق بالباطن وبعضها  
 بالظاهر فما يتعلق بالباطن فهو احكام الآخرة وذلك متفرع  
 على العلم الذي هو باطن عن الخلق وما يتعلق بالظاهر فهو احكام  
 الدنيا وما يمكن اقامتها الا بعد معرفتنا انه مسلم ولا معرفة  
 الا بالقول باللسان فصارت المعرفة ركنا اصليا في حق الله تعالى

ولا تنكروا

ولا تنكروا المشركان حتى يؤمن وقال عدم من قال لا اله الا الله  
 مخلصا دخل الجنة وقال الشيخ ابو علي الدقاق من قالها  
 مخلصا في قالته دخل الجنة في حالته قال تعالى ولمن خاف مقام ربه  
 جنتان جنة في الوقت وهي جنة المعرفة وجنة عذاب وهي جنة  
 الآخرة اختلف المحققون فقال الاكثرون الاولى ان يكون  
 الذكر في الابتداء قول لا اله الا الله وفي الانتهاء الاختصار  
 على ذكر كلمة الله ومنهم من واظب في الابتداء والانتهاء على ذكر  
 لا اله الا الله وحجة هؤلاء ان عالم القلب مشحون بغير الله  
 فلا بد من كلمة النفي لنفي الاغيار فاذا صار خاليا فحينئذ  
 يوضع سرير التوحيد ويجلس عليه سلطان المعرفة واما  
 الذين اكتفوا في النهايات بكلمة الله فلهم فيه وجوه **الحجة**  
**الاولى** ان نفي العيب عن استحيل العيب عيب **الحجة الثانية**  
 ان من قال لا اله الا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي لا يجد من  
 المهله ما يصل فيه الى الاثبات فحينئذ يبقى في النفي غير منتقل  
 الى الاثبات وفي الجحود غير منتقل الى الاقرار **الحجة الثالثة**  
 ان المواظبة على هذه الكلمة مشقة لتعظيم الحق بنفي الاغيار  
 الا ان نفي الاغيار من باب الاستغفال بالاغيار والاستغفال  
 بنفي الاغيار يرجع في الحقيقة الى شغل القلب بالاغيار  
 وذلك يمتنع من الاستغراق في نور التوحيد فمن قال



لا اله الا الله فهو مستغل بغير الحق ومن قال الله فهو مستغل بالحق  
 فاين احد المقامين عن الاخر **الحجة الرابعة** ان نبي الله انما يحتاج  
 اليه عند خطرات ذلك الشيء بالبال وخطور شريك الله بالبال  
 لا يكون الا عند نقصان الحالة فاما الكاملون الذين لا يخطر بالهم  
 وجود الشريك امتنع ان يكلفوا بنفي الشريك بل هو لا يخطر  
 ببالهم ولا يخطر في خيالهم الا ذكر الله فلا جرم ان يكفهم ان  
 يقولوا الله **الحجة الخامسة** قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم  
 يلعبون فامر بذكر الله ومنعه من الخوض معهم في اباطيلهم  
 ولعبهم والقول بالشريك من الاباطيل ففيه خوض في ذكر الكلام  
 وكان الاولى الاقتصاد على قولنا الله فهذا ما في هذا المقام  
 وههنا انواع من التفرعات احديها ان يقول الهنا ان موسى  
 سأل اجل الاشياء فقال رب ارنى انظر اليك وسأل اقل  
 الاشياء فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير ففحن ايضا  
 نسالك اجل الاشياء وهو خيرات الآخرة واقلها وهو خيرات  
 الدنيا فنقول اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة الهنا  
 يحكى ان رجلا باع جارية ثم نذر واستحي ان يظهر هذه الحالة  
 للمشتري ولسائر الناس فكتب في كفة حاجته ورفعها الى  
 السماء ولم يقل بلبث شيئا فرأى المشتري في المنام ان فلانا  
 من اوليائى وقلبه مشتغل هذه الجارية فردها عليه واجرك

على فلما اصبح الرجل حمل الجارية اليه وردها عليه فاراد البايع  
 ان يرد الثمن الذهب فقال المشتري ان لهذا الثمن صنما  
 هو خير منك الهنا ان كان ذلك البايع ندم على بيع تلك الجارية  
 ففحن ندمنا على بيع اخرتنا بالدنيا وان كان ذلك البايع قد استحي  
 من العود ففحن من كثرة ذنوبنا نستحي منك وان كان ذلك البايع  
 قد كتب على كفة سباق حاجته ورفعها الى السماء فجميع اعضائنا  
 مكتوب عليه احتياجا الى رحمتك وذلنا بين يديك فهنا لما  
 ضمت دين المشتري فاقبل ديننا واسقط عنا سبغات اعمالنا  
 وافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله يا من لا يشغل  
 شان عن شان الهنا يروى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان له  
 مؤذنا وكانت له جارية فقالت الجارية يا مولاي كان المؤذن  
 يقول ولى احبك فقال رضي فقول لي ايضا وانا احبك فماذا  
 فلما قالت الجارية ذلك فقال المؤذن فنصبر الى ان يحكم الله  
 بيننا فحك ذلك لعلي رضي فسكت ولم ير المؤذن نفسه اهلا  
 للطلب ففحن نسلمها اليه فدعاه وزوجها منه الهنا المؤذن  
 لما استحق نفسه ولم ير نفسه اهلا لذلك الطلب اكرمه  
 علي رضي بها فانت العلى الاعلى وانت اكرم الاكرمين وارحم  
 الراحمين ففحن لا نرى انفسنا اهلا للطلب رحمتك لحقارة انفسنا  
 في اعيننا فلا نحر منافع رحمتك وانا وجودك يا من لا يبرمه



الحاج الملقب وصلى الله على محمد وآله اجمعين يروي ان الصديق  
كان يخاف في صلوة بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة وكان عمره  
يجهر في صلوة بالليل فسأل رسول الله ص ابا بكر عن فعله فقال  
من اتاجيه يسمع كلامي فسأل عمر رض فقال اوقف الوسمان  
واطرده الشيطان وارضى الرحمن فامر رسول الله ص ابا بكر حتى  
يرفع الصوت قليلا وامر عمر حتى يخفضه قليلا الهنا الايمان  
فينا كالرسول والقلب مثل ابي بكر واللسان مثل عمر والقلب  
يخاف بالذكر كابي بكر واللسان يظهر الذكر مثل عمر والايمان  
يامر القلب بالزيادة في الفكر ويامر اللسان باخفاء الذكر فوفقنا  
لما نحب وترضى بفضلك وكرمك يا اكرم الاكرمين **فصل**  
ومن العارفين من اختار السكون عن الكل في النهاية قالهم  
من عرف الله كل لسان و يروي ان الجنيد رحمه الله كان في الكلام  
فرعق الشبلي رح وقال الجنيد الغيبة حرام ومعناه انك ان كنت  
غائبا فذكر الغائب غيبة وان كنت حاضر فذكر الاسم في الحضر  
سواء ادب وتمام التحقيق في هذا الباب سيأتي **فصل** وروي  
الامام محمد بن الحكم الترمذي عن معاذ بن جبل رض قال قال  
رسول الله ص ما من نفس تموت فشهد ان لا اله الا الله والي  
رسول الله يرجع ذلك الى قلب موقن الاغفر الله له قال  
الشيخ فهذه شهادة شهدتها عند الموت وقد مات منه الشهود

اللائت نفسه المتمرقة من هول الموت ذهب حرمه والقي نفسه  
بين يدي قدرة رب العالمين فاستوى بينه الظاهر والباطن  
فلقي الله مخلصا بنلك فغفر الله له بنلك الشهادة الصادقة التي وافق  
ظاهرها وباطنها اما الذي يقوله ايام الصحة فنقول مع الخليل  
لانه يشهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات ونفسه  
اشترط بطرقة فلا يستوجب بذلك القول المغفرة فهذا هو التعلق  
بين الذكر الشهادة حال الصحة وذكرها في اخر الزمان الحياة  
وتمام القول فيه ان الانسان الذي يكون قلبه مفتونا بدنيته  
ومأسورا في الشهوات سكران عن الاخرة حيران عن الله تعالى  
لم يحصل فيه اليقين البتة لان قلبه مملوء بالميل الى غير الله فلا يحصل  
فالميل الى الله اما اذا حصل في القلب اليقين قاله كان الامر  
بخلاف ذلك وذلك لان اليقين سمي يقينا لاستقراره في القلب  
وهو النور يقال يقن الماء في الحفرة اذا استقر فاذا استقر النور  
دام واذا دام صارت النفس ذات بصيرة فاطمئن القلب بحلاله  
الله ثم انقطع عن غير الله فوقف هناك عاجزا فاستغاث  
بالله صار خاضعا مضطرا فاجابه الحق فانه يجب دعوة المضطرين  
فيصدق ذلك النور المتلألئ في القلب فيتعلق به ظلمات الاشغال  
بغير الله فيصير امر الملكوت مشاهدا له وهو قول حارثه لرسول  
الله ص حيث قال كاني انظر الى عرش ربي بارزا فقال رسول الله ص



عنده نور الله الايمان في قلبه وقد جاء في الاخبار ان ادرين  
وموسى ومحمد عليهم السلام كل واحد منهم كان في زمانه مواظبا  
على هذا الدعاء يا نور كل شئ وهذه انت الذى فلق الظلمات  
بنوره ومما تحقق ما قلنا قوله صر من قال لا اله الا الله وحده  
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ  
قدير مخلصا بها روحه مصداقا بها قلبه ولسانه فتقت  
له السموات فتقاضي ينظر الرب تعالى الى قائلها من اهل الدنيا  
وعن زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خلص  
دخل الجنة قيل يا رسول الله وما الاخلاص قال ان يحجز عن  
المحارم وقال دم اخلص بكفك القليل وعن زيد بن ارقم  
رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عهد الى ان لا ياتى احد  
من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها شيئا الا وجبت له الجنة  
قالوا يا رسول الله وما الذى يخلط بها قال حرص على الدنيا  
وجمعها ومنعها يقول بقوله الانبياء ويعمل عمل الجبابرة  
فالحاصل انه لا بد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة حتى  
يكون نافعة ولا يحصل اليقين بها الا بموت الشهوات ولا يحصل  
موت الشهوات الا باحد الطريقين احدهما ان يروض نفسه  
حتى يموت شهواته حال حيوته والثاني انه ان مات شهواته  
عند وفاته وعظم رجاءه وخيفه عن ربه وانقطع نظره بالكلمة

اصفارا

اصفارا فاذا نطق بهذه الكلمة في تلك الحالة استوجب  
المغفرة فلهذا السبب استحب السلف ان يلقنوا المحضر هذه  
الكلمة قالوا لم لقنوا موتاكم فالانسان عند القرب من الموت  
فبينت شهواته فحصل له نور اليقين فصارت هذه الكلمة  
مقبولة منه واما الهوى وهو الذى يروض نفسه فقد فتح  
دورته الى الغيب فركبت احوال سلطان الحلال فنطق بها  
القلب الصافي فهو بالمغفرة اولى عن عبد الله بن جعفر عن  
ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقنوا موتاكم لا اله الا الله  
الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم  
الحمد لله رب العالمين قالوا يا رسول الله فكيف هي للحي قال  
هي اجود واجود وكان اهل البيت يسمون هذه الكلمات  
الفرج فيتكلمون بها في التوابع والشايد فيجيبهم الفرج وفيه  
زيادة كلمة لا اله الا الله العلي العظيم وعن مكحول ان كلمات  
الفرج لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله الحليم الكريم  
رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين  
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اعلمك كلمات  
اذا قلتموها غفرت لك ذنوبك وان كان هن مثل عدد الذر  
لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان  
الله رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين



**فصل** يروى أنه كان صفان متقابلان من المسلمين والكفار  
والكفار كانوا من النصارى فقال الكافرون لمن يقابل المسلمين  
عن الواحد وقال النصراني بل أنا قائل عن ثالث ثلثة فلما تقابلا  
صرع المسلم الكافر وجلس على صدره فقال نصراني الواحد **صنعك**  
الثلثة قال جعفر بن محمد الصادق رضي عجب لمن تمنى باربع  
كيف يفعل عن اربع عجب لمن اعجب بامر كيف لا يقول لها شاء  
الله لا قوة الا بالله وعجب لمن خاف قوما كيف لا يقول حسبى الله  
ونعم الوكيل والله تعالى يقول الذين قال لهم الناس ان الناس  
قد جمعوكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله  
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الى مآلهم ثم  
سود وعجب لمن مكى به كيف لا يقول وافوض امرى الى الله  
ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقيه الله سنات  
ما مكروا وعجب لمن اصابه غم او كرب لا يقول لا اله الا انت  
سبحانك انى كنت من الظالمين الى قوله فنجيهاه من الغم وقال  
سفين بن عيينه انه تعالى لما قال وكذلك نجى المؤمنين فقد وعد  
كل مؤمن يقول لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين  
ان ينجيه من الغم كل غم ومن المعلوم بالضرورة ان الله لا  
يخلف الميعات **فصل** اعلم انه تعالى ذكر كلمة لا اله الا الله في  
القران في سبع وثلاثين موضعا اثنان في البقرة الاول والحكم

اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم **ب** الله لا اله الا هو  
الحق القيوم واربعه في عمران **ج** الم الله لا اله الا هو الحق القيوم  
**د** هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز  
الحكيم **هـ** شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما  
بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وواحد في سورة النساء **و**  
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن  
اصدق من الله حديثا والثاني في الانعام **ز** ذلكم الله ربكم  
لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل **ح**  
اتبع ما يوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين  
وواحد في الاعراف **ط** قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم  
جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت  
فامنوا بالله ورسوله واتيان في براءة **ي** اخذوا اخبارهم  
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا  
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون **يا** فان  
تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش  
العظيم وواحد في يونس **يب** وحام وزنا بنى اسرائيل البحر  
فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الفرق  
قال امننت انه لا اله الا الذى امننت به بنو اسرائيل وانا من  
المسلمين وواحد في هود **يج** فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما



انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون وواحد في الرعد  
**يد** قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وواحد  
 في النحل **يه** ان ائذروا الله لا اله الا انا فاتقون وثلاثة في  
 طه **يو** الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى **يز** اننى انا الله لا اله  
 الا انا فاعبدني **حج** انما الحكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل  
 شئ علما واثنان في الانبياء **يط** الا يوحى اليه انه لا اله الا انا  
 فاعبدون **ك** وذ النون اذ ذهب مغاطبا الاية وواحد  
 في المؤمنين **كا** فتعالى الله الملك الحق الاية واثنان في  
 القصص **كب** وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى  
 والاخرة **كج** ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو وواحد  
 في الفاطر **كد** لا اله الا هو فاني تو فكون وواحد في الصافات  
**كه** لا اله الا الله يستكبرون وواحد في الزمر **كو** لا اله  
 الا هو فاني تفرعون وثلاثة في المؤمن **كز** لا اله الا هو  
 اليه المصير **كح** ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو فاني  
 تو فكون **كت** هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له  
 الدين وواحد في الدخان **ل** لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم  
 ورب ابائكم الاولين وفي سورة محمد **م** واحد **لا** فاعلم انه  
 لا اله الا الله واستغفر لذنبك وفي الحشر اثنان **لب** هو الله  
 الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم

**لج** هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن  
 وفي سورة النباين واحد **لد** الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل  
 المؤمنون وفي المزمل واحد **له** رب المشرق والمغرب لا اله  
 الا هو فاتخذوه وكيفا فهذا مجموع سبعة وثلاثين من كلمات  
 لا اله الا الله وردت في القرآن العظيم ربنا انما من لدنك  
 وهيت لنا من امر بادشدا **فصل** في ان عقول الخلق قاصرة  
 عن معرفة الله ثم اتفق مشايخ الطريقة راجع على هذا نقل استاد  
 ابو القاسم القشيري في كتاب الرسالة في باب التوحيد عن يوسف  
 بن الحسين انه قال سمعت ذ النون المصري وقد سئل عن التوحيد  
 فقال ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا مزاج وصنعة الاشياء  
 بلا علاج وعلة كل شئ صنعة ولا علة لصنعة ومما تصور  
 في نفسك شئ فانه تعالى بخلافه ولم يتمكن العقل واقول لما كان  
 كل ما تصوره النفس فانه بخلافه ولم يتمكن العقل والنفس  
 من الاشارة الى حقيقة معلومه بان حقيقة الاله هي هذه  
 الحقيقة وقال ايضا اعرف الناس بالله اشتد هم تحيرا فيه  
 وعن سهل بن عبد الله انه سئل عن ذات الله فقال ذات الله  
 موصوفة بالعلم عن مدركه بالاحاطة وقد حجب الخلق عن  
 معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته والقلوب تعرفه والعقول  
 لا تدركه ينظر اليه المؤمنون بالابصار من غير احاطة ولا ادراك



نهاية وروى عنه ايضا انه قال غاية المعرفة الدهشة والحمق  
وقال يوسف بن الحسين من وقع في حمار التوحيد لا يزداد  
علمه الا ايام الاظمانا ووقف رجل على الحسين بن منصور  
فقال من الحق الذي يشيرون فقال يفعل الايام ولا يعقل  
وقيل للشبلي اخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال  
من اشار اليه فهو شوقي ومن كيفه فهو وثني ومن نطق فيه  
فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن وهما انه واصل فليس  
حاصل ومن ظن انه قريب فهو بعيد ومن توهم انه واحد  
فهو فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم في  
انتم معاشكم فهو معروف مردود اليكم محدث مصنوع مثلكم  
وقال الشبلي ايضا ما شتم رواج التوحيد من تصور عنه التوحيد  
قال ابن عطاء العقل خلق المعة للعبودية لا للاشراف على الربوبية  
وقال غيره العقل يحول حول الكون فاذا نظر الى المكيون ذاب  
واعلم ان من الناس من احيى في هذه المسئلة بايات منها  
قوله تعالى وما قدر الله حق قدره قال اهل التفسير اى ما  
عرفوه حق معرفته من قدر الثوب اذا اخذه واراد معرفة مقداره  
واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لانه هذه الآية وردت في كتاب  
الله تعالى في ثلثة مواضع اولها في سورة الانعام قال تعالى وما قدر الله  
الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فهؤلاء الذين

قالوا

قالوا ما انزل الله على بشر من شيء كانوا منكروين لكل النبوات  
ومن كان كذلك كان فرا فقوله وما قدر الله حق قدره كان  
عايدا الى هؤلاء وثانيها قال في سورة الحج يا ايها الناس ضرب  
مثل الى قوله ما قدر الله ولما كان الكلام الاول مع عبدة الاول  
كان هذا الكلام عايدا اليهم وثالثها قوله تعالى في سورة الزمر  
قل افغير الله تأمروني اعبد الى قوله بل الله فاعبد وكن من  
الشاكرين ثم قال بعد هذا وما قدر الله حق قدره فيكون  
هذا الكلام عايدا الى الذين اشار اليهم قبل هذه الكلمة لقوله  
افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون واذا ثبت هذا فنقول  
فقوله وما قدر الله حق قدره عايد في الآية الاولى  
الى من انكر نبوة الانبياء ثم وفي الآية الثانية والثالثة  
الى عبدة الاوثان فهذه الآية في المواضع الثلاثة عايدة  
الى الكفار ولا يلزم من وصف الكفار بهذا الوصف كون المؤمنين  
موصوفين بهذا الوصف فهذا سؤال الحسن بل لمن يدعى  
كال المعرفة ان يتمكن بهذه الآية لاية تعالى ما جعل قوله  
وما قدر الله حق قدره عيبا على الكفار وطعنا فيهم وجب  
ان يكون حال المؤمن بخلاف ذلك ومما اشتهر التمسك به في  
هذه المسئلة قوله تعالى في سورة طه يعلم ما بين ايديهم وما  
خلفهم ولا يحيطون به علما واجيب عنه بان قيل لم لا يجوز



ان يكون المراد من الآية انه تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لما بين ايديهم وما خلفهم فالخير في قوله تعالى به غير عايد الى الله بل الى ما بين ايديهم وما خلفهم لان عود الخير الى اقرب المذكورين هو الاولى واعلم ان العمل في المسئلة ان الله تعالى غير متناه في الذات والصفات والعقل متناه في الذات وفي الصفات والمتناهي لا سبيل له الى ادراك غير المتناهي فهذا هو النكتة ونحن نشرحها ليظهر قوتها فنقول العقل عاجز عن معرفة كونه تعالى قديما ازليا وذلك لان كل ما يستخضع للعقل احتضارا على سبيل التفصيل من مقادير الازمنة فذاك متناه مثلا نفرض قبل هذا الوقت الف الف سنة ونفرض مجب كل لحظة من هذه المدة الف الف مرة سنة وهكذا الى اقصى ما يقدر الوهم والخيال على احتضاره ثم اذا تأمل العقل عرف ان كل ذلك متناه له اول وهو تعالى انما كان قديما ازليا لانه كان موجودا قبل هذه المدة التي احاط العقل والخيال بها فثبت ان كل مقدار يصل العقل والخيال اليه فلحق سبحانه ليس قديما باعتبار انه كان موجودا في ذلك الوقت بل باعتبار انه كان موجودا فيها ورا ذلك الوقت فاذا لا سبيل للعقل البتة الى معرفة القدم والازلية واذا عرفت هذا في كونه تعالى قديما ازليا فاعرف مثله في كونه

دائما ابديا فاذا العقل ليس له البتة سبيل الى معرفة كونه ازليا ولا الى معرفة كونه ابديا دائما على سبيل التفصيل فان كل ما يشير العقل اليه فارضية وابدئية خارجا عن ذلك المتصور وايضا اذا قلنا انه موجود ليس بجوهر ولا عرض ولا حال ولا محل فيقتضي معرفة ذات الحق لانا اردنا بقولنا موجودا ما ينافي المعدوم وهذا المفهوم المناقض للعدم امر يصدق على جميع الموجودات وحقيقة الحق لا يوجد في شئ سواه فالعلم بانه موجود ليس علما بحقيقة الخصوصية واما العلم بانه ليس بجوهر ولا عرض فهذا علم بعدم هذه الاشياء وليس علما بحقيقة لان حقيقة ثابتة محققة والسلب لا يكون نفس الثبوت فيمتنع ان يكون حقيقة هي نفس انما ليست بجوهر ولا عرض فثبت بجموع ما ذكرنا انه لا سبيل للعقول الى معرفة حقيقة ومما تحقق ما ذكرناه ان العقلاء اتفقوا على ان كل صفة شاهدها الحس وادركها العقل في المكونات فلو وصف الحق بها صار جاهلا فاذا لا طريق له في معرفة الحق الا بنفي ما عداه ولهذا اتفقوا على ان احسن كلمة قيل في التوحيد ما قلده علي بن ابي طالب هي ان المعرفة ان تعرف ان كل ما تصور في ذهنك فانه بخلافه ثم قال المحققون لما كان كل ما تصور في وهمك فالله بخلافه فلو تصور في ذهنك من ذلك الخلاف شئ فالله ايضا بخلافه

فهذا ليس



ثم لو تصور في هذه المرتبة الثانية امر اخر لزمه نفيه فلم يبق  
للعقل في طريق معرفة الحق الا ان ينفي كل ما وقع في خاطره  
ثم اذا وقع من هذا النفي في شيء ذهنه اشتغل بنفيه ايضا  
وهكذا في نفي الثالث وفي الرابع الى غير النهاية فلو بقي العبد  
ابدا لا يباد ودهر الذاهرين كان مشغولا بنفي شغل القلب  
عن هذه الواردات وازالة هذه التصورات واذ كان الامر كذلك  
بقي الحق سبحانه منزها عن لولحق فكره واشارات عقله وعلايق  
صغره وفكره وذكره **الحجة الثانية** وهي ان الانسان عاجز عن معرفة  
نفسه فانه ان قيل ان نفسه هو هذا الهيكل المشاهد فباطل  
من وجهين الاول ان الانسان قد يعرف ذاته حال ما يكون  
عائلا عن جميع اعضائه الظاهرة والباطنة والمعلوم مغاير لما  
ليس بالمعلوم والثاني ان ذاته من اولهم الى اخر عمره شيء واحد  
واجزاء بدنه غير باقية والباقي مغاير لغير الباقي فثبت انه ليس  
عبارة عن هذا الهيكل المحسوس ثم بعد هذا يجمل ان يقال  
انه جسم في داخل هذا الهيكل اما في القلب فقط او في الدماغ  
فقط او يكون ساريا في كل البدن ثم ذلك الجسم أهو من  
جنس الاجسام التي تولد البدن عنها او هو جسم مخالف لطرف  
الاجسام في الماهية والحقيقة ويجمل ايضا ان يقال انه  
ليس بمختار ولا حال في المختار بل هو مدبر لهذا البدن على ما يقول

الفلاسفة واعلم ان هذه الاحتمالات بقيت من الزمان الاقدم  
الى الآن وبعد ما زالت الشكوك والشبهات ولا شك  
ان معرف المعارف في الشيء المشار اليه بقولي انا فاذا كان حالي  
في معرفة اظهر الاشياء كذلك فكيف يكون حالي في معرفة ابعد  
الاشياء مناسبة في علايق العقول وروابط الخيالات  
وتحقيق الكلام فيه ان العقل كالسمع ولا شك ان كل مكان  
اقرب الى السمع كان ضوءه اكثر مما بعد عنه وقرب الاشياء  
الى الشيء نفسه فاذا كان نور العقل في الضعف الى حيث لم يصر  
ذاته مضيا محضه للجلال مع انه بعد عنه بغير نهاية كيف  
يصير مضيا به ولهذا قال السامي الشاعر بالفارسية •  
اي شده در شناس خود عاجز • كي شناسي خداي را هرگز •  
چون تو در علم خود زبون باشي • عارف كرد كار چون باشي •  
واعلم انه كما وقعت الشبهات المذكورة في معرفة النفس فقد  
وقعت ايضا في معرفة حقيقة الزمان وحقيقة المكان وتخير  
الحق في ان القوة الباصرة كيف تبصر بخروج الشعاع او بمحو  
الشعاع في العين او بحالة مغايرة لخروج الشعاع وحصو له الشعاع  
وكذا القول في البحث عن القوة السامعة والذائعة وتخيروا  
ايضا في البحث عن كيفية التخيلات فان هذه الصور المتخيلة  
ان لم يكن لها وجود اصلا فكيف حصل فيها التميز والتعيين



وان كان لها وجود فهي قائمة بانفسها او محلها شيء مجرد او محلها  
 جسم والكل محال متمنع ولمكانت معرفة الخلق بهذه الامور  
 الظاهرة الخلية بلغت في الصعوبة الى هذا الحد فما ظنك بمعرفة  
 من يقدر من عن مناسبات العقول والافكار وتنزه عن مشابها  
 الخيالات والانظار **الحجة الثالثة** قد ثبت في العلوم الحقيقية  
 انه سبحانه هو النور المطلق وهو نور الانوار وكان من وضع  
 السراج في مقابلة الشمس انطفي ولم يظهر اليه اثر فكذا اذا وقع  
 صنوه العقل في مقابلة نور جلال الله فيضي واضمحلت وتلاشي ولذلك  
 قال بان العقل يدور على المكونات فاذا وصل الى حضرة مكون  
 الاكوان ذابت واعلم ان القطرة اذا وقعت في البحر اضمحلت  
 والشعلة اذا وقعت في مقابلة الشمس فنت وبطلت ونسبة  
 القطرة الى البحر والشعلة الى الشمس اعظم من نسبة نور العقل  
 الى نور الجلال بل لانسبة لاصد البابين الى الاخر لان القطرة متناهية  
 والبحر متناه وللمتناهي الى المتناهي نسبة وكذلك الشعلة في الشمس  
 اما نور العقل فهو في غاية الغلة والقصور ونور الجلال في  
 غاية العظمة والعلو فلما اضمحلت القطرة في البحر والشعلة في  
 الشمس فكيف يعقل بقاء صنوه العقل في حضور نور جلال الله  
 وشروق اعلام كبريائه **الحجة الرابعة** ان نسبة نور العقل  
 الى منبع اعطر الانوار الروحانية كنسبة نور البصر الى منبع الانوار

الجسمانية وكما ان الشمس اظهر الاشياء من وجه واخفاها  
 من وجه اخر فكذلك منبع الانوار الروحانية بالنسبة الى عين  
 البصر يكون اظهر الاشياء من وجه واخفاها من وجه اخر **الحجة**  
**الخامسة** العقل اضعف من العاقل لان العقل صفة العاقل  
 والعاقل موصوف والصفة اضعف من الموصوف فاذا عجز العاقل  
 عن المعرفة فلا يعجز العقل مع غاية ضعفه كان اولى **الحجة**  
**السادسة** من امكنه ادراك شيء بتمامه وكما له قدرة توجب  
 ما عليه وقدرة الحد من وجه بالعجز متناهية والحق سبحانه  
 واجب الوجود غالب لا يغلب وقاهر لا يقهر فالحدوث الموصوف  
 بالقصور والتناهي كيف يمكنه معرفة القديم الذي لا نهائية  
**الحجة السابعة** العقل لا يتصرف الا في ما يكون في مكان او زمان  
 لان كل ما دركه فانه يدرك اما في الماضي او في المستقبل او في  
 الحال وكل ذلك بحسب الزمان وكل ما يتصوره فانه انما يتصوره  
 اما هنا او هناك وكل ذلك بحسب المكان واذا قلنا الحق  
 بخلاف هذه الاشياء فهو وفك في هذه المعرفة ليس الا في معرفة  
 وتصورة فالخاصل فيه نفي عن الحق ونفي عن الحق لا يكون عين  
 وجدان الحق **الحجة الثامنة** اشتهر في اقوال الخلق قولهم  
 انما يعرف ذا الفضل من الناس ذؤوه فلما لم يكن الانسان اعلم  
 من غيره لا يمكنه ان يعرف مقداره الا ترى ان الناس يقولون



لا يقدر على التمييز بين فلان وفلان الا من كان اعلم منهما لانه  
لا بد وان يعرف مقدار معلومات هذا ومقدار معلومات ذلك  
او مقدار ما به ازداد احدهما على الاخر وانتقص منه وهذا  
لا يتيسر الا لمن كان اعلم من كل واحد منهما فاذا كان لا يتيسر  
للتافهين ان يحيط بمن هو اكمل منه في العرف وفي الشاهد فكيف  
يتيسر للعقول الناقصة الاحاطة بحلال من جلاله غير متناه  
**الحجة التاسعة** العقل كالانثى والفكر كالذكر فاذا حصل الازدواج  
بينهما تولدت المعرفة ولا شك ان الولد يكون على قدر قوة الابوين  
والعقل ناقص فكيف وهو عاجز عن معرفة نفسه والفكر ناقص  
وكيف ولا يمكنه ان يصون نفسه عن النظر واذا كان الابوان  
في غاية النقصا كيف يعقل ان يكون الولد في غاية الكمال فامنع  
تولد مثل هذه المعرفة على غاية شرفها من هذين الابوين  
**الحجة العاشرة** اذا ادرك العقل وقف عند مدركه وانتهى  
اليه وكل مدرك هذا شأنه فهو متناه والحق لا نهاية له وهذا  
يوجب ان ذلك المدرك ليس هو الحق بل كان شيئا غير الحق  
**الحجة الحادية عشر** قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين  
من اصابع الرحمن وهذا عبارة عن كونه محدودا ومقصورا  
مغلوبا متناهيا وما كان كذلك امتنع ان يكون له احاطة  
بما لا نهاية له ومن النكت في هذا الباب وجوه **الاول**

اخبر الله عن ضعف البشر وان يسلمهم الذباب شيئا لا  
يستقدرون منه ضعف الطالب والمطلوب فمن بلغ عجزه الى  
حيث لا يقوى عن مقاومة الذباب كيف يمكنه الوصول الى كنه  
صمدية رب الارباب الثانية قالوا الرجل في مفارقة عظيمة واشتد  
الحرق ولم يكن هناك ماء اصلا والبيت اشتد عطشه وغلب خوف  
الفقدان فالى اى جهة نظر ظنه ما وراه سرا با فاذا وصل اليه لم  
يجده عند شيئا كما قال تعالى حتى اذا جاءه لم يجد شيئا فكذا العقل  
البشرية والارواح الانسانية وقعت في بيداء كبرياء الله وعظمة  
الانوار وتعاكست الاشعة وغلبت حرارات الاشتياق الى  
الوصول الى حضرة الله سبحانه فكما نظر الى جانب ظنه ماء فالمعطلة  
الشوية تنظر الى جانب الباردة فظنوا ان الماء هناك والمشيئة تنظر الى  
الانبات وظنوا ان ماء العرفان هناك وكذلك الجبر والقدر  
والرفض والخوارج ثم ان كل واحد توجه الى مقصده وسار  
الى مطلبه فوصلوا الى مطالبهم يوم القيمة فلم يجدوا هناك  
من هذا الحديث شيئا كما قال تعالى وقد منّا الى ما عملوا من عمل فنجعلنا  
هباء منثورا الاية ثم الاقوياء لما عرفوا عظمة المفارقة وعجز البشرية  
وحيرة العقل فروا عن انفسهم واستغاثوا بارشاده وهدايته  
فقال الخليل ع رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وقال  
يوسف الصديق عم توفني مسلما والحقني بالصالحين



وقال يوسف الصديق وم توفني مسلما ويسر لي امري واحلل عقدة  
من لسنا بفقهوا قولي وقال سليمان وم وادخلني برحمتك في عبادك  
الصالحين وقال عيسى م ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي  
ولا اعلم ما في نفسك وقال الحبيب وم اربنا الاشياء كما هي الثالثة  
الصبي ينظر في المرأة فيرى فيها صورة فيشتاق الى ان يقرب من تلك  
الصورة فيقرب من الصورة فيرى تلك الصورة ايضا يقرب منه  
فاذا راي قرب الصورة منه حال قربه منها شتد طمعه في اخذها  
فيمديده اليها لياخذها فاذا مديده راي حجابا من الحديد وراى  
الصورة مخفية بحجب الغرة وسرا دقات القدره فهكذا القوة  
العقلية تنظر في مرآة من عرف نفسه فيلوح له تجلي انوار عرف  
ربه فكلما كان نظر القيل الى هذه المرأة اشده كان ذلك التجلي  
اعظم فيشتاق العقل الى الوصول الى كنه الصمدية فيمديده بالطلب  
فيرى بين نفسه وبين المطلوب سدا في الازلية والقدم والشفاء  
فيبقى وراء هذا السد عاجزا مسكينا وسبب مديده التعرف  
ويزيل ذلك التجلي محتجبا بسرا دقات الكبرياء والعظمة والجبروت  
**الرابعة** كان سوارى يحمل حملا من القوارير وكان يذهب  
به لاجل التجارة الى بلد فلما وصل الى باب البلد وضع ذلك  
الحمل ثم قال انى اذا دخلت هذه البلدة ابعد هذه القوارير  
واشترى بانمازها الغنم يحصل من نتائجها واولادها

مال عظم اشترى بها الخيل والجمال والبغال ثم يحصل من نتائجها  
مال عظم اشترى بها الات المملكة فاذا حصل الملك انزوح  
بابنة الملك الفلاني ويحصل لي منها اولاد ثم احضر الادباء  
والعلماء لتأديبهم وتعليمهم ففى اثناء ذلك ضرب يده ساهيا على الحمل  
فسقط الحمل وانكسر الكل وهذا مثال لاكثر توهمات الخلق فان  
كل احد يظن ان مامعه من العلوم والاعمال يكون وسيلة له  
الى وجدان ملك الجنة والوصول الى عتبة حضرة الله تع فاذا جاء  
وقت الموت بطلت تلك الاوهام وزالت تلك الافكار وبقي  
المسكين على تراب الحرثا وموضع الذلة والعجز الخامسة من  
اسماء شجاء الجبار وهو مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا  
لم يصل اليها اليد فكذا همنا الافهام لا يصل الى صمدية  
فالعبد له اليوم طلب عرفان وجوده وغدا طلب وجوده حقيقة  
التمدية منزهة عن الاحاطة والادراك السادسة للسيار  
الى الله ثلث مقامات الحكم والامر والحق ثم كل ما دخل في الوجود  
ان عرضته على نقاد الحكم كان حسنا لان الكل بتقديره وحكمه  
حصل وان عرضته على نقاد الحق كان الكل قبيحا لان المعارف  
بالنسبة الى حضرة جلاله جهل والعبادات بالنسبة الى عتبة عزته  
تقصرا اما ان عرضته على نقاد الامر كان البعض حسنا والبعض  
قبيحا فالحكم فضل محض والحق عدل محض والامر تارة



مع الفضل وتارة مع العدل فان عرضت على الحكم اعمال كل الخلق  
 لم يكن شيئا من افعالهم وداوان عرضت على الحق اعمال الانبياء والملائكة  
 لم يصر شيء منها مقبولا واما الامر فعلى ما عرفت بالفارسية  
 هه باری در این امر نگرى سودا در سرت بدید اینکى من کسى  
 ام ولكن هم بر عقب آن در اینینه حق نگرى تا خود را از عدم  
 کم بنی امروز انبیا بنبوت رسالت می نگرند و ملائکه بطاعت  
 وعصمت می نگرند و موحدان با خلاص و ایمان می نگرند  
 فردا چون سردقات جلال باز کشند و سرا پرده عزت بزنند  
 و اعلام جلال حقیقت ظاهر کنند همه فریاد عجز فرایش آرند  
 یکی گویند ما عبدناك حق عبادتك دیگری گویند ما عرفناك  
 حق معرفتك السابعة در راه الهیت او اهر کی خواست کی بشن  
 رود عقل فروماند نور عقل خواست کی کرد بیرامن جلال  
 او گردد هباء شور گشت سر خواست کی قدر کمال او بداند  
 خیر گشت معرفت خواست کی بحضرت قدس او محیط شود  
 عاجز شده اگر هزار هزار دلیل وحدانیه بر صوابی انحر نقل  
 امنه است نقل کنی و بر بجا معقوله و منقول غوص کنی و در  
 غرر و جواهر زواهر در سلک تحصیل کشف چون نیک نظر کنی  
 خود را در بله ز برین و لا یحیطون بشی من علمه الآیات  
 بین و دون الغیب استارد و فی الاستار استرارد و محجوب <sup>الغیا</sup>

فسحانه من عز بر صلت العقول في بجا عظمت و صبر ان حارة  
 الالباب دونه ادراك عزته و ملكة اللسان عن وصف جلاله  
 و مدح كماله و كل من اغرق في نعمته اصبح منسوب الى الفتي ديله  
 عقول در ادراك جلال او خیر اصداف عقول در مقابل نور  
 شرق عزت او بین افکار ارباب حکمت در بحر تیار بجا عظمت  
 او غرق شده سابع و سابع اصحاب فطنت در انوار اسرار  
 جلال او محترق گشته ز فانیها اهل وضاحت از شرح مدح جمال  
 و وصف جلال او کلیل و در هر گوشه هر از طریق و جریح  
 و شهید و قاتل المناجات ای آنک ترا جستن محال و از  
 تو عبارت کردن و بال جود بامی ترا چگونه جویم و چون بهیج  
 نانی از تو چگونه عبارت کنم نه بی تو امان نه با تو توانه لا اله الا انت  
 فرار و لا معک قرار المستغان منك الیک ای عز تو همه عزها را  
 نفت ذل در کشیده ای جلال تو همه جلالها را داغ اختلال  
 بر نهاده ای کمال تو همه کمالها را رقم نقصان بر رزه ای الهیت  
 تو همه عالم را طراز عبودیت لازم گردانیده ای ذات تویی این  
 و ای صفات تویی کف ای بطش تویی جار حدای بصر تویی  
 حدای صفات تو عقول را مقهر کرده ای صمدیت تو جانها را  
 سر سیمه گردانیده ای ارادت و مشیت و احکام الهیت تو از  
 الایش و هم خلق پاک ای غیب غیب وازل ازل تو از هوا <sup>خواطر</sup>



أب كل منزله أي هم عتق جانها برمن يزيد عشق تو نهاده  
 وجز حسرت سود ناکرده ای هم عشاق قصد رواق اشواق  
 تو کرده و جز نومید بدست نا آورده ای هم احباب بادل  
 کباب در راه قدم نهاده و مال و عیال و جاه و مهتری و سرور  
 بر باد داده و جز با ذبدست ایشان نامم تقریرات اخری  
 في انه لا سبيل الى معرفة الحق الا بالحق لا شك ان كل من كان  
 انقطاع نظره عما سوى الحق اكمل وكان استغراق قلبه في معرفة  
 الله اتم كان معرفته اكمل ولا شك ان محمد أصلاً ليلة المعراج  
 بلغ الغاية القصوى في هذا الباب فكانت معرفته اكمل المعارف  
 ثم انه مع ذلك اعترف بعدم المعرفة لانه قال لا احصي ثناء عليك  
 انت كما اثنيت على نفسك فاذا كان مع كمال القرب لم يعرف فمن كان  
 في غاية البعد كيف يمكنه المعرفة **النوع الثاني** من علوم هذا  
 الكتاب في تقرير الدليل الدالة على اثبات الصانع سبحانه وتعالى  
 وهذا النوع مشتمل على مقدمة وابواب اما المقدمة فاعلم انه  
 سبحانه رتب دلائل اثبات الصانع في القرآن العظيم على وجهين  
 الاول انه تعيبدأ من الاعرف فالاعرف نازلاً الى الاخفى فالأخفى  
 في الدلائل وهذا هو الترتيب الذي اختاره في سورة البقرة  
 وذلك لانه ابتداء استدلال كل واحد على وجود الصانع بنفسه  
 وذاته فقال اعبدوا ربكم الذي خلقكم ثم ذكر عقبيه استدلالهم

بابا لهم واجدادهم ثم ذكر عقبيه استدلالهم باحوال الارض فقال  
 الذي جعل لكم الارض فراشا ثم ذكر عقبيه الاستدلال باحوال  
 السماء ثم قال والسماء بناء ثم ذكر عقبيه الاستدلال باحوال  
 المولود فيما بين السماء والارض والسبب في هذا الترتيب ان  
 اظهر الاشياء لكل احد نفسه ثم اباه واجداده ثم الارض التي  
 هي مسكنة ثم السماء التي هي في غاية البعد عنه ثم الاحوال  
 التي لا يتولد الا بجموع الارض والسماء وهو المراد بقوله وانزل  
 من السماء ماء فخرج به من الثمرات رزقا لكم والوجه الثاني  
 في ترتيب الدلائل ما ذكره تعالى في اول سورة النحل فانه تعيبدأ  
 ابتداء من الاشرف فالاشرف نازلاً الى الادون فالادون وذلك  
 لانه تعيذكر المطلوب اولاً فقال ينزل الملائكة بالروح من امره  
 على من يشاء من عباده ان انذوا الله لا اله الا انا فاتقون ثم انه  
 ابتداء ذكر الا ان ادلائل الصانع بالسموات فقال خلق السموات  
 والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم ذكر عقبيه الاستدلال  
 بالانسان فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين  
 ثم ذكر بعده احوال حيوانات فقال والانعام خلقها لكم فيها  
 دفر ومنافع ومنها تأكلون ثم ذكر بعده احوال النبات  
 فقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه  
 شجر فيه تسيمون ثم ذكر احوال العناصر فذكر الماء فقال



وهو الذي سخر البحر لنا كل وامنه لحماطربا ثم ذكر الارض فقال  
والتي في الارض رواسي ان تميد بكم ثم لما تم ذكر هذه الدلائل  
اعاد المطلوب الذي ذكره اولاً فقال ان من يخلق كمن لا يخلق  
افلا تذكرون والمطلوب منه اثبات التوحيد ونفي الشركاء  
والانذار ثم قال بعده وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعني ان  
هذه الاشياء التي ذكرناها استدلت بها على اثبات الصانع وعلى  
وحدانيته فهي ايضا نعم جليلة ومنافع عظيمة في حقكم والانسا  
قد استقصي في تعدد نعم الله تعالى عليه فانه يجزه بالافرة واكثر دلائل  
القران هكذا فانه يكون دلائل من وجه ونعمان وجه اخر ومثل  
هذه الدلائل الخفية يكون اجمع في القلب واشد تأثيرا في الروح  
لانها من حيث انها دلائل تفيد المعرفة ومن حيث انها دلائل  
تفيد المعرفة ومن حيث انها نعم تفيد انقياد للنعم والاشتغال  
بشكره والخضوع لعز جلاله فاذا تقاوت هذان الوجهان  
كل حصول المقصود من الاعتراف بالخالق المنعم والانقياد  
لعز وجهه وكما لصدقية واذا عرفت هذين النوعين من الترتيب  
في الدلائل فنحن في هذا الكتاب نرتب الدلائل على الوجه الثاني  
فنبدأ بشرح دلائل السموات ثم نذكر دلائل الشمس والقمر ثم نذكر  
دلائل النجوم ثم نذكر دلائل الانسان ثم نذكر الحيوان ثم نذكر  
دلائل النباة ثم نذكر دلائل اثار العلوية من العهد والبرق

والصاعقة والتهاب ثم نذكر دلائل احوال البحار ثم نذكر دلائل  
الجبال وذلك هو تمام المقصود من هذا النوع والله الموفق للخير  
**الباب الاول** في تقرير دلالة السموات على اثبات  
الصانع ثم اعلم انه تم ذكر في الكتاب الكريم مبدء تكوين السموات  
على احوال بسطها واهوال معاوها وفيه فصول **الفصل الاول**  
في شرح مبدء تكون السموات اعلم انه تم ذكر في هذا المعنى ايتين  
الآية الاولى قوله تعالى في سورة الانبياء عزم اولم ير الذين كفروا  
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وفي الآية سؤالان  
الاول ان المراد من قوله اولم ير الذين اما الرؤية واما العلم  
لا يجوز ان يكون المراد هو الرؤية لان القوم ياروا كيفية  
تخليق السموات ولانهم قال ما شهدتم خلق السموات والارض  
ولا يجوز ان يكون المراد هو العلم لان الرق والفتق عبارتان  
من الاجتماع والافتراق ولا شك ان الاجسام قابلة لكل واحد  
منها بدلا عن الاخر واذا كان كذلك فلا سبيل الى العلم بتقدم  
الرتق على الفتق الا بقول الرسول وهذه المناظرة كانت مع الكفار  
المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال فهذا احد  
السؤالين في الآية السؤال الثاني انه ما معنى الرق والفتق  
في الآية واعلم اننا نحوض في معنى الرق والفتق وفي اثناء الكلام  
نظهر الجواب عن السؤال الاول فنقول لفظ الرق والفتق



يحتل وجوها الاوّل ان الرّق اشارّة الى العدم والفتق اشارّة  
الى الوجود وتقرّب بحسب اللفظ ان الاجسام اذا كانت مرتقّة  
لا يكون لبعضها تميز عن البعض واذا كانت متفتّقة كان بعضها  
يتميز عن البعض اذا عرفت هذا فنقول ان العدم نفى محض  
فليس فيه ذوات متميزة واعيان متباينة فصح تسمية المعدم  
بالرّق من حيث انه ليس فيه امتياز وتباين بوجه ما واذا وجد  
فقد تميز كل واحد من الجواهر عن غيره وكل واحد من الصفات  
عن غيرها يصح تسمية الوجود بالفتق من هذا الوجه وبهذا  
التأويل سمي الله خلق النور في وسط الظلمة بالفتق فقال  
فالق الاصباح بل سمي نفس الابدان والتكوين بالفتق فقال  
قل اعوذ برب الفلق فكذلك لا يبعد ان يريد بالفتق بعد الرّق  
الوجود بعد العدم واذا عرفت هذا فيكون المراد من هذه الآية  
هو المراد من قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض ومن  
قوله الحمد لله فاطر السموات والارض ومن قوله في اول سورة  
الفصل خلق السموات والارض بالحق وتمام وجه الاستدلال  
ان كل واحد من السموات والارضين مختص بجزء معين وصفة  
معينة وخاصية معينة وبمقدار معين مع انه لا يمتنع في العقل  
وقوعه على خلاف تلك الخاصية والصفة والجزء واذا كان كذلك  
كان اختصاص كل واحد منهما بصفة وحينئذ وشكلا لا بد

وان يكون

وان يكون لتخصيص مختص وقد بين مدبر وتقدير مقدّر  
فذلك وجود السموات من هذه الجهة ومن وجودها بعد ان  
لم يكن على افتقارها الى القادر المختار واذا حملنا الرّق والفتق  
على هذا الوجه كان المراد من قوله اولم ير الذين كفروا اولم يعلم  
وذلك لان دلائل الحدوث في ذوات السموات وفي صفاتها  
جلية قوية ظاهرة والعلم اذا قوي بعد عن مواقع الشكوك  
والشبهات جاز ان يسمى بالرؤية لقوة وجلالة وكثرة شواهد  
ودلائله **الوجه الثالث** في تفسير الرّق والفتق ان الظلمة  
سابقة على النور ويدل عليه النقل والعقل اما النقل فوجوه  
الاول قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فقدم الظلمات في الذكر  
على النور **الثاني** هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فظاهر  
اللفظ يدل على انه جعلها ضياء بعد ان لم يكن كذلك **الثالث**  
قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مطبون  
والرابع قوله تعالى الله نور السموات والارض اي منور السموات  
والارض وهذا يشعر بان النور متأخر عن الظلمة فان قيل  
هذا يشكك بقوله ولا الليل سابق النهار وهذا يدل على ان النور  
هو النهار قلنا لا بد من التوفيق بين هذه الايات التي قدمناها  
ولا الليل المتأخر بسبق النهار المتقدمة واما المعقول فهو  
ان الليل ظلمة والظلمة عدم والنور وجود وعدم المحرّثات

فنقول



متقدم على وجودها فدل ذلك على ان ظلمة العدم كانت سابقة  
على نور وجود هذه المحدثات اذ عرفت هذه القاعدة فنقول  
كانت السموات والارض مظلمة اولا ثم اظهر الله الانوار فيها  
فعبث عن الظلمة السابقة بالرتق وعن الانوار اللاحقة بالفتق  
فهذا قال كما نتا رتقا ففتقناها وبتأكد هذا بما روى انه دم  
حاكيا عن رب العزة جل جلاله خلق الخلق في الظلمة ثم رشح عليهم  
من نوره وعلى هذا التفسير يكون الرؤية المذكورة في الرتق والفتق  
في الآية بمعنى العلم **الوجه الثالث** في تفسير الرتق والفتق ان السموات  
والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقا بعضهما ببعض ثم فصل الله  
بينهما فافترق الارض حيث هو ورفع السموات الى العلو وهذا القول  
يدل عليه وجوه الاول قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير  
عمد تزونها فوصف السموات بانها مرفوعة وذلك يطابق  
ما قلنا ان السموات والارض كانتا بعضهما ملتصقا ببعض  
ثم انه تعالى افترقا الارض في مكانها واصعد اجزاء السموات ورفعها  
الى الجوّ العالي والثاني قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان  
روى انه خلق جوهره ثم نظر اليها بغير الهيبة فانذابت الجوهره  
ثم سلق عليها الحرارة فارفع على وجه الماء زبد وعلاه دخان  
فخلق الارض من الزبد وخلق السموات من ذلك الدخان  
وهذا يدل على ان اجزاء الارض والسموات كان بعضهما مختلطا

بالبعض وملتصقا به ثم انه تعالى ميز البعض عن البعض فصير  
البعض زبدا واسكنه حيث هو واصعد الباقي الى الجوّ العالي  
وخلق منه السموات والثالث قوله تعالى في صفة السموات رفع  
سكها فسويها وذلك يدل على انه تعالى اصعد الاجزاء التي منها  
خلق السموات عن السفلى الى العلو وذلك هو المراد من الرتق  
والفتق واعلم ان وجه الاستدلال بالرتق والفتق على وجود  
الصانع بناء على هذا القول ان يقول لاشك ان كره الارض  
محفوفة بالماء والماء بالهواء والهواء بالنار والنار بالافلاك  
وكل فلك بفلك اخر الى آخر الافلاك فنقول هذه العناصر والافلاك  
متساوية في الجسمانية لانه لا معنى للجسم الا الطويل والعريض والعميق  
والكل متشاركة في هذا المعنى ثم ان كل واحد من هذه الاجسام  
يخالف الاخر في الصفات والاعراض وهي كون بعضها عالية والبعض  
سافلة والبعض لطيفا والبعض حارا والبعض باردا فنقول  
اختصاص كل واحد من هذه الاجرام الفلكية والعنصرية بصفة  
المعينة وحيثه المعين اما ان يكون لذاته اولية من لوازم  
ذاته اولية غير لازم لذاته والاوّل والثاني يوجب ان استواء  
الاجسام في كل الصفات وهو محال والثالث يقتضي ان يكون  
انصاف كل واحد من هذه الاجسام بما انصف به امر اجزا  
واذا كان الامر كذلك استحالة اختصاصه بتلك الصفة الامتناع



ومختص ثم المختص اما ان يكون جسما واما ان لا يكون جسما  
 فان كان جسما كان ذلك الجسم متميزا عن سائر الاجسام بتلك المؤثرة  
 فيفتقر ذلك الاختصاص الى مختص ومرجح ويلزم التسلسل وهو  
 محال وان لم يكن جسما فاما ان يكون مختارا او لا يكون مختارا لا جائز  
 ان يكون موجبا لان نسبة الموجب الى الكل على السوية فوجب ان يكون  
 قادرا مختارا فثبت افتقار جميع الاجسام من العرش الى ما تحت  
 الترى الى مؤثر فاعل بالاختيار قادر على جميع الممكنات ليس بجسم  
 ولا جسماني وذلك هو الله تعالى واذا عرفت هذا فنقول المراد من الرق  
 كون تلك الذوات متشابهة في الماهية والحقيقة والمراد من  
 الفتق اختصاص كل واحد منها بطبع معين وشكل معين وصفة  
 معينة وحيث معين وعلى هذا التقدير يكون الرؤية بمعنى العلم  
 الوجه الرابع في تفسير الرق والفتق ان السموات كلها كانت  
 واحدة ثم انتم جعلها سبع سموات والذي يدل عليه في سورة  
 البقرة ثم استوى الى السماء فسوياتين سبع سموات وهذه الآية  
 دالة على ما قلنا من وجهين احدهما انه قال ثم استوى الى السماء  
 ولفظ السماء دالة على الواحدة والثاني انه قال فسوياتين والفاء  
 يدل على التعقيب فهذا يدل على ان السماء كانت واحدة ثم انتم  
 جعلها سبعة بعد ان كانت واحدة فان قيل فلهذا القول  
 ما معنى فتق الارضين بعد رتقها قلنا انه تعالى قال في سورة الطلاق

موجباً بطبعه

الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فلهذا السبب اختلفوا  
 في تفسير الارض السبعة فقال بعضهم هي طباق سبعة بعضها اسفل  
 من بعض كالسموات وقال آخرون هذه الارضون اشارة الى  
 الاقاليم السبعة فانه تعالى جعل لكل واحد من هذه الاقاليم السبعة  
 خاصية ومنفعة القول الخامس في تفسير الرق والفتق قال  
 الامام الفراء في كتاب المسمى بالمصون به على غير اهل الرق  
 عبارة عن انطباق دائرة البروج على دائرة معدل النهار وفي  
 ذلك الوقت ما كانت الارض مهيورة على ما عرف تحقيق ذلك  
 في علم الهيئة والفتق عبارة عن انفراج هاتين الدائرتين عن الله  
 وحدوث ميل فلك البروج من معدل النهار وملاحظة هذا  
 الانفراج حدثت الفصول الاربعة في الارض وحصل بسبب  
 ذلك اختلاف الالهوية والبلدان والمساكن وهو المراد من حدوث  
 الفتق في الارض واعلم ان وجه الاستدلال على اثبات الصانع  
 الحكيم سبحانه بناء على هذين القولين ظاهر ايضا وذلك لان  
 على القول الاول انه سبحانه افضل بعض هذه الافلاك عن بعض  
 وخض كل واحد منها بقدر معين وسير معين وجهة معينة  
 بحكمة ظاهرة في علم الغيب مستورة عن عقول الخلايق فلا بد  
 وان يكون ذلك القدرة عالبة ومشية نافذة على ما حققنا  
 القول فيه واما على القول الذي ذكره الامام الفراء في قوله



ان منافع الرقيق والفقير بهذا المعنى كثيرة ونحن نذكر منها شئمة  
فنقول لو لم يكن للكواكب حركة في هذا الميل لكان التأثير <sup>مخصوصا</sup>  
ببقعة واحدة فكان سائر الجوانب يخلو عن المنافع الحاصلة منه  
وكان الذي يقرب منه مستنابا الاحوال فكانت القوة هناك  
لكيفية واحدة فان كانت حارة افنت الرطوبات فاحالها كلها  
الى النارية ولم يتكون المتولدات فيكون الموضع المجازي للمركبات  
على كيفية واحدة وخط ما لا يجازيه على كيفية الاخرى وخط <sup>سط</sup> المتولدات  
بينها كيفية متوسطة فيكون في موضع شتاء دائما فيكون فيه  
الثقوب والحاجة وفي موضع اخر صيف دائم يوجب الاحتراق  
وفي موضع اخر ربيع او خريف لا يتم فيه النضج فلولا ان يكون عودان  
متساوية وكان الكواكب يتحرك بطيئا لكان الميل قليل المنفعة  
وكان التأثير شديد الافراط وكان يعرض قريبا مما لم يكن سيرة  
ولو كانت الكواكب اسرع حركة من هذه لما اكلت المنافع وما تمت  
فاما اذا كان هناك ميل يحفظ الحركة في جهة ثم ينتقل الى جهة اخرى  
بمقدار الحاجة ويبقى في كل جهة برهة من الدهر ثم بذلك تأثيره  
وكثر منفعته فبسم الله الخالق المدبر بالحكمة البالغة والعظمة  
الغير المتناهية القول السادس ان السموات والارض كانتا  
رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء للمطر والارض للنبات  
والشجر ونظم قوله تعالى والسماء ذات الرجب والارض ذات الصدع

واكثر

واكثر المفسرين اختاروا هذا القول واحتجوا على ترجيحهم على سائر  
الاقوال بقوله ثم عقبه وجعلنا من الماء كل شئ حي وهذا الكلام  
لا يليق ذكره في هذا الموضع الا والمراد ما ذكرناه فان قيل هذا  
الوجه ضعيف لوجهين احدهما ان المطر لا ينزل من السماء بل  
من السحاب والثاني بتقدير ان يكون المطر نارا لا من السماء لكنه  
ينزل من سماء الدنيا لا من كل السموات والجواب عن الاول  
ان السماء مشتق من السمو وكل ما سماء فهو سماء وعن الثاني  
انما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب  
اخلاق وبرمة اعشار واعلم ان على هذا التأويل يجوز حمل قوله  
اولم ير الذين كفروا على الابرار فان الناس يشاهدون  
انفتاح السحاب بالمطر والارض بالشجر ثم وجه الاستدلال على  
وجود الصانع بناء على هذا التفسير انك ترى الهوا في غاية  
الضخامة ثم انه ينفقد الغيم دفعة وينزل من المطر ما يملأ  
منه الاودية العظيمة ويقلع الجبال العظيمة من شدة سيلانها  
ثم ان نزول ذلك المطر يصير سببا لخروج الانواع المختلفة  
من النبات من الارض وكل ذلك يدل على تقدير الصانع الخبار  
الحكيم جل جلاله فهذه الاقوال الستة المذكورة وان كنا قد بالغنا  
في تقريرها وههنا وجه اخر يمكن حمل الآية عليها فالاول  
ان السموات لو كانت رتقا لما كان احد ينزل من السماء الى الارض



وما كان احد يصعد من الارض الى السماء ثم انه تعالى ففتحها فصارت  
الملائكة تنزلون من السموات الى الارض وصار البشر يصعدون  
من الارض الى السماء اما نزول الملائكة فقال تعالى وما ينزل الا  
بامر ربك وقال ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من  
عباده وقال تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم وقال تنزل  
الروح الامين على قلبك واما صعود البشر الى السموات فقوله  
في ادريس ورفعناه مكانا عليا وقال في عيسى دم اني متوفيك  
ورافعك الى ومظهرك وقال في محمد دم فكان قاب قوسين او أدنى  
الثاني كانتا رتقا ففتقناهما بانزال انوار الكواكب من السموات  
العالية الى الارضين المستقلة كما قال النجم الثاقب قيل انه نزل  
لانه يثقب بسوره سمك سبع سموات وتارة يصعد الدعوات  
والتفرعات من الارضين الى اعلى السموات كما قال تعالى اليه يصعد  
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والثالث ان يحمل هذا الفتق  
على نزول القضاء والقدر من معاقده على اركان عرشه ومن  
اركان عرشه الى اركان السموات ثم الى الارضين ثم قال تخرج الملائكة  
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقال تنزل  
الملائكة والروح فيها باذن ربهم وتمام الكلام في تحقيق نزول  
القضاء والقدر وعروجه سيأتي ان شاء الله تعالى في باب  
تحقيق القضاء والقدر **الفصل الثالث** في تفسير آية اخرى دالة

على صدور السموات قال سبحانه ثم استوى الى السماء وهي دخان  
فقال لها وللارض انيا طوعا او كرها الى قوله وارجى في كل سماء  
امرها ونظير هذه الآية قوله تعالى في اول سورة البقرة هو الذي  
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويات سبع  
سموات وهو بكل شيء عليم وفي هذه الآية ابحاث الاول  
في قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان واعلم ان قوله ثم استوى  
الى السماء يدل على امرين الاول انه يدل على انه حين استوى الحق  
سبحانه اليها كانت سماء واحدة ثم قوله ففقيهن سبع سموات  
في يومين يدل على انها صارت سموات سبعة بعد ذلك لان الفاء  
للتعقيب فصار قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان نظير قوله  
في سورة البقرة ثم استوى الى السماء وصار الفاء في قوله  
ففقيهن سبع سموات في دلالة على ان هذا العدد انما حصل  
بعد ان كان الكل واحدا وهو الرق والفتق الذي شرحناه في  
الفضل الاول والوجه الثاني ان الآية دالة على ان السموات مخلوقة  
من الدخان واعلم ان تخليق السماء من الدخان دل على كمال القدرة  
ومنهاية الحكمة وذلك من وجوه الاول الدخان في غاية الكدورة  
والظلمة والسموات في غاية الصفاء والنقاء والشفافية فالظاهر  
اعظم الاشياء صفاء ولطافة من اشد الاشياء كدورة وظلمة  
من ادل الدلائل على كمال القدرة ومنهاية الحكمة ثم الذي نريد



هذا الكلام تقريراً واضحاً وايضاً ما روي في الخبر انه سبحانه وتعالى  
خلق جوهره ثم نظر اليها بعين الهيبة وضارت ماء ثم سلط الحرارة  
على ذلك الماء فارتفع منه زبد وعلاه دخان فخلق الارض من  
الزبد والسموات من الدخان ثم ان الزبد في غاية البياض  
والصفاء والدخان يكون في غاية الظلمة والكدورة فخلق الارض  
الكدرة المظلمة من الزبد الابيض الشفاف وخلق السموات الشفافة  
الصافية من الدخان الكدر المظلم استدلالاً لاخراج الضد من الضد  
على كمال القدرة ونهاية الحكمة ونظيره قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر  
الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون والنظر الثاني لهذا المعنى ان  
النار نورانية صافية والتراب ظلامي كدر ثم خلق ابليس من النار  
واعواه في ظلمات الكفر والضلال وخلق آدم دم من التراب ورباه  
بانوار الهداية والارشاد حتى يعرف الانسان ان الكل من الله بتقدري  
الله تعالى الوجه الثالث ان الدخان مما يعي العين ويبطل البصر ثم  
انه تعالى زين السماء بزيينة الكواكب وجعلها بحيث ان النظر الى  
السماء والى الكواكب يزيد للبصر قوة وكالا وجعل لون السماء  
العين الزرقاء وهي انفع الالوان ليعلم الانسان انه هو الذي  
يقرب الشئ من صفة الى ضدّها فيعرف به كمال قدرته وحكمته  
الوجه الرابع ان الدخان يكون سريع التفريق والتلاشي ثم انفع  
وصف السموات باضداد هذه الصفات فقال وجعلنا السماء

سقفاً محفوظاً وبيننا فوقكم سبعاً شداداً وقال افلم ينظروا  
الى السماء فوقهم كيف بنيناها الوجه الخامس ان الدخان  
اذا توسط بين الناظر والمنظور اليه صار حجاباً بينهما ثم انه تعالى  
خلق الكواكب النيرة في اجرام الافلاك وعمق تحتها مع انه  
لم يصر شيئاً من اجرام الافلاك حجاباً بين تلك الانوار وبيننا  
وكل هذه الاحوال يدل على انه سبحانه هو القادر الذي يقرب  
الشئ من الضد الى الضد فلما قدر على ان يخلق من الدخان الكيف  
هذه الاجرام النورانية الربانية الباقية المحفوظة فاي عجب  
لوعاد الحيوة الى اجزاء البدن بعد صيرورتها تراباً رميمياً  
واليه الاشارة بقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض  
بقادر على ان يخلق مثلاً من بلى وهو الخلاق العليم الخلاق اسادة  
الى كمال القدرة النافذة في جميع اجزاء الممكنات والمبدع المسؤل  
على كل احوال المحدثات والكائنات وقوله العليم اسادة الى كمال  
علمه المتعلق بجميع الجزئيات والكليات والحاضرات والغايبات  
والذوات والصفات والموجودات والمعدومات ولاشك ان  
مدبر العالم متى كان موصوفاً بهاتين الصفتين كان كل عسير  
بالنسبة الى كمال قدرته يسيراً وكل صعب بالنسبة الى عظمته قهراً  
وخلاً قيته هيناً فبارك الله رب العالمين الموضع الثاني  
من المواضع الذي اشتملت هذه الآية عليها في ابتداء خلق العالم



قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين  
وللناس في هذه الآية قولان واعلم ان هذا الامر والاجابة محمولان  
على لسان الحال لا على ظاهر المقال ويدل عليه وجوه الاول  
ان السموات والارضين جمادات وامر الجماد لا يليق بالحكمة  
والثاني ان بتقدير ان يكون احيا عاقلة فاهمة لكنها لا يقدر  
على التصرف في نفسها وفي ذاتها لان المتصرف في الشيء متقدم  
بذاته وصفاته على ذلك التصرف وتقدم الشيء على نفسه محال  
فثبت انه يمتنع كونها قادرة على التصرف في نفسها الثاني انه  
سبحانه نص في محكم التنزيل على انه سبحانه هو الخالق لذوات السموات  
فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض ثم بين في آية اخرى  
انه خلقهما من العدم المحض والنفي الصرف فقال الحمد لله فاطر  
السموات والارض ثم بين انه سبحانه جعلها سباعا شدادا فقال  
وبينا فوقكم سباعا شدادا وبين انه جعلها سقفا محفوظا  
فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا ثم بين انه سبحانه هو الذي  
رفعها بغير علاقة ولا دعامة فقال الله الذي رفع السموات بغير  
عمد تزويجها ثم ذكر انه سبحانه هو الذي وصف جميع اجرام السما  
بجميع صفاتها واحوالها فقال رفع سمكها فسويها وغطش ليلاها  
واخرج ضيها واذا ثبت بهذه الايات المتاكدة بالبراهين  
العقلية ان المدبر والمقدر والمتصرف والخالق والموجد

لذوان هذه السموات وصفاتها هو الله سبحانه لم يكن في امرها  
فاية ثم قالوا الامر والاجابة ههنا عبارة ثان عن سرعة نفوذ قدرته  
ومشيته بلا مانع ولا معارض ومنازع ونظيره قول العرب  
قال الجدار للوئيد لم تشقني قال سل من يدقني فان الذي  
ورأما خلاقي وراى وقال سبحانه وقع انما امرنا بشيء اذا اردناه  
ان نقول له كن فيكون والمراد من هذه الامر هو سرعة التكوين وذلك  
لانه ان امره وهو معدوم فذلك محال وان امره بعد الوجود فلا  
يمكن ان يقال للموجود كن موجودا وايضا قال تعالى وان من شيء  
الا يسبح بحمده والمراد منه السبح بلسان الحال لا بالسبح بلسان المقال  
فان الجمادات لا قدرة لها على النطق وايضا قال تعالى المر تران الله  
يسجد له من في السموات ومن في الارض الى اخر الآية وقال والنجم  
والشجر يسجدان ومعلوم ان سجود الدواب والشجر لا يكون  
الا بلسان الحال فكذا هم هنا فهذا تمام الكلام في تقرير هذا القول  
والوجه الثاني انه لا يبعد في قدرة الله تعالى ان يخلق فيها الغم  
والعقل ثم امرها وضاطبها فقال للسموات وللارض ائتيا  
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين والذي يدل عليه وجوه  
الاول الدلائل التي ذكرناها من القرآن والمعقول على ان الحيوانا  
عارفة بربها واذا لم يبعد خلق العقل ومعرفة الله في الحيوانا  
فان بعد في خلق الحيوة والهم في اجرام الافلاك والثاني



قوله ثم فلما تجلّى ربه للجبل والتجلى لا يمكن إلا بعد الفهم والادراك  
والثالث يا جبال أوحي معه والطر والرابع قوله اليوم نختم على  
افواههم وتكلمنا اليديهم والخامس قوله ثم أنا عرضنا الأمانة  
على السموات والأرض والجبال والجملة فهذا الاستبعاد زائل  
عند الاعتراف بكونه ثم قادراً على الممكنات عالم بكل المعلومات  
ومما يدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى قالتا اتينا طايعين ولو كانت  
السموات جمادات لكانت حق اللغة ان يقال اتينا طايعين فذلك  
قوله ثم اتينا طايعين على انه تعالى خلق فيها الفهم والعقل فذلك الوقت  
واعلم انه سواء حملنا هذا الامر والاجابة على الحال او على السأ  
المقال فذلك يدل على كمال عظمة الله ونهاية كبريائه وقدرته  
وعزته وذلك لان كل مكان غائب عن الحس والخيال والعقل  
فانه لا سبيل الى معرفة جلاله وعظمته الا بمعرفة عظمة اثار مخلوقاته  
ولا شك ان السموات والأرضين اجسام في غاية العظم والشدّة  
والاتساع ثم انها مع ذلك منقادة لامر الله وتسيّره وقهره وقدرته  
وتكوينه وتخليقه وذلك يدل على قدرة لا نهاية لكمالها وحكمة  
لا غاية لجلالها ودليل اجابة السموات والأرضين على كمال عظمة  
الله قوله ثم في قصة نوح ع م يا ارض ابلعي ماوك وباسماء اقلعي  
وعطين الماء وقضى الامر فان هذا النداء يدل على كون السموات  
والأرضين مسخرة في قبضة قدرته وتصرف حكمته ألا له الخلق

والامر تبارك الله رب العالمين الثالث في هذه الآية قوله  
جل جلاله فقضيت سبع سموات في يومين وفيه سؤالان  
الأول القضاء هو الالتزام وذلك مشعر بسبق منازعة وقد  
دلت الآية على انه ما كان فيها منازعة ومدافعة حيث قال  
مخبر عنها قالتا اتينا طايعين والجواب لانزع ان القضاء  
عبارة عن الالتزام لكن يجب ان يعلم ان ما سوى الله ممكن  
الوجود لذاته والممكن هو الذي ينسب الوجود والعدم اليه  
على السوية واذا السوي الطرفان فان لم يكن في ذاته اقتضاء  
ولا استلزام لا للوجود ولا للعدم ثم ان الممكن لذاته ما لم يجب  
وجوده لاجل ترجيح موثر لم يوجد فقوله ثم فقضيت سبع  
سموات اشارة الى ذلك الترجيح والتأثير الحاصل بسبب تخليقه  
وتكوينه وذلك الترجيح هو الالتزام لاحد الطرفين لا محالة  
وعنده هذه الدقيقة يظهر ان ما سوى الله مع من من حيث هو هو  
غير موجود بل وجوده من ايجاد الحق وبقاؤه من ابقاء الحق  
وعدمه من اعدام الحق فاذا تأملت علمت انه لا موجود بالحق  
الا الحق سبحانه وتعالى كما قال تعالى ولا تدع مع الله الها اخر لا اله  
الا هو كل شئ هالك الا وجهه السؤال الثاني قال تعالى  
فقضيت سبع سموات في يومين واليوم عبارة عن مدة حركة  
الشمس بحسب الطلوع والغروب فقبل خلق العلك يمنع حصول اليوم



**الجواب** المدة أمر ورأى اذ وار الفلك وذلك لان الخي سيجانه  
 قديم والعالم محدث فتقدم الباري على العالم ليس بسبب اذ وار  
 الفلك وحركة الشمس والقمر وايضا فالزمان اما ان يكون قديما  
 او حاد ثا فان كان قديما كان مستمرا من الازل الى الابد وذلك  
 الاستمرار ان لا يكون لاجل الزمان والا لزم افتقار كل زمان  
 الى زمان اخر لا الى نهاية وذلك محال فثبت ان يعقل الاستمرار  
 والدوام لا يتوقف على وجود الزمان وان كان الزمان محدثا  
 كان عدمه مستمرا من الازل الى الابد فلا يكون ذلك الاستمرار  
 موقفا على وجود حركة الشمس والقمر اذ ثبت هذا فنقول هذا  
 الاستمرار هو الذي يسميه المشككون بالزمان المقدر والمدة المفروضة  
 فتلك المدة المقدرة المفروضة هي المشار اليه بقوله فقضيت سبع  
 سموات في يومين وهذا كلام دقيق لا يتم المقصود منه الا بالكشف  
 عن حقيقة الدهر وذلك من مجازات العقول السؤال الثالث  
 قال تعالى اما امرنا لنشهد اذ اردناه ان نقوله كن فيكون فبين  
 ان عليته وتكوينه لا يحصل الا على هذا الوجه وهذا ينافي قوله  
 في هذه الآية فقضيت سبع سموات في يومين **الجواب** انه  
 سيجانه قادر على الابداء دفعة واحدة وهو المراد بقوله كن فيكون  
 وقادر ايضا على الابداء جزا جزا على سبيل التدرج هو انه  
 سيجانه فاعل مختار وفي كل واحد من اليومين حكم واسرار

اما الحكمة في الابداء على سبيل التدرج وتحقيقه وهو انه لو صلت  
 مخلوقة كلها دفعة واحدة بحيث لا يختلف شيئا اصلا اشبه  
 ذلك تأثير ما يكون بالطبع وبالغلبة لا بالقدر والاختيار فان  
 الشمس اذا طلعت حصلت الاضاءة دفعة والسراج اذا حضرت  
 حصلت الاضاءة دفعة والنار اذا حضرت حصلت السخينة  
 والاحراق دفعة فلو حصلت افعالها دفعة واحدة لما تميزت  
 فاعليته في عقولنا وافعالنا عن تأثيرات العلل والموجبات  
 والطبايع واما الحكمة في الابداء دفعة واحدة هي ان افعالها  
 سيجانه وتعالى لو حصلت ابداء على سبيل التدرج ولم يحصل شيء  
 منها دفعة لكان ذلك يوجب العجز والحاجة والاحتياج في الخالق  
 الى مدة وآلة ولما كان الامر كذلك فلا جرم تارة يفعل ويخلق  
 دفعة لتلاين في شبهة العجز والحاجة وتارة على سبيل التدرج  
 لتلاين في شبهة انه موجب بالذات ومؤثر بالطبع فهذا  
 ما وصل اليه هذا العقل المختصر وله **سيجانه** وتعالى تحت كل فعل  
 حكم واسرار لا يعلمها الا هو السؤال الرابع لاشك ان العالم  
 الاكبر هو هذا العالم بما فيه من السموات والارضين والعالم  
 الاصغر هو الانسان ولا شك ان العالم الاكبر هو اعلى واعظم  
 من العالم الاصغر فان العقل يدرك عليه وكذا القرآن قال تعالى  
 خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم انه تعالى خلق العالم **الاكبر**



في ستة ايام وخلق الاصغر في ستة اشهر فان اقل مدة الحمل  
ستة اشهر بدليل انه قال وحمله ومضاه ثلثون شهرا ثم قال  
والوالدان يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا استقطنا مدة  
الرضاع وهي اربعة وعشرون شهرا عن ثلثين شهرا بقي الباقي مدة  
الحمل ستة اشهر فما الحكمة في ان جعل مدة تخليق العالم الاكبر ستة  
ايام ومدة تخليق العالم الاصغر ستة اشهر والجواب من وجوه  
الاول انا بينا ان الحكمة يقتضي تخليق بعض الاشياء على سبيل التدرج  
الا انا بينا ان الخلق على سبيل التدرج يؤهم العجز والحاجة  
والمادة والمدة فالحق سبحانه وتعالى ازال هذا الاشكال بان خلق  
العالم الاكبر في ستة ايام وخلق العالم الاصغر في مدة ستة اشهر  
ليعلم الخلق ان الخلق على سبيل التدرج ليس لاجل العجز والحاجة  
اذ لو كان الامر كذلك لكان تخليق العالم الاكبر في مدة اطول  
اولى فسيحان له تحت كل شيء حكمة قدسية الهية الثانية قال  
بعضهم انه تعالى اراد ان يخلق السماء والارض كان جبرئيل  
وميكائيل وسائر الكابر الملائكة عفا مكلفين فخلق العالم  
على مهل حتى يمكنهم الوقوف على دقائق الحكمة في ذلك الخلق  
الثالث لا بعد ان يقال انه تعالى خلق العالم على سبيل التدرج  
واخبر عن ذلك حتى يصير ذلك شبهة في تخليق العجز والحاجة  
في قدرة الله تعالى وهذا نوع ابتلاء وامتحان كما قال ليسلواكم

انكم احسن عملا حتى ان الموافق يعلم ان ذلك التدرج ليس للعجز  
والحاجة بل للعبرة والحكمة فكان هذا الابتلاء سببا لمزيد الثواب  
في حق الموافق ويظهر بسبب هذا المعنى ان هذا المدارد  
للابتلاء والامتحان والرابع انه سبحانه بين في هذه الآية  
انه خلق الارض في يومين ثم خلق كل ما في الارض من الجبال  
والبحار والمعادن والنبات والحيوانات في يومين اخرين  
ثم خلق السموات السبع بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والحجاب  
والآيات في يومين اخرين والحكمة فيه انه لانسبة للارض  
وما فيها الى السموات وما فيها فان الارض في جنب السموات  
كالقطرة في جنب البحر فلما خلق الارض على صغرها في يومين  
وخلق السموات على كبرها وعالية عظمتها في يومين عرف ان ذلك  
التدرج مما كان لاجل العجز والحاجة بل الحكمة بالغة واسرار  
خفية يعجز عقول الخلق عن الوقوف عليها والسؤال الخامس  
ان قوله تعالى ثم استوى الى السماء يدل على ان تخليق السموات  
متأخر عن تخليق الارض وقوله في سورة النازعات والارض  
بعد ذلك دحيها يقتضيان تخليق الارض وقع بعد تخليق السماء  
وحينئذ يحصل التناقض بين الآيتين والجواب فيه قولان  
الاول ان الله تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى  
الارض بعد تخليق السماء لان التدحى عبارة عن البسط



وحينئذ يزول التناقض بين الآيتين واعلم ان على هذا القول  
اشكالان الاول ان الارض جسم عظيم فيمتنع انفكاك تخليقها  
عن المدحمة عن لوازمها واذ كانت المدحمة عن لوازم تخليق ذات  
الارض ثم ثبت بالنص ان المدحمة متأخرة عن تخليق السماء  
لزم ان يكون تخليق الارض متأخرا عن تخليق السماء وحينئذ  
يعود الاشكال الثاني الدلائل الاعتبارية دلت على ان الارض  
كرة وايضا انه تعالى قال في سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض  
جميعا ثم استوى الى السماء وهذا يدل على ان خلق الارض وخلق  
كل ما فيها مقدم على خلق السماء لكن من المعلوم ان خلق الاشياء  
في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة فهذه الآية يقتضي تقدم كون  
الارض مدحوة على خلق السماء وحينئذ يعود السؤال وما يؤكد  
هذا قوله تعالى قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتحملون  
له ائذا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك  
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى  
الى السماء وهي دخان فهذه الآية يقتضي انه تعالى جعل في الارض  
رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها لخلق الجار  
والاشجار والثمار وقدر فيها اقواتها لخلق الزرع فيها وكل ذلك  
حصل قبل خلق السموات ومعلوم ان خلق الرواسي والاشجار  
والزروع لا يمكن الا بعد تدحمة الارض وضارت هذه الآية

مع الآية المذكورة في سورة البقرة يدلان على ان تدحمة الارض  
حصلت قبل تخليق السماء وحينئذ يعود الاشكال وايضا فقوله  
والارض بعد ذلك ادحيتها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال  
ارسيها يدل على ان اخرج الماء وارساء الجبال وتخليق المراعي  
كل ذلك وقع متأخرا عن تخليق السماء والآية الواردة في السجدة  
مرحبة في ان كل ذلك حصل قبل تخليق السماء وحينئذ يعود  
الاشكال القول الثاني في هذه المسئلة قول من قال السماء  
مخلوقة قبل الارض واحتجوا عليه بالنقل والعقل اما النقل فلحجة  
الاولى قوله تعالى والارض بعد ذلك ادحيتها وقد بينا فيما تقدم  
ان يكون الارض مدحوة من لوازم وجود الارض لانها جسم عظيم  
والجسم العظيم وان كان كرة الا ان كل قوس منها يكون في النظر  
على شكل المستقيم فيكون مدحوة لاحالة الحجبة الثانية قوله تعالى  
ثم استوى الى السماء وهي دخان سماها سماها حال الاستواء  
اليها ثم انه تعالى جعلها بعد ذلك سبعة وهي المراد من قوله  
ففضين سبع سموات وهذا صريح في انها كانت سما قبل ثم  
صيرها الله تعالى سبعة بعد ذلك للحجة الثالثة قوله تعالى  
الحمد لله الذي خلق السموات والارض قدّم السموات في الذكر  
واما المعقول فمن وجوه الاول ان السماء كالزوج والارض  
كالزوجة والسماء كالغني والارض كالفقير فكان تخليق السماء



قبل خلق الارض البق الحجة الثانية ان السماء مسكن الملائكة  
 والارض مسكن البشر والملائكة قبل البشر فكان خلق مسكنهم  
 قبل خلق مسكن البشر اولى به بقي ان يقال فاما معنى قوله ثم  
 استوى الى السماء في سورة البقرة وفي سورة السجدة فنقول فيه  
 وجهان الاول ان لا يكون المراد من كلمة ثم الترتيب في الوجود  
 بل المراد الترتيب في الذكر كقول الرجل انت كذا وكذا ثم انت بعد  
 كذا ويكون المراد الترتيب في الذكر قال الله تعالى فذكر ربة او اطعام  
 في يوم ذي مسغبة يتيما ذامقربة الى قوله ثم كان من الذين امنوا  
 والمراد من الترتيب في الذكر والثاني لعل السبب في تقديم ذكر  
 الارض على السماء هو ان الارض اقرب اليها من السماء ولاجل  
 ان السماء اعظم من الارض واياتها اعظم من ايات الارض والانتقال  
 من الحجة الى الحجة انما يحسن من الادنى الى الاعلى كما قال ابراهيم  
 ربي الذي يحیی ويمیت الى قوله فان الله يات بالشمس من المشرق  
 فأت بها من المغرب السؤال السادس انه تم قال قل انكم لتكفرون  
 بالذي خلق الارض في يومين الآية ثم قال وبارك فيها وقدر  
 فيها اقواتها في اربعة ايام فيكون المجموع ثمانية وظاهر هذه  
 الآية يقتضي انه تعالى خلق السموات والارض في ثمانية ايام فيكون  
 هذا مناقضا لقوله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام  
 والجواب ان خلق الارض حصل في يومين وخلق الجبال بطورها

حصل في يومين اخرين فكان المجموع اربعة وهو المراد بقوله في  
 اربعة ايام سواء للساكنين ثم حصل خلق السموات في يومين  
 اخرين فكان مجموع الايام ستة فقد زال السؤال والاشكال في  
 هذه الآية قوله تعالى ووحى في كل سماء امرها سنذكره ان شاء الله  
 في باب الملائكة **الفصل الثالث** في الاستدلال بصفات السموات  
 واحوالها الموجودة في هذا الوقت على ان لها صانعا ومدبرا  
 سبحانه وتعالى قال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل  
 والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون وقال في الاعران ان في  
 خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى  
 الالباب وقال في اول الانعام الحمد لله الذي خلق السموات  
 والارض وجعل الظلمات والنور وقال في هذه السورة حكاية  
 عن الخليل عم وجهته وجهي للذي فطر السموات والارض  
 وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات الآية وقال  
 في اول النحل خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقال  
 في اول سبأ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وقال  
 في سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض وفي القران  
 من هذا الجنس ايات كثيرة واقول هذا البحث لا يتخلص الا بذكر  
 مسائل المسئلة الاولى في تفسير لفظ الخلق بحسب اللغة  
 فنقول المشهور في اللغة ان الخلق عبارة عن التقدير واحجوا



عليه بالقرآن والشعر والاستعمال أما القرآن فآيات أحدها  
قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين أي المقدرين الثانية  
قوله تعالى عيسى وم واذ خلق من الطين كهيئة الطير أي تقدر  
الثالثة أن مسمى الكذب خلقا واختلاقا يقال حديث مخلوق  
ومخلوق أي كذب لا أصل له قال تعالى وتخلقون أفكاً أي تقدر  
كذبا وقال حكيم عن الكفار إن هذا الأخلق الأولين وإن هذا  
الأختلاق أي تريدون الكذب والسبب في تسمية الكذب بالخلق  
لأن الكاذب يضر ذلك الكذب في ذهنه ويقدره في خاطره الرابعة  
قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له  
كن فيكون فقدم الخلق على التكوين فدل على أن الخلق ليس عبادة  
عن التكوين لأن الشئ لا يتقدم على نفسه بل الخلق عبادة عن  
التقدير وهو مقدم على التكوين وأما الشعر فيقول الزهير •  
ولأنت قفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق ثم لا يضر • وقال  
لا وسط بايدي بايدي الخالقين • ولا ايدى الخالق الاجيد للدم •  
وأما الاستعمال يقال خلق الفعل اذا قدرها وسوتها بالقياس  
ومن قول العرب للمقدار المعين من الخلق الخلاق ويقولون  
هو خالق كذا أي جدير بكذا أي هذا الشئ على قدر الخلق  
والصخر الخلقاء الملساء لأن الملاسة عبارة عن صيرورة جميع  
اجزاء الشئ بقدر واحد ومنه خلق الثوب اذا بلى وصار ملس

واسوى جميع اجزائه فثبت بهذه الوجوه أن الخلق عبارة عن  
التقدير وهذا الذي قلناه هو قول جمهور المعتزلة ثم القائلون  
بهذا القول اختلفوا قال ابو عبد الله البصري منهم اطلاق  
اسم الخالق على الله محال في الحقيقة لأن التقدير عبارة عن الفكر  
والظن والحسب وذلك في حق الله ثم محال وقال تلميذ القاضي  
عبد الجبار بن احمد التقدير عبارة عن العلم بعواقب الشئ  
وهذا المعنى حاصل في حق العبد وفي حق الله تعالى أما في حق العبد  
فانه قد يحصل له هذا العلم بناء على الامانة اللاحقة الواضحة  
وبسبب الفكر والرؤية وأما في حق الله تعالى فلا شك في حصوله  
واذا كان الامر كذلك كان اطلاق لفظ الخالق على الله وعلى العبد  
على سبيل الحقيقة وأما اصحابنا من اهل السنة والجماعة فقالوا  
لخلق حقيقة في اليجاد والابداع والاختراع والذي يدل على  
ذلك وجوه الحجج الاولى قوله تعالى في اول سورة الفرقان وخلق  
كل شئ فقدره تقديرا ولو كان الخلق عبارة عن التقدير لصار  
تقدير الآتية وقد ركل شئ فقدره تقديرا ومعلوم انه تكرير  
من غير فائدة أما اذا حملنا الخلق على اليجاد لم يحصل التكرار  
وانظم الكلام للحجة الثانية قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر  
ولو كان الخلق هو التقدير لكان قوله خلقناه بقدر تكريرا  
من غير فائدة للحجة الثالثة اجماع سلف الامة على انه لا خالق الا الله



وايضاً قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور يقتضي ان لا يكون  
يحصل هذه الصفات الا له تعالى كما اذا قلت زيد هو العالم يقتضي  
حصر هذا الوصف فيه فافان ثبت انه لا خالق الا الله وثبت ان غير الله  
مصور ومقدر علمنا ان الخلق ليس عبارة عن التقدير واما  
الجواب من الوجوه التي ذكرنا يدل على استعمال لفظ الخلق في غير  
معنى التقدير بل في معنى اليجاد والابداع فنقول **لا بد** من جعله  
حقيقة في احدهما مجازاً في الاخر فنقول من فرض شيئاً وقدّر  
مع ان ذلك الشيء معدوم فكانه يريد ان يجزئ مجزئ الموجود  
فكان شيئاً باليجاد والابداع فلاجل هذه المشابهة اطلق  
لفظ الخلق على التقدير **المسئلة الثانية** اختلفوا في ان الخلق  
نفس المخلوق او غير **فقال** جميع المتكلمين الخلق غير المخلوق  
ويدل عليه وجوب الحجّة الاولى اجتمعت الامة على انه سبحانه وتعالى  
خالق من كان موصوفاً بالخلق والله سبحانه وتعالى موصوف بالخلق  
وغير موصوف بالمخلوق باتفاق العقلاء فعلمنا ان الخلق  
غير المخلوق **الحجة الثانية** اذا خطر ببال احد ان هذا الشيء يمكن  
ان يوجد ويمكن ان يبقى على عدم يقتضي العقل بانه لا يمكن  
دخوله في الوجود الا باليجاد موجد وتخلق خالق فاذا قد علمنا  
وجود المخلوق بالتخليق وحصول المكون بالتكوين واليجاد  
فلو كان الخلق واليجاد والتكوين عبارات عن وجود المخلوق

لكان قولنا المخلوق امّا وجد لان الخالق خلقه عايداً الى المخلوق  
امّا وجد وحد ذاته ولانه مخلوق وذلك يوجب استغنائاً  
عن الخالق ووقعه بذاته وكل ذلك محال **الحجة الثالثة** انا  
نعقل وجود هذا المخلوق وذاته ونعقل وجود ذلك الخالق  
وذاته مع الشك في كون ذلك الشيء خالقاً لذلك الشيء وكون  
هذا الشيء مخلوقاً لذلك الشيء والمشكوك فيه مغاير للمعلوم  
فيكون هذا الشيء خالقاً لذلك الشيء لا بد وان يكون امرأ ايلاً  
على ذات الخالق وذات المخلوق وهذا يفيد القطع بان الخلق  
غير المخلوق ثم جمهور المتكلمين يقولون الخلق يتمتع ان يكون  
مغايراً للمخلوق ويدل عليه وجوب الحجّة الاولى ان الخلق ان كان  
قدما لزم من قدمه قدم المخلوق وان كان حادثاً افتقر الى  
خلق اخر ولزم التسلسل **الحجة الثانية** ان الخلق ان كان حادثاً  
افتقر الى خلق اخر وان كان قدماً كان من لوازم ذات البارئ  
سبحانه وتعالى فلا يكون شئونه واقعا بقدره الباري واختياره  
ثم ان الخلق مستلزم لوجود المخلوق لانه لا يتصور في العقل  
حصول الخلق مع انه لا يترتب عليه وجود المخلوق اصلاً اذا ثبت  
هذا فنقول ذاته سبحانه مستلزم للمخلوق والخلق مستلزم  
للمخلوق ومستلزم المستلزم فذات الله مستلزمة  
لوجود المخلوق فلا يكون وقوع المخلوق باختيار الله ثم ومشيئة



بل يكون ذاته موجبة لوقوع المخلوقات وحينئذ يكون ذاته  
 موجبة بالذات لا فاعلة بالاختيار وهو باطل **الحجة الثالثة**  
 ان المراد من القدرة الصفة المؤثرة والمراد من الارادة الصفة  
 المرجحة فاذا حصل مجموع القدرة والارادة فقد حصل تمام  
 المؤثر واما وقوع المخلوق فهو الاثر ويمتنع ان يحصل بين المؤثر  
 المستقل التام وبين الاثر واسطة فهي مجموع الارادة والقدرة  
 وهما الاثر الحاصل منهما واذا كان الامر كذلك بطل القول  
 بان المخلوق صفة زائدة على القدرة والارادة وهو المطلوب  
**الحجة الرابعة** ان قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف  
 الليل والنهار لآيات لاولى الاالباب والذي يمكن جعله آيات  
 ودلائل على ان الله سبحانه وتعالى هو خالق هذه المخلوقات لا  
 الصفة القائمة بذات الله تعالى فعلنا ان المراد من قوله ان في  
 خلق السموات هو هذه المخلوقات وكيفيه نقد رها بالصفا  
المخصوصة والاحوال المخصوصة المسئلة الثالثة اعلم ان  
 الاستدلال بالسموات على وجود الصانع سبحانه يقع على وجوه  
 الاول الاستدلال بمقادير الافلاك فانها مع استوائها في طبيعة  
 الفلكية اختص كل واحد منها بشئ معين وضخامة معينة  
 مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه ازيد من ذلك المقدار وانقص  
 نذره فلما اختص كل واحد منها بمقدار الخاص مع ان المقادير

باسرها على السوية ففي العقل بافتقار هذا المقدار المعين  
 على محض ومرتج وذلك هو الله سبحانه وتعالى واعلم ان اليق  
 الوجوه بقوله ان في خلق السموات والارض هذا الوجه لاننا  
 ذكرنا ان اطلاق لفظ المخلوق على المقدار اطلاق مشهور متعارف  
 واعلم اننا لو ساعدنا على ان لفظ المخلوق في اللغة عبارة عن التقدير  
 لكننا نقول انما صار لفظ المخلوق مخصوصا بفعل الله تعالى لانه افعاله  
 تعالى واقعة على وفق علمه ومشيئته من غير زيادة ولا نقصان  
 فلما كان هذا المعنى لا يحصل في فعل غير الله لا جرم لا يصح استعمال  
 لفظ المخلوق الا في فعل الله تعالى **النوع الثاني** في الاستدلال  
 على كون بعض الافلاك اعلى وبعضها اسفل وهذا في الجملة  
 معلوم الا ان اهل علم الهيئة قالوا اقرب الكواكب اليينا  
 القمر ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري  
 ثم زحل ثم الكواكب الثابتة وذكرنا في معرفة هذا الترتيب  
 ثلثة اوجه الاول السير وذلك لان الكوكب الاسفل  
 اذا مر بين ابصارنا وبين الكواكب الاعلى فانها يصيران  
 مثل كوكب واحد في الرؤية ويتميز السائر عن المستور بلونه  
 الغالب عليه كصفرة عطارد وبياض الزهرة وحمرة المريخ  
 ودرية المشتري وكودة زحل ثم ان القدماء وجدوا القمر  
 بكسف الكواكب الثابتة وكثير من الثوابت التي في طريقه



في قمر البروج كوكب عطارد يكسف الزهرة والزهرة يكسف  
 المريخ والمريخ يكسف المشتري والمشتري يكسف زحل وزحل  
 يكسف الكواكب الثابتة التي يكون ممرهم ففوق هذا الترتيب  
 بهذا الطريق الا انه بقي اشكال من وجوه الاولى ان الشمس  
 بحيث في نورها ما هو الاعلى منها وما هو اسفل منها وحينئذ  
 لا يمكن ان يعلم بهذا الطريق موضع الشمس والثاني هب ان  
 هذه السيارات يكسف الثوابت التي على ممرها لكنها لا يكسف  
 الثوابت التي لا يكون في حابئ القطبين فلم لا يجوز وجود كوكب  
 اخرى يجب ان يكون في مركز الثوابت مركوزة فيها ويكون  
 حركة هذه الكرة مشابهة لحركة كوكب الثوابت على هذا الطريق  
 لا يختلف اوضاع الثوابت البتة فهذا الاعتراضات تراه منصف  
 عقولهم في معرفة هذا الترتيب الا ان وجه الاستدلال بها  
 على الصانع المختار لا يختلف على جميع الاحتمالات وذلك  
 لان كل فلك فانه يماس بمحده فلكا اخر فوقه وبمقعره فلكا  
 اخر تحته وذلك الفلك متشابهة الاجزاء متشابهة الجوانب  
 فكل ما يقع على احد جانبيه وجب ان يقع على الجانب الآخر  
 فالفلك الفوقاني الذي لقيه بمحده يقع ان يلاقيه بمقعره  
 والفلك التحتاني الذي لقيه بمقعره يقع ان يلاقيه بمحده ومنه  
 كان الامر كذلك ثبت انه يقع ان يحصل الفلك الاعلى في الاسفل

والفلك

والفلك الاسفل في الاعلى ومنه كان كل هذه الاحتمالات جائز  
 امتنع اختصاص كل واحد من الافلاك بحيز الذي هو فيه ولا  
 بموضعه الذي هو فيه الا بتخصيص مختص وتقدير مقدر  
 وتكوين قادر عالم حكيم وهو الله سبحانه **النوع الثالث**  
 من الاستدلال باحوال الافلاك ان كل كوكب حصل في فلك  
 فانه حصل في نفرة معينة حصلت في جانب معين من ذلك الفلك  
 ثم ان القوم اتفقوا على ان الفلك بسيط غير مركب والجسم البسيط  
 هو الذي يكون طبيعة واحدة متشابهة فلما امكن حصول تلك  
 النقرة في ذلك الجانب من الفلك يمكن حصوله في سائر جوانب  
 ذلك الفلك وكما امكن حصول الاتصال في سائر جوانب الفلك  
 امكن حصوله في ذلك الموضع الذي حصلت النقرة فيه واذا ثبت  
 ذلك ظهر ان الاجتماع والافتراق والاتصال والانفصال  
 جائز على جميع اجزاء الفلك كل واحد منها بدلا عن الآخر واذا كان  
 الامر كذلك كان حصول النقرة في احد جوانب الفلك وحصول  
 الاتصال في سطح في سائر جوانب ذلك الفلك امرا جائزا فلا  
 يمكن حصوله الا بمرجح ومختص ومدبر قادر مختار وذلك  
 هو المطلوب **النوع الرابع** من الاستدلال باحوال الافلاك  
 نقول ان كل كوكب من كرات الافلاك فانما تدور على قطبين  
 معينين واذا كان الفلك متشابهة الاجزاء كان جميع النقط المارة



عليها متساوية وجميع الدوائر المفروضة عليها ايضا متساوية  
فاختصاص النقطتين المعينتين بالقطبين دون ساير النقط  
مع استوائها في جميع الماهية والحقيقة يكون امرا جازيا فيقتضيه  
العقل افتقاره الى المرجح المريدا لقادر المختار **النوع الخامس**  
من الاستدلال ان اجرام الفلكيين مع تشابهها في الجسمية وقوله  
الاعراض اختص كل واحد منهما بنوع معين من الحركة من البطؤ  
والسرعة فانظر الى الفلك الاعظم مع نهاية اتساعه وعظمته  
يدور في كل يوم وليلة دورة تامة والفلك الثامن الذي  
هو اصغر منه لا يدور دورة تامة الا في ستة وثلاثين الف سنة  
على قول القدماء وفي اربعة وعشرين الف سنة على قول المتأخرين  
ثم الفلك السابع الذي تحته يدور في ثلاثين سنة دورة تامة  
واختصاص الفلك الاعظم بتلك السرعة الشديدة والفلك الثامن  
بذلك البطؤ العظيم امر على خلاف العقل فان كان ينبغي ان يكون  
الاوسع ابطاء حركة والاصغر اسرع حركة ووقعه على هذا الوجه  
يدل على انه بسبب تقدير العزيز العليم القادر الحكيم **النوع السادس**  
من الاستدلال ان الفلك يسمونه بالمستمل اذا انفصل عنه الفلك  
الخارج المركز بقي على مذهبهم منه قسما واحدا من الله الخارج  
والاخر من الداخل ان جرم مثابه الطبيعة ثم اختص اخر جواب  
هذا جسم بغاية الخس والاخر بغاية الرقة واذا كان كذلك

وجب

وجب ان يكون ذلك الثخن والرقة بالنسبة الى طبيعة ذلك الجسم  
على السوية فاخصاص احد الجانبين بالرقة والاخر بالثخن يدل  
على القادر المختار **النوع السابع** من الاستدلال انها مختلفة  
في جهات الحركات فبعضها من المشرق وبعضها من المغرب وبعضها  
شمالية وبعضها جنوبية مع ان جميع الجها بالنسبة اليها على السوية  
فاخصاص كل واحد منها بجهة معينة لا بد وان يكون بتخصيص  
القادر المختار واليه الاشارة بقوله سبحانه وكل في فلك يسبحون  
**النوع الثامن** من الاستدلال اننا نشاهد هذه الافلاك الآن  
متحركة في الازل فاما ان يقال انها كانت متحركة في الازل او كانت  
متحركة في الازل والقسم الاول محال لانه ماهية الحركة عبارة  
عن الانتقال من حالة الى حالة اخرى فهذا الانتقال لا محالة يكون  
مسبوقا بالمنتقل عنه فحقيقة الحركة تقتضي لها هيئتها ان يكون  
مسبوقا بالغير وحقيقة الازل ينافي المسبوقية بالغير فالجمع  
بين الحركة وبين الازل محال ولما بطل هذا القسم ثبت انه لا حركة  
في الازل سواء قلنا ذوات الافلاك كانت موجودة في الازل  
ساكنة او قلنا بانها كانت معدومة في الازل وعلى القولين  
لا بد من الاعتراف بالقادر المختار الحكيم لانا ان قلنا انها كانت  
معدومة وكانت ساكنة ثم تحركت فيما لا يزال فلا بد من قادر  
حكيم مختار يحركه بعد ان كان ساكنا وان قلنا بانها كانت معدومة في الازل

اما انما كانت موجودة في الازل  
اولا بانها وان كانت موجودة في الازل  
انما كانت متحركة في الازل  
نسخة



فلا بد ايضا من قادر حكيم مختار يوجه في لا يزال بعد ان كانت  
معدومة في الازل فثبت ان على كلا القسمين لابد من الاعتراف بها  
بأشياء الله العالم قادر مختار وهذا المأخذ احسن المأخذ وقوا  
واجلاها **النوع التاسع** ان حركات هذه الافلاك اما ان يكون  
من لوازم جسميتها او لا يكون كذلك والاول باطل لان كل ما كان  
من لوازم الشيء امتنع زواله مع بقاء ذلك الشيء لامتناع انفكاك  
الملزوم من اللازم لكن ان ترى جسميته كل واحد من الافلاك  
قد ينفك من كل واحد من الآخر المفترضة في الحركات فاذن كل واحد  
من اجزاء تلك الحركات ليس من لوازم جسميته وليس ايضا من لوازم  
صورته المعينة وطبيعته المعينة والاعاد المحال المذكور لان تلك  
الطبيعة والصورة باقية في كل واحد من اجزاء تلك الحركة وكل  
واحد من اجزاء تلك الحركة غير باق فاذن لكل واحد من الاجزاء المفروضة  
في تلك الحركات مدبر ومقدر بحركة الافلاك والتوابت والسيارات  
وهو الله سبحانه وتعالى **النوع العاشر** ان هذا الترتيب العجيب  
في تركيب هذه الاشياء الافلاك وايتلاف اجزائها واتساق حركاتها  
الى نظم موافق لمصلحة هذا العالم لا يتأتى بالعبث ولا يتأتى من  
الطبيعة الجاهلة بل صريح الاذهان وبداية الافلاك ناطقة  
بان ذلك لا يتأتى للامر القادر والحكيم اما لانه لا يعقل اسنادها  
الى العبث والجراف ولان من جواز في بناء رفيع وقصر مشيد

ان التراب والماء النظم احدهما الى الآخر ثم تولد منهما لبنات ثم  
تركبت تلك اللبنات من تركيبها وقصر مشيد وبناء عال وكل ذلك  
حصل من غير تدبير مدبر وتقدير مقدر فانه يفضي على مجوز هذا  
بالجهنن ونحن نعلم ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب  
النيرة والحركات المختلفة وما حصل لها من النقاء والصفاء ليس  
اقل من ذلك البناء فثبت ان القول بوقوع هذه السموات والكواكب  
على وجه العبث والجراف محال ثم عند هذا ليخلوا اما ان يقال  
انها يتحرك بانفسها على سبيل الطبيعة او على سبيل الاختيار او لاجل  
ان محركاتها تتحركها والاول باطل لان كل جسم يتحرك بالطبع عن شئ  
فانه لا يتحرك بعين تلك الطبيعة الى عين ذلك الشيء لان المهرروب  
بالطبع لا يكون مطلوباً بالطبع والحركة المستديرة فكل حركة وقعت  
هرباً عن نقطة فان عين ذلك الهرب يكون عين تلك النقطة  
فعلينا ان حركات الافلاك ليست طبيعية وهي ايضا ليست ارادية  
وذلك ان حركاتها اما ان يكون لغرض يمكن حصولها او ليس كذلك  
فان كان الاول لزم وقوف هذه الحركات وانهاؤها الى السكون  
لان كل حركة كانت لطلب مقصود فعند حصول ذلك المقصود  
وجب انقطاع تلك الحركة وان كانت تلك الحركة لاجل عرض غير ممكن  
الحصول كانت تلك الحركة عبثاً والعبث لا يكون دائماً وما بطل  
القول فعلمنا ان حركاتها ليس الا لاجل ان المدبر والمقدر القاهر



القادر العالم بالاسرار والخفيات المطلع على الكليات والجزئيات  
 يحركها على وفق مشيئته ومقتضى قدرته وليس عندنا الا الايمان  
 بها على سبيل الاجمال على ما قال ويتفكرون في خلق السموات والارض  
 ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فنعذاب النار **النوع الثاني**  
**عشر** من الاستدلال باحوال السموات انا نرى فيها مختلفة في الالوان  
 مثل محو القمر وصفرة عطارد وبياض الزهرة وضوء الشمس  
 وحرارة المريخ ودرية المشتري ومكودة زحل ولطعان الثوابت  
 وايضا فكل كوكب من الكواكب الثابتة يختص بعظم خاص  
 وضوء خاص وجانب من الفلك خاص وايضا عند المجريين مختلفة  
 السعادة والخوسة والذكورة والانوثة والنهارية والليلية  
 فيرى زحل الذي هو ارفع السيارات غشا والمشتري هو اود  
 منه سعدا والشمس وهي سلطان الكواكب سعد في بعض الاقطار  
 وخس في بعضها ونزبها مختلفة في الثبوت والحدود والوجوه  
 والمثلثات والرجوع والاستقامة والصعود والهبوط مع كونها  
 باسرها مشتركة في كونها اجساما فلكية شفافة نورانية  
 مصونة عن الكون والفساد والغير والاخلال فقط في صريح  
 العقل بافتقارها الى مدبر يدبرها وقادر يختص كل واحد  
 منها بصفة معينة **النوع الثاني عشر** ان هذه الكواكب ان كان  
 لها تاثير في هذا العالم فهي اما ان يكون متدافعة او متعاونة

٩٦  
 او لامتدافعة ولا متعاونة فان كانت متدافعة فاما ان يكون  
 بعضها اقوى من البعض او متساوية في القوة فان كان بعضها اقوى  
 من البعض كان القوي غالبا والضعيف يكون مغلوبا  
 ابدأ فوجب ان يستمر احوال هذا العالم على طبيعة ذلك الكوكب  
 ومعلوم انه ليس الامر كذلك فان قيل لم لا يجوز ان يختلف اثار  
 الكواكب بسبب اختلاف طبائع البروج قلنا لو كانت طبائع  
 البروج مختلفة لكان الفلك جسما مركبا لا بسيطا وقد ثبت عنهم  
 فساد ذلك واما ان كانت متساوية في القوة مع انها متدافعة  
 فحينئذ لا يحصل الفعل عن شيء منها اصلا فيكون الافعال  
 الظاهرة في هذا العالم مستند الى شيء غيرها فيكون مدبر هذا  
 العالم لا ذلك الغير ولا هذه الكواكب اما ان قيل هذه الكواكب  
 متعاونة لزم ايضا بقاء هذا العالم على نسق واحد من غير تعلق  
 اصلا واما ان قيل انها تارة متعاونة وتارة متدافعة كان  
 انتقالها من الحب الى البغض ومن الممانعة الى المعاونة تغيرا  
 يحصل لها في صفاتها ولا بد لذلك التغير من مغير ومدبر  
 فيكون الكواكب باسرها مفتقرة في حصول صفاتها وحدوث  
 احوالها الى مدبر قادر وذلك هو الله سبحانه وتعالى **النوع**  
**الثالث عشر** ان هذه السموات والكواكب اجسام وكل جسم  
 مركب عن الاجزاء لان كل جسم منو قابل للقسم الوهمية



وكل ما قبل القسمة الوهمية كانت ذات مركبة من تلك الاجزاء الى  
كل واحد منها متميز عن الاخر في الاشارة الحسية وكل ما كان مركبا  
فانه مفترق في حقيقة الى كل واحد منها من اجزائه وكل واحد من اجزاء  
الشيء غير فكل مركب هو مفترق الى غيره وكل مفترق الى غيره فهو ممكن  
لذاته وكل ممكن لذاته فهو محتاج الى المؤثر وكل ما احتاج في وجوده  
الى المؤثر فاحتياجه اليه اما ان يكون حال بقاءه او حال حدوثه  
او حال عدمه ويمتنع ان يحتاج الى الموجد حال بقاءه لان ذلك يقضي  
ايحاء الموجد وتحصيل الحاصل وهو محال فلم يبق الا ان يكون الى جهة  
اما زمان الحدوث او زمان العدم وعلى كلا التقديرين كان  
كل محتاج الى المؤثر محدثا فثبت ان هذه الكواكب والسموات  
باسرها ممكنة الوجود لذواتها محتاجة في وجودها الى المؤثر  
فحدوثه مسبوقة **النوع الرابع عشر** في الاستدلال بسرعة حركة  
هذه الكواكب مع غاية عظمتها وذلك لان اصغر كوكب يرى هو  
مثل الارض ثمان عشرة مرات واكبرها ينهي الى قريب من مائة  
وعشرين مرة مثل الارض فاما الشمس فهي مثل الارض مائة  
واربعة وستين مرة ثم انك ترى الكوكب يطلع في لحظة يسيرة  
وذلك لان الزمان بين طلوع اول جزء من الكوكب الى تمامه  
يسير وذلك الكوكب مثل الارض مائة وعشرين مرة فقد دار  
الفلك في تلك اللحظة اللطيفة مثل الارض مائة وعشرين مرة

وانظر

وانظر كيف عبر جبرئيل عليه السلام عن سرعة حركة اذ قال النبي  
عليه السلام هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال الرسول عليه السلام  
كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت  
الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم جرمها ثم الى  
خفة حركتها ثم انتقل منها الى قدرة فاطرها وبارئها تعالى  
وتقدس كيف خلقها على عظم جرمها ثم حركها بهذه الحركة الخفيفة  
السريعة ثم امسكها في الهواء بغير عمد ترونها **النوع الخامس عشر**  
في الاستدلال بهذه الاجسام ان الاجسام متساوية في الجسمية  
بدليل انه يصح تقسيم الجسم الى الفلكي والارضى والى الكيف  
والى اللطيف والى الخاز والى البارد والى الرطب والى اليابس  
فمورد التقسيم مشترك بين كل الاقسام والجسمية قد وشرتك  
بين كل هذه الاقسام والامور المتماثلة في تمام الماهية تكون  
متساوية في قبول الصفات والاعراض فاذا ثبت ان كل ما ملح  
على جسم فهو صحيح على سائر الاجسام فاذا اختصا كل جرم  
بما هو مختص به في المقدار والوضع والشكل والطبع لا بد وان يكون  
من الجازات وذلك يقضي علمها بالافتقار الى الصانع القديم  
الحكيم المختار جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا اله غير هذه  
هي الوجوه التي وصلت عقولنا الضعيفة اليها وهي باسرها  
داخلة تحت قوله سبحانه وتعالى ان في خلق السموات والارض



واختلاف الليل والنهار لايات لاوى الباب **الفصل الرابع**  
 في تقدير صفات السموات والاستدلال بكل واحد من تلك الصفات  
 على الاله القادر الحكيم الصفة الاولى بقاءها في جو الهواء معلنة  
 قال سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن  
 زالتا ان امسكهما من احد من بعد ان كان عليهما غفورا خيرا الله  
 تعالى في هذه الآية انه سبحانه هو الذي يمسك السموات والارض غير  
 زائلة عن مواضعها ومقارها ثم الى بيان ذلك الممسك هو الله سبحانه  
 وتعالى فليبين ذلك في الارض ثم في السماء اما الارض فمن الناس  
 من قال انها حاوية بطبيعتها ابد في الخلاء الذي لا نهاية له من جهة  
 السفلى ومنهم من قال الفلك واقف والارض هي التي يتحرك  
 كل يوم وليلة دورة تامة وسبب طلوع الشمس والكواكب  
 هو استدارة الارض والذي يدل على انها غير هابط انها لو كانت  
 كذلك لكان من طفر من موضع عال الى الارض وجب ان لا يصل  
 اليها لان كل شئ ينزل من الاعلى الى الاسفل واحدهما  
 اخف من الاخر فان الاخف لا يدرك الاثقل وانما قلنا  
 انها غير مستدير لانها لو كانت مستديرة كذلك كان حركتها  
 في غاية السرعة وكان يتموج الهواء المحيط بها تموجا شديدا  
 وكان يجب ان يكون تموج تلك الهواء مانعا للانسان من ان يتحرك  
 الى خلاف تلك الجهة ومعلوم ان ذلك باطل ولما بطل هذا القمان

وهي من موضع عال تنزل

ثبت

ثبت ان الارض واقفة واما السموات فهي ايضا مستقرة في احيائها  
 غير خارجة منها والدليل عليها انها لو خرجت عن موضعها فاما  
 ان ينزل او يصعد فان نزلت مع ان الارض واقفة صارت  
 السماء كل يوم اقرب اليها وكان يجب ان نرى كل يوم تلك الكواكب  
 اعظم وان نرى من السماء اقل ما رايناها بالاسم فان قلنا  
 ان السماء تصعد لزم ضد ما ذكرناه ولما كان كل ذلك باطلا  
 علمنا ان السموات والارضين مستقرة في مواضعها مستقرة في  
 احيائها اذا ثبت هذا فنقول ممسكها هو الله سبحانه واما الارض  
 فنقول للناس في سبب سكونها اقوال الاول ان الارض لا نهاية  
 لها من جانب الاسفل واذا كان كذلك لم يكن لها مهيبط فلا جرم  
 تنزل وهذا فاسد من وجهين الاول ثبت بالدليل ان الاجسام  
 متناهية الثاني ان الارض طبيعتها واحدة فاختصاص احد  
 وجهيها بالتناهي والوجه الآخر بهدم التناهي لا بد وان يكون  
 بتخصيص مخصوص وتقدير قادر القول الثاني قول من  
 سلم ان الارض متناه من جميع الجوانب والقائلون بهذا القول  
 ذكروا في سبب سكون الارض وجوها الاول قالوا الارض  
 كنصف كرة ومحاذ بها على الجانب الذي يليها واما سطحها  
 الاسفل فهو سطح مستقيم موضوع على الماء والهواء ومن  
 شأن الثقل المنهبط ان لا يفوص في الماء بل يبقى واقفا عليه



وهذا باطل من وجهين الاول ان البحث يعود في علة وقوف  
الماء والهواء تحت الارض والثاني لم صار احد وجهي الارض  
مختربا والثاني مستقيما مع تساوي الماهية بل لا يعقل هذا  
الاسبب الفاعل المختار والثالث الذين قالوا ان سبب وقوف  
الارض جذب الفلك لها من كل جانب فبقيت في الوسط وهو  
ايضا باطل من وجهين الاول ان المدرة التي على وجه الارض  
اقرب الى هذا الجانب من الفلك فوجب ان يجذب الى هذا  
الجانب من الفلك الثاني ان المدرة المدرومة الى فوق وجب  
ان يجذب الى الفلك وان لا يعود القول الرابع سبب وقوف  
الارض رفع الفلك لها من كل جانب كما اذا جعل كف من التراب  
في قنينة ثم ادرة القنينة على قطبها اذارة سريعة وقف التراب  
في وسط القنينة لتساوي الدفع من كل الجانب وهذا باطل من  
وجوه خمسة الاول القارورة لو بلغ قوة الدفع الى هذا الحد  
فلم لا تخس بها الواحد منا الثاني ما بال الدفع لم يجعل حركة سحب  
والرياح الى جهة بعينها الثالث ما بال هذا الدفع لم لا يجعل ثقلاها  
الى الجهة الموافقة لحركة الفلك اسهل وضد فلك الحركة اصعب  
الرابع يجب ان يكون الثقيل كلما كان اعظم وجب ان يكون  
حركته ابطا لانه اندفاع المدفوع الاعظم من اندفاع المفاسد  
ابطاء الخامس يجب ان يكون حركة الثقيل النازل من الابتداء

اسرع منها عند الانتهاء لانه عند الابتداء ابعد من الفلك  
وابعد من تأثير القول الخامس الارض يطلب الوسط من  
الفلك بالطبع وهو قول ارسطاطاليس وهو ضعيف لان الاجسام  
متساوية فاخصاص بعضها بالصفة التي لاجلها يطلب وسط  
العالم يكون امرا جازا فيحتاج الى مخصص مختار القول السادس  
الفلك كرة فاذا استدار على ما في حشوه عرض لما هو في غاية  
القرب من الفلك ان يتسخن فيصير نارا والماء هو في غاية  
البعد عن الفلك ان يبقى على البرد والكثافة واليبس فيكون  
ايضا ثم الذي يقرب من النار يكون لا محالة الطيف مما يقرب  
من الارض فصار الملاصق للنار هواءا والملاصق للارض  
ماء فلهذا السبب حصلت العناصر على هذا الترتيب وهذا  
ايضا ضعيف لانه الكلام يعود في انه لم يحصل بعض الاجسام  
ملاصقا للفلك وبعضها في غاية البعد عن الفلك حتى صار  
القريب نارا والبعيد ارضا القول السابع قالت المعتزلة  
النصف الاسفل من الارض فيه اعتمادان صاعدة والنصف  
الاعلى فيه اعتمادان هابطة فحصل التدافع بين الاعتمادين  
المتضادين فلزم الوقوف وهذا ايضا ضعيف من وجهين  
لانا نقول ولم اختص ذلك الوجه بالاعتماد الصاعد وهذا  
الوجه بالاعتماد النازل ولا يمكن ان يذكر فيه سبب الا الفاعل



المختار ولما بطلت هذه الاقاويل لم يبق الا ان يقال بقاء الارض  
والسموات في مواضعها ومقارها واحيازها ليس الا بالله سبحانه  
وتعالى ثبت ان ممسك السموات والارضين هو الله سبحانه وتعالى  
وتقدير الكلام على الوجه البرهاني يعود الى ما تقدم من ان  
الاجسام متساوية في الجسمية فاخصاص كل واحد منها بجزء مخصوص  
لا يمكن ان يكون لذواتها ولا شئ من لوازم ذواتها والا لزم التسلسل  
بل لا بد وان يكون امرا جازيا فيكون بتخصيص المخصص الذي هو  
القادر المختار فصار قوله سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات  
والارض ان تزولا مؤكدا لهذه البراهين القطعية اذا عرفت  
هذا البرهان فلنرجع الى البيا الاقناعي الذي يصل اليه كل فهم  
فنقول لا شك ان السماء فوق الهواء وهو المحسوس ولا شك  
ان الارض فوق الماء بدليل انك لا تخطي لا تخفر موضعها الا خرج  
عنه الماء والطف الاجسام المشاهدة هو الهواء بعد الماء  
ثم ان الارض مع ما فيها من الاجسام الثقيلة كالبحار والجبال  
موضوعة على الماء وايضا لا شك ان كل واحد من النجوم اعظم  
من الارض بدرجات واثقل منها بكثير فاذا شاهدنا ان اصغر  
جزء من الارض لا يستقر على الماء وعلمنا ان كل الارض مستقر  
على وجه الماء علمنا ان ذلك لا يكون الا باسك الله سبحانه وتعالى  
ثم ان الهواء الطيف من الماء ولا يستقر فيه اصغر الاجزاء الثقيلة

ثم ان السموات والكواكب مع ما فيه من الثقل العظيم والعظمة  
العظيمة استقرت في الهواء علمنا ان ذلك لا يكون الا باسك  
الله سبحانه وتعالى فظهر انه ليس باستقرار الارض في حيزها  
لستقرار السموات في موضعها هو الا بتقدير قادره وعلم عالم  
حكيم هو اقد والقادرين واحكم الحاكمين تنزهت عظمته  
من علايق عقول البشرية وتقدست جلالة وكبريائه عن  
حوادث الافكار الانسانية بقي هيئنا سؤالات الاول ما معنى  
قوله تعالى ولئن زائلنا ان امسكها من احد من بعد والجواب  
قال الفراء المعنى لو زائلنا امسكها من احد من بعد الله وهو  
كقوله ان انت الا نذير اي ما انت الا نذير السؤال الثاني ما الفائدة  
في قوله ولئن زائلنا وهي الايزولان الى يوم القيامة والجواب  
من وجوه الاول عدم الوقوع لاينا في صدق قولنا لو وقع  
كيف يكون كقوله لو كان فيها الهة الا الله لعسدا الثاني  
المعنى لو زائلنا حين حكمت بالزوال يوم القيمة في الذي يمكنها  
عن ذلك الزوال الثالث لو زائلنا بسبب كفركم وموتكم اتخذ  
الرحمن ولدا على ما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتشق  
الارض وتخر الجبال هذا ان دعو الرحمن ولدا السؤال  
الثالث ما الحكمة في حتم هذه الآية بقوله نعم انه كان حلما  
غفورا للجواب محتمل ان يكون تقدير الآية ولئن زائلنا



وَجَلَّ الْعَذَابُ بِاسْتِجَالِكُمْ مِنْ الْمَنَعِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ غَفُورٌ وَاللَّهُ  
 أَعْلَمُ الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ لِلسَّمَوَاتِ الرَّفْعَةَ قَالَ تَعَالَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ  
 بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوِيهَا وَتَقْدِيرُ هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ عَاجِزُونَ عَنْ رَفْعِ  
 شَيْءٍ ثَقِيلٍ فِي الْهَوَاءِ إِلَّا بِأَحَدِ طَرِيقَتَيْنِ أَمَّا أَنْ يَكُونَ تَحْتَهُ شَيْءٌ يَسْتَقِرُّ  
 عَلَيْهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ هُوَ مُعَلَّقًا عَلَيْهِ وَلَا شَيْءَ أَنْ الْعَالَمُ مَتْنَاهُ مِنْ فَوْقِهِ  
 وَتَحْتَهُ فَلَيْسَ لِجَمِيعِ الْأَقْسَامِ شَيْءٌ فَوْقَهُ حَتَّى يَكُونَ شَيْءًا مُعَلَّقًا وَلَيْسَ  
 شَيْءٌ تَحْتَ جَمِيعِ الْأَجْسَامِ جَسْمٌ حَتَّى يَسْتَقِرَّ هُوَ عَلَيْهِ فَذَا عَجَزَ كُلُّ الْخَلَائِقِ  
 عَنْ رَفْعِ شَيْءٍ ثَقِيلٍ إِلَّا بِأَحَدِ هَذَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ وَثَبَّتَ أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِ  
 بِمَا فِيهِ مِنَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْجِبَالِ وَالْجَارِ وَالْجِبَالِ  
 مُعَلَّقَةٌ مِنْ غَيْرِ عِلَاقَةٍ فَوْقَهَا وَلَا قَرَارٍ تَحْتَهَا لَمْ يَكُنْ بَدَنٌ مِنَ الْأَقْرَارِ  
 بِقَادِرٍ مِمَّا يُمْسِكُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْأَجْسَامِ وَأَقْدَرُ مِنْهَا حَتَّى  
 يُمْسِكَهَا بِقُدْرَتِهِ وَيَحْفَظُهَا بِأَلَهِيَّتِهِ أَلَا هُوَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ  
 رَبُّ الْعَالَمِينَ وَفِي الْآيَةِ سُؤَالَاتٌ الْأُولَى أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ بِغَيْرِ عَمَدٍ  
 تَرْوِيهَا هَذَا تَوْهَمٌ أَنَّ هُنَاكَ عَمَدٌ لَا تَرْوِيهَا وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهِ  
 الْأَوَّلِ لَوْ قَالَ بِغَيْرِ عَمَدٍ لَكَانَ خَطًا بَلْ لَذَلِكَ عَمْدٌ وَهُوَ أَمْسَاكَ اللَّهُ تَعَالَى  
 كَمَا قَالَ اللَّهُ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا إِلَّا أَنْ أَمْسَاكَ  
 اللَّهُ وَحَفَظَهُ عَمَادٌ لَا تَرَى فَلِهَذَا السَّبَبِ قَالَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوِيهَا  
 الثَّانِي قَالَ الْحَسَنُ وَقِتَادَةُ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ  
 بِغَيْرِ عَمَدٍ وَأَنْتُمْ تَرْوِيهَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ بِغَيْرِ عَمَدٍ وَالثَّالِثُ قَالَ

فَوْقَهُ شَيْءٌ نَحْوُ

فِي صِفَةِ

فِي صِفَةِ الْعَرْشِ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ مِنْ هُنَا  
 يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلسَّمَوَاتِ مَلَائِكَةٌ يَحْمِلُونَهَا فَذَا كَانَ هَذَا يَحْتَمِلُ  
 فَلَا جَرَمَ مَا نَفَى الْعَمَدَ مُطْلَقًا بَلْ نَفَى عَمْدًا شَاهِدًا وَنَرَى الْآنَ أَنْ نَسْبِتَ  
 إِلَى حَمْلِ الْعَرْشِ وَالسَّمَوَاتِ فِي الْمَلَائِكَةِ فِي الَّذِي يَحْمِلُ الْمَلَائِكَةُ مَعَ  
 هَذَا الْحَمْلِ الْعَظِيمِ الْأَقْدَرُ الْأَحَدُ الْقَدِيمُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ  
 وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ السُّؤَالُ الثَّانِي الرَّفْعُ يَشْمُرُ بِأَنَّهَا كَانَتْ  
 مَوْضُوعَةً فِي السُّفْلِ فَنَقَلَهَا اللَّهُ مِنَ السُّفْلِ إِلَى الْعُلُوِّ بِهَذَا الْأَمْرِ  
 كَذَلِكَ الْجَوَابُ فِي لَفْظِ الرَّفْعِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ  
 عِبَارَةٌ عَنِ الْإِنشَاءِ عَلَى صِفَةِ الارتفاعِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَوْضُوعَةً فِيهَا  
 نِظَرُ قَوْلِهِ وَالْأَرْضُ وَصْنُهَا لِلْأَنَامِ أَيْ خَلَقَهَا مَوْضُوعَةً لِلْأَنَامِ  
 لِأَنَّهَا كَانَتْ مَوْضُوعَةً فَوْضَعَهَا وَالْقَوْلُ الثَّانِي أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 كَانَتَا تَقَاسِيًا وَاحِدًا رَتَقَافَتَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا وَرَفَعَ السَّمَاءَ  
 عَلَى مَا شَرَحْنَاهُ الصِّفَةِ الثَّالِثَةِ لِلسَّمَوَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالْأَرْضَ  
 جَمِيعًا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَاتٍ بِيَمِينِهِ لَمَّا أَلَّ  
 الْأَمْرَ إِلَى آدَمَ عَمٌ قَالَ لِابْلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي  
 فَالسَّمَوَاتِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ يَكُونُ فِي يَمِينِ اللَّهِ سَجْدَانِ وَآدَمَ عَمٌ  
 فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَ مَخْلُوقًا بِإِيْدِيهِ وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَا هُوَ نَائِيَةٌ  
 أَحْوَالِ السَّمَوَاتِ مِنْ بَدَايَةِ أَحْوَالِ الْبَشَرِ الصِّفَةِ الرَّابِعَةِ  
 كَوْنُ هَذِهِ السَّمَوَاتِ مَخْلُوقَةً بِالْحَقِّ لَا بِالْبَاطِلِ قَالَ تَعَالَى







واعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من اعلاه الى اسفله سماعا  
وان اخذ من اسفل الشيء الى اعلاه سماعا فالمراد برفع سمكها  
شدة علقها حتى ذكر وان ما بين السماء والارض مسير خمس  
عام واما قوله فسويها فقبل المراد به تسوية تأليفها وقبل  
المراد المستفوق منها كقوله ثم ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت  
واعلم ان كل هذه الوجوه يدل على كمال العلم والقدره لمديرتها  
وخالفها لان وقوع التفاوت نارة يكون بجمل المدبر وتارة يكون  
بجزء من كان عالما بالكل قادر على الكل امتنع وقوع التفاوت  
في مخلوقاته فهذا الطريق عرفنا انه صادق وعنه حكم لا يقع  
السفاه في فعله لان صدور الكذب والسفاه اما للعجز او الجهل  
او الجبل والكل محال عليه فامتنع الكذب في وعده والسفاه في فعله  
واما ان تخليق السموات بسب طهوت الزمان فهو المراد من قوله  
واغسطس ليلا واخرج ضجيجها واعلم ان اغسطس قد يحى لازما  
يقال اغسطس الليل اذا صار مظلا ويحيى منعديا يقال اغطسته  
الله اذا جعله مظلا والغطش الظلمة والاغطش منه مثل الغمش  
وهنا سؤال وهو ان الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسب  
غروب الشمس فقوله اغطش ليلا يرجع معناه الى انه سبحانه جعل  
المظلم مظلا وهذا الكلام بعيد الجواب معناه ان الظلمة الحاصلة  
في ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديره واما قوله واخرج

منها فالمراد هو النهار الا انه سبحانه عبر من النهار بالضجيج  
لان الضجيج أصوات اوقات النهار ونظير هذه الآية قوله ثم والضجيج  
والليل اذا سجي وذلك لان اصوات اوقات النهار هو الضجيج وذلك  
هو الصوت التامة بعد الظلمة التامة مما لا يقدر عليه الا الله سبحانه  
واعلم ان في الآية فوائد احدها انه سبحانه قدم ذكر الظلمة على  
ذكر النور وهذا يدل على تقدم الظلمة على النور وهو نظير قوله  
وجعل الظلمات والنور والثانية انه اصناف الليل والنهار الى  
السماء لانها انما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها والعرفان  
والطلوع لا يحصلان الا بسبب حركة الفلك فلهذا اصناف الليل  
والنهار الى السماء والفائدة الثالثة في هذه الآية ان المقصود  
منها الاستدلال بها على وجود الخالق سبحانه والتقدير ان السماء  
اشد خلقا من الادنى وقد اقررت ان خالق السماء هو الله فكيف  
انكرتم ان مدبر احوالكم هو الله والفائدة الرابعة ان ابان  
المعاد ايضا مقصود من هذه الآية وسياق الآية يدل عليه  
قال الله تعالى فيما قبل هذه الآية يوم ترحف الراحفة تتبعها الرادفة  
الى قوله وانتم اشد خلقا ام السماء بناها والنفخ انتم انكرتم البعث  
واستبعدتم اعادة خلقكم بعد موتكم والاعادة ايسر من ابتداء  
السماء وابتداء خلقكم ايسر من ابتداء السماء فلما اقررت بانتم  
هو الذي خلق السماء فبان تفترقوا بكونه قادرا على الاعادة



والبعث اولى الفائدة الخامسة كانه قال السماء مع شدة خلقها وعظمتها  
وكذلك الارض بجبالها وبحارها مطيعة بحكمي وامري فكيف عصمت  
حكلي وامري مع انكم في غاية الضعف بل يقول انتم والسماء تشتركون  
في ان كل واحد منكم حصل بايجادى وابداعى وانتم انما فارقتم  
السماء والارض بالمعرفة والتميز والافراق بحصول الثواب  
والعقاب فانتم بسبب هذه المعرفة اولى بالانقياد بطاعتى  
والفائدة السادسة اني لما رفعت السماء من الارض خلقت  
المكان لان المكان هو الفرجة الحاصلة بين السماء والارض  
واليه الاشارة بقوله تعالى رفع سمكها فسويها فلما حركت جرم  
السماوات اظهرت الزمان واليه الاشارة بقوله ولعطش ليلها  
واخرج ضيها فالمكان والمكانيات ملكى والزمان والزمانيات  
ملكى ونظير قوله تعالى في سورة الانعام قل لمن مافى السموات  
والارض قل الله وهو اشارة الى ان المكان والمكانيات ملكه  
وملكه ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى  
الزمان والزمانيات ملكه ومملكه فهو سبحانه خالق المكان  
والمكانيات ومدبر الزمان والزمانيات وذلك يدل على كونه  
منزها عن المكان والزمان وعلايق الحدود والمكان الصفة  
السادسة للسموات قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم  
عن اياتها معرضون وايضا سماه الله تعالى بالسقف المرفوع

قال تعالى

قال تعالى والبيت المعمور والسقف المرفوع واعلم ان من تأمل في  
هذا العالم وجد كالبيت الذي اعد فيه كل ما يحتاج اليه والسماء  
مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالسباط والنجوم منصوبة  
كالمصاييح والانسان كالكبيت المتصرف فيه وضروب النبات  
مهيأة لمنفعة وضروب الحيوانات معروفة في مصالحه وهذه  
احوال واضحة ودلائل باهرة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل  
وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية ومما يشبه  
هذا الوصف انه تعالى سماها سباعا طباقا وسبعاء شدادا الصفة السابعة  
للسموات انه تعالى جعلها قبلة الدعاء قال تعالى قد نرى تقلب وجهك  
في السماء فلنولينك قبلة ترضى فقول قد نرى تقلب وجهك  
في السماء اشارة الى تضرعه حال اشتغاله بالدعاء والمجتمعة بتسكوا  
بذلك على انه سبحانه في جهة فوق وهذا باطل على ما يبيح برهانه  
ان شاء الله تعالى السبب لذلك من وجوه الاول انه تعالى احوال  
الافلاك اسبابا لمصالح احوال هذا العالم قال تعالى حكاية عن فوخو  
لعلى ابلغ الاسباب اسما اسباب السموات وقال ايضا فليمدد  
بسبب الى السماء وفي الدعوات المشهورة قولهم يا مستجب الاسباب  
ومما يؤكد ذلك قوله في صفة الملائكة فالمدبرات امرا  
وفي آية اخرى فالمقسمات امرا ولا شك ان مسكن الملائكة هو  
السموات فلهذا الوجه صارت احوال السموات اسبابا لمصالح



هذا العالم والثاني ان الارزاق انما ينزل من السماء قال وفي السماء  
 رزقكم وما تعدون والثالث ان الملائكة ينزلون بالسلام والرحمة  
 من الله تعالى انما ينزلون من السموات قال الله تعالى تنزل الملائكة والروح  
 فيها باذن ربهم الرابع ان الانوار انما ينزل من السموات قال  
 هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فلما كان كل مصالح العالم  
 لا يتم الا من السموات لاجرم كانت الاعين ممتدة اليه والايدي  
 مرفوعة اليه والقلوب متعلقة به **الفصل الخامس** في تفسير  
 قوله تعالى فاطر السموات والارض حكى سبحانه عن ابراهيم الخليل ع  
 انه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وحكي عن نوح  
 الصديق انه قال فاطر السموات والارض وقال في خلق البشر  
 فطرة الله التي فطر الناس عليها واعلم ان الفاطر هو الذي يحدث  
 الشيء ابتداء وتحقيقه ان الفطور هو الشئ فمن احدث الشيء ابتداء  
 فهو الذي شق ظلة العدم واعلم ان فعل الله سبحانه وتكوينه  
 مغاير فاعلم من وجوه الاول ان الانسان لا يمكن ان يفعل الا  
 في محل مخصوص وصيغة معينة فالحداد لا بد له من حديد  
 والصانع لا بد له من ذهب والحائك لا بد له من غزل فالحق  
 سبحانه غني في فعله في المادة وذلك لان تلك المادة لما كانت  
 قابلة للاحوال المتغيرة والحوادث المتعاقبة كانت محدثة فلا بد  
 لها من محدث فلو افترق احدان الله وايحاده الى سبق مادة

لزم افتقار المادة الى مادة اخرى لا الى غير نهاية وهو محال فلما كان  
 سبحانه هو الفاعل للمواد والموجد لها دل ذلك على ان فاعله  
 غني عن سبق المواد الثاني ان العباد اذا تصرفوا في مادة منهم  
 لا يتصرفون في ذات تلك المادة والخيار يتصرف في الخشب ولكن  
 الخشب باق في حال ذلك التصرف والصانع يتصرف في الذهب  
 ولكن الذهب باق في تلك الحالة اما الحق سبحانه فانه يتصرف في المواد  
 ويغيرها في انفسها الا ترى ان الله سبحانه يقلب الطين غذاء ويقلب  
 الغذاء نطفة ويقلب النطفة علقة والعلقه مضغة والمضغة  
 عظما وايضا خلق البشر من التراب كما قال ان مثل عيسى عند الله  
 كمثل ادم خلقه من تراب فركب من التراب لحما ودماء وصورة الترابية  
 غير باقية في شئ منها ويخلق الحيوان من الماء كما قال والله خلق كل  
 دابة من ماء وصورة المائية غير باقية فيها وخلق عيسى من نوح  
 جبرئيل عم ولذلك كان عيسى بصور الحيوانات فينفخ فيها  
 فيصير حية باذن الله وصورة الهوائية مكاثت باقية فيها  
 وخلق الجن ملا من مارج من نار وصورة النارية غير باقية  
 فيه وخلق ناقة صالح من الحجارة وصورة الحجر غير باقية فيها  
 وخلق الثعبان من عصي موسى وصورة الخشبية غير باقية فيه  
 وخلق حواء من صلح آدم عليه السلام وكانت صورة العظمية  
 باقية فثبت بان الله سبحانه وتعالى يقلب المواد في ذاتها من حالة



الى حالة اخرى وسائر الفاعلين ليسوا كذلك فظهر الفرق والفرق  
 الثالث ان كل الفاعلين يفتقرون في فاعليتهم الى توسط الآلات  
 فالنجار لا بد له من منشار وقديم والحياط لا بد له من ابرة ومقراض  
 والحق تم غنى في فعله عن الآلات والادوات لانه فاعل الآلات  
 والادوات فلما افتقرت فاعليته الى الآلة لزم التسلسل والفرق  
 الرابع ان سائر الفاعلين لا يمكنهم ان يفعلوا فعلا الابعاض  
 وملاقات بين الفاعل وبين محل الفعل فان لم يحصل المماس  
 اصلا عجز عن الفعل فيه والحق تعالى هو المتصرف من العرش الى ما تحت  
 الترى من غير مجاورة ولا مقاربة والفرق الخامس ان من فعل  
 فعلا فانه لا يفعل الا بهمة وتدرج وزمان بعد زمان والحق  
 سبحانه وتعالى غنى عن المهمة والتدرج والتطويل والزمان  
 كما قال انما امرنا بشئ اذا اردناه ان يقول له كن فيكون وقال  
 ايضا وما امر الساعة الا كلمح البصر وهو اقرب والمعنى اني  
 اميتهم عند النفخة الاولى في اقل من لمح البصر واجيبهم عند  
 النفخة الثانية في اقل لمح البصر واراد في هذه اللحظة اللطيفة  
 جميع الارواح الى اشباحها التي هي الاجسام الاصلية من غير  
 غلط ولا خلل وانما امكن ذلك لكونه سبحانه وتعالى قادرا  
 على جميع المقدورات عالم بجميع المعلومات والفرق السادس  
 ان كل من فعل فعلا فانه يتعب بسبب ذلك ويشق عليه ذلك

والحق تم

والحق تعالى يدبر من العرش الى ما تحت الترى في تخليق ذواتها  
 وايجاد صفاتها من غير تعب ولا نصب قال تم ولقد خلقنا السموات  
 والارض وما بينهما في ستة ايام وما مستنا من لغوب وقال  
 افقيها بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد فان قيل  
 اليس انه تعالى قال في الاعادة وهو هو عليه وهذا يقتضي  
 حصول نفع من التعب في الخلق الاول قلنا انما ذكره على حسب  
 المعتاد فان في العادة الابتداء اصعب من الاعادة فلما اسلموا  
 انه لا تعب في الابتداء فبان لا يمتنع له الاعادة اولى الفرق السابع  
 ان كل فاعل فعل فعلا فانه يتغير اولا في نفسه ثم بسبب تغير  
 يحصل الفعل خارج ذاته كالكتاب فانه ما لم يترك اصابعه لا  
 يمكنه ان يكتب والحق تم منزله عن ذلك لو توقفت فاعليته  
 على حدوث تغير في ذاته لكان المحدث لتلك الحالة المتغيرة هو الله  
 سبحانه فكان يقتصر احداث تلك الحالة الى حدوث حالة اخرى  
 فلزم التسلسل فهو سبحانه يفتقر ويغنى ويبرئ ويحيي ويميت  
 ويطلع ويظلم ويسقي ويدبر السموات والارضين والجمار  
 والجبال والذوات والذوات والصفات مع انه منزله في ذاته  
 وصفاته من انواع التغير والزوال والحوادث والانتقال بل من  
 عجائب هذا الموضع ان كل من سوى رب العالمين فانه يتغير  
 علمه بتغير المعلومات ويتكثر علمه بتكثر المعلومات وهو سبحانه يعلم



بعدم واحد ما لا نهاية له من المعلومات ويعلم بعلم باق دائم جميع  
التغيرات والفرق الثامن ان كل ما سواه من الفاعلين  
فانه لا يمكن ان يجمع بين الافعال الكثيرة فالكاتب لا يمكن ان يكتب  
الكلمات الكثيرة على الجمع بل على التعاقب وبالجملة ما لم يفرغ عن  
احد الفعلين لا يمكن الاستغفال بالفعل الاخر اما الحق سبحانه هو  
القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن فهو مدبر العرش والكرسي  
واللوح والقلم والانوار والظلم والسموات والارضين والجار  
والجبال والحيوان والنبات دفعة واحدة مخلوق ذواتها ويدبر  
صفاتها ويرى حاجاتها ويسمع نذاتها ويجب دعاها فيجيب  
من لا يشغله شأن عن شأن الفرق التاسع ان كل من فعل فعلا  
فانما يفعل لجر نفع اول دفع ضرر والحق منزّه عن جلب المنافع  
ودفع المضار وعلة كل شيء صنعه والاعلة لصنعه وقد بينا دلائل  
هذا الفصل في بيان دلائل التوحيد في قوله سبحانه لا يستل عما يفعل  
وهم يستلون بالعاشر ان كل من فعل فعلا فانه يحصل بعضه على  
وفق مراده فالكافر يجتهد في الحجبة والمعرفة فلا يحصل له مراده بل  
يقع في الشبهة والضلالة وكل احد فاما يتحرك ويسعى لطلب الجزاء  
ثم قد يحصل وقد لا يحصل وقيل كل احد يخرج بكرة يومه من داره  
قدريا ويعود اليها بالمساء جبريا يقول بالبكرة افعل كذا  
ليحصل كذا وبالمساء اجتهدت فما كان التقدير مطابقا للتدبير

والحق تعالى لا يقع فعله الا على وفق مراده ومشيته فانه كل  
الممكنات في قبضة قدرته وربقة ارادته لا دافع لما قضى ولا  
مانع لما ابدع وابدى قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم  
الموت وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا اليؤمنوا الا ان يشاء  
الله الفرق الحادي عشر كل من سواه من الفاعلين فانه كل ما يقع  
المفعول بعد فناء الفاعل وموتة والحق سبحانه هو الباقي بعد فناء  
مخلوقاته كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والفرق  
الثاني عشر ان كل ما سواه من الفاعلين فانه لا ينفك فعله  
عن الخلل والنقصان اما الحق سبحانه ففعله غني عن الخلل والنقصان  
قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى  
من فطور ثم ارجع البصر كرتين ولو انك حصل عقول جميع العقلاء  
عقلا واحدا ثم تفكروا بذلك العقل بفكر وافي جناح بعوضه حتى  
يجد انزكيبها احسن منه واكمل منه فبنت تلك العقول وانقطعت  
تلك الافكار ولا يصير ذرة من ذرات حكمة الله في خلقه تلك  
البعوضة معلومة على سبيل الكمال والتمام فهذا مجموع الفرق  
بين فاعلية العبد وبين فاعلية الحق ولما كانت فاعلية غنية  
عن المادة والمدة والآلة والغدة والزمان والمكان وجلب  
الاغراض وتغير الاحوال والاعراض كان الحق تعالى هو فاعل الاشياء  
فلهذا قال الحمد لله فاطر السموات والارض والله اعلم بحقايق الاشياء



**الفصل السادس** في شرح كون السموات خالية عن العيب  
والنقصان والتقاوة قال تعالى في سورة الملك ما ترى في خلق  
الرحمن من تفاوت واعلم ان المقصود من هذه الآية لا يظهر الا  
بعد تفسير هذه السورة من اولها قال تعالى تبارك الذي بيده  
الملك واعلم اننا جعل لفظ تبارك مطلقا لسورتين احدهما  
سورة الفرقان وهي قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده  
والثانية في هذه السورة فنقول اما لفظ تبارك قال الزجاج  
تبارك تفاعل من البركة والبركة كثيرة للخير وزيادة وفيه  
معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره وهو المراد بقوله وان تعدوا  
نعمته الله لا تحصوها والثاني معناه تزايد عن كل موجود تعاونه  
في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وهو المراد من قوله ليس كمثل شيء  
اما تعالى عن كل شيء في ذاته فيحتمل ان يكون المعنى جل بوجوب  
وجوده ودوام قدمه عن جواز التغير والفناء والعنا ويحتمل  
ان يكون المعنى جلّت فردانيته ووحدانيته عن مشابهة الازداد  
والانداد ومنازعة الاكفاء اما تعالى عن كل شيء في صفاته  
فيحتمل ان يكون المعنى جل في قدرته وفي علمه عن ان يخرج عنهما  
شيء من المعلومات والمقدورات ويحتمل ان يكون المعنى جل علمه  
عن ان يكون مزمورا ولا يليا او تصوريا او تصديقا وجلّت  
قدرته عن ان يحتاج في فاعليته الى مدة ومادة ومثال والنز

نفع ودفع ضرر واما تعالى في افعاله فهو الملك الحق مطلقا اي  
هو الغني عن كل ما سواه في ذاته وفي صفاتها وفي احوالها  
حالة حدوثها وبقائها وتجددها واستمرارها لا ينقطع للحاجات  
ولا يزول الافتقارات اليه وكل موجود فبايجاده موجود وكل  
باق فبايقانه باق شهدت الحاجات في غير على تقدسه عن الحاجات  
وولّت التغيرات في غير على كونه منزها عن التغيرات وقال  
آخرون اصل هذه الكلمة تدل على البقاء وهو مأخوذ من بركاء  
البعير ومن برك الطائر على الماء وسميت البركة بركة لثبوت  
الماء فيها والمعنى انه سبحانه باق في ذاته ازلا وابدا فمتنع التغير  
باق في صفات جلاله ونفوت كماله متمنع التبدل وكما كان الحق نعم  
هو المعطي لجميع جهات المنافع والمصالح والميسر لكل المطالب  
والمناجح لاجرم وجب وصفه بانه تبارك اذا عرفت هذا  
فنقول اننا تعاد كونه سورة الفرقان تبارك الذي نزل  
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال في سورة  
الملك تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ونحن  
نفسر كل واحد منهما بقدر عقولنا القاصرة وافهامنا الناقصة  
ولكل اسرارها الى علمه الكامل وحكمة المحيطه فنقول في قوله  
تبارك الذي نزل الفرقان فوايد الفائدة الاولى ان الفرقان  
هو القران وصف بذلك من حيث انه سبحانه فرق بين الحق

برؤك  
دوه جو كمر نه در



والباطل والحج والشبهة في دلائل التوحيد والعدل والنبوة  
والمعاد اولاً في فرق في النزول كما قال وقرانا فرقناه لتقرأه  
على الناس على مكث وهذا التأويل اقرب لانه قال نزل الفرقان  
ولفظ نزل يدل على التفريق اولاً في فرق بين الشرايع والاحكام  
والحلال والحرام فخص بعضها بالوجوب وبعضها بالاختيار وبعضها  
بالتنزيه وبعضها بالتحريم وبعضها بالاباحة والاحلال وما اتاكم  
الرسول فخذوه وما نهىكم عنه فانتهوا فهذه وجوه ثلثة  
في بيان ان القرآن لم يسم الله الفرقان الفائدة الثانية انه سبحانه  
لما قال في اول السورة تبارك ومعناه كثرة الخير والبركة ثم  
ذكر عقبيه ام القرآن دل ذلك على ان القرآن منشأ اعظم الخيرات  
واكمل البركات لكن المستفاد من القرآن هو العلم والمعرفة  
والحكمة فدل هذا على ان العلم اشرف المخلوقات وانفع المحدثات  
واكثرها خيراً وبركة الفائدة الثالثة لانزاع بالاجماع  
ان المراد من العبد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم وسمعت  
بعض المشايخ قال لما اسرى لمحمد صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين او  
اليه وقال ثم تريد ان اشركك فقال الهى اريد  
ان تشرفني بان تذكرني بكوفي عبداً لك فاوحى الله تعالى سبحان  
الله اسرى بعبد فانظر الى هذه الدقيقة وصفه نفسه في هذه  
السورة بالتسبيح والقرية حتى سماه عبداً وفي سورة الفرقان

نزل الفرقان

وصف نفسه بكونه متباركاً متعالياً حتى سماه عبداً وهذا يدل على  
ان كل من كان اشده عرفانا بعبودية الله وذلة وخضوعه واقفاره  
كان انوار قدس جلال الله في عقله اتم وظهور نور كبريائه على  
روحه اجلى واعظم الفائدة الرابعة اختلفوا في المراد بقوله ليكون  
للعالمين نذيراً فمنهم من قال المعنى ليكون هذا العبد للعالمين نذيراً  
ومنهم من قال المعنى ليكون هذا القرآن نذيراً واصناف الانذار  
اليه كما اصناف الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم  
الا ان هذا وان كان محتملاً لكن جعل النذير صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم  
اولى من جعله صفة للقرآن ويدل عليه وجهان الاول  
ان نص القرآن دل على ان النذير صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم  
قال تعالى انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وهذا الثاني  
ان جعل النذير صفة لمحمد صفة حقيقة وجعله صفة للقرآن  
مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى من حمله على المجاز الفائدة  
الخامسة قوله تعالى ليكون للعالمين نذيراً على ان محمد صلى الله عليه وسلم  
مبعوث الى كل العالمين وذلك لان لفظ العالم عبارة عن كل  
موجود سوى الله فيدخل فيه جميع المكلفين من الجن والانس  
والملائكة لكننا اجمعنا على انه دم ما كان رسولا الى الملائكة فيبقى  
كونه رسولا الى الجن والانس جميعاً وبتأكد هذه الآية بايات  
اخرى احديها قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس وثانيها قوله



قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتونه  
 بمثله وهذا يدل كونه مبعوثا الى كل الانس والجن وثالثها  
 سورة الجن قال تعالى قل اوحى الى اني اسمع نقر من الجن فقالوا  
 انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشدا فامتابه ولن نشرك بربنا  
 احدا الفائدة السادسة ان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات  
 فهذه الآية تدل على ان صلى الله عليه وسلم رسول الى الخلق الى يوم  
 القيمة وهذه يتأكد بقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين  
 واعلم ان تعاقب وصف ذاته بعد هذه الآية باربعة انواع من صفات  
 الكبرياء والجلال والقدس والعظمة اولها الذي له ملك السموات  
 والارض واعلم ان تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين الاول  
 ان الله على العباد نوعين من الملك احدهما ملك التوحيد <sup>التكليف</sup>  
 وذلك لانه سبحانه ملك مطاع في المخلوقات لانه مالكم خالهم  
 ومدبرهم والمتصرف فيهم والمستولى عليهم فكان ملكا مطاعا  
 والملك المطاع من له الامر والنهاي التاني ملك الخلق لقوله  
 تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا  
 إشارة الى تقدير ملك التكليف ثم قال بعبه الذي له ملك السموات  
 والارض وهو إشارة الى ملك الخلق وايضا فانه ملك التكليف  
 معلى ملك الخلق فلما قال نزل الفرقان على عبده ليكون  
 للعالمين نذيرا اثبت بهذه الآية ملك التكليف لنفسه كانه قيل

ولم يحسن

ولم يحسن منه التكليف والامر والنهاي مع انه منزله عن النفع  
 والضرو المكلف لا يستغنى بهذا التكليف فاجاب الحق وقال  
 انما حسن منه ملك التكليف لانه حصل الى ملك الخلق فلكل  
 عبيد ولما لك ان يتصرف في ملكه وملكه كيف شاء وارا د  
 ولا اعتراض للعبد على مالكة البتة فلهذا قال بعد تلك الآية  
 الذي له ملك السموات والارض والوجه الثاني في بيان النظم  
 انه تعالى لما وصف نفسه بكونه مرسل للرسول وذلك يتوقف على ثبوت  
 ذاته وثبوت صفاته لاجرم اردت بما يدل على كل ذلك فقال  
 له ملك السموات والارض فاستدل على وجوده وعلى كمال  
 قدرته وكبريائه والهيته بملك السموات والارض ووجه الاستدلال  
 بملك السموات والارض على وجود الصانع وصفات جلاله  
 قد شرحناه فيما قبل ثم في هذه الآية فاندتان الاولى ان الملك  
 إشارة الى القدرة والتكليم يتبين ان اولى العلم بالله هو  
 العلم بكونه قادرا فلهذا السبب قدم ذكر هذه الصفة والفائدة  
 الثانية ان قوله له ملك السموات والارض إشارة الى احتياج  
 المخلوقات اليه حاله حدوثها وبقائها وذلك لان علته الحاجة  
 هي الامكان والامكان من لوازم هذه الماهيات مني ممكنة حاله  
 حدوثها وبقائها مني محتاجة الى المؤثر والمُدبر حاله حدوثها  
 وبقائها في ماهياتها وفي وجوداتها فلا جرم كان الحق سبحانه



مالك الملك لجميع الممكنات على الإطلاق اذ لا وابداه وهو المتصرف فيها  
كيف شاء وأراد لا راد لما حكم ولانا قضى لما ابرم له الخلق والامر  
تبارك الله رب العالمين الصفة الثانية قوله ولم يتخذ ولدا  
واعلم ان صفات الله تعالى على قسمين صفات الجلال وصفات الاكرام  
اما صفات الجلال فهي عبارة عن تنزيه الله عن ما لا يليق به في  
ذاته وصفاته وافعاله واما صفات الاكرام فهي عبارة عن وصف  
الله بالصفات التي منها يمكن كونه خالقا للعالم على نعت الاحكام  
والاقتان فقوله ثم له ملك السموات والارض من قسم صفات الاكرام  
وقوله ولم يكن له ولد ولم يتخذ ولدا من قسم صفات الجلال  
واعلم انه تم لما وصف نفسه بملك السموات والارض قال بعد  
ولم يكن له ولد وهو إشارة الى انه هو المدين للعالم والمعبود للخلق  
ولا يصح ان يصير غيره وارثا للملك فيكون نفي الولد كالمؤكد لقوله ثم  
تبارك الذي ولعوله الذي له ملك السموات والارض كانه قيل  
المفتقر الى الولد هو الذي ينقض ويموت حتى يقوم ولده مقام  
فاما من كان متباركا دائم الوجود متمنع التغير كيف يليق به الولد  
الصفة الثالثة قوله تعالى ولم يكن له شريك في الملك والمراد انه  
هو المتصرف بهذه الصفات فانه هو واجب الوجود لذاته وما سواه  
ممكن لذاته وهو الموجد للممكنات وما سواه فهو صفته الموجدية  
والجلالية معزول واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه وخوفه

عن الخلق ولا يبقى مشغول القلب ملتفت الخاطر الآبه وبفضله  
وبرحمته واحشا هذه الآية ردة على الشنوية والقائلين بالهيبة  
النجوم وعبد الاوثان الصفة الرابعة قوله تعالى وخلق كل شيء  
فقدره تقديرا وفي هذه الآية فوائد العائدة الاولى ان قوله له  
ملك السموات والارض إشارة الى صفة من صفات الاكرام ثم  
قوله والذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك إشارة الى ذكر  
مستعين وصفات الجلال ثم قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا  
إشارة الى كل ما تركب من صفات الاكرام وصفات الجلال لانه إشارة  
الى انه هو الخالق وان غيره ليس بمخالق فان قيل صفات الجلال اولى  
بالقديم من صفات الاكرام ويدل عليه القران والبرهان اما القران  
فهو تعالى ذكر الجلال والاكرام في آيتين فقال ويسبق وجه ربك  
ذو الجلال والاكرام وقال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام  
وفي كل واحدة من هاتين الآيتين قدم الجلال على الاكرام واما  
البرهان فلان صفات الجلال عبارة عن السلوب ويكفي في تحقق  
هذه السلوب الذات المخصوصة من حيث هي هي واما صفات الاكرام  
فانها لا يظهر الا عند وجود الممكنات وما يكفي فيها ذاته من حيث  
انه هو هو متقدم في الرتبة على ما لا بد معه من غيره والجواب  
ههنا مرتبان احدهما ان يتوسل بمعرفة غير الله الى معرفة  
ذات الله ثم وهذا هو مقام عروج السائر الى الله والمساوون



الى حضرة جلال الله والثانية ان يتوسل بمعرفة ذات الله الى معرفة  
 غير الله وهذا مقام نزول خواص حضرة الله ثم عن تلك الحضرة  
 المقدسة الى الالتفات الى غيرها فان اعتبرنا المرتبة الاولى كانت  
 معرفة صفات الاكرام مقدمة على معرفة صفات الجلال لانها  
 في هذه المرتبة يستدل بالخلق على الخالق ثم يستدل بعدم  
 افتقار الخالق الى الخالق اخر على كونه منزها عن مشابهة المخلوق  
 واما ان اعتبرنا المرتبة الثالثة وهي مرتبة النزول كان تحقق  
 صفات الجلال متقدما بالمرتبة على تحقق صفات الاكرام فان  
 تلك السلوب يكفي في تحقيقها الذات اما الاضافات فلا يكفي فيها  
 الذات الواحدة بل لابد في تحقيقها من حصول المضافين اذ عرفت  
 هذا فنقول انه تعالى لما قال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده  
 ليكون للعالمين نذيرا وكان قبل كونه مرسل للرسول انما يشب  
 لو ثبت كونه موجودا فما الدليل على وجوده وقدرته فقال  
 الدليل عليه ملك السموات والارض وهذا هو مرتبة العروج  
 من الخلق الى الخالق فلا جرم قدم ههنا صفات الاكرام على  
 صفات الجلال واما قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام  
 وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال فليس المقصود ههنا ذكر  
 الاستدلال بل المقصود منه الاخبار عن نفوت قدسه وعظمته  
 وكبريائه وكانت صفات الجلال مقدمة في هذا المقام على صفات

الاكرام منجما من اودع هذا الكتاب الكريم اسرارها بجزء العقول  
 عن ادراكها فقد ظهر بما ذكرنا ان الترتيب الصحيح في هذا المقام  
 هو انه تعالى قدم هذا الاثبات فقال الذي له ملك السموات  
 والارض ثم ذكر بعد ذكر صفتين من صفات الجلال اولها  
 نفى الولد والثاني نفى الشريك ثم ذكر بعد هاتركت عن صفة  
 الاكرام وصفة الجلال فقال وخلق كل شيء فقدره تقديرا لان  
 قوله وخلق كل شيء يدل على كونه خالقا للامور وهو صفة الاكرام  
 وعلى ان غيره لا يشاركه في هذه الصفة وهي صفة الجلال معلوم  
 ان تقديم المفرد على المركب واجب فهذا هو الاشارة الى ترتيب الصفات  
 المذكورة في الآية الفاتحة الثانية من اسرار هذه الآية انها دالة  
 على ان الله تعالى خالق اعمال العباد وذلك لان قوله وخلق كل شيء  
 نظير لقوله الله تعالى خالق كل شيء وقد دللنا على ان الخلق عبارة  
 عن الابداد وههنا الطيفة يؤكدها المقصود وهي انه تعالى  
 نفى الشريك بقوله ولم يكن له شريك في الملك فكان قائلا  
 ههنا اقوام يعترفون بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك يقولون  
 انهم يخلقون افعال انفسهم فذكر الله سبحانه هذه الآية  
 ليكون نصا مرجحا في الرد عليهم فان قيل هذه الآية لا تدل  
 على هذا المطلوب ويدل عليه وجوب الاول انه تعالى صرح بكونه  
 العبد خالقا فقال واذ خلق من الطين كهيئة الطين وقال



وتخلفون أفكاً وقال فتبارك الله أحسن الخالقين والثاني أنه تعالى  
ذكر ذلك في معرض المدح ولا يجوز أن يمدح بكونه فاعلاً لأفعال  
العباد مع ما فيها من القبايح الا ترى أنه تعالى تنزه عن فعل القبايح  
في سائر الايات فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما <sup>طال</sup>  
وقال الخسب إنما خلقناكم عبثاً وقال وما الله يريد ظلماً للعباد  
والثالث أنه تعالى قال فقدرة تقديره ولا يجوز أن يريد  
الآ الحكمة والصواب الا ترى أنه تعالى نفى التفاوت عن افعال <sup>تفعل</sup>  
فقال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فقالوا ثبت بهذه  
الوجوه أنه لا بد من تأويل ولودلت الآية بظاهرها على قولكم  
فكيف ولا دلالة فيها على قولنا لان الخلق عبارة عن التقدير  
فيختص ذلك بما يقبل التقدير وهو الجسم الذي يكون له حجم وامتداد  
والجواب اما الايات الدالة على كون العبد خالقاً فنقول ههنا  
ايات دلت على أن العبد غير خالق وايات دلت على أنه خالق ولا بد  
من التوفيق بينهما فيحمل الايات الدالة على كونه نفي الخالقية على نفي  
كون العبد موجداً والايات الدالة على كونه خالقاً على كونه متصوراً  
متفكراً مقدراً في ذهنه اموراً قوله ولا يمكن التمدح بحلق البعث  
قلنا لا يمكن التمدح بخلقها من حيث انها عبث لكن لا يجوز التمدح  
بخلقها من حيث انها اخرج الشئ من العدم الى الوجود قوله  
لفظ الخلق لا يتناول الا الاجسام فكنا لو كان كذلك لكان

قوله وخلق كل شئ فقدرة خطأ لانه ليس كل شئ جسماً الفاعل  
الثالث من اسرار هذه الآية أن كثيراً من الناس زعموا أن الخلق  
هو التقدير فقط واصحابنا زعموا أنه حقيقة في الابداع والابداع  
وهذه الآية دالة على قولنا اذ لو كان الخلق عبارة عن التقدير  
لكان قوله وخلق كل شئ فقدرة تقديره امكوراً من غير فاعل  
ونظير هذه الآية في الدلالة على هذه المسئلة قوله تعالى سبح اسم  
ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ولو كان الخلق  
هو التقدير لكان قوله خلق وقد تكرر الفاعل الرابعة الرابعة أنه  
قال فقدرة تقديره والتقدير في حق الواحد منا يرجع الى الظن  
والحسب اما في حقيقة فلا معنى له الا العلم والاضمار عنه وذلك  
وذلك متفق عليه بيننا وبين المعتزلة اذ عرفت هذا نقول  
مذهبنا ان الامر والارادة لا يتلازمان وذلك لانه سبحانه  
لما علم ان الشئ الفلاني لا يقع فلو وقع ذلك الشئ لزم انقلاب  
علمه جهلاً وانقلاب خبره الصدق كذباً وذلك محال والمفوض  
الى المحال محال فاذن وقوع ذلك الشئ محال والمحال غير مراد ثم  
انه ما موربه فثبت ان الامر والارادة لا يتلازمان فظهر  
ان التعبد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن  
امه واعلم ان عندنا الارادة والامر لا يتلازمان والارادة  
والعلم يتلازمان وعند المعتزلة الارادة والامر يتلازمان



والارادة والعلم لا يتلازمان وتحقيقه ما ذكرنا فهذا ما يتعلق  
بهذه الآية اما قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك فاعلم ان الفرق  
بين هذه الآية وبين الآية المتقدمة من وجوه الاول ان في سورة  
الفرقان اثبت لنفسه اولاً ملك التكليف والحكم والامر والنهي  
ثم اردف بان اثبت لنفسه اولاً الملك على الاطلاق فقال الذي  
بيده الملك وهذا يتناول جميع اقسام الملك من ملك التكليف  
وملك الخلق وملك الابقاء وملك الافناء كما قال قل اللهم  
مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء والفرق  
الثاني بين الآيتين انه تعالى قال في تلك الآية الذي له ملك السموات  
والارض وقال في سورة الملك الذي بيده الملك فذكر لفظ  
اليد ههنا والفائدة في ذكر هذه اللفظة انه تعالى لما اثبت لنفسه  
جميع انواع الملك حتى دخل فيه ملك الاجسام من فوق العرش  
لا ما تحت الثرى وملك الارواح المثار اليه لقوله وما يعلم  
جنود ربك الا هو فكان سائلاً قال المدبر الواحد كيف يمكن  
الوفاء بتدبير كل هذه الممالك التي لا نهاية لاهولها ولا غاية  
لكيبتها وكيفيتها فاجاب بان كل هذه الممالك في يده وفي قبضته  
كما قال في آية اخرى والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات  
مطويات بهيمته وذلك لان كمال القدرة على الشيء ان يكون  
ذلك الشيء في يده فجعل كونه في يده مجازاً عن كمال القدرة

فلهذا

فلهذا المعنى قال تبارك الذي بيده الملك ثم قال بعده وهو على  
كل شيء قدير والمعنى ان بيده ملك كل الموجودات وهو قادر  
على خلق المعدومات التي يكون من الممكنات فقوله بيده الملك  
لهشارة الى ملك الموجودات بالابقاء والاعدام وقوله تعالى  
وهو على كل شيء قدير اشارة الى ملك المعدومات بالايحاد والابداع  
فان قيل القدير مبالغة في القادر فلو قال وهو على كل شيء  
قادر افاد ذلك كونه تعالى قادراً على كل واحد من تلك المقدورات  
التي لا نهاية لها فاذا كان القدير للمبالغة وجب ان يفيد هذا  
زياده على كونه تعالى قادراً على كل واحد من تلك المقدورات لكن  
الشيء الواحد لا يقبل التفاوت ولا يتطرق اليه الزيادة والنقصان  
فما معنى هذه المبالغة قلنا لانه تعالى قال وهو على كل شيء قدير  
قادر افاد ذلك كونه تعالى قادراً على كل المقدورات فلما قال  
وهو على كل شيء قدير افاد ذلك زيادة قدرته في كل واحد من  
المقدورات وتلك المبالغة والزيادة راجعة الى ما بينه فيما  
تقدم من ان جميع القادرين يفتقرون في الفعل والتكوين  
الى تقديم مادة ومدة وزمان ومكان والة وروية ثم قد  
يمتنع عليهم تكوين مقدورهم لاجل انه بمنعهم عنهم عنه  
مانع ومعارض وكل ذلك على الله تعالى محال فلا جرم صدق قولنا  
انه قادر على كل شيء وصدق ايضا بناء المبالغة وهو انه قدير



على كل شيء ثم قال الذي خلق الموت والحياة واعلم انه تعالى لما ذكر  
اولا ان بيده ملك الموجودات والمعدومات وما وزمام التعريف  
في جميع الكائنات والممكنات خصص بعد بالذكر ملك الاحياء  
والامانة فقال الذي خلق الموت والحياة ونظم قوله كيف تكفرون  
بالله وكنتم امواتا وانما قدم الموت على الحياة لوجوه الاول  
قال مقاتل يعني بالموت نظفة وعلة ومضغة وبالحياة نفخ  
الروح والثاني انه لما ذكر عقيب هذه الآية انه ابتلى الخلائق  
بالتكاليف فقال ليلوكم ايتكم احسن عملا والناس انما تقدمون  
على مباشر محاسن الاعمال الخوف ما بعد الموت وكان الموت اقوى  
تأثيرا في هذا المقصود فلا جرم قدم ذكر الموت على الحياة والثالث  
المراد بهذا الموت المذكور في هذه الآية الموت بعد هذه الحياة والمراد  
بالحياة الحياة الابدية في القيامة ولم يذكر الحياة العاجلة البتة  
وذلك لان هذه الحياة حيوة بين موتين احد الموتين من الازل  
الى الان والموت الثاني الى الان الى الابد فلا جرم انزل الله تعالى  
ذكر هذه الحياة لحسبها وقلتها واما للحياة في الدار الآخرة فهي  
الحياة الاصلية لانها حيوة ابدية ولهذا قال وان الدار الآخرة  
هي الحيوان ثم قال بعد ذكر الموت والحياة ليلوكم ايتكم احسن  
والابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل بطيع او يعص  
وذلك في حق الله تعالى محال ويجوز تمام هذه المسئلة ان الله تعالى

في باب التكليف والحاصل هو ان الابتلاء من الله تعالى هو ان يعا  
عبده معاملة بسبب عمل المحسنين واعلم اننا فسرنا الموت والحياة  
بالموت الحالة كونه نظفة ومضغة وبالحياة حيوة الدنيا  
فوجه الابتلاء على هذا التفسير ان يعلم العبد انه تعالى هو الذي  
يقله من الموت الى الحياة كما فعل ذلك لا بد وان يكون قادرا  
على ان ينقله من الحياة الى الموت فيحذر مجي الموت الذي به ينقطع  
استدراك ما فات واما ان صرنا الموت والحياة بالموت في الدنيا  
والحياة في القيامة فالابتلاء فيها اتم لانه الخوف من الموت  
حاصل واشد منه الخوف من الحياة في القيامة واعلم ان اول  
هذه السورة مع اول سورة الفرقان متشابهان في المقصود  
وذلك لانه تارة يذكر الحكم ثم يذكر عقيبه سببه وعلة واخرى  
بالعكس من ذلك وهو ان يذكر السبب والعلة او لا ثم يذكر الحكم  
عقيبه اذ عرفت هذا فنقول في سورة الفرقان ذكر الله التكليف  
اولا فقوله نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ثم ذكر  
العلة والسبب بعنه فقال الذي له ملك السموات والارض  
واما في سورة الملك فانه ذكر السبب والعلة ابنا وهو انه  
مالك الملك على الاطلاق وما لك الملك في الامانة والاحياء ثم انه  
ذكر الحكم بعنه وهو حسن التكليف فقال ليلوكم ايتكم احسن  
فانظر الى هذه المناسبات العجيبة والاسرار اللطيفة ثم ان المفسرين

فعله من الموت



ذكر في تفسير احسن عملا وجوها الاول المعنى اتيكم بالاعمال  
على وجه الاخلاص والصواب لان العمل اذا كان صوابا غير خالص  
لم يقبل وايضا اذا كان صالحا خالصا غير صواب لم يقبل بل المقبول  
هو ان يكون صوابا وخالصا الوجه الله فالصواب هو ان يكون  
على وفق امر الله والخالص هو ان يكون يؤتى به لوجه الله تعالى  
والثاني قال ابو قتادة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن هذه الآية فقال اتيكم احسن عملا قال عليه السلام اتيكم احسن  
عقلا اشدكم خوفا واخشىكم فيما امر الله به ونهى عنه بطرا  
واما جاز تفسير حسن العمل بتمام العقل لان حسن العمل من نتائج  
كمال العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا الثالث قال الحسن  
احسن عملا ازهد في الدنيا واشد تركا لها واعلم انه تعالى  
لما ذكر حديث الابتلاء قال بعد وهو العزيز الغفور اي وهو  
العالم الذي لا يجهل من اساء في الاحمال العفو لمن تاب واناب  
واما قدم ذكر العزيز على الغفور ليظهر به كمال الدرجة لان  
الانسان قد يغفر ذنب عبده اما لانه لا يقدر على الانتقام في الحال  
اولا لانه وان قدر عليه في الحال لكنه يتركه لانه يخاف توابع ذلك  
الانتقام وعواقبه فهنا ذكر تعالى انه عزيز قادر قاهر غالب  
لا يمتنع عليه فعل شيء من الافعال ولا يخاف ما فيه شيء من الاشياء  
ثم انه مع ذلك غفور يتجاوز عن سيئات عباده ليظهر بذلك

اتمكم عملا

كان كرمه ورحمته ثم قنية دقيقة اخرى وهي ان للعبد له من الظلم  
ثلاثة اسماء وللرب من المغفرة ثلاثة اسماء أحدها العبد الظالم  
كما قال فمنهم ظالم لنفسه وفي مقابلة للرب تع من المغفرة اسم  
العافر قال تعالى عافر الذنب والاسم الثاني للعبد الظالم قال تع  
انه كان ظلوما جهولا وفي مقابلة للرب تع من المغفرة اسم الغفور  
كما قال في هذه الآية وكما في قوله وربك الغفور ذو الرحمة والاسم  
الثالث للعبد الظالم وفي مقابلة للرب تع من المغفرة الغفار  
فقال واتى الغفار لمن تاب وآمن وقال في سورة نوح عرم  
فقلت استغفر واربتكم انه كان غفارا فكانه قال لا تخف ولا  
تياس فان كنت ظلاما فانا غفار وان كنت ظالما فانا عافر  
وان كنت ظلوما فانا غفور ثم تعالى كما ذكر كونه عزيزا غفورا  
وكونه عزيزا غفورا لا يتم الا اذا كان قادرا على كل الممكنات عالما  
بكل المعلومات وذلك لانه لو لم يكن قادرا على كل الممكنات فلعله  
لا يتمكن من اتيان جزا كل احد اليه على سبيل الكمال والانتقام  
سواء كان عقابا او ثوابا واما انه لا بد من العلم بكل المعلومات  
فلاجل ان يعلم ان المطيع من هو وان العاصي من هو حتى لا يقع  
الخطاء في اتيان الحق الى مستحقه فثبت ان كونه عزيزا غفورا  
لا يمكن الاقرا بهما الا بعد الاقرا بكونه تعالى عالما بكل المعلومات  
قادرا على كل الممكنات فلهذا السبب ذكر عقب هذه الآية



ما يدل على كمال القدرة وكمال العلم ولما ثبت في علم الأصول على أن  
 أول العلم بالله هو العلم بكونه قادرا لا جرم قدم دلائل القدرة  
 على دلائل العلم أما دليل اثبات القدرة فهو قوله الذي خلق سبع  
 سموات طباقا قال صاحب الكشف في قوله طباقا ثلثة اوجه  
 احدها طباقا اي مطابقة بعضها فوق بعض من طباق النعل  
 اذا خصرها طباقا على طبق وهذا وصف بالمصدر والثاني ان  
 يكون التقدير ذات طباق والثالث ان يكون التقدير طويقت  
 طباقا واعلم ان دلالة السموات وطبقاتها على وجود الصانع المخار  
 الحكيم قد تقدم شرح اقسامها في هذا الكتاب فلا نعيد واما  
 الدليل على العلم فهو قوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت  
 واعلم ان حقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء تفوق  
 بعضا ولا يلزمه يقال هذا خلق بعضه متفاوت ونقيضه متناسب  
 والمفسرين فيه وجوه ثلثة قال السدقي ما ترى في خلق الرحمن  
 من تفاوت اي من اختلاف وعيب بقوله الناظر لو كان كذا  
 لكان احسن وقال اخرون التفاوت الفطور بدليل قوله  
 فارجع البصر هل ترى من فطور ونظير قوله وما لها من فرق  
 وقال الفقهاء يحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من  
 تفاوت في الدلالة على حكمه صانعها وعمله وقدرته واعلم  
 ان وجه الاستدلال بهذا المعنى على كمال علم الله تعالى ان يقول

ان الحسن دل على ان هذه السموات وقع تركيبها على وجه يدع  
 عجيب موافق للمصلحة والحسن فكل فاعل كان فعله كذلك فهو  
 لا بد وان يكون في غاية العلم والحكمة فقوله ما ترى في خلق الرحمن  
 من تفاوت اشادة الى كونها محكمة متقنة والاحكام والاثقان  
 عند المتكلمين تدل على علم الفاعل دلالة ضرورية ثم قد تعكس  
 بعده فارجع البصر هل ترى من فطور انه تعالى قال بعده ولعلك  
 لا يحكم بمقتضى النظر الواحد لا يقول عليه سبب انه قد يقع اللفظ  
 في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة بعد اخرى  
 نيقن انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ولا عيب ولا فطور والعجب  
 انه قال تعالى الحمد لله فاطر السموات ثم بين في هذه الآية انه ليس  
 فيها فطور كانه قال انا فاطر السموات من غير فطور وانا المبدئ  
 لها من غير عيب ولا قصور ونظير هذه الآية قوله تعالى وما لها  
 من فرق فليس فيها فطور وليس فيها فرق وليس فيها  
 تفاوت بل هي سبع شداد وسبع طباق وبناء مرفوع وسنمك  
 مصنوع وفيها ايات قاهرة وبراهين باهرة على وجود صانعها  
 وقد بين مقدرها ومدبرها ثم قال تعالى ثم ارجع البصر  
 كرتين ينقلب امره بتكرير البصر في خلق الرحمن على سبيل التفحص  
 هل يجد فيها عيبا وظلالا يعني انك وان كررت هذا النظر مرارا  
 واطوارا لم يرجع اليك بصرك بما تطلبه من وجدان الخلل والعيب



بل يرجع اليك خاسيا اي مبعدا وهو مأخوذ من قولك خسئت  
الكلب اي ابعده قال المبرد الخاسي البعيد المصغر قال ابن  
عباس الخاسي الذي لا يرى ما يهوى والحسر الكليل والمعنى انه  
وان كررت النظر واعده فانه لا تجد عينا ولا فطورا ثم قال  
ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وسنذكر ان شاء الله تعالى  
تحقيق هذه الآية واسرارها في باب الاستدلال باحوال الكواكب  
على وجود الصانع فهذا جملة الكلام في هذا الكتاب واعلم انه  
بقي من الصفات المذكورة في القرآن للسموات وصفاتها عند  
قيام القيامة كقوله تعالى اذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت  
واذا السماء فرجت واذا السماء كشطت ويوم تشقق السماء  
بالغمام يوم نطوى السماء كطي الثجل للكتب يوم تكون السماء  
كالهبل يوم تمور السماء مورا فاذا انشقت السماء فكانت  
وردة كالدها والكلام في شرح هذه الاحوال سيجي  
ان شاء الله تعالى في باب كيفية قيام القيامة **الفصل السابع** في  
الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع اعلم انه سبحانه  
نبه على الاستدلال في احوال الارض على وجود الصانع وقدرته  
وعلمه وحكمته وجلالته في آيات منها قوله تعالى في اول سورة البقرة  
البقرة الذي جعل لكم الارض فراشا واعلم انه تعالى ذكر انواع منافعها  
على الشرح والتفصيل في كتابه الكريم التلويح الاول في منافع الارض لنا

قال تعالى في اول سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا  
وقال في سورة الحج الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض الآية  
واعلم ان الكلام في الآية المذكورة في سورة البقرة لا يتم الا  
بتفسير ما قبلها واعلم انه تعالى ذكر في اول هذه السورة خمس  
آيات في تعظيم المؤمنين وهي الى قوله واولئك هم المفلحون  
ثم ذكر بعد ذلك آيتين في ذم الكفار وهما قوله ان الذين كفروا  
الى قوله ولهم عذاب عظيم ثم ذكر ثلث عشرة آية في ذم المنافقين  
وهو من قوله ومن الناس من يقول امنا بالله الى قوله يا ايها  
الناس اعبدوا ربكم فان قيل كفر الكافر المتظاهر بكفره اغلظ  
من كفر المنافق فلماذا كان ذم الكافر في آيتين وذم المنافق  
في هذه الآيات الكثيرة قلنا لان الكافر وان كان كافرا الا ان  
طبعه طبع الرجال فما يظهر بظهوره واما المنافق فطبعه طبع  
المختئين يظهر شيئا ويظهر شيئا اخر فلهذا اورد ذمته اكثر  
ولهذا قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ثم انما  
لما شرح احوال هذه الفرق الثلاثة شرع بعد ذلك في تقرير  
الدلائل فبدأ بذكر دلائل الصانع وذكر من الانفس دليلين  
ومن الافاق ثلاثة امان الانفس فقوله اعبدوا ربكم الذي  
جعل لكم الارض فراشا والافاق من قبلكم واما من الافاق فتقوله الذي  
جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء



ثم ذكر بعد دليل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كنتم في ريب  
مما نزلنا على عبدنا فاننا نواسورة من مثله ثم ذكر بعد ثبوت  
الحشر والنشر والقيامة فقال وبشر الذين امنوا وعملوا  
الصالحات ثم اورد سؤالا على الدليل الذي ذكره على نبوة  
محمد عليه السلام وذلك لانه استدلال على نبوة بعظم حال  
القرآن وكمال درجته وطعن الكفار فيه وقالوا كيف يكون  
عظيم الدرجة وهو مشتمل على شرح حال الحيوانات الخسيسة  
كالبعوضة والذباب والنمل والعنكبوت فاجاب الله تعالى  
عن هذا السؤال بقوله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة  
فما فوقها ثم ساق المحر عن هذا السؤال بقوله اخر هذا الجواب  
الى مسألة القضاء والقدر وهو قوله بضربه كثيرا ويهدي به  
كثيرا الى قوله اولئك هم الخاسرون وعند هذا ثبت الدلالة  
على تقرير هذه الاحوال الاربعة وهي التوحيد والنبوة والمعا  
والقدر ثم بعد تقرير هذه الاصول بالدلائل القاهرة والبراهين  
الباهرة شرع في تعديل النعم ومعلوم ان النعم منها عامة  
ومنها خاصة فقدم ذكر النعم العامة ومعلوم ان اصل جميع  
النعم هي الحياة فانه لو لا الحياة لما كان الانتفاع بشئ من النعم  
ممكنا فلا جرم اول النعم التي ذكرها الله تعالى هي الحياة فقال  
وكيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية وفي هذه الآية فوائد

القائدة الاولى ان قوله كيف تكفرون بالله وان كان في صورة  
الاستخبار الا ان المراد منه التكيب والتعريف لان عظم النعمة  
يقضي عظم معصية المنعم بيان ذلك لان الوالد لما عظم نعمة  
على الولد بان رباة وعلمه وحرجه واعطاه الاموال وعرضه  
الامور والجسام لاجرم كانت معصية لانه اوجب المعاصي فقابل  
نعم الله عليك بنعم ابيك حتى تعرف عظم معصية الله تعالى ومنها  
فتحتها ثم اعظم المعاصي هو الكفر والشرك فلما كانت هذه المعصية  
متناهية الى الغاية القصوى في البقي لاجرم ذكر الله سبحانه نعمة  
العظيم عليهم ليصير ذلك متبها لهم على عظم جرمهم وغاية  
فتيح طريقهم فيصير ذلك زجرا لهم عنه وذكر اول الامر للحق التي  
هي اصل جميع النعم وذكر ذلك بصيغة كيف على سبيل التعجب  
تنبيهها على غاية درجة هذه النعمة وغاية فتيح تلك المعصية  
القائدة الثانية قالت المعتزلة هذه الآية تدل على ان الكفر  
من العبد لا من الله هذه الآية وبيان من وجوه الاول انه قد  
لو كان هو الخالق للكفر فمهما جاز ان يقول كيف تكفرون  
بالله على سبيل التوبيخ كما لا يجوز ان يقول لهم كيف تسودون  
وتبيضون وتصحون وتسقمون لما ان كل ذلك انما يحصل لان  
الله تعالى يخلقهم والثاني انه قد ما خلقهم للشفاء والنار وما خلقهم  
الا للكفر والضلالة والبقاء في النار كيف يصح ان يقول موجبا لهم



كيف تكفرون والثالث انه كيف يليق بالحكيم ان يقول كيف تكفرون  
 حال ما يخلق الكفر فيهم ويقول وما منع الناس ان يؤمنوا حال  
 ما منعتهم عن الايمان فالحال لا يؤمنون ويقول فالحال عن التذكرة  
 معرضين وهو يخلق فيهم الاعراض ويقول فاني توكون اني  
 نصر فون وخلق الافك والصرف فيهم ومثل هذا الكلام بان بعد  
 من السحرة اولى من ان تذكر لاجل الزام الحجّة على العباد والرابع  
 انه تعالى لما قال للعبد كيف تكفرون بالله فهل ذكر هذا الكلام  
 توجيه الحجّة اولى كذلك فان لم يكن لتوجيه طلب الحجّة كان هذا  
 عبثا فلا يكون في انزال القرآن فائدة اصلا وان كان ذلك للزام  
 الحجّة فللعبد ان يقول بنا على مذهب الجبر حصل في حق امور كثيرة  
 موجبة للكفر مانعة عن الايمان فالاول انك علمت من الكفر  
 وانا لا اقدر على ان اقلب علمك جهلا والثاني انك اردت من الكفر  
 وهذه الارادة موجبة والثالث انك خلقت الكفر وانا لا اقدر  
 على ازاله فعلمك والرابع انك اخبرت عن وجود هذا الكفر وانا  
 لا اقدر على جعل خبرك الصدق كذبا والخامس انك خلقت قدرة  
 لا يصلح الا للكفر والسادس انك خلقت ارادة جازمة للكفر  
 والسابع انك رتب الكفر والثامن انك سلطت على القلب  
 والذين والطبع والوقر والفساوة والخنم وكل ذلك اسباب  
 موجبة للكفر ثم لما خلقت هذه الاسباب الثمانية الموجبة

سلبت مجموع الاسباب المعبرة في حصول الايمان فقد حصل لعدم  
 الايمان ستة عشر سببا كل واحد منها مستقل للمنع من الايمان  
 ومع قيام هذه الاسباب الكثيرة كيف يحسن التوجيه على الكفر والتركيب  
 في الايمان الخامس انه تعالى قال لرسوله قل لهؤلاء الكفار كيف  
 تكفرون بالله الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة التي اقواها  
 نعمة الحيوة وعلى قوله اهل الجبر لافعة له على الكافر وذلك لانه عندهم  
 كل ما فعله الله تعالى بالكافر فانهما فعله ليستدرجه الى الكفر ويخوفه  
 بالنار وعلى هذا التقدير فاني نعمة يكون لله تعالى على العبد وهل  
 يكون ذلك الا بمنزلة من قدم الى غير طبق فالوزن مسموم فانه  
 ظاهره وان كان لذيذا ويعد نعمة لكن لما كان باطنه مهلكا  
 فان احدا لا يعد نعمة ومعلوم ان العذاب الدائم اشد ضررا  
 من ذلك السم وعلى هذا التقدير كيف تعقل ان يكون لله سبحانه  
 نعمة على الكافر واذا لم يكن له نعمة فكيف يليق به ان يأمر رسوله  
 بان يقول لهم كيف تكفرون بمن انعم عليكم بهذه النعم العظيمة والجوا  
 من هذه الوجوه عند البحث يرجع حاصلها الى التمسك بطريقة المخرج  
 والذم والثواب والعقاب وهذه الطريقة معارضة بوجهين  
 الاول انه تعالى لما كان عالما من ابي جهل باذنه لا يؤمن والعلم بعدم  
 الايمان مع وجود الايمان صدق متنافيان لذاتيهما مع قيام احد  
 الصدين يكون التكليف بالصدق التام تكليف ما لا يطاق وحينئذ



يلزمكم كل ما اوردتموه علينا والثالث ان قدرة العبد لما كانت  
 صالحة للايمان والكفر فتزجج احد الطرفين على الاخر ان لم  
 يتوقف على مرجح لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وهو محال  
 وان افترق الى مرجح فحدث ذلك المرجح ان لم يكن لمحدث فقد  
 استغنى المحدث عن المحدث ويلزم منه نفي الصانع وان افترق  
 الى محدث فذلك المحدث ان كان هو العبد لزم التسلسل وان كان  
 هو الله تعالى فقد لزم الجبر وحينئذ يلزمكم كل ما الزمتموه  
 علينا واعلم ان المعتزلي اذا طرد وعرض وابرق وارعد بالمثل  
 الكلمات التي حكاها عنهم فعليك ان يعارضها بهذين الوجهين  
 فانه لا يمكن ان يتكلم ان كان زكيا فاما الفائدة الثالثة  
 من هذه الآية انفقوا على ان قوله وكنتم امواتا المراد منه  
 وكنتم ترابا ونظما لان ابتداء خلق آدم من التراب وخلق  
 سائر المكلفين من والديه الاعمسى هم هن النطفة لكنهم  
 اختلفوا في ان اطلاق اسم الميت على الجهاد حقيقة او مجاز  
 والاكثر ان على انه مجاز لانه تشبيه الموات بالميت والاولون  
 قالوا هو حقيقة وهو مروي عن قتادة قال كانوا امواتا في اصلا  
 ابائهم فاحياهم الله ثم اخرجوهم الى الدنيا ثم اماتهم الموت الاول  
 التي لا بد منها ثم احياهم بعد الموت فهنا حيوتان وموتان  
 واحتملوا بقوله تعالى خلق الموت والحياة والموت المقدم على الحياة

هو كونه امواتا والاقرب هو الاول لانه تعالى الجهاد اموات ولا يقال  
 انه ميت يشبه ان يكون استقال احدهما في الفرع على سبيل المجاز  
 قال الفقيه وهو كقوله هل الى على الانسان حين من الدهر لم يكن  
 شيئا مذكورا فبين سبحانه ان الانسان كان لا شيء بذكر ثم جعله حيا  
 وسميعا وبصيرا ومجازاة من قولهم فلان ميت الذكر وهذا  
 امر ميت وسلعة ميتة اذ لم يكن لها طالب ولا راغب فكذا  
 معنى الآية وكنتم امواتا اي خاملين لا ذكر لكم لانكم لم تكونوا شيئا  
 ثم احياكم وجعلكم سميعا وبصيرا الفائدة الرابعة احيى قوم  
 بهذه الآية على بطلان القول بعذاب القبر قالوا لانه تعالى بين  
 ان يحيبهم مرة في الدنيا و اخرى في الاخرة ولم يذكر فيه حياة القبر  
 والجواب ان الله تعالى ذكر حياة القبر في هذه الآية لان قوله ثم يحييكم  
 ليس المراد منه حياة القيامة والالكان هذا هو غير قوله ثم اليه  
 ترجعون ويحصل التكرار بل قوله ثم يحييكم اشارة الى حياة القبر  
 ثم قوله ثم اليه ترجعون اشارة الى حياة القيامة وقال  
 الحسن البصري رحمه قوله كيف تكفرون بالله يعني به القيامة فاما  
 بعض الناس فقد اماتهم الله ثلث مرات نحو ما حكى في قوله او كالتة  
 مرة على قربة وهي خاوية على عروشها الى قوله فاما ان الله مائة  
 عام ثم بعثه وقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف  
 حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقوله فاخذكم

التشبيه



الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وكقوله فقلنا  
اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى وقوله وكذلك اعثرنا عليهم  
ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها وفي قصة  
ايوب واتينا اهله ومثلهم معهم فانه جاء في بعض الروايات  
انه تقارر عليه اهله بعد ان اماتهم واقول ايضا ان ثبت ان  
الله تعالى احى الذرية في ظهرا دم وخاطبهم بقوله الست بركم  
لزم ان يقال ان هؤلاء الاقوام الذين ذكرناهم قداماتهم الله  
اربع مراتب الفائدة الخامسة تمسك المجسمة بهذه الآية وهي  
قوله ثم اليه ترجعون على انه سبحانه في مكان وجهة وهذا ضعيف  
والمراد الى حكمه ترجعون لانه تعالى يبعث من في القبور ويجمعهم  
في المحشر فذلك هو الرجوع وانما وصف هذا بان رجوع لانه  
رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله تعالى كقولهم رجع الحكم  
للامير الى حيث لا يحكم غيره الفائدة السادسة تمسك اهل التنازع  
على قدم الارواح بهذه وذلك لان الرجوع الى الله تعالى لا يصح  
الا بعد ان يقال هذه الارواح كانت قبل تعلقها بالابدان  
في حضرة الله تعالى واكدوا هذه الآية بقوله تعالى ارجع الى ربك  
راضية مرضية للجواب ان الارواح لما كانت من عالم الآخرة  
لا حرم سميتم مفارقتها عن ابدانها بالرجوع الى الله تعالى  
الفائدة السابعة هذه الآية دالة على وجود الصانع سبحانه

فان الحيوة والموت ليسا من افعال البشر ولا بد من مدبر وتام  
تقريره ما ذكره في باب الاستدلال على وجود الصانع بتكوين بدن  
الانسان الفائدة الثامنة تدل هذه الآية على انه لا قدرة على الاعداء  
والامانة الا لله تعالى فبطل قول اهل الطبايع ان الموت في الحيوة  
والموت هو الطبايع والكواكب والاركان والمزاجات وفيه  
ابطال قول من حكى الله عنهم وقالوا ان هي الاحيوتنا الدنيا  
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر الفائدة التاسعة الآية  
دالة على صحة الحشر والنشر ومنبهة على الدليل العقلي الدال  
على امكان الحشر والنشر لانه تعالى بين ان هذه الاشياء كانت ميتة  
فاحياها فاذا اجاز الاحياء بعد الموت في المرة الاولى فلان يجوز  
الاحياء في المرة الثانية كان ذلك اولى الفائدة العاشرة الآية  
دالة على التكليف بالامر والنهي والترغيب والترهيب والثواب  
والعقاب الفائدة الحادية عشر الآية دالة على مسئلة الجبر والقدر  
ونمام الكلام فيه قد تقدم الفائدة الثانية عشر الآية دالة  
على وجوب الزهد في الدنيا لانه تعالى قال فاحسبوا انكم ميتون فبين  
انه لا بد ذلك الموت ثم ذكر انه لا بد من بعد الموت من سؤال  
القبر ثم ذكر انه لا بد بعد ذلك من الرجوع الى الله تعالى والنشر  
الى بيان هذه المراتب اما انه كان ميتا حين كان نقطة علقته  
ومضغة فانه لا شك فيه واما انه تعالى احى بعد ذلك فهو ايضا



فانه احياء وصورة احسن صورة وجعله بشرا سويا واكمل  
عقله وصير نصيرا بانواع المنافع والمضار وملكه الاموال  
والاولاد والدور والقصور اما انه تعالى بميته فالامر ظاهر  
واما اذا امانه فقد ازال عنه كل تلك النعم وصيره بحيث لا يملك  
شيئا ولا يبقى في الدنيا منه خبر ولا اثر ويبقى مدة مديدة في اللحد  
كما قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادى فلا محجب  
ويستنطق فلا متكلم ثم يصير بحيث لا يزوره الاقربون وينساه  
الاهل والبنون قال يحيى بن معاذ الرازي • مرمر اقاربى جذاذ قري  
كان اقاربى لم يعرفونى • وقال ايضا • الى كاذب نفسي وقد اضلجت  
في حفرتها • والضرف المشيعون من تشيعها • وكى غريب عليها  
لغريتها • ونادى بها من سفير القبر ذومودتها • ورحمها المعادى  
عند صرحها • فلم يحف على الناظرين عجز حيلتها • فارجاني الان يقول  
للملائكة انظروا الى فريد قد تاني عنه الاقربون • ووحيد قد جفاه  
المحبون • اصبح من قريبا وفي اللحد غريبا • وكان لي في الدنيا  
محبا وداهيا • ولاحسا اليه عند وصوله الى هذا البيت راجيا  
فاحسن الى هناك يا قديم الاحسا • وحقق رجائي فيك  
يا واسع الغفران • واما انه لا بد من الرجوع الى الله فلا تسبجا  
يا مربان • ينفخ في الصور فضعق من في السموات ومن في الارض  
الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون

يوم يخرجون من الاجداث سراعا كما انهم الى نصب يوم فوضون  
ثم يعرضون على الله كما قال وعرضوا على ربك مصفا فيقومون  
خاشعين خاضعين كما قال وخشعت الاصوات للرحمن قال  
بعضهم الهنا اذا قمنا من ثرى الاجداث مغفرة رؤسنا ومن شدة  
الخوف شاهية وجوهنا ومن هول القيامة مظهر رؤسنا  
ومن طول المدة في القيامة جابحة بطوننا وبادية لاهل الموقف  
سواتنا ومن ثقل الاوزار موقرة ظهورنا وبقيتنا متحيرين  
في امورنا نادمين على ذنوبنا فلا تضعف المصابى باعراضك  
علينا ولا تمنع غفرانك ورحمتك عنا يا عظيم الرحمة ويا واسع  
المغفرة قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا اعلم انه  
لما ذكر الحياة التي هي اصل جميع النعم اتبعه بذكر المنفعة به وهو  
المنافع المخلوقة في الارض وما احسن هذا الترتيب فان الانتفاع  
بالارض والسماء لا يكون الا بعد حصول الحياة اما لفظ الخلق فقد مر  
تفسيره واما قوله لكم فهو يدل على ان كل ما خلقه في الارض  
انما خلقه لمنفعة العباد اما في الدنيا واما في الدين اما الدنيا  
فلاجل مصالح ابداننا وليتقوى به المكلف على الطاعات واما  
في الدين فبان يستدل المكلف بهذه الاشياء ويقررها في اثبات  
الصانع ومعرفة قدرته وحكمة فقوله ما في الارض جميعا كل  
ما في الارض ومنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن



والجبال ومنها ما يتصل بوقوف الحرف والصناعات والامور  
التي استنبطها العقلاء وبين تعالى ان كل ذلك انما خلقها انما  
يستفيع المكلف بها كما قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض  
فكانه سبحانه قال كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض  
جميعا فقال كيف تكفرون بقدرة الله على اعادةكم وقد احياكم  
بعد موتكم وقال كيف تكفرون بقدرة الله على اعادةكم وقد خلق  
لكم ما في الارض فكيف يعجز عن اعادةكم ان الله سبحانه ذكر  
تفاصيل هذه المنافع في سورة مختلفة كما قال انا صببنا الماء  
صبا ثم شققنا الارض شقا وسنستقصي الكلام في شرح هذه  
التفاصيل في باب الاستدلال على وجود الصانع سبحانه باحوال  
الحيوانات والنبات ثم ههنا فوايد القائدة الاولى اللام  
في قوله خلق لكم لامر الحكمة والفرض واعلم انه تعالى ذكر هذا  
اللام في مواضع احدها في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس  
الا ليعبدون والثاني ان اشرف العبادات بعد الايمان  
الصلوة فذكر الله تعالى هذا اللام فيها فقال واقم الصلوة لذكرى  
وذكره ايضا في الصوم قال عليه السلام حاكيا عن الله عز وجل  
الصوم لي ثم ان الامة مجمعة على انه يجب على المصلي ان يقول  
بقلبه اصلى لله ولو قال اصلى لطلب الجنة والهرب من النار  
لم يقع صلوته ثم كان سبحانه قال عبده انك ان وفيت بموجب

هذه الالامات ملكك الدنيا والاخرة بلام التملك اما الدنيا  
فهو قوله خلق لكم ما في الارض جميعا واما الاخرة فقوله تعالى وجنة  
عرشها كعرش السماء والارض اعدت للمتقين والحاصل انه سبحانه  
خلقك لخدمته وخلق كل ما سواك لاجلك فان انت مرفت نفسك  
الى خدمته فهو سبحانه يصرف الدنيا والاخرة الى جهة عرشه كما قال  
وامر اهلك بالصلوة واصبر عليها لا نسلك رزقا نحن نرزقك  
والعاقبة للمتقوى النوع الثالث من الاستدلال باحوال الارض  
على وجود الصانع المختار كون الارض مقر الحيوانات ومسكنها  
والله سبحانه ذكر هذا المعنى في ايات قال في اول سورة البقرة الذي  
جعل لكم الارض فراشا وقال في سورة طه حكاية عن موسى  
حين استدله بها على وجود الصانع الذي جعل لكم الارض مهدا  
وسلك لكم فيها سبلا وفي سورة غم يتساءلون الم نجعل الارض  
مهدا او قال في سورة النمل امن جعل الارض ذكورا والاية وقال  
في سورة الملوك هو الذي جعل لكم الارض ذلولا والاية وقال في  
سورة نوح الم تر وكيف خلق الله سبع سموات طباقا والله  
جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال في سورة  
المرسلات الم نجعل الارض كفانا احياء وامواتا واعلم انه يجب  
علينا ان نبحت عن هذه الصفات التي ذكرها الله تعالى للارض  
الصفة الاولى كون الارض فراشا واعلم انه يعتبر في كون الارض



فراشا للحيوانات شرائط الشرط الاول كونها ساكنة وذلك  
لانها لو كانت متحركة الى السفلى والهبوط لكان من رفع رجله عن  
الارض فاد بعد ذلك ان يضعها على الارض لم يقدر على ذلك  
البلية لاننا بينا انه اذا تحرك شيان الى السفلى واحدهما اخف  
من الاخر لم يصل الاخف الى الاثقل فلهذا هذا التقدير كان  
معتبر المشي متعذرا للحيوانات على الارض واما ان كانت الارض  
متحركة بالاستدارة يعذر المشي ايضا على الارض لانها اذا تحركت  
بالاستدارة كان الهواء المحيط شديد التموج بسبب حركتها  
فعند ذلك يصير الانسان وغيره من الاجسام الصغيرة متحركة نحو  
جهة حركة الارض بالاضطرار ويمتنع عليها الحركة عيا خلافاً لذلك  
للجملة وعلى هذا التقدير يصير المشي متعذرا ونقل الاقشة من موضع  
الى موضع متعذرا واما لما كانت الارض واقفة ساكنة لا حركتها  
الشيء ممكنا ونقل الاقشة من مكان الى مكان على حسب المراد والمصلحة  
ممكنا فحينئذ يصلح كون الارض مسكنا للحيوانات ثم قد عرفت  
انها ساكنة لاسبب علاقة فوقها ولادعامة تحتها والاعاد  
الكلام في تلك العلاقة والدعامة ولزم التسلسل وهو محال  
واذا ثبت انها ساكنة بلا دعامة ولا علاقة ثبت ان محال مسكها  
هو الله سبحانه وتعالى بقدرته وارادته وهو المراد من قوله ان الله  
يمسك السموات والارض ان تزولا وقد تقدم الاستقصاء في ذلك

دُعَاة  
عمود

الشرط

الشرط الثاني في كون الارض فراشا للحيوانات ان لا يكون في غاية  
الصلابة ولا في غاية الرخاوة واما انه يجب ان لا يكون في غاية  
الصلابة فانها لو كانت في الصلابة كالحجر كان النوم عليها والمشية  
عليها مما يؤلم البدن وايضا لم ينبت فيه انواع الاشجار والثمار  
وايضا كان يتسخن شديدا في الصيف ويبرد شديدا في الشتاء  
فما كان يصلح لسكنى الحيوانات وايضا كان متعذرا لحاد الابنية  
والمساكن منها فكان يتعذر حفرها وتركبها كما تراه وكما يوافق  
المصلحة فثبت ان الارض لو كانت صلبة حجارة لما كانت تصلح  
لان تكون فراشا للانسان من هذه الوجوه ثم تأمل ان اعز الاشياء  
عند الانسان الذهب والفضة والياقوت والزمرد ولوانا قدرنا  
ان الارض كانت مخلوقة من هذه الاشياء فانت المصلحة باسرها  
وبطلت المنافع وبهذا يظهر انه لانسبة للتراب في كثرة المنافع  
والمصلحة الى هذه الاشياء التي يطن الانسان كونها في غاية الشرف  
والنفاسة وايضا من شرط كون الارض فراشا ان لا يكون في  
غاية الرخاوة وكالماء وسائر الاشياء التي يفوض الانسان فيها  
فثبت ان الشرط في كونها فراشا للانسان وغيره كونها بهذه الصفة  
التي خلقها الله تعالى عليها الشرط الثالث في كونها فراشا لنا ان لا يكون  
في غاية الشفافية واللطافة فان الشفاف لا يستقر عليها  
النور وما كان كذلك فانه لا يقبل السخونة من الشمس والكواكب



فيبقى في غاية البرد فلا يصلح لان يكون مقر الحيوانات وايضا  
 في غاية الصقلية والبراقية لانه لو جعلها كذلك كان يحترق  
 من يقرب بسبب انعكاس اشعة الشمس كما يحترق القطنة التي  
 يقرب من البلور المحروط اما لما جعل الارض كثيفة غبراء استقرت  
 النور على وجهها فحصل نوع من التخنون ولما كانت كثيفة لم ينعكس  
 الاشعة منها فصار متوسطا في الحر والبرد فصلاح ان يكون فراشا  
 للحيوانات الشرط الرابع ان يكون خارجا من الماء وذلك لان الانسا  
 وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فالارض لا يمكن  
 ان يكون مسكنا للانسان وسائر الحيوانات الا اذا كانت بارزة  
 من الماء ثم ان طبع الارض يقتضي ان يكون عارضة في الماء فكان  
 يجب في كل الارض ان يكون البحار محيطه فيها ثم انه سبحانه لكمال  
 قدرته وهنائه حكمة وعناية رحمته بالعباد قلب طبع الارض واخرج  
 بعض جوانبها من الماء كالجزيرة البارزة حتى صلت لان يكون  
 فراشا لنا وللحيوانات فهذا جملة الشرايط المعبرة في كون الارض  
 فراشا لنا الصفة الثانية من الصفات التي ذكرها الله للارض  
 كونها مهندا كما قال تعالى حكايته عن موسى عليه السلام وجعل لكم الارض  
 مهادا والمراد انه تعالى جعلها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها  
 بالعمود والقيام والزراعة وسائر جهات المنفعة وهو قريب  
 من الصفة الاولى الا ان المقصود في تشبيهها بالمهاد ان الارض للخلق

كالمهد للصبي وهو الذي يهد له فينام عليه الصفة الثالثة  
 قوله في سورة عم يتساءلون الم نجعل الارض مهادا واعلم ان المهاد  
 مصدر ثم فيه وجوه الاول ان يكون المراد في هذه الآية المهاد  
 والمعنى الم نجعل الارض مهادا وهذا من باب تسمية المفعول بالمصدر  
 كقولك هذا مزب الامر والثاني ان يكون الارض وصفه بهذا المصدر  
 كما تقول زيد جود وكرم كانه لجماله في تلك الصفة صار عين تلك  
 الصفة والثالث ان يكون بمعنى ذات مهاد والصفة الرابعة قوله  
 في سورة النمل امن جعل الارض قرازا واعلم انه تعالى ذكر من منافع  
 الارض قرازا في هذه الآية امور اربعة المنفعة الاولى كونها  
 قرازا وهذا ايضا قريب من كونها فراشا والشرايط الاربعة  
 المذكورة هناك معتبرة ههنا ايضا ونزيد ههنا شرايط اخرى  
 فالشرط الاول انه تعالى دحاها وسويتها للاستقرار قال تعالى والارض  
 بعد ذلك دحيها وقال في حم التجدد قل اشكم لتكفرون بالذي  
 خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين  
 الى قوله سواء للثانين الشرط الثاني انه سبحانه جعل الشمس بسبب  
 ميل مدارها عن مدار منطقة الفلك الاعظم بحيث يبعد تارة من  
 سمت الرأس ويقرب اخرى وسبب هذا القرب والبعد يختلف  
 الفصول الاربعة وسبب اختلاف هذه الفصول طحيت البقع لان  
 يكون مسكنا للحيوانا على ما بيننا شرح هذا المعنى في ذكر منافع الميل



في تفسير قوله اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا  
 ففتقناهما الشرط الثالث انه سبحانه جعل الارض كفانا احياء  
 وامواتا على ما سذكر تفسير الكفان ولولم يكن الارض كذلك  
 لما صحت ان يكون قرار الحيوانات المنفعة الثانية من منافع  
 الارض التي ذكرها الله سبحانه في هذه الآية قوله وجعل خلاها  
 انهارا واعلم ان اقسام المياه المنبثة عن الارض اربعة الاول  
 مياه العيون السائلة وهي ينبعث من اجرة كثيرة المادة قوية  
 الاندفاع بفجر الارض بقوة ثم لا يزال يستبج جزء منها جريدا  
 والثاني ماء العين الراكة وهو يحدث من اجرة بلغت قوتها  
 ان اندفعت الى وجه الارض ولم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها  
 ان يطرد قاليها سابقها والثالث مياه القني والانهار والابار  
 وهي متولدة عن اجرة ناقصة القوة عن ان يشق الارض فاذا  
 ازيل عن وجهها ثقل التراب صادفت حينئذ تلك الاجرة منفلة  
 تدفع اليه باد في حركة الرابع مياه الابار وهي بعينها كمياه القني  
 الا انها لم يجعل لها ميل الى موضع ليسيل اليه ونسبه القني الى الابار  
 كنسبة العيون السائلة الى العيون الراكة وقد ظهر بمجموع ما  
 شرحنا انه لولا صلابة الارض لما اجتمعت تلك الاجرة في باطنها  
 ولولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها المنفعة  
الثالثة للارض قوله تم وجعل لها رواسي والمراد منها الجبال ونقول

اكثر العيون والسحب والمعدنيات انما يكون في الجبال وفيما يقرب  
 منها اما العيون فلان الارض اذا كانت رخوة نفشت الاجرة  
 منها فلا يجتمع منها قذز يعتد به فاذا هذه الاجرة لا يجتمع الا في  
 الارض الصلبة والجبال والحصى اصلب من الارض فلا جرم كانت  
 اقواها على حبس هذا الجار حتى يجتمع ما يصلح ان يكون مادة للعيون  
 وشبه ان يكون مستقر الجبل مملوا من ماء ويكون الجبل في خفية  
 الاجرة مثل الانبيق الصلب المعدل لتقطير لا يدع من الجار شيئا  
 يتخلل في نفس الارض التي تحتها كالقرع والعيون كالاذناب والجار  
 كالقوابل ولذلك فان اكثر العيون انما ينجر من الجبال واقلها  
 في البراري وذلك الاقل لا يكون الا اذا كانت الارض صلبة  
واما ان السحب انما يكون في اكثر الامر في الجبال فلا سباب ثلثة  
 الاول في باطن الجبال من الندمان ما لا يكون في بواطن الارض  
 من الرخوة والثاني ان الجبال بسبب ارتفاعها يكون ابرد فلا  
 جرم يبقى على ظواهرها من النداء والتلوج ما لا يبقى على ظاهرها  
 سائر الارضين والثالث ان الاجرة المتصاعدة من الجبال  
 يكون محبوسة بالجبال فلا يتفرق ولا يتخلل واذا ثبت ذلك ظهر  
 ان سباب كثرة السحب في الجبال اكثر لان المادة فيها ظاهرا وباطنا  
 اكثر والاحتقان اسد والسبب المحلل وهو الحر اقل فلذلك  
 كانت السحب في الجبال اكثر واما المعدنيات المحتاجة الى اجرة



يكون اختلاطها بالارضية اكثر ويبقى ذلك الاختلاط مدة طويلة  
بريتم النفع فيها فلا شيء لها في هذا المقصود كالجبال المنفعة  
الرابعة للارض قوله تعالى وجعل بين البحرين حاجزا فاعلم  
ان المقصود من ذلك الحاجز احد الامور الاول ان لا يفسد الغدب  
بسبب اختلاطه بالملح والثاني ان ينتفع بذلك الحاجز والثالث  
المؤمن في قلبه بحران بحر الحكمة والايمان وبحر السهو والطفان  
والحق سبحانه بتوفيقه جعل بينهما حاجزا لكي لا يضر احدهما بالآخر  
وقال بعض الحكماء في قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما ببرزخ لا يسفيا  
قال عند عدم البغي من البحرين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان  
فكذلك عند عدم البغي في القلب يخرج الدين والايمان واعلم  
ان وجه الاستدلال بهذه الاحوال على اثبات الصانع الحكيم ظاهر  
وذلك لانه سبحانه دب اجزاء الارض على هذه الاحوال للحكمة  
المتقنة الموافقة لمصالح العباد وذلك لا يمكن الا بمشيئة نافذة  
وقدرة كاملة وحكمة بالغة الصفة الخامسة للارض قوله  
في سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض ذلولا واعلم ان الذلول  
من كل شيء المنقاد لك الذي يذل لك ومصدره الذل وهو الانقياد  
واللين ومنه يقال دابة ذلوله وفي وصف الارض بالذللول  
وجوه الاول انه لم يجعلها صخرة خشنة يمتنع المشي عليها  
كما يمتنع المشي على وجوه الصخرة الخشنة والثاني انه تعالى

جعلها لينتج حيث يمكن حفرها وبناء الابنية منها كما يراى ولو كانت  
حجرية صلبة لتعذر ذلك والثالث انك ترمى عليها كل قبيح وهي  
تخرج لك كل طعام لذيق والرابع انها كفان الاحياء والاموات  
وهذه الوجوه قد شرحناها ثم قال تعالى فامشوا في مناكبها  
والمفسرون ذكروا في مناكب الارض وجوها الاول قال  
صاحب الكشاف المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل لان المنكبين  
وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وابعدها من اماكن  
الشيء عليه فاذا صار البعير بحيث يمكن المشي على منكبه فقد صار  
نهاية في الانقياد والطاعة فظهر ان قوله فامشوا في مناكبها  
كناية عن كونها نهاية في الذلولية والثاني وهو قول قتادة و  
الضحاك وابن عباس ان مناكب الارض جبالها واماها وتسمى  
الجبال مناكب لان مناكب الانسا شاحضة والجبال ايضا شاحضة  
والمعنى انه سهل عليكم المشي في مناكب الارض وهي ابعد من  
اجزائها والثالث ان مناكبها هي الطرق والحجاج والامراف  
والجوانب وهو قول الحسن ومجاهد واما قوله وكلوا من رزقه  
اي مما خلقه الله رزقا لكم في الارض واليه الشور يعني ينبغي  
ان يكون مكثكم واكلكم في الارض من رزق الله من مكث من  
يعلم ان مرجعه الى الله واكل من يعلم ان مصيره الى الله والمراد  
التحذير من الكفر والمعاصي وطول الامل الصفة السادسة للارض



قوله تعالى في سورة فوج عليه السلام والله جعل لكم الارض سباطا  
لتسلكوا منها سبلا فجاى طرقا واسعة واحدها فج وهو  
قريب مما تقدم الصفة السابعة للارض قوله في سورة الزلزال  
الم نجعل الارض كفافا ومعنى الكفت في اللغة الضم والجمع  
يقال كفت الشيء اى ضمته ويقال جراب كفت اذا كان لا  
يضيع شيئا مما يجمع فيه والكفات اسم ما يكفت كقولهم الضم  
والجمع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جامع للابواب وبه انصب  
احياء وامواتا كانه قيل كافية احياء وامواتا والفعل المضمر  
يدل عليه وهو يكفت هذا هو اللفظ ثم في المعنى وجوه الاول  
انها يكفت الاحياء على ظواهرها والاموات في بطنها والمعنى ان  
الاحياء يسكنون في بيوتهم والاموات يدفنون في قبورهم  
ولهذا المعنى كانوا يسمون الارض اما لانها في ضمها الناس  
كالام التي تضم ولدها وتكفله ولما كانوا يتضمنون اليها  
جعلت كأنها يضمهم والثاني انها كفات الاحياء بمعنى انها  
يكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقرة والثاني  
انها كفات الاحياء بمعنى انها جامعة لما يحتاج الانسان اليه في  
حيوته من مأكول ومشروب لان كل ذلك يخرج من الارض  
وايضا المساكن الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها  
الرابع ان قوله احياء وامواتا راجع الى الارض فالحق ما انت

والميت ما لم ينبت بقي في الآية سؤالان السؤال الاول  
لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات  
جميعا الجواب هو من باب تنكير التخييم كانه قيل يكفت  
احياء لا يبدون وامواتا لا يحصرون السؤال الثاني  
هل تدل الآية على وجوب قطع النبات الجواب نقل الفقهاء  
ان ربيعة قال دلت الآية على ان الارض كفات الميت فيكون  
حرز له والسارق اذا سرق من الحرز يجب عليه القطع الصفة  
الثامنة للارض قوله تعالى تعالى خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم  
تارة اخرى وهي لنا كالام الحاضرة التي ترتبنا حالة الحيوة والموت  
النوع الثالث من الاستدلال باحوال الارض على وجود  
الصانع الحكيم اعلم ان هذه الاحوال من وجوه الاول ان الاشياء  
المتولدة منها من المعادن والنبات والحيوانات والاثار العلوية  
والسفلية كثيرة لا يعلم تفاصيلها الا الله تعالى والثاني من منافع  
الارض ان الماء لرقته ولرطوبة لا يحفظ الشكل والتصوير واذا  
خلط بين الماء والتراب حصل في الماء نوع قوام واستمسك وحصل  
في التراب قبول للاشكال فيصير الطين قابلا للشكل والتخليط  
كما قال تعالى اني خالق بشر من طين وقال في حق عيسى عليه السلام  
واذ خلق من الطين كهيئة الطير باذني والثالث اختلاف بقاء  
الارض فمنها ارض رضوخ وصلبة ورملية وسبخة وحررة وهو



المشار اليه بقوله سبحانه وفي الارض قطع منجا ورات وقال  
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكلا  
والرابع اختلاف الوانها فاحمر وابيض واسود ورمادي اللون  
واغبر اللون كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها  
وغرابيب سود والخامس انصداعها بالنبات كما قال في الارض  
ذات الصدع والسادس كونها خازنة للماء المنزل من السماء واليه  
اشار بقوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكنناه في الارض  
واناعل ذهاب وقال قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم  
بماء معين والسابع العمود والانهار العظام والصفار التي  
في الارض واليه اشار بقوله وجعل فيها رواسي وانهارا والنامن  
ما فيها من المعادن والفلزات واليه الاشارة بقوله والارض مددناها  
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شئ موزون ثم بين  
ذلك تمام البيا فقال وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ينزله  
الا بقدر معلوم والتاسع الزروع والاشجار التي نبت من الارض  
من الحب والنوى قال نعم ان الله فائق الحب والنوى وقال  
يخرج الحنأ في السموات والارض ثم ان الارض لها طبع الكرمي  
لانك تدفعها اليها حبة واحدة وهي تردها عليك سبعائة قال  
كمثل حبة انبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والفاطر  
حيوتها بعد موتها قال نعم اولم ير وانسوق الماء الى الارض

الجز فخرج به زرعاً وقال واية لهم الارض الميتة احييناها  
والحادى عشر ما عليها من الدواب المختلفة اللون والصور  
والخلق واليه الاشارة بقوله خلق السموات بغير عدد ونها  
والتي في الارض رواسي ان تميد لكم وبث فيها من كل دابة الثمانية  
عشر ما فيها من النبات المختلفة الوان وطبايعه وانواعه  
ومنافعه واليه الاشارة بقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج  
فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها واختلاف رواجمها  
دلالة واختلاف منافعها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت  
البهائم ثم قال كلوا واربعوا انما لكم ان في ذلك لايات لاولي  
النهي ثم ان مطعوم البشر ينقسم الى اقسام منها الطعام  
ومنها الادام ومنها الدواء ومنها العاكة ومنها الانواع  
المختلفة قال نعم وقد رفيها اقواتها في اربعة ايام وايضا فمنها  
كسوة البشر لان الكسوة اما نباتية وهي القطن والكتان  
واما حيوانية وهي الشعر والصوف والابرسم والجلود  
وهي من الحيوانات التي نبتها الله في الارض فاما مطعوم من الارض  
والملبوس من الارض والغذاء من الارض والدواء من الارض  
ثم قال ويخلق ما لا تعلمون وفيه اشارة الى منافع كثيرة لا يعلمها  
نحن والحق سبحانه عالم بها ثم اننا جعل الارض سائر ق  
لغضا يحكم بعد موتك فقال الم نجعل الارض كفاتا احياء ومواتا



ثم انه سبحانه جمع هذه المنافع العظيمة للسماء والارض وسخر لكم  
ما في السموات وما في الارض الثالث عشر ما فيها من الاحجار المختلفة  
ففي صغارها ما يصلح للزينة فيجعل فسوس الخواصم وفي كبارها  
ما يتخذ للانية وانظر الى الحجر الذي يستخرج النار مع كثرته وانظر  
الى الياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر الى كثرة النفع بذلك الحقيق  
وقلة النفع بهذا الشريف الرابع عشر ما اودع الله فيها من المعادن  
الشريفة كالذهب والفضة والملح والنفط ثم تأمل فان البشر  
استخرجوا الحرف الدقيقة والصنایع الجليلة واستخرجوا السمكة  
من قعر البحار واستنزلوا الطير من اوج الهواء ثم عجزوا عن اتخاذ  
الذهب والفضة والسبب فيه انه لا فائدة في وجودها الا لقيمة  
وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العرة والقدرة على اتخاذها يبطل  
هذه الحكمة فكذا كثر ما اودع الله دونها بآيات مشدودا اظهارا لهذه الحكمة  
وابقاء هذه النعمة واما الذي لامضرة على الخلق في اتخاذها فقد ادرهم  
عليه مثل اتخاذ الشية من التماس واتخاذ الزجاج من الرمل  
فاذا تأمل العاقل في هذه اللطائف والعجائب اضطر الى افتقار  
هذه التدابير الى صانع حكيم مقدر عليم سبحانه وتعالى يقول  
الظالمون علوا كبيرا الخامس عشر كثر ما يوجد على الارض والجبال  
من الاشجار التي تصلح للبناء والسقف ثم الحطب منها اشتداد  
الحاجة اليه في الخبز والطبخ وقد نبه الله على ذلك لائل الارض ومنافعها

بالفاظ

بالفاظ لا يبلغها البلقاء ولا يقدر عليها الفصحاء فقال وهو الذر  
مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل  
فيها زوجين اثنين النوع الرابع من مباحث الارض اختلفوا  
في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل ام الارض  
قال بعضهم السماء افضل لوجوه الاول ان السماء معبد الملائكة  
وما فيها بقعة عسى الله فيها حتى ان ابليس لما اظهر الكفر اخرج  
من السماء وقيل له اخرج منها فانك رجيم وادم عليه السلام لما اتى  
بالزلة قال تعالى لما هبطوا منها وقال اهبطوا وقال له لا يسكن  
في جوارى من عضا والحجة الثانية انه تعالى وصف السماء بصفات  
دلالة على العظمة ولم يذكر مثلها في الارض فقال وجعلنا السماء  
سقفا محفوظا وبيننا فوقكم سبع شدا واسباطا قاهل ترى  
من فطور وما لها من فزوج وقوله تبارك الذي جعل في السماء  
بروجا وجعل فيها سراجا وقراميرا ثم ذكر عاقبة امرها واذا  
السماء فرجت واذا السماء كسفت يوم يطوى السماء كطي السجل  
وتكون السماء كالمهل واما الموضع الذي ذكر فيه حال الارض  
فقد ذكر الارض بما يدل على عظم حال السماء فقال والارض جميعا  
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ومعلوم ان  
اليمن اشرف الجهات الثالثة انه تعالى جعل الارض موضع السجود  
والسموات قبلة الدعاء فاليدى يرفع اليها والوجوه يتوجه



مخزها والقلوب متعلقة بها الحجة الرابعة انها منازل الانوار  
ومحل الصفاء والامناء ومصونة عن الخلل والفساد ومحل  
الظهارة والعصمة والارض ليست كذلك الحجة الخامسة السموات  
مؤثرة غير متأثرة والارضون متأثرة غير مؤثرة والمؤثر اشرف  
من القابل وما يدل على ان السموات مؤثرة قوله ثم فليمد بسبب  
الى السماء وقوله حكاية عن فرعون لعل ابلغ الاسباب اسباب السموات  
الحجة السادسة ان السموات مزينة بثمانية اشياء ثلثة منها محسوسة  
وهي الشمس والقمر والنجوم وخمسة منها غير محسوسة وهي العرش والكرسي  
واللوح والقلم والجنة وامثال هذه الاشياء غير موجودة في الارض  
فلا يناسبها ولا يشاكلها الحجة السابعة انه تم ذكر اسم السموات  
والارض في كتابه وفي كل المواضع قدم ذكر السموات على الارض  
وذلك يدل على المقصود وقال بعضهم بل الارض افضل واحسن  
عليه بوجوه الحجة الاولى انه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة  
احديها قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك  
وثانيها قوله تعالى في البقعة المباركة من الشجرة وثالثها قوله الى  
المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ورابعها وصف ارض الشام  
بالبركة فقال مشارقا الارض ومغارها التي باركنا فيها  
وقدر فيها اقواتها فان قيل واي بركة في القلوات الخالية  
والمفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاهها

ولولاها

ولولاها لا خلقت السباع بالناس في مساكنهم ثم انها مساكن الناس  
اذا احتاجوا اليها وهذه الحجة ضعيفة لان الله تعالى اثبت وصف البركة  
في السموات وهو قوله بركات من السماء الحجة الثانية انه تعالى  
خلق الانبياء المكرمين من الارض على ما قال منها خلقناكم وفيها  
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولم يخلق من السموات شيئا لانه قال  
وجعلنا السماء سقفا محفوظا الحجة الثالثة انه سبحانه اكرم نبية  
بها جعل الارض كلها مسجدا وجعل ترابها طهورا النوع الخامس  
من المباحث ما يدل على تعظيم حال السماء والارض اعلم انه سبحانه  
بين صفات جلالة ونفوت كبريائه بالاضافة الى السموات  
والارضين فهذه الآية كثيرة في القرآن اما القسم الاول الآيات  
الدالة على الخلق قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض ثم  
بين ان هذا الخلق اعظم من خلق الناس فقال لخلق السموات  
والارض اكبر من خلق الناس وقال في التارخا امة ثم استشهد  
خلقا ام السماء بناها وقال في يسى اوليس الذي خلق السموات  
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ثم بين  
انه خلقها بالحق فقال في النحل خلق السموات والارض بالحق تعالى  
عما يشركون ثم بين في ص ان ما خلقها بالباطل فقال وما خلقنا  
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ثم بين  
ان الكل تحت تدبيره فقال الله الذي يخرج الخبأ في السموات



والارض ثم بين ان في خلق السموات ايات عجيبة فقال في سورة  
البقرة ان في خلق السموات والارض الى قوله لا ايات لقوم يعقلون  
وقال في آل عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل  
والنهار لايات لاولى الالباب ثم بين تعالى ان ما اطلع احدا  
على اسرار هذا الخلق فقال ما شهدتم خلق السموات والارض  
فهذا ما يتعلق بصفة الخلق القسم الثاني ما يتعلق بصفة  
الربوبية فقال موسى عليه السلام في سورة الشعراء استدلالا  
على فرعون رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين  
وقال ايضا الله نور السموات والارض قال بعضهم الله مزين  
اهل السموات والارض كما يقال هذا فلان نور هذا البلد اذا كان  
سبا للنظم مصالح البلد وقال بعضهم هادى اهل السموات  
والارض وقال بعضهم منور السموات والارض وقراد بعضهم  
الله نور السموات والارض واحتج على هذه القراءة بقوله مثل  
نوره ثم بين ان تعالى غير عاجز عن هذا التدبير فقال وما كان  
الله ليخرج من شيء في السموات ولا في الارض القسم الثالث  
ما يتعلق بالملك وقال تعالى والله مالك السموات وما في الارض  
ثم ذكر التفصيل فبين الله مالك الجنود فقال والله جنود السما  
والارض وانه مالك الخزائن فقال والله خزائن السموات والارض  
وانه المالك للاشياء بعد فناء الخلق والله ميراث السموات

والارض وانه المالك بفتح المعاليق فقال له مقاليد السموات  
والارض ثم ذكر ان الملك لكل العقلاء فقال وله من في السموات  
والارض ثم أكد ببقية هذه العبودية بقوله والله يسجد من  
في السموات ومن في الارض وقال ايضا يسجد له من في السموات  
ومن في الارض ثم بين ان تعالى يجعل البعض مسخر للبعض بل يجعل  
القوى مسخر للضعيف قال تعالى وما خلقنا السموات والارض  
وما بينهما الا عبيد ما خلقناهما الا للخدمة بالحق لو اردنا ان  
نخذلها لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ثم بين فقال تعالى  
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم بين ان لا يعجز احد  
فقال تعالى وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وقال فان  
استطعت ان تبغى نفقا في الارض او سماء في السماء القسم الرابع  
ما يتعلق بالملك وهو قوله والله ملك السموات والارض واعلم  
ان الفرق بين الملك وبين المالك موجود عينا ما هو معلوم في  
تفسير قوله مالك يوم الدين ثم بين كما انه هو الملك فهو ايضا  
مالك الملك فقال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء  
وتنزعه الملك ممن تشاء وتقرض من تشاء ثم بين بقاء الملك وكرمه  
بركاته فقال تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض القسم  
الخامس ما يتعلق بالعلم وهو قوله والله غيب السموات والارض  
ثم بين ان تعالى يعلم الغيب والشهادة فقال يعلم ما في السموات



وما في الارض وقال عالم الغيب والشهادة ثم بين احاطة علمه  
فقال لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ثم بين  
جلاليته في هذا العالم العلم فقال نعم قل ربي يعلم القول في السماء  
والارض ثم بين انه لا يخفى عليه شيء البتة فقال لا يخفى عليه شيء  
في الارض ولا في السماء هو القسم السادس ما يتعلق بكيفية التدبير  
قال يدبر الامر من السماء الى الارض القسم السابع ما يتعلق بالتبج  
والحمد قال وله الحمد في السموات والارض القسم الثامن ما يتعلق  
بالكبرياء قال وله الكبرياء في السموات والارض وقال وله المثل  
الاعلى في السموات والارض وقال وسع كرسيه السموات والارض  
وقال وله اسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وقال ففرج  
من في السموات والارض وقال انا عرضنا الامانة على السموات  
والارض وكل ذلك يدّل على نهاية الجلال والعظمة والهيبة وقال  
وكم من ملك في السموات والارض لا تغني شفاعتهم شيئاً ونظيره  
من الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله يوم يقوم الروح  
والملائكة صفاء لا ينكمون الآية وقال وخشعت الاصوات  
للرحمن وقيل ارض بلعي ماءك وباسماء اقلعي وقال وهو الذي  
في السماء اله وفي الارض اله والقسم التاسع ما يتعلق بالالهية  
وهو قوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم  
وقال وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله القسم العاشر

ما يتعلق

ما يتعلق بالنظر والاستدلال قال وكاين من آية في السموات  
والارض يرون عليها وهم عنها معرضون وقال قل انظروا  
ماذا في السموات والارض وقال اولم ينظروا في ملكوت السموات  
والارض وقال في النبوة على العزة فما بكت عليهم السماء والارض  
وما كانوا منظرين واعلم ان الكثر كتاب الله تعالى من ذكر السموات  
والارض في القرآن يدل على عظم شأنها وعلى ان له سبحانه فيها  
اسرار عجيبة وحكما بالغة لا يصل اليها افهام الخلق والعقول  
فان قيل فما الحكمة في انه سبحانه عرف صفات جلاله وقدره وعظمته  
بذكر السموات والارض قلنا الحكمة فيه ان ذات الله وصفاته  
وعزته وعظمته عن مشاهد الخلق ابتداء بل لا سبيل الى معرفتها  
الا بالدلائل والبراهين وكلما كانت الاثار اجل واعظم كان ذلك  
ادل على عظمة المؤثرات فلما كان اعظم الموجودات المحسوسة  
هو السموات والارض لاجرم عرف الله سبحانه كمال قدرته  
ونهاية علمه وحكمته بذكر السموات والارض فهذا تمام القول  
في هذا الموضع النوع السادس من شرح المنافع الحاصلة من  
مجموع السماء والارض اعلم ان السماء والارض مع غاية بعد  
كل واحد منهما عن الآخر متفاوتان على تحصيل منافع العالم ومصلحه  
وبيان من وجوه الاول ان الفوق هو الذي يلي جهة السماء والحت  
هو الذي يلي جهة الارض والجهات لا يوجد الا بالفوق والحت



فالسما والارض متعاونان على تحصيل وجود الجاهات واذا كان  
 حصول الجاهات من توابع حصول السماء والارض كان خالق السماء  
 والارض منزها عن الجاهات والاحياز والثاني ان السماء والارض  
 متعاونان على تحصيل النبات فالسما كالأب فيحصل من صلبه القطر  
 ويقع من فعر الارض فاذا وقعت الحبة في ذلك الطين اثرت  
 نذاوة الطين في تلك الحبة وكذلك السخونة المختفية في باطن الارض  
 فوصلت النذاوة الى باطن الحبة وسبب تلك السخونة انتفخت  
 الحبة ورتب وعظمت فانفلقت فلقة من فوقها وفلقة من  
 تحتها فالانفلاق الفوقاني يخرج منه ساق الشجر والانفلاق  
 التحتاني يخرج منه عروق الشجر اذ اعرفت هذا فنقول لو وقعت  
 الحبة في ارض يابسة لم يحصل المقصود اصلا ولو وقعت في الطين  
 ولكن بحيث لا يصل اليها تأثيرات الهواء وشعاعات الكواكب  
 لا يحصل المقصود اصلا الا ترى ان الاشجار التي تكون في ظل  
 مانع من شروق نور الشمس والقمر عليها فانها تكون فاسدة  
 ناقصة والشجرة الصغيرة الواقعة في ظل شجرة كبيرة تكون  
 ايضا فاسدة واذا تأملت علمت ان هذا المقصود لا يحصل  
 الا اذا وجدت كرم الارض ووجدت كرم الماء وكانا متقاربين  
 بحيث يمتزجان ثم لا بد من وصول الهواء اليه الا ان الهواء  
 جرم خفيف مساعد بالطبع فلا يفوص بالطبع في عمق الطين

فدبر الحكيم الرحيم لهذا كله تدبروا وهو ان حرك الهواء حتى  
 صار رجيا ثم ان الرجح يموج بقوة الهواء فاذا امتوج غوض  
 لبعضها في انشاء ذلك التموج ان نفدت بعده في عمق الارض  
 واليه الاشارة بقوله وارسلنا الرياح لواح وانما القاحها  
 في ايقاع الازدواج بين الارض والماء والهواء ثم كان ذلك  
 والله اعلم لا يفيد المقصود الا مع حرارة لطيفة سماوية فقد  
 ذلك لا بد من حرارة الربيع في الانبات ومن حرارة الصيف  
 في الانضاج فقد عرفت ان المقصود لا يحصل الا عند اجتماع  
 تأثيرات العناصر الاربعة السفلية وتأثيرات الشعاعات  
 الفلكية ثم عند اجتماع الاسباب العلوية والسفلية لا يحصل  
 المقصود الا بقدرته ولا يتكون المطلوب الا بنفاذ مشيئة  
 وذلك لان الارض الواحدة والماء الواحد والهواء الواحد  
 وتأثير الشمس والقمر في الكل على نمط واحد يحصل انواع من  
 النبات مختلفة في الطبع والطعم واللون والريجة وذلك  
 ذلك على ان العناصر والافلاك اسباب ظاهرة والمؤثر في  
 الحقيقة هو القدرة الازلية والمشيئة الترمدية والوجه الثالث  
 ان النهار عبارة عن مدة ظهور نور الشمس والليل عبارة  
 عن مدة اختفاء نور الشمس بسبب ظل الارض ومنافع الليل  
 والنهار كثيرة على ما سندكرها اذا كان الامر كذلك السبب الغريب



لحدوث الليل والنهار وهو وجود السماء والارض ولهذا السبب  
فانه تعالى ايما ذكر احوال الليل والنهار ففي الاكثر يكون ذلك  
مسبوقا بذكر السماء والارض تنبيهها على ان سبب الليل والنهار هو  
الارض والسماء ثم العجب ان السماء والارض كالمستافين المتضادين  
ثم انهما صار امتعاوين على تحصيل اسباب مصالح هذا العالم <sup>والتضاد</sup>  
يوجبان الفساد فلما صار هذان الضدان موجبين لمحصل  
اسباب الصلاح علم ان ذلك بتدبير مدبر وتقدير مقدر حكيم  
عليم سبحانه وتعالى يقول الظالمون علوا كبيرا وهذا هو آخر  
الكلام في الدلائل المأخوذة من السماء والارض **البار الثاني**  
في وجوب الدلائل المأخوذة من الشمس والقمر والنجوم وفيه فصول  
**الفصل الاول** في تقرير دليل الخليل عليه السلام في قوله تعالى  
لا احب الاقربين قال تعالى واذا قال ابراهيم لابيه ازر اخذ  
اصناما الهة اتى اراهم وقومك في ضلال مبين اعلم ان قبل  
المحوض في التفسير لا بد من مقدمات المقدمة الاولى انه سبحانه  
كثيرا ما يجتج على مشركي العرب باحوال ابراهيم عزم وذلك لانه  
رجل يعترف بفضله جميع الطوائف والملوك فالمشركون كانوا  
معترفين مشركين بفضله مبشرين الملك بانهم من اولاده  
واليهود والنصارى والمسلمون كلهم معترفون له معترفون  
بجلال قدره فلا حرم ذكر الله تعالى حكاية حاله في معرض الاحتجاج

على المشركين واعلم ان هذا المنصب العظيم وهو اعز ان كثر الخلق  
بفضله وعلو مرتبته لم يتفق لاحد كما يتفق لل خليل عليه السلام  
والسبب فيه ان بين العبد وبين الرب معاهدة كما قال اوفوا  
بعهدي اوف بعهديكم فابراهيم عزم وفي تعهد العبودية والله تعالى  
شاهد بذلك على سبيل الاجمال تارة وعلى سبيل التفصيل اخرى  
اما الاجمال ففي آيتين احدهما قوله تعالى واذا ابلى ابراهيم ربه  
كلمات فانه من هذه الشهادة من الله تعالى بانه اتم عهد العبودية  
والثانية قوله اذ قال ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اما  
التفصيل فهو انه فاضل في اثبات التوحيد وابطال القول بالشركاء  
والانذار مع ابيه وهو قوله يا ابيت لم تقبدا ما لا يسمع ولا يبصر  
ولا يفقه عندك شيئا وناظر ايضا في هذه المسئلة مع قومه فلما  
جن عليه الليل رأى كوكبا الى اخره وناظر مع ملك زمانه في هذه  
المسئلة ايضا فقال ربي الذي يجي وبميت ثم ناظر ايضا  
مع قومه بالفعل وهو قوله فجعلهم جذا ذا الاكبر اكرم ان القوم  
قالوا حرقوا وانفروا المهتم ان كنتم فاعلين يروى لما وضع  
في المخبئ صاحت السموات والارضون وكل المخلوقان الى  
الثقلين وقالوا يا ربنا اليس في الارض احد يعبدك ويوحّدك  
غير ابراهيم ثم انه حرق بالنار اذن لنا في نصرته فواحي الله تعالى  
الى السماء والارض والبحار والجبال اذا استغاث بكم فاغثوه



وان استنصركم فانصروه وان دعاني انا وليه ونامره وكفي في  
وليا فلما ارادوا القاءه في النار فقال يا احد يا محمد بك استغيث  
وعليك انوكل حسي الله لا اله الا هو ونعم الوكيل فجاء ملك المطر  
وعرض نفسه عليه فلم يلتفت وجاء خازن الريج فقال ان شئت  
اذنت للريج فيتفرق النار في شرقها وغربها فلم يلتفت فرمى  
من المنجنيق فقبل ان يصل الى النار قال جبرئيل عم الان جاء  
وقته وعرض نفسه عليه وقال هل لك من حاجة فقال اما اليك  
فلا قال جبرئيل دم افلا ترفع حاجتك الى الله نعم فقال ابراهيم  
حسبي من سؤالي علمه بحالي فان قيل الستم زويتهم انهم كلما ارادوا  
القاءه في النار دعى الله واستغاث به ثم ذكرتم ان في هذه الحالة  
لم يذكر شيئا مما الفرق بين الحالتين قلنا الانسان قبل الوقوع في البلاء  
لا يكون طمعه منقطعاً عن النفس فيشتد عليه البلاء فعند ذلك  
قد يشتغل بالدعاء اما عند الوقوع فيه ينقطع طمعه عن النفس  
ولا يجاب عن الرب الا الاستغفال بالنفس فاذا ازال ذلك الحجاب  
تجلي في قلبه نور جلال الله فيخسئ يستنكف ان يرجع الى الله تعالى  
في خلاص النفس وفي بعض الروايات انه لما قال له جبرئيل لم لا تستغيث  
بالرب تعالى فقال على ماذا قال على النفس قال الخليل النفس معيوبة  
لا خطر لها فلا اسئل من علام الغيوب بخباة الجسم المعيوب فقال  
جبرئيل دم استغن على القلب فقال الخليل القلب للرب فليعمل

الرب ما شاء بالقلب فقال جبرئيل استغن على الروح فقال الخليل  
الروح غارية والحادية مؤاة فقال جبرئيل استغن على النار قال  
الخليل ومن اوقد النار قال العدو قال ومن قضى به قال الجيب  
قال الخليل فالجيب راض بحكم الجيب فلما انقطع نظر الخليل عن  
الوسائط والاسباب فالحق ايضا رفع الوسائط والاسباب  
فقال تعالى يا ناركوفي بردا وسلاما على ابراهيم ثم انه عليه السلام  
بعد هذه الواقعة بذل الولد فقال يا بني اني اري في المنام اني اذ بك  
فانظر ماذا ترى فعند هذا كان ابراهيم عليه السلام من الصبيان  
سلم نفسه للعرفان ولسانه للبرهان وبدنه للزيران وولده للقربان  
وماله للضيقات وكل عهد عبودية ثم انه سأل بعد ذلك ربه  
فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين فوجب في كرم الحق  
ان يحقق مطلوبه في هذا السؤال فلا جرم اجاب دعاء وقيل  
نداء وجعله مقبول جميع الفرق والطوائف الى اخر القيامة  
ولما كان العرب مقرين بفضل لاجرم جعل الله مناظرة مع قومه  
حجة على مشركي العرب المقدمة الثانية اعلم انه ليس في العالم احد  
يشب لله شريكا يساويه في الوجوب والقدرة والعلم والحكمة  
لكن الشؤنة يشبتون الهين احدهما حكيم بفعل الخير والثاني  
سفيه بفعل الشر اما الاشتغال بعبادة غير الله ففي الذاهبين  
اليه كثيرة فمنهم عبدة الكواكب وهم فرتيان منهم من يقول انه تعالى



خلق هذه الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلي اليها فهذه  
الكواكب المدبرون لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبد هذه الكواكب  
ثم ان هذه الكواكب مشغولة بعبودية الله ثم وطاعته ومنهم قوم  
ينكرون الصانع سبحانه ويقولون هذه الافلاك والكواكب اجسام  
واجبة الوجود لذواتها يمنع عليها العدم والفناء وهي المدبرة  
لهذا العالم وهؤلاء هم الدهرية الخالصة ومن يعبد غير الله سبحانه  
هم المضاري الذين يعبدون المسيح ع ومنهم ايضا عبدة الاوثان  
والاصنام واعلم انهم بناجسها لابلذمتهم وهوانه لا دين اقدم  
من دين عبدة الاوثان وذلك لان اقدم الانبياء الذين وصل  
اليانا تاريخهم هو نوح ع وهو انما جاء بالرد على عبدة الاصنام  
على ما اخرج الله عنه في قوله وقالوا لا تذرك الهتك ودا ولا سواعا  
ولا يعقوث ويعوق ونسرا فعلمنا ان دين عبدة الاوثان الاصنام  
كان موجودا قبل نوح ع وهو باق الى الآن بل اكثر سكان  
اطراف العالم مستمرين عليه والمذاهب الذي هذا شأنه يمنع ان  
يكون معلوم البطلان بضرورة العقل لكن العلم بان هذا الحجر المحجور  
في هذه الساعة ليس هو الذي خلقه وخلق السماء والارض علم ضروري  
يسهل اتفاق الكثير من العقلاء عليه فظهر انه ليس دين عبدة  
الاصنام كون الصنم خالفا للسماء والارض والعلماء ذكر وفيه وجوها  
الاول ان الناس رأوا تغيرات هذه احوال هذا العالم مربوطة

بتغيرات احوال الكواكب فان مجيب قرب الشمس وبعد هاعن سمت  
الرأس يحدث الفصول الاربعة وبسبب حدوث الفصول الاربعة  
حدثت الاحوال المختلفة في هذا العالم ثم ان الناس رصدوا احوال  
سائر الكواكب واعتقدوا ارتباط السعادات والخوشا بكيفية وقوعها  
في طوابع الناس فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون اكثر الخلق كون  
المصدر لاحوال هذا العالم وطوائفه انصالات هذه الكواكب  
وتأثيراتها ولما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيمها ثم من اعتقد  
انها واجبة الوجود لذواتها ومنهم من اعتقد حدوثها وكونها محكوم  
بالآلهة الاكبر الا انهم قالوا هي مخلوقة للاله الاكبر وخالقة لاحوال  
هذا العالم وهؤلاء هم الذين اعتقدوا انها وساطة بين الاله  
الاكبر وبين اصحاب هذا العالم وعلى كلا التقديرين فالقوم شغلوا  
بعبادتها وتعظيمها والخضوع لها ثم انهم لما رأوا ان الكواكب  
قد يستخرج عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا كل كوكب صنما  
عن الجوهر المنسوب اليه فاتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوا  
باجار المنسوبة الى الشمس وهي الباقوت والاماس واتخذوا صنم  
القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة هذه الاصنام  
وغرضهم من هذه الاصنام عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها فهذه  
الاصنام عندهم كالقبلة والمعبود عندهم في الحقيقة هو تلك الكواكب  
وعند هذا البحث يرجع حاصل دين عبدة الاصنام الى عبادة الكواكب



وأما الأنبياء صلوات الله عليهم فلهم ههنا مقامان أحدهما إقامة  
الدلالة على أن هذه الكواكب لا تفعل شيئا والثاني أن بتقدير أنها  
تفعل شيئا لكن دلائل الحدوث حاصلة فيها فلا بد فيها من أن تكون  
مخلوقة لاله قديم أزلي والاشتغال بعبادة الأصل المولى من الاشتغال  
بعبادة الفرع ومما يدل على صحة ما روينا من عبادة الاوثان  
أنه تعالى لما حكى عن الخليل عم انه قال لا بيه أزرأ اتخذ اصناما  
الهة اني اريد وقومك في ضلال مبين وفي هذا الكلام دليل  
ان عبادة الاصنام جهل وضلال ثم لما اشتغل بذكر الدليل  
اقام الدليل على أن الكوكب والشمس والقمر لا يصلح شئ منها  
للإلهية وهذا يدل على أن عبادة الاوثان يرجع حاصلها الى القوة  
باطنية الكواكب والشمس والقمر والآن لم يكن بين قوله اتخذ اصناما  
الهة اني اريد وقومك في ضلال مبين وبين قوله فلما جن عليه  
الليل رأى كوكبا تعلقا ولا مناسبة واذا عرفت هذا ظهر انه لا طريق  
الى ابطال القول بعبادة الاوثان الا بابطال كون الشمس والقمر  
والكواكب الها وهو الذي حكى الله تعالى عن ابراهيم في هذه الآية  
الوجه الثاني في شرح حقيقة مذهب من قال بعبادة الاوثان  
ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المجيم البلخي قال في بعض مصنفاته  
ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وبملائكته  
الا أنهم كانوا يعتقدون انه تم جسم ذو صورة كاحسن ما يكون

من الصور وهكذا ايضا للملائكة صور حسنة الا أنهم كلهم قد اجنوا  
علينا بالسما فلا جرم اتخذوا صوراً وتماثيل لسبقة المنظر حسنة  
الرؤا على الصورة لانه كانوا يعتقدونها في صورة الاله والملائكة  
ثم يعتقدون على عبادتها قاصدين به طلب الرزق الى الله تعالى  
والى ملائكته فان صح ما ذكره ابو معشر فالسبب في عبادة الاوثان  
اعتقاد الجسمية في الله تعالى سبحانه الوجه الثالث ان اصحاب الاحكام  
من الجرميين كانوا يعبدون اوقافا في السنين المتطاولة  
بالحرف والفين ويرغمون ان من اتخذ طلسماً في ذلك الوقت  
على وقت خاص فانه ينفع في احوال مخصوصة كحر السعادة والخصب  
ودفع الافان وكانوا اتخذوا ذلك الطلسم وعظوه لاعتقادهم  
انهم يستفدون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة  
ولما طالت الازمنة فالجهال نسوا مبدء الامر واشتغلوا بعبادتها  
ومما يدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في اخر هذه الآية حكاية  
عن ابراهيم عم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم  
بالله وذلك لانه عليه السلام لما طعن في الهية تلك الاصنام  
وحسن عبادتها خوفهم بوصول البلاد اليه من تلك الاصنام  
وقال نعم ايضا حكاية عن قوم هود عليه السلام انهم قالوا الا اعتزك  
بعض الصناب سود والوجه الرابع انه كلما مات منهم رجل كبير اعتقادهم  
بحيث يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة مقبول الشهادة عند الله



اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على اعتقاد ان ذلك يصير شفيعا  
 لهم يوم القيامة على ما حكى الله عنهم في هذه المقالة في قوله هو لا يورث  
 شفعاؤنا عند الله وقال ايضا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى  
 والوجه الخامس لعل القوم اتخذوا هذه الاصنام محاريب لصلواتهم  
 وطاعتهم يسجدون اليها لاطاعتها كما اناسجد الى القبلة لا للقبلة  
 لما دامت هذه الحالة ظن للمخفى من القوم انها هي المعبود والوجه  
 السادس لعل القوم كانوا من الجسمة او من الحلولية اعتقدوا  
 جواز حلول الله في بعض هذه الاجسام فعبدوا هذه الاجسام  
 على هذا التأويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهب عبدة  
 الاصنام عليها وباللغة التوفيق واذا عرفت هاتين المقدمتين  
 فلنرجع الى تفسير هذه الآية اما قوله تعالى واذا قال ابراهيم لابيه  
 ازرني فففيه مسئلتان المسئلة الاولى في ازرني لان الاول  
 انه والد ابراهيم وطعم في ذلك دلائل الحجج الاولى ظاهر لفظ القرآن  
 في هذه الآية تدل على ذلك ثم ان ظاهر هذه الآية متأكد بآيات  
 اخرى منها قوله في سورة مريم اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد  
 ما لا يسمع ولا يبصر وقال ايضا وما كان استغفارا لبراهيم لابيه  
 الى قوله فلما تبين انه عذوق لله تبرأ منه وكل هذه الايات  
 تدل على ان والد ابراهيم كان كافرا عابدا للوثن الحجج الثانية  
 ان العرب سمعوا هذه الآية وكانوا يحرمون الناس على تكذيب

الرسول واعظم الناس رغبة في براءة شجرة النسب عن كل عيب  
 فلو كان ازرني يكن والد ابراهيم نسار عوا الى تكذيبه ولا يحجروا  
 ذلك غيبة عظيمة في الطعن فيه الحجج الثالثة انه ذكر تعالى وتقدس  
 في قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه في آيات كثيرة ولم يذكر اسم العم  
 في القرآن فيتعذر حمل لفظ الاب في هذه الآية على العم والقول  
 الثاني ان ازرني يكن والد ابراهيم عم واحجبوا بوجوه الاولى  
 ان ابا الانبياء عليهم السلام مكانوا كافرا ويدل عليه وجوه  
 منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل  
 معناه انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد فبهذا التقدير  
 الآية دالة على ان جميع اباؤ محمد عم كانوا مسلمين وحينئذ  
 يجب القطع بان والد ابراهيم عم مكان من الكافرين اقصى  
 ما في الباب ان يحمل قوله وتقلبك في الساجدين على وجوه اخرى  
 منها انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف الرسول عليه السلام تلك  
 الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون لشدة حرصه  
 على ما يظهر منهم من الطاعات فوجدها كبيوت الزنا بركثرة  
 ما يسمع من دبدبتهم بذكر الله من قوله وتقلبك في الساجدين  
 طوفه عم على الساجدين في تلك الليلة ومنها المراد وبريك  
 حين تقوم للصلوة بالناس جماعة ويقلبه في الساجدين كونه  
 في ما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده لانه كان اماما لهم ومنها



انه لا يخفى على الله حالك كما قلت وصليت مع الساجدين في الشئ قال  
 بامور الدين ومنها المراد نقل بصره فيمن يصلي خلفه من قوله  
 اتموا الركوع والسجود فاني اراكم من وراء خلفي فهذه هي الوجوه  
 الاربعة وان كانت الالية محتملة لها الا ان الوجه الثاني ذكرناه  
 والالية ايضا محتملة له والروايات وردت بالكل ولا منافاة بين  
 هذه الوجوه فوجب حمل الالية على الكل وميتح ذلك ثبت ان  
 والد ابراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الاوثان وما يدل على ان  
 ابا محمد ما كان مشركين قوله وم لم ازل انتقل من اصلاب  
 الطاهرين الى ارحام الطاهرات قال تعالى انما المشركون نجس  
 فوجب ان لا يكون احدا من اجداده وم مشركا الحجة الثانية  
 على ان ازر لم يكن والد ابراهيم عليه السلام لان هذه الالية دالة  
 على ان ابراهيم وم شافه ازر بالغلظة ومشاهدة الاب بالغلظة  
 لا يجوز وهذا يدل على ان ازر ملكان والد ابراهيم وم انما قلنا  
 ان ابراهيم شافه ازر في هذه الالية بالغلظة لوجهين الاول  
 انه قرئ واذا قال ابراهيم لابيه ازر بضم ازر وهذا يكون محمولا  
 على النداء ومخاطبة الاب ونداه بالاسم من اعظم انواع الجفاء  
 والثاني انه قال لا ازر ابي اريك وقومك فمضاد مبين وهذا  
 من اعظم انواع الانياء فثبت انه عليه السلام شافه ازر بالغلظة  
 وانما قلنا ان مشاهدة الاب بالغلظة لا يجوز لوجوه الاول

قوله تم وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا  
 وهذا عام في حق الكافر والمسلم وقال تعالى ولا تقل لهما اف  
 ولا تنهرهما وهذا ايضا عام والثاني انه تم لما بعث موسى عم  
 الى فرعون امرم بالرفق معه فقال فقولا له قولنا والسبب  
 في ذلك ان يصير هذا رعاية لحق تربية فرعون فهنا الولد اولى  
 بالرفق معه الثالث ان الدعوة مع الرفق اكثر تأثيرا في القلب  
 واما التغليظ فانه ينفر المستمع عن القبول ولهذا قال تعالى  
 لمحمد عليه السلام وجادلهم بالتي هي احسن فكيف يليق بابراهيم  
 هذه الحشونة مع ابيه في وقت الدعوة والرابع انه تعالى حكى  
 عن ابراهيم الرفق بالتشديد مع هذا المسمى بالاب وهو قوله  
 يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم عند شيئا ثم ان ذلك  
 الانسان غلط في القول وهو قوله لئن لم تنته لارجمك واخرجني  
 مليا ثم ان ابراهيم عليه السلام اترك الرفق الشديد مع هذا المسمى  
 بالاب بل قال سلام عليك ساستغفر لك ربي واذا كانت عادة  
 ابراهيم في الرفق والقول الحسن هذا فكيف يليق ان يظهر الحشونة  
 والغلظ مع ابيه فثبت بهذه الحجة ان ازر ملكان والد ابراهيم  
الحجة الثالثة على ان ازر ملكان والد ابراهيم وم انه جاء في كتب  
 التواريخ ان اسم ابيه كان تاريخ واما ازر فهو عم ابراهيم وم  
 ثم ان القائلين بهذا القول اجابوا عن دليل اصحاب القول الاول



فقالوا القرآن وان دل على تسمية آزر بالاب الا ان هذا لا يدل  
على القطع بكونه والداله وذلك لان لفظ الاب يطلق على العم  
قال تعالى حكاية عن اولاد يعقوب عم نبي الهك واله ابائك  
ابراهيم واسماعيل واسحق فسمى اسمعيل ابا يعقوب مع ان اسمعيل  
كان عم يعقوب عليهما السلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ردوا علي ابي يعنى العباس وايضا يحتمل ان آزر كان ابا ابن ام  
ابراهيم وقد يقال له الاب قال ومن ذرية داود وسليمان الى قوله  
وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم عليهما السلام مع ان ابراهيم  
كان جد من قبل الام ولهذا ظهر الجواب في المحجة الثانية وذلك  
لان تسمية العم بالاب مشهور في اللغة العربية ولهذا السبب  
ماكذبون في هذه الآية هذا تمام الكلام في تقرير هذا القول  
واعلم ان القول الاول اولى وذلك لان ظاهر لفظ الاب  
يدل على الوالد اما التمسك بقوله وتقلبك في الساجدين فهو  
محمول على سائر الوجوه وما يحمله على ان روجه يتقلب من ساجد  
الى ساجد محافضة على ظاهر الآية التي تمسكنا بها وهو قوله  
لا يبارزون وما المحجة الثانية فجوهاها انكم تمسكنم بجمومات  
دالة على انه لا يجوز اخلاها للحشونة مع الاب فنقول ان قلنا  
بما ذكرتم ثم سلمت تلك العمومات عن هذا التخصيص الا انه وجب  
حمل لفظ الاب على المجاز ولانا اجرينا لفظ الاب على الحقيقة لزمنا

القول بادخال التخصيص في تلك العمومات لكتابتنا في اصول الفقه  
انها ما وقع التعارض بين المجاز والتخصيص فالترام التخصيص  
اولى فكان الترجيح لجانبنا والله اعلم اذا عرفت هذه المسئلة  
فنقول الذين قالوا ان آزر ما كان والد ابراهيم لهم قولان  
منهم من قال انه كان عم ابراهيم عم وقال سعيد بن المسيب  
ومجاهد ان آزر اسم الصنم وعلى هذا الوجه ففي الآية اقوال  
الاول ان ذلك الرجل انما سمي بهذا الاسم لانه جعل نفسه  
مختصا بعبادته ومن بالغ في محبة احد فقد يجعل اسم المحبوب  
اسما للمحب قال نعم يوم ندعو كل اناس بايمانهم والثاني  
ان يكون المراد عابدا الى آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه  
مقامه المسئلة الثانية قرئ آزر بالنصب وهو عطف  
بيان لابي وبالنصب على النداء وسألني بعضهم فقال قرئ آزر  
بهاتين القرأتين واما قوله وقال موسى لاهيه هارون  
بالنصب وما قرئ بالنصب فما الفرق فقلت قراءة الضم محمولة  
على النداء والنداء بالاسم استخفاف بالمنادى والاستخفاف بالمناد  
لا يبق بقصة ابراهيم وم لانه كان كافرا مقرا على كفره فحسن  
ان يخاطب بالغلظة رجا له عن ذلك البقيع واما قصة موسى  
فقد كان موسى يستخلف هارون على قومه فلما كان الاستخفاف  
لا يبق بهذا الموضع فلا جرم ما كانت القراءة بالنصب جائزا



أما قوله اتخذ اصناما الهة فالمعنى ظاهر وفيها مسائل المسئلة  
 الاولى الناس اختلفوا في تفسير لفظ الآلة والاصح انه هو المعبود  
 وهذه الآية تدل على هذا القول كما أنهم ما اشبهوا الاصنام الاوصاف  
 المعبودية وبهذا السبب قال ابراهيم اتخذ اصناما الهة يدل  
 هذا على ان تفسير لفظ الهة هو المعبود المسئلة الثانية  
 هذه الآية تدل على ان وجوب معرفة الله والاشتغال بشكره  
 معلوم بالعقل وذلك لان ابراهيم عم حكم عليهم بالضللال  
 ولولا الوجوب العقلي لما صح ذلك وهذا الاستدلال ضعيف  
المسئلة الثالثة اشتمل كلام ابراهيم عم في هذه الآية على الحجج  
 العقلية على فساد مذهبهم من وجهين الاول ان قوله اتخذ  
 اصناما الهة يدل على انهم كانوا يقولون بكثرة الهة الا ان القول  
 بكثرة الهة باطل على ما دل عليه قوله تعالى لو كان فيهما الهة  
 الا الله لفسدوا والثاني انه لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصم  
 الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل على انها وان كثرت فلا  
 منفعة فيها البتة اما قوله تعالى اراك وقومك في ضلال مبين  
 فالمعنى ظاهر اما قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض  
 وليكون من الموقنين ففيه مسائل المسئلة الاولى الكافي في ذلك  
 للتشبيه وذلك الاشارة الى غايب جري ذكره ههنا والذي  
 جرى ههنا ذكره فما قيل هو انه دم استفتح عبادة الاصنام

بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين فالمعنى ومثلها اريانه  
 من فتح عبادة الاصنام نزيه ملكوت السموات والارض وههنا  
 دقيقة عقلية وهي ان نور جلال الله سبحانه ظاهر لا يحجب عن منقطع  
 ولا زایل البتة والارواح البشرية لا يصير محرومة عن تلك الانوار  
 الا لاجل حجاب وذلك الحجاب ليس الا الاشتغال بغير الله سبحانه <sup>او كان</sup>  
 الامر كذلك فيقدر ما يزول هذا الحجاب يحصل ذلك التجلي فقوله  
 ابراهيم عم اتخذ اصناما الهة لشارة الى الاشتغال بغير الله فان  
 كل ما سوى الله صمم انه عليه السلام استفتح ذلك بقوله اني اراك  
 وقومك في ضلال مبين فلما زال الحجاب بالكلية لاجرم تجلي له  
 ملكوت الله تعالى بالتام فقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات  
 والارض معناه بقدر زوال تلك الظلمات حصلت له هذه الانوار  
 وظاهر ان قوله وكذلك منشاء لهذه الفائدة الشرفية الروحانية  
 فان قيل بهذه الارادة قد حصلت من الزمان فيما تقدم وكان  
 الاول ان يقول وكذلك اريانا ابراهيم ملكوت السموات والارض  
 فلم عدل عن هذه اللفظة الى قوله وكذلك نرى قلنا الجواب عنه  
 من وجوه الاول ان يكون تقدير الآية وكذلك كنا نرى ابراهيم  
 ملكوت السموات والارض فيكون هذا على سبيل الحكاية عن الله  
 والمعنى انه تع لما حكى الله تع عنه انه شافه اياه بالكلام الحسن  
 تعصبا للدين الحق فكانه قيل فكيف بلغ ابراهيم هذا المبلغ العظيم



في قوة الدنيا فاجاب باننا كنا نريد ملكوت السموات والارض  
من وقت الطفولة لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه <sup>والجبه</sup>  
الثاني في الجواب هو اعلى واشرف مما تقدم وهو ان يقول انه ليس  
المقصود من ارادة الله ابراهيم ملكوت السموات والارض هو  
مجرد ان نرى ابراهيم <sup>هذا</sup> الملكوت السموات والارض بل المقصود ان  
يراه فيتمتع رؤيتها الى معرفة جلال الله وقدرته وعلوم <sup>عظمته</sup>  
ومعلوم ان مخلوقات الله تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي  
الصفات الا انها في جهات دلالتها على الذات والصفات غير متناهية  
فان اهل الاصول قالوا الجوهر الفردي يدل على قدرة الله وحكمة  
من جهات دلالتها على الذات والصفات غير متناهية وذلك لان  
ذلك الجوهر الفردي يمكن وقوعه في كل واحد من الاحياز التي لانهاية  
لها بدلا عن الآخر ويمكن انصافه بكل واحد من الصفات التي لانهاية  
لها بدلا عن الآخر ثم كل واحد من هذه الاحوال التقديرية دالة  
على كمال قدرة الله وقوته لان كلها احوال جازية محتجة الى المرجح  
واذا كان الجوهر الفردي الذي لا يتجزى لذلك فكيف القول  
في كل ملكوت الله تعالى ثبت انه دلالة ملكوت الله على نفوت جلاله  
وسمات عظمته وعزته غير متناهية وحصول العلم التي لانهاية لها  
دفعه واصل على التفضل في العقل البشري محال فاذا نلنا طريق  
الى تحصيل ملك المعارف الا بان يحصل بعضها عقيب البعض

لا الى نهاية

لا الى نهاية ولا الى اخر وهذا يتعلق بالمستقبل لا بالماضي فلهذا  
السبب لم يقل وكذلك اربناه ملكوت السموات والارض بل قال  
وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وهذا هو المراد  
من قول المحققين السفر الى الله اما السفر في الله فانه لانهاية له  
المسئلة الثانية الملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبت  
من الرغبة والرهبت من الرهبة واعلم ان في هذه الارادة قولاً  
الاول ان الله تعالى اراه الملكوت بالعين قالوا ان الله تعالى شق له  
السموات حتى راي الى العرش والكرسي وحيث ينتهي الى فوقه  
العالم وشق الارض الى حيث ينتهي تحتيه العالم فزاي ما في السما  
من المجايب والبدائع وراى ما في باطن الارض من المجايب  
والقول الثاني ان هذه الارادة كانت بعين البصرة والعقل  
لا بعين البصر واحتج القائلون على صحة هذا القول بوجوده  
الحجة الاولى ان ملكوت السموات عبارة عن ملك السموات  
والملك عبارة عن القدرة وقدرة الله لا يرى وانما يعرف بالعقل  
وهذا لا ديم الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس  
السموات والارض الا انه يصير على هذا التقدير لفظ الملكوت  
عديم الفائدة وانه لا يجوز الحجة الثانية انه تعالى ذكر هذه الارادة  
في اول الآية على سبيل الاجمال وهو قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت  
السموات والارض ثم فسرنا بعد ذلك قوله فلما جن عليه الليل



رأى كوكبا جري ذكر هذا الاستدلال كالشرح واليقين بتلك الارادة  
 فوجب القول بان تلك الارادة كانت عبارة عن هذا الاستدلال  
 للحجة الثالثة انه تعالى قال في اخر الآية وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم  
 على قومه والرؤية بالعين لا يصير حجة على قومه لانهم كانوا  
 غائبين عنها وكانوا يكذبون ابراهيم فيها بل ومكان محلهم  
 التصديق في تلك الدعوى بلا معجزة على صدق دعواه وانما كانت  
 للحجة عليهم استدلاله بالنجوم من الطريق الذي نطق به القرآن  
 فان تلك الدلالة ثابتة في حقهم كما كانت ثابتة في حق الحجة الرابعة  
 ان ارادة جميع العالم دفعة واحدة بقدر العلم الضروري بان  
 للعالم الها قادر على كل الممكنات ومثل هذه الحالة لا تصلح للانسان  
 اعندها استحقاق المدح والتعظيم الا ترى ان الكفار في الآخرة  
 يعرفون الله نعم بالضرورة وليس لهم في تلك المعرفة مدح ولا ثواب  
 واما الاستدلال بالخلق على الصانع القادر الحكيم فذلك  
 هو الذي يفيد المدح والتعظيم الحجة الخامسة انه تعالى قال في  
 حق ابراهيم وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فكذلك قال  
 في حق هذه الامة سنرى اياتنا في الافاق وفي انفسهم وكما كانت  
 هذه الارادة بالقلب لا بالبصر لان الارادة بالبصر كانت حاصلة  
 للكفار فكذلك في حق ابراهيم يجب ان يكون الامر كذلك الحجة السادسة  
 انه عليه السلام لما تم الاستدلال في النجم والقر والشمس قال بعد

التي وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فحكم على السموات  
 والارضين بكونها مخلوقة لاجل الدليل الذي ذكره في النجم والقر  
 والشمس وذلك الدليل لو لم يكن عاما في حق السموات والارضين  
 لكان الحكم العام بناء على الدليل الخاص خطأ فثبت ان ذلك الدليل  
 كان عاما وكان ذلك النجم والقر والشمس كالمثال لارادة الملكوت  
 فوجب ان يكون المراد من ارادة الملكوت تعريف كيفية دلالة بغيرها  
 على حدوثها ودلالة حدوثها على الافتقار الى المدبر المؤثر فيكون  
 هذه الارادة بالقلب لا بالعين الحجة السابعة ان اليقين عبارة  
 عن العلم المستفاد بالتأمل اذ كان مسبوقا بالشك وقوله تعالى  
 وليكون من الموقنين كالعلة لذلك الارادة فيصير تقدير الآية  
 نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض لاجل ان يصير من الموقنين  
 فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من النظر في الدليل وجب ان يكون  
 تلك الارادة عبارة عن الاستدلال الحجة الثامنة ان جميع مخلوقات  
 الله سبحانه دالة على وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد وهو  
 انها محدثة ممكنة وكل ممكن فهو محتاج الى الصانع واذا عرف  
 الانسان هذا الوجه الواحد فقد كفاه ذلك في الاستدلال على الصانع  
 وكانت بمعرفة هاتين المقدمتين فقد طالع جميع الملكوت بعين  
 عقله وسمع شهادتها بالاحتياج والافتقار بسمع عقله وهذه  
 الرؤية رؤية باقية غير زائلة البتة ثم انها غير شاغلة عن الله



بل شاغلة للقلب والروح بالله اما رؤية العين فالانسان لا يمكنه  
ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال الا ترى  
ان من نظر الى صفحة مكتوبة فانه لا يرى من تلك الصفحة رؤية  
كاملة الا حرفا واحدا فان حدد نظره في حرف اخر وشغل بصره  
به صار محروما عن ادراك الحرف الاول وعن ابصاره فثبت ان  
رؤية الاشياء الكثيرة دفعة واحدة غير ممكنة وينتقد ان يمكن  
ذلك الا ان هذه الرؤية غير باقية لكنها شاغلة عن الله سبحانه  
الا ترى ان الله تعالى مدح محمد صلى الله عليه وسلم في تركها فقال  
ما زاغ البصر وما طغى فدللت هذه الدلائل على ان حمل هذه  
الارادة على رؤية القلب اولى فان قيل رؤية القلب بهذا التفسير  
حاصلة لجميع الموحدين فاي فضيلة يحصل لابراهيم عم بسببها  
قلنا جميع الموحدين والمستدلين يشتركون في معرفة حدوث  
العالم والاستدلال به على الصانع فاما الاستغراق في هذا الاستدلال  
والتأمل في كل واحد من الممكنات والمحدثات في عالم الاجسام  
والارواح وذرات الارضين والسموات ثم ترقى هذه الحالة  
من كل حين واوان لحظة وزمان على ما هو المراد من قوله  
نرى ابراهيم بدلائل من قوله ارينا ابراهيم فهذه الحالة لا تحصل  
الا لعظماء الانبياء صلوات الله عليهم وابراهيم وموسى وعيسى  
صلوات الله عليهم اجمعين المسئلة الثالثة اختلافوا في الواو

في قوله وليكون من الموقنين وذكرنا وجوها الاول الواو رائدة  
والتقدير نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين  
الثاني التقدير نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يستدل بها  
وليكون من الموقنين الثالث ان يكون هذا كلاما مستأنفا لبيان  
علة الارادة والتقدير وليكون من الموقنين برويه ذلك الرابع  
ان الارادة قد يحصل وبصير سببا لمزيد الضلال كما في حق فرعون  
قال تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وبلى وقد بصير سببا  
لمزيد الهداية واليقين فلما احتمل هذين الاحتمالين قال في حق  
ابراهيم عم انا اريناه هذه الايات ليراهان فيكون من الموقنين  
لامن المجاهدين المسئلة الرابعة اليقين عبارة عن علم يحصل  
بعده زوال الشبهة بسبب التأمل ولهذا المعنى لا يوصف علم الله  
باليقين لان علمه غير مسبوق بالشبهة وغير مستفاد من التفكير  
واعلم ان الانسان في اول ما يستدل فانه لا ينفك عن شبهة  
وشك من بعض الوجوه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت  
صار سببا لحصول اليقين وذلك لوجوه الاول انه يحصل  
لكل واحد من تلك الدلائل نوع تأثير وتقوية فلا يزال القوة  
تتزايد حتى ينتهي الى الجزم الثاني ان كثرة الافعال سبب لحصول  
الملكات وكثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد  
حار مجرى تكرار الدرس الواحد وكما ان كثرة التكرار يفيد الحفظ



المؤكد الذي لا يزول عن القلب فكذا ههنا الثالث ان القلب  
عند الاستدلال الاول كان مظلما جدا فاذا حصل فيه الاعتقاد المستقار  
بالدليل الاول امتزج نور ذلك الاستدلال بظلمة القلب فحصل فيه  
حالة شبيهة بالحالة الممزجة من النور والظلمة واذا حصل الاستدلال  
الثاني امتزج نوره بالحالة الاولى فبصر الشروق اتم وكان الشمس  
اذا قربت من المشرق ظهر نورها في اول الامر وهو الصبح فكذلك الاستدلال  
الاول يكون كالصبح الاول وكان نور الشمس لا يزال يتزايد بسبب  
تزايد قربها من تحت الرأس فاذا وصلت الى قرب الرأس حصل  
نوره التام فكذلك العبد كلما كان تدنوا في مراتب مخلوقات الله تعالى  
اكثر كان شروق نور المعرفة والتوحيد اجلي الا ان الفرق بين  
شمس المعرفة وبين شمس العالم ان لارتقاء شمس العالم وتصلعها  
حذمتين ومطلع معين اما شمس المعرفة والتوحيد فلا نهاية  
لتصاعدها ولا غاية لتزايدها فقوله وكذلك يرى ابراهيم ملكوت  
السموات والارض اشارة الى مراتب الدلائل والبيانات قوله تعالى  
وليكون من المؤمنين اشارة الى درجات انوار النجى وشروق شمس  
المعرفة والتوحيد اما قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا فاعلم  
ان الفاء في قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا عطف على قوله  
تعالى واذا قال ابراهيم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك  
ذلك الزمان كان قد راى رؤيا عبرة المعبرون بانه ولد غلام

وبنارعه في ملكه فامر ذلك الملك بنوح كل غلام يولد فحبلت  
ام ابراهيم به وما اظهرت حبلها للناس فلما اجاءها العلق ذهبت  
به الى كهف من جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بمجر حجاء  
جبرئيل عم ووضع اصبعه في فمه فمضه فخرج منه ذرقة وكان  
منفهد جبرئيل عليه السلام وكانت الام تائه احيانا وترضعه  
ونفي على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف ان له رباً فسال الام  
فقال من ربك فقالت انا فقال ومن ربك فقالت ابوك فقال  
للاب من ربك فقال ملك البلد فغرف ابراهيم جهلها برتها فينظر  
من باب ذلك ليرى شيئا يستدل به على الرب فراى النجم الذي  
كان اضواء النجوم في السماء فقال هذا ربى الى اخر القصة ثم القائلون  
بهذا القول اختلفوا فمنهم من قال ان هذا كان بعد البلوغ وجرى  
القلم عليه ومنهم من قال ان هذا كان قبل البلوغ واتفق اكثر  
المحققين على فساد القول الاول واحضروا عليه بوجوه الحجج الاولى  
ان القول برؤية النجم كفر بالاجماع والكفر غير جائز على الانبياء  
بالاجماع للحجة الثانية ان ابراهيم عليه السلام قد عرف قبل هذه  
الواقعة ربه بالدليل والدليل على ذلك انه تعالى اخبر عنه انه قبل  
هذه الواقعة لا يه آزر اتي اريك وقومك في ضلال مبين  
الحجة الثالثة انه تعالى حكى عنه انه دعا اباه الى التوحيد وترك  
عبادة الاصنام بالرفق حيث قال يا ابت لم تقبل ما لا يسمع ولا يبصر



ولا يغني عنك شيئا وحكي في هذا الموضع انه دعا اياه الى التوحيد  
وترك الاصنام بالكلام الحسن واللفظ الموحش ومن المعلوم  
ان من دعى غيره الى الله فانه يقدم الرفق على العنف واللين على  
العظمة ولا يخوض في العنف والتفليظ الا بعد المدة المديدة  
والناس ينام فدل هذا على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد  
ان دعى اياه الى التوحيد مرارا وطوارا ولا شك انه انما اشتغل  
بدعوة ابيه بعد فراغه عزهم من نفسه فثبت ان هذه الواقعة انما  
وقعت بعد ان عرف الله جلالة مدة الحجّة الرابعة ان هذه الواقعة  
انما وقعت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض حتى من  
فوق العرش والكرسي وما تحتها الى تحت الثرى ومن كان منصبه  
ومنقبته في الدين كذلك وعناية الله تعالى الى هذا الحديث كيف يليق  
به ان يقول ربوبيته الكواكب للحجّة الخامسة ان دلائل المحدث  
ظاهرة في الافلاك والكواكب من خمسة عشر وجها شرحتها  
في باب كيفية دلالة خلق السموات على الصانع القديم ومع هذه  
الوجوه الظاهرة كيف يليق با عقل العقلاء واعلم العلماء للحجّة السادسة  
انه قال لن لم يهدي ربي لالاكون من القوم الصالحين وقوله  
لاكون عبارة عن المستقبل وهذا يقتضي انه غير حاصل في الحال  
وجاهل بالله لا شك انه من آل الحجّة السابعة انه تعالى قال في وصف  
ابراهيم عم اذ جاء ربه بقلب سليم الحجّة الثامنة انه تعالى مدحه

فقال ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين اي اتيناه  
رشده وصفوته وطهارته كناه عالمين ونظيره الله تعالى اعلم حيث  
يجعل رسالة الحجّة التاسعة قال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات  
والارض وليكون من الموقنين اي هو ليكون سبب تلك الارادة  
من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل رآى كوكبا والقاء  
بقتضيه التراخي فدلّت القاء في قوله تعالى فلما جن عليه الليل دلّت  
على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم عليه السلام  
من الموقنين العارفين بربه الحجّة العاشرة ان هذه الواقعة  
والقصة انما حصلت بسبب مناظرة ابراهيم عم مع قومه والليل  
عليه انه تعلم ما ذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا انيناها ابراهيم  
على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان هذه المباحة انما جرت  
مع قومه لاجل ان يرشدوهم الى الايمان والتوحيد لاجل ان  
ابراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه الحجّة الحادية عشر  
ان القوم يقولون ان ابراهيم عليه السلام انما اشتغل بالنظر  
في الكواكب والقمر والشمس حال ما كان في الغار وهذا باطل  
لانه لو كان الامر كذلك فكيف يقول يا قوم اني بري مما يشركون  
مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم الحجّة الثانية عشر قال في  
وحاجته قومه قال انما اجئت في الله وقد هذان وكيف تحاجونه  
وهم بعد ما راوه وهو مبرأ بهم وهذا يدل على انه عم انما اشتغل



بالنظر في النجم والقر والشمس بعد ان حال قومه وراهم يعبدون  
الاصنام ودعوى الى عبادتها فذكر قوله لا احب الاقلين ردا  
عليهم وتبيينها لهم على فساد قولهم الحجة الثالثة عشر انه تعالى  
حكى عنه انه قال للقوم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون  
انكم اشركتم بالله وهذا يدل على ان القوم كانوا حرقوا بالاصنام  
كما حكى عن قوم هود انهم قالوا له ان نقول الا اعتريك بعض  
الهناس سوء ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالفارق قبل مخالطة  
القوم الحجة الرابعة عشر ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار  
ولاشك ان الشمس كانت طالعة ثم غربت فكان ينبغي ان يستدل  
بغروبها على انها لا يصلح الالهية واذا بطلت صلاحية الشمس الالهية  
بطل ذلك في القمر والنجم بطريق الاولى هذا اذا قلنا بان هذه الواقعة  
كان المقصود منها تحصيل المعرفة لنفسه اما اذا قلنا المقصود  
منها الزام القوم واتهامهم فهذا السؤال غير وارد لانه انما  
اتفق مكاملته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة  
الى ان طلع القمر وطلع الشمس وعلى هذا التقدير فالسؤال غير وارد  
فثبت بهذه الدلائل الظاهرة انه لا يجوز ان يقال ان ابراهيم قال  
على سبيل الجزم هذاربي واذا بطل هذا بقي ههنا احتمالان الاول  
ان يقال هذا كلام ابراهيم وم ولكن ليس الغرض منه اثبات  
ربوبية الكواكب بل الغرض منه اعدام امور الاول ان ابراهيم وم

لم يقل

لم يقل هذاربي على سبيل الاخبار بل الغرض منه ان يناظر عبدة  
الكواكب وكان مذهبيهم ان الكواكب ربهم والهمهم فذكر ابراهيم  
هذا القول الذي قالوه بلفظهم وعبارتهم حتى يرجع اليه فيبطله  
كان الواحد منا اذا ناظر من يقول هو يقدم الجسم فنقول الجسم  
قديم فاذا كان كذلك فلم يره ولم يشاهده مركبا متغيرا فهو  
انما قال الجسم قديم اعادة لكلام الخصم حتى يلزم عليه المحال  
فكذاهنا قال هذاربي حكاية لكلامهم ثم عقبه بما يدل على  
فساده وهو قوله لا احب الاقلين وهذا الوجه هو المعتمد  
في الجواب والدليل عليه انه تعالى مدحه في اخر هذه الآية على هذه  
المناظرة بقوله وتلك حجتنا انبيناها ابراهيم على قومه الوجه الثاني  
ان قوله هذاربي معناه ان هذاربي في زعمكم واعتقادكم  
ونظيره ان يقول احد للجسم على سبيل الاستهزاء ان الهة جسم  
محدود اي في زعمه واعتقاده قال تعالى وانظر الى الهك الذي  
ظلت عليه عاكفا وقال تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي  
الذين كنتم ترعمون وكان عليه السلام يقول يا اله الالهة تأويله  
انه اله الالهة في زعمهم الوجه الثالث المراد منه الاستفهام  
على سبيل الانكار الا انه استقط حرق الاستفهام استغناء عنه  
لدلالة قران المحال عليه الوجه الرابع في الآية اختصار والتقدير  
يقولون هذاربي ونظيره قوله تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد



من البيت واسمعيلى ربنا التقدير يقولون ربنا الوجه الخامس  
ان يكون ذلك على سبيل الاستهزاء كما يقال لذليل ساد قوما هذا  
عسى سيدكم على سبيل الاستهزاء الوجه السادس انه عليه السلام  
اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب الا انه لم كان قد عرف  
من تقليدهم لاسلافهم ونفوذ طباعهم عن قبول الدلائل انه صرح  
بالدعوة الى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا اليه قال الى طريق استدراجهم  
الى اسماع الحجج بواسطة الفلك صادرا في الحقيقة عن الله بخلاف  
الواحد منا فانه لا تأثر له في الفلك فلم يكن الاصداء والامانة  
الصادران بواسطة الفلك صادريين عن البشر فان قيل هذا  
السؤال والجواب اللذين ذكرتم كيف يفهم من الآية باظهار ضرب  
من المساعدة لهم في الظاهر مع طمانينة قلبه بالايمان حتى يتمكن  
بعد ذلك من ابطال ما ذكروه وانما استعمل ذكر هذه الكلمة  
لانه لم يكن طريقا الى الدعوة غير فكان ذلك بمنزلة الملك على  
كلمة الكفر على اللسان قال تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان  
فاذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة بقاء شخص واحد فبان يجوز  
اظهار كلمة الكفر لتخليص عالم من الناس عن الكفر والعقوبة  
الابدية كان اولى وايضا الملك على ترك الصلوة لوصلي حتى قتل  
استحق الاجر العظيم ثم اذا جاد وقت القتال مع الكفار وعلم  
انه لو اشتغل بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فنهنا يجب عليه ترك

الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لوصلي وترك القتال اثم ولو ترك  
الصلوة وقاتل استحق الاجر بل نقول ان من كان في الصلوة  
فراى طفلا او امي اشرف على غرق او الحرق وجب عليه قطع الصلوة  
لانقاذ ذلك الطفل او ذلك الامي عن ذلك البلاء فكذا ههنا  
ان ابراهيم دم تكلم بهذه الكلمة ليظهر من نفسه موافقة  
القوم حتى اذا اورد عليهم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم  
لذلك الدليل اثم وانتفاعهم باستماعه الكل ومما يؤكد هذا الوجه  
انه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق في موضع اخر فنظر نظرة في النجوم  
فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين وذلك لانهم كانوا يستدلون  
بعلم النجوم على معرفة الحوادث المستقبلية فتوافقهم على تمسك  
ابراهيم على هذه القاعدة في الظاهر مع انه كان بريئا في الباطن  
ومقصوده ان يتوسل به الى كسر الاصنام فاذا جازت الموافقة  
في الظاهر اهل التمسك بعلم النجوم لغرض كسر الاصنام فلم لا يجوز  
اظهار كلمة الكفر باللسان لغرض ابطاله بالدليل القاطع وايضا  
المشككون قالوا لا يفتح من الله اظهار خوارق العادات  
على يد من يدعى الالهية لان صورة هذا المدعى وشكله مكذب  
لادعواه فلا يحصل التليس بسبب ظهور تلك الخوارق عليه  
لكن لا يجوز اظهارها على يد من يدعى النبوة لانه يفضي الى  
التليس فكذا ههنا قوله هذا ربي كلام لا يفضي الى الاضلال



لأن دلائل فساده جبلية في أظهار هذه الكلمة منفعة العظيمة  
السابع في الجواب إلى القوم لما دعوه إلى عبادة النجوم وكانوا في  
تلك المناظرة إذا طلع النجم الدري وقال عم هذا ربي أي هذا  
هو الرب الذي تدعونني إليه ثم سكت زمانا حتى أقبل قال  
لا أحب الأفلين أما الاحتمال الثاني وهو أن يقال إن أبرهيم  
اتما ذكر قبل البلوغ فتقديره أن الله قد خص أبرهيم عم  
بالعقل الكامل والفرحية الوقادة فخطر ببالي قبل بلوغه  
إثبات الصانع سبحانه ففكر في رأي النجم فقال هذا ربي فلما  
شاهد كلية حركته قال لا يجوز أن يكون ربا وكذا القمر والشمس  
ثم بلغه الله تعالى في أثناء هذا الفكر والاستدلال جدا لتكليف فقال  
في الحال التي برئ مما تشركون فهذا الاحتمال لا بأس به وإن كان  
الاحتمال الأول أولى بالقبول لما ذكرنا من الدلائل الكثيرة على  
أن هذه المناظرة إنما جرت لأبرهيم عم وقت اشتغاله بدعوة  
القوم إلى التوحيد ما قوله تعا صكايه عن أبرهيم عم لا أحب  
الأفلين فيه سؤالات الأول كيف يدل القول على أنه لا  
يصلح للربوبية أخص ما في الباب أن يقال الأقول عبادة عن  
الحركة وكل ما يصح عليه الحركة فإنه لا بد وأن يكون أما متحركا  
وأما ساكنا فهو محدث إلا أنا نقول كونه محدثا لا يمنع من كونه  
ربا لأبرهيم وذلك لأن القوم ما كانوا ينكرون وجود الله

بل كانوا

بل كانوا يقولون أنه تعا خلق الشمس والقمر والنجوم ثم أنه تعا فوض  
تدبير هذا العالم إليهما فالشرع عبادة هذه الكواكب ومخلوقة  
لها والكواكب مخلوقة ومحدثة للآله الأكبر فإذا كان كذلك لم يلزم  
من أقول الكواكب صحة قوله لا أحب الأفلين التي وجهت وجهي  
للذي فطر السموات والأرض صحة قوله وما أنا من المشركين الجواب  
من وجوه الأول أن أقول هذه الأجسام يدل على حدوثها وحدوثها  
يدل على أنها مخلوقة لموجود قديم أزلي قادر ويجب أن يكون قادرا  
ذلك القادر أزلية والآلة افتقر حدوث قادريته إلى قادر آخر ولزم  
التسلسل فإذا كانت قادريته أزلية وجب أن يكون متعلقة  
بجميع الممكنات وإذا كان كذلك امتنع وقوع شيء من الممكنات إلا  
بقدرته إذ لو وقع شيء من الممكنات لا بقدرته بل بقدره غير كمال  
ذلك الغير سببا لتجزئته عن إيجاد الشيء الذي كان مقدورا له  
وذلك محال لأنه أقدر من غيره ولا ضعف لا يمكنه تغيير الأقدار  
وإذا ثبت أن حدوث الأجسام يدل بهذه الوسائط على أن جميع  
المحدثات يوجد بقدرته وإذا كان كذلك كان المحدث والموجد  
للناس والحيوان والنبات والمعادن هو الآله القديم القادر  
المختار جل جلاله فحينئذ يكون الكواكب معزولة عن ربوبية  
البشر وثبت ذلك أن أقول الكواكب يدل على دلالة قاطعة على  
صحة قوله لا أحب الأفلين وعلى صحة قوله التي برئ مما تشركون



التي وجهت وجهي لآخر الآية واعلم ان هذا الوجه لا يتم الا على مذهب  
اهل السنة والجماعة في مسألة خلق الاعمال الوجه الثاني في الجواب  
ان اقوال الكواكب يدل على حدوثه وحدوثه يدل على افتقاره  
في وجوده الى القادر المختار ومن كان قادرا على خلق هذه الكواكب  
والشربدون شئ عن الوسائط اولى واليه الإشارة بقوله لخلق  
السموات والارض اكبر من خلق الناس وبقوله اولين الذي  
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق  
العليم فثبت بهذا الطريق كونه قادرا على خلق البشر وكونه قادرا  
على تدبير هذا العالم السفلي بدون واسطة الاجرام الفلكية اما  
كون الافلاك والابنجم قادرة على الخلق والايجاد عالمة لمصلحة اهل  
هذا العالم ومفسدها فذاك غير معلوم لان كل شئ يسند المجسم  
الى الكوكب والفلك فالعقل لا يستبعد سنده الى الاله الفلك  
واذا كان كذلك فحكم العقل طرح المجهول والاخذ بالمعلوم فليسند  
تدبير هذا العالم السفلي الى الاله الافلاك والابنجم فلهذا السبب  
قال ابراهيم دم اتى برئ مما تشركون الوجه الثالث ان الاقول  
كادل على حدوث الافلاك والابنجم دل حدوثها على افتقارها  
الى الاله القديم القدير الخبير الذي يكون علمه في غاية الكمال  
وحكمته في غاية الجلال واذا كان كذلك كان الاشتغال بخدمته  
وطاعة اولى من الاشتغال بخدمته الافلاك والابنجم لان تقدير

ان يكون

ان يكون مدبر هذا العالم السفلي هو الاله الاكبر فان الاشتغال  
بطاعة الاله الاعظم اعراضا عن الضعيف وتمسكا بالقوى  
الاقوى وهذا حسن في العقول اما لو كان مدبر هذا العالم هو الاله  
الاكبر كان الاشتغال بطاعة الافلاك والابنجم اعراضا عن القوى وتمسكا  
بالضعيف فهذا قبيح في العقول فعلمنا ان على جميع التقديرات  
صحيح قول ابراهيم دم لا احب الاقلين وصح ايضا قوله اتى برئ مما تشركون  
السؤال الثاني الاقول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة على  
هذا التقدير فيكون الطلوع ايضا يدل على الحدوث فلم يترك ابراهيم  
الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في ذلك على الاقول والجواب  
لا شك ان الطلوع والغروب مشتركان في الدلالة على الحدوث الا ان  
الدليل الذي تمسك به الانبياء عليهم السلام في معرض الدعوى لا بد  
وان يكون ظاهرا جليا بحيث يترك في فهمه الذكي والفقي والعاقل  
والابله دلالة الحركة على الحدوث وان كانت دلالة يقينية الا انها  
دقيقة لا يعرفها الا الاذكياء من الخلق اما دلالة الاقول فانها  
دلالة الاقول على هذا المقصود اتم وايضا قال بعض المحققين  
الهوى في حظه لا اقيم كان اقول واحسن الكلام ما يحصل فيه حصة  
الخواص وحصة الاوساط وحصة العوام فالخواص يفهمون  
من الاقول للامكان وكل ممكن محتاج والمحتاج لا يكون مقطوعا  
للحاجة فلا بد من الانتهاز الى ما يكون منزها عن الامكان



حتى ينقطع الحاجات بسبب وجوده على ما قال وان الى ربك المنتهى  
واما الاوساط فانهم يسمون من الاقوال الحركة وكل متحرك محدث  
وكل محدث فهو محتاج الى القديم القادر فلا يكون الا قول الهابل الاله  
هو الذي احتاج اليه ذلك الاقل واما العوام فانهم يسمون من الاقوال  
الغروب وهم يشاهدون ان كل كوكب يقرب من الاقوال والغروب  
فانه يزول نوره ويبطل ضوءه وسلطانه ويكون كالمغزول ومن  
كان كذلك لم يصلح للالهية فهذه الكلمة الواحدة اعني قوله لا اصب  
الاقلين كلمة مشتملة على نصيب المقربين واصحاب اليمين  
 واصحاب الشمال فكانت اكمل الدلائل وافضل البراهين السؤال  
الثالث لا شك ان تلك الليلة كانت مسبوقة بنهار وكانت الشمس  
اقلت في ذلك النهار السابق بعد ان كانت طالعة فاذا كان الاقوال  
دليلا على انه لا يصلح للالهية فلم يتمسك ابراهيم ثم اذ اخرجت  
الشمس عن صلاحية الالهية مع كبرها وجلال ضوءها فان  
يخرج النجم والقر من صلاحية الالهية كان اولى لا يقال  
انه عليه السلام انما تروى في ذلك الكهف وهو اول ما نظر في  
ذلك الكهف الى الخارج كان ليلا فراى الكوكب في تلك الساعة  
ثم بعده راى القمر ثم بعده راى الشمس لها لانا نقول انه من البعيد  
ان يترقب الشخص العاقل في غار من اول طفولته الى زمان بلوغه  
حد كمال العقل والتكليف مع انه ما نظر في ذلك الغار الى خارج

ذلك الغار في تلك المدة الطويلة ومكان يفرق بين النهار  
وبين الليل ومكان نور الشمس يدخل في ذلك الغار من التراب  
هذا محال في العرف والجواب ان هذا الاشكال لازم على من يقول  
انه عدم اما شرع في هذه الواقعة لطلب معرفة الله لنفسه  
اما على قوله من يقول انه عدم انما استدل بهذه الوجوه حال اشتغاله  
بالدعوة الى التوحيد ومنع القوم عن عبادة الكواكب فالسؤال  
ذائل لانه من المحتمل انه اتفق ان كان هو عليه السلام جالسا  
مع اولئك الاقوام ليلة من الليالي ثم انه رجزهم عن عبادة  
الكواكب وبين لهم ان ذلك ضلال وجهل فبيناهم في ذلك الكلام  
اذ وقع بصرهم على كوكب مضى فوق رؤسهم في تلك المناظرة ثم لما  
اقل ذلك الكوكب طلع القمر فاعاد عليهم ذلك الكلام وبقوا فيه  
الى ان طلعت الشمس فاعاد ابراهيم عليه السلام ذلك الكلام فهذا  
جملة ما يتعلق بتقرير دلالة ابراهيم عدم اما قوله فلما راى  
القمر بارعا الى قوله اني بري مما تشركون فلا اشكال فيه البتة  
الا في موضع واحد وهو ان لقائل ان يقول الآية مشعر بان  
في الليلة الواحدة طلع الكوكب ثم اقل وبعده طلع القمر ثم اقل  
وهذا غير ممكن في الليلة الواحدة والجواب فيه قولان احدهما  
ان الكوكب كان في الربع الغربي من الفلك فاقل ثم بعده طلع  
القمر ووصف الى نصف السماء واهبط الى ربع الغربي فسمى توجهه







عادني فلان لائي احسنت يريد ان عكس ما يجب عليه من الموالاة  
لاجل الاحسان ونظيره قوله وتجملون رزقكم انكم تكذبون وهذا  
التأويل ايضا لا يليق الا بالكافر والتأويل الثالث انه حاج وقت  
ان انا الله الملك وهذا غير لائق بالنبي المعصوم فانه يجب عليه  
اظهار الحاجة قبل حصول الملك وبعده اما الملك العاني فانه  
لا يليق به اظهار هذا العتو الشديد الا ان يحصل له الملك العظيم  
فثبت انه لا يستقيم لقوله ان انا الله الملك ومعنى تأويل الا  
اذا حملناه على الملك العاني الحجة الثانية ان المقصود من هذه  
الآية بيان كمال ابراهيم عم في اظهار الدعوة الى دين الحق ومتم  
كان الكافر سلطانا مهيبا حال ما كان ابراهيم عن ملك كان  
هذا المعنى اتم مما اذا كان ابراهيم ملكا ومكان الكافر كذلك  
فوجب المصير الى ما ذكرناه الحجة الثالثة ما ذكره ابو بكر الاصح  
وهو ان ابراهيم عم لو كان ملكا لما قدر هذا الكافر على ان  
يقتل احد الرجلين ويستبقى الآخر بل كان ابراهيم عم يمنع  
من اشد المنع وهذا الاستدلال ضعيف لان من المحتمل ان  
يقال ابراهيم عم كان ملكا وسلطانا في الدين وممكنا من اظهار  
المعجزات وذلك الكافر كان قادرا على الظلم فلهذا السبب امكنه  
قتل احد الرجلين وايضا فيجوز ان يقال انما قتل احد الرجلين  
فقد امكن الاختيار اليه ويستبقى الآخر اما انه لا قتل عليه او بذل

الدية واستبقاه وايضا فقوله انا احى واميت خبر ووعد ولا  
دليل في القرآن على انه فعله ثم القائلون بهذا القول اجابوا  
عن دلائل القائلين بالقول الاول من وجوه اما الحجة الاولى  
وهي التمسك بقوله فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم  
ملكنا عظيما فجاوبه ان هذه الآية دالة على حصول الملك لآل  
ابراهيم وليس فيها دلالة على حصول الملك لابراهيم عم واما الحجة  
الثانية وهو قوله لا يليق بحكمة الله ان يؤتى الكفار الملك  
فجاوبه ان المراد من الملك التمكن والقدرة والبسط في الدنيا  
والخبر يدل على انه تعالى قد يعطى للكافر هذا المعنى وايضا فلم لا يجوز  
ان يقال انه تعالى اعطاه الملك حال ما كان مؤمنا ثم انه بعد  
ذلك كفر بالله عم واما الحجة الثالثة وهي قولهم عود الضمير  
الى اقرب المذكورين واجب فجاوبه ان هذا معارض بما ان  
الروايات الكثيرة وردت بان الملك هو الذي حاج ابراهيم  
والله اعلم اما قوله اذ قال ابراهيم ربي الذي يحب ويميت  
ففيه مسائل المسئلة الاولى الظاهر ان هذا الكلام جواب  
عن سؤال سابق وذلك لان من المعلوم ان الانبياء عليهم السلام  
انما بعثوا للدعوة والظواهر انه ادعى الرسالة فان الدعوة  
يطالبه اولابا ثبات ان للعالم لها الا ترى ان موسى عليه السلام  
قال اني رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين



واجتج موسى عم على اثبات الصانع بقوله رب السموات والارض  
فكذلك اظهر ان ابراهيم عم ادعى الرسالة فقال عزود  
من ربك فقال ربّي الذي يحيى ويميت الا ان هذه المقدمة  
عرفت لان الواقعة دلت عليها ويحتمل ان يكون ابراهيم عم  
قد ذهب اليه ودعاه او لا الى التوحيد من غير ذكر النبوة  
المسئلة الثانية اعلم ان دليل ابراهيم عم كان في غاية الصحة  
وذلك لانه لا سبيل الى معرفة الله الا بواسطة افعاله التي  
لا يشاؤك فيها احد من القادرين والاحياء والامانة كذلك  
لان الخلق عاجزون عنها والعلم بذلك الاختيار ضروري  
فلا بد من مؤثر اخر غير هؤلاء القادرين الذين يراهم ويشاهد  
حتى يكون مؤثرا في الاحياء والامانة وذلك المؤثر اما ان يكون  
موجبا او مختارا والاول باطل لانه يلزم من دوامه وعدم  
تغيره دوام الاثر وكان يجب ان لا يتبدل الموت بالحياة ولا  
بالعكس وذلك محال ايضا فاننا نرى في الحيوانات اعضاء  
مختلفة الشكل والصفة والطبيعة والخاصية وتأثير الموجب  
بالذات لا يكون كذلك فقلنا انه لا بد في الاحياء والامانة من  
موجد قادر مختار يؤثر بالقدرة والاختيار وذلك هو الله تعالى  
وهذا دليل متين في غاية القوة وذكره الله تعالى في مواضع من كتابه  
كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وسفر ان شاء الله

لتقرره فصلا مفردا فان قيل انه تعالى قدم الموت على الحياة في  
آيات منها قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم  
وقال الذي خلق الموت والحياة وقال ابراهيم عليه السلام  
في الشك على الله والذي يميتني ثم يحييني فلم قدم في هذه الآية  
ذكر الحياة على الموت قلنا انه اذا كان المقصود من ذكر الدليل  
هو الدعوة الى الله وجب ان يكون الدليل اظهر واوضح ولا شك  
ان عجائب الخلقة حال الحياة اكثر واطلاع الانسان عليها اتم  
فلا جرم وجب تقديم الحياة ههنا في الذكر واما في تلك الآيات  
فالمقصود منها بيان تعدد الاحوال الماضية فلا جرم وجب  
فيها تقديم الموت على الحياة اما قوله قال انا احيى واميت  
فاعلم ان المشهور في كتب التفسير ان ابراهيم عم لما احتج بهذه  
الحجة دعا ذلك الكافر شخصين وقتل احدهما ولستبق الاخر  
وقال انا احيى واميت هذا هو المنقول في الكتب وهو  
عندي في غاية البعد ويدل عليه وجوب الحجة الاولى ان الظاهر  
من حاله عليه السلام انه شرح حقيقة الاحياء والامانة على الوجه  
المخلص فان ايراد الكلام الجمل المبرم عند ما يكون الغرض هو  
التفهم والتعليم والزجر عن الباطل والدعوة الى الحق لا يليق  
باقول الناس علما وفضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء ومنه  
لخص الانسان حقيقة الاحياء والامانة امتنع ان يشبه على الشا



هذه الاحياء والامامة التي اوردتها الكافر في معرض المعارضة  
وسعد في الجمع العظيم ان يكونوا في الحماقة بحيث لا يعرفون هذا  
القدر من الفرق للحجة الثانية ان من بلغ في الجهالة والحماقة  
الى هذا الحد فاني فضيلة يحصل للانسان بسبب الزامه والحماقة  
لكنه يقال جعل افهامه سببا للفضيلة العظيمة حيث قال فَبَيَّنْتَ  
الَّذِي كَفَرُوا وَعَلَّمَ اَنَّ الْقَائِلِينَ بِهَذَا الْقَوْلِ قَالُوا اِنَّ الْكَافِرَ لَمَّا  
اورد هذا السؤال عدلهم ابراهيم في ذكر الدليل الى دليل اخر فقال  
فَاِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ  
الَّذِي كَفَرَ وَهَذَا اَيْضًا فِي غَايَةِ الْبَعْدِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجُوهُ الْحُجَّةِ  
الاولى ان الانتقال من الدليل الاول الى الدليل الثاني يوهن  
العجز والجهل وذلك يقتضيه صيرورته حقيقيا في الاعين وصيرورته  
بحيث لا يلتفت الى قوله ولا يبالى بكلامه والانبياء عليهم السلام  
يجب عليهم ان يصوبوا انفسهم عن هذه الحالة لان هذه الحالة  
يخل بما هو المقصود من تبليغهم ورسالتهم ويقتضيه ان لا يلتفت  
القوم اليهم وان لا يقيموا له وزنا فثبت انه لا يجوز عليهم  
الانتقال من دليل الى دليل الحجة الثالثة ان هذا السؤال كان  
في غاية الركاسة والجواب عنه حاصل بادني بيته فان كان القوم  
قد بلغوا في الحماقة والجهالة الى حيث لا يستغفون بذكر الفرق  
بين هاتين الصورتين كان التنبيه على الفرق اولى من الانتقال

الى الدليل الثاني الحجة الثالثة ان ذلك السؤال وان كان  
في غاية الركاسة الا انه وقع في اسماع الحاضرين فالسكوت  
عن الجواب يقتضيه بقاء تلك الشبهة في القلوب وذلك غير جائز  
لان ازالة الشبهة على من يقدر على ازالتها فرض مضيق فكيف  
يجوز الاخلال به وليس لاحد ان يقول انه عليه السلام انما ترك  
ذلك الجواب لانه كان خائفا من ذلك الملك لانا نقول لما يمنع  
لخوف من الملك عن ذكر الدليل الثاني فبان لا يمنع من ذكر الفرق  
الذي هو اوضح واجلي كان اولى الحجة الرابعة انه انما كان يحسن  
الانتقال من دليل الى دليل اخر لو كان الدليل الثاني اوضح  
واقوى وههنا ليس الامر كذلك لان جنس الحيوة لا قدرة للحلق  
عليه واما جنس تحريك الاجسام فالحلق قدرة عليه ولا يبعد  
في العقل وجود ملك عظيم الجسمة من السموات والارض وانه  
يحرك السماء والدليل على ان هذا الاحتمال قائم قوله تعالى ويجعل  
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية والعرش اعظم من السموات  
بكثير فاذا لم يبعد ان يكون الملك حاملا للعرش فاني بعد  
في ان يكون محركا للسموات والشمس والقمر فثبت ان الاحياء <sup>بصل</sup> دلائل  
الامن الله ثم واما تحريك السموات فانه يصح من غير الله واذا  
كان كذلك كانت دلالة الاحياء والامانة على وجود الله سبحانه  
اقوى واظهر من دلالة طلوع الشمس على وجود الله تعالى



اذ اثبت هذا فنقول انه لا يليق بالنبي المصوم ان يترك التمسك  
بالدليل القوي ويلتزم العجز والانعطاع ويتمسك بعدد بدليل  
ضعيف لا يقبل التمسك ويكون الداعي له الى كل ذلك سؤال فيه  
ركبك في غاية الصعوط فان مثل هذا العمل لا يليق بالمستبين  
للحجة الخامسة ان دلالة الاحياء والامانة على وجود الصانع  
الحكيم اقوى من دلالة طلوع الشمس على وجود الصانع من وجه  
اخر وذلك لاننا شاهد في ذات الانسان وصفاته من التبدلات  
واختلاف الحالات وتغايير الصفات وكل ذلك ظاهر الدلالة  
على وجود الصانع المختار اما الشمس فلا نرى في ذاتها ولا في صفاتها  
ولا مجاري حركاتها شيئا من التبدلات بل القائلون بان المؤثر في  
وجود العالم علة بالاجاب فاعل بالاختيار يعظم سببهم في  
هذه الصورة بانهم يقولون نرى احوال الشمس في الطلوع  
والغروب باقيا على نهج واحد وطريقة واحدة وذلك يوهم  
ان حركة الشمس والقمر والكوكب بالطبع لا يتحرك القادر المختار  
فثبت ان دلالة الاحياء والامانة على وجود القادر المختار  
اقوى من دلالة طلوع الشمس وغروبها عليه فكان الانتقال  
من الاول الى الثاني انتقالا من الاقوى الى الضعف وهذا  
لا يليق باحد من الازكيا فضلا عن اكل العقلاء للحجة  
السادسة ان ضرر ما يبلغ في الحماقة والوقاحة الى حيث عارض

الاحياء والامانة بذلك السؤال الركيك فكيف يؤمن عند  
استدلال ابراهيم بطلوع الشمس من المشرق ان يقول طلوع  
الشمس من المشرق حصل بفعل فان كان لك اله قادر مختار فقل له  
حجة يطلمها من المغرب وعند هذا التزم المحققون من المفسرين  
بانه لو اورد هذا السؤال لكان يجب في حكمة الله ثم ان يطلع الشمس  
من المغرب وايضا فعند طلوع الشمس من مغربها يصير استدلال  
بطلوع الشمس من مشرقها ضايعا ايضا وحينئذ يصير دليله  
الثاني ضايعا كما صناع دليله الاول ومعلوم ان التزام هذه  
الكلمات لاجل ذلك السؤال الركيك غير لائق بالعقلاء للحجة  
السابعة ان الفاء في قوله فان الله يات بالشمس من المشرق فان  
بها من المغرب يدل على ان هذا الكلام متعلق بالكلام الاول  
وعلى قول هؤلاء المفسرين هذا دليل منقطع عن الكلام غير  
متعلق به فلا يبقى للفاء فائدة اصلا فظهر بهذه الوجوه ان  
تفسير كلام الله تعالى بهذا الوجه الذي ذكره ضعيف والمختار  
عندي في تفسير هذه الآية ان يقول ان ابراهيم عم لما احتج  
على وجود الصانع بالاحياء والامانة قال المنكر اندعي الاحياء  
والامانة من الله ثم ابتداء من غير واسطة الاسباب الارضية  
والسماوية ام تدعي صدور الاحياء والامانة من الله بواسطة  
الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني



فلا يدل على المقصود لان الواحد منا يقدّر على الاحياء والامانة  
 بواسطة الاسباب الارضية والسمائية وتناول التسم قد  
 يفضي الى الموت فلما ذكرنا هذا السؤال اجاب ابراهيم <sup>فان الجاهل يفتي في الاول الذي هو كمال الكمال</sup>  
 بان قال هب ان الاحياء والامانة حصلتا من الله تعالى بواسطة  
 الاتصالات الفلكية لانه لا بد لتلك الاتصالات الفلكية والحركات  
 الكوكبية من فاعل ومدبر فاذا كان المدبر لتلك الحركات  
 الكوكبية والاتصالات الفلكية هو الله تعالى كان الاحياء والامانة  
 الحاصلتان بواسطة الاسباب الفلكية فليست كذلك لانه  
 لا قدرة للبشر على الحركات الفلكية فظهر الفرق والحاصل ان الاحياء  
 والامانة والا حصل بواسطة الاسباب الفلكية الا ان مدبر  
 الفلك هو الله سبحانه وكان الاحياء والامانة الصادرات  
 عن الله تعالى بواسطة الفلك صادرا في الحقيقة عن الله تعالى  
 بخلاف الواحد منا فانه لا تأثير له في الفلك فلم يكن الاحياء  
 والامانة الصادرات عن الفلك صادريين عن البشر فان قيل  
 هذا السؤال والجواب الذين ذكرتم كيف يفهم من الآية واتي  
 مناسبة بينهما وبين ما هو المذكور في الآية قلنا مدار امر القرآن  
 على الايجاز لا على الاطناب فيقول ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت  
 محمول على الاحياء والامانة المعنيتين وهما في ظاهر الامر موقوفان  
 على الاسباب الطبيعية السفلية والاتصالات الفلكية العلوية

فان قال

فقال نمرود انا احب واهيت مثل هذا الاحياء والامانة الذين  
 اشترت اليهما وهي الاحياء والامانة الحاصلين بواسطة الالهة  
 الفلكية فقال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق ايهب  
 ان هذا الاحياء والامانة انما يحصل بواسطة الشمس  
 لكن محرك الشمس هو الله تعالى واما انت فلا قدرة لك على  
 تحريك الشمس بدليل انك لا يمكنك تحريكها من المغرب  
 فظهر ان المذكور في الآية تنبيه على ما ذكرناه الا انه تعالى  
 انما ذكر على سبيل الايجاز والرمز على ما هو عادة القرآن ولعلم  
 اننا لما فسرنا الآية بهذا الوجه زالت تلك المطاعن باسرها  
 وذلك لان هذا السؤال كلام لايق بالعقل فان كل من تمسك  
 بالاحياء والامانة لا بد وان اورد عليه الطبيعي والمفهم عليه  
 هذا السؤال والاجواب عنه الاجواب المذكور في الآية ولا يكون  
 فيه انتقالا من الدليل الاول الى الدليل الاخر ويكون الكلام  
 الثاني متعلقا بالكلام الاول وبقي القادر في قوله فان الله يأتي  
 بالشمس من المشرق دلالة في تعلق الكلام الثاني بالاول  
 ونظير هذا التقدير قوله تعالى في سورة النحل هو الذي انزل  
 من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الى قوله  
 لا ياتن لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر  
 والنجوم مسخرات بامرنا في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم



في الارض مختلفا الوان ان في ذلك لآية لقوم يتذكرون  
 فجعل الله تعالى مقطع الآية الاولى من هذه الايات الثلاثة لقوم  
 يتفكرون ومقطع الآية الثانية لقوم يعقلون ومقطع الآية  
 الثالثة لقوم يذكرون وفي ترتيب هذه المقاطع اسرار عجيبة  
 وذلك لانه تعالى استدل في الآية الاولى على وجود الصانع الخالق  
 بحدوث الانواع المختلفة من النبات في الارض الواحدة والماء  
 الواحد الا ان هذا الدليل في هذا المقام غير تام وذلك لان  
 لقائل ان يقول حدوث الانواع المختلفة من النبات انما كان  
 لتأثير الكواكب والشمس والقمر ولما كان هذا السؤال تاما يذكر  
 على هذا الدليل كان هذا الدليل قبل الجواب عن هذا السؤال غير تام  
 وكان مجال التفكير والتدبر باقيا فلهذا السبب جعله مقطع  
 هذه الآية لقوم يتفكرون ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال  
 من وجهين الاول قوله وسخر لكم الليل والنهار الى قوله لقوم  
 يعقلون وشرح هذا الجواب ان يقال هب ان حدوث الانواع  
 المختلفة من النبات انما كان لتأثيرات الكواكب واختلاف  
 الفصول الا ان حركات الكواكب لا بد لها من مؤثر ولا يستل  
 بل لا بد من الاعراف لشيء هو مسبب الاسباب ومدبر الكل فيكون  
 حدوث النبات في الحقيقة واقعا بتدبير ذلك المدبر والمؤثر  
 الاول وعند هذا تم الاستدلال ولا يبقى للفكر مجال فلا جرم

جعل

جعل مقطع هذه الآية قوله يعقلون يعني ان كنتم كاملي العقل  
 فاعترفوا بوجود الاله القادر المختار في هذا المقام بان الدليل  
 قد تم ولم يبق بعد للفكر والنظر مجال وهذا التقرير هو بعينه  
 التقرير المذكور في قصة ابراهيم عليه السلام فان المنكر لما قال  
 الاحياء والامانة عن الاسباب الفلكية من حيث انه شبه ذلك  
 الاحياء بالاحياء الصادر منها فعند هذا قال ابراهيم عم فلا بد  
 لذلك الاسباب الفلكية من مدبر وهو الله تعالى فلا جرم انقطع  
 ذلك الكافر وسكت حتى قال في صفة فبهت الذي كفر فالحاصل  
 ان المراد من قوله فبهت الذي كفر هو المراد من قوله ان في ذلك  
 لايات لقوم يعقلون والوجه الثاني من الجواب عن ذلك السؤال  
 قوله وما ذراك لكم في الارض مختلفا الوان ان في ذلك لآية  
 لقوم يذكرون وتقرير هذا الجواب هو ان الارض والماء  
 والهواء والشمس والقمر لكل واحد طبيعة واحدة وتأثير واحد  
 ونسبة هذه الاشياء باسرها الى كل واحد نسبة الغصن من افرع  
 الشجرة الواحدة بل الى كل واحدة من اجزاء الورقة الواحدة  
 على غاية صغرها ونهاية رقتها واحدة فكان ينبغي ان يكون  
 الاثر حاصل على السوية فلما راينا في الشجرة الواحدة اختلافا  
 كثيرة في اجزائها بل شاهدا في الورقة الواحدة اختلافا في لون  
 وجهيها علمنا ان هذه الاثار غير مستندة الى الطبايع والنجوم



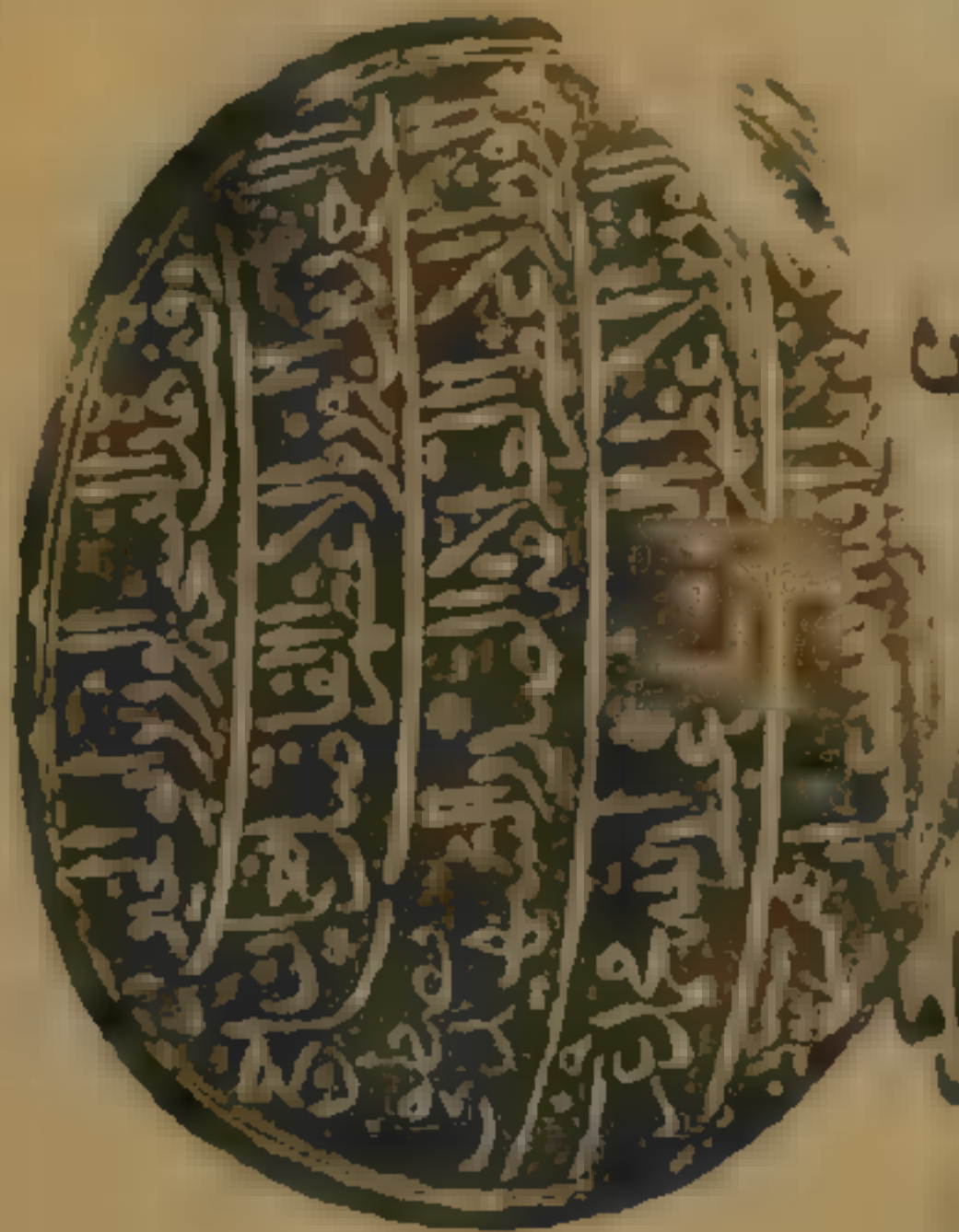
وانما جعل مقطع هذه الآية لقوله ان في ذلك لآية لقوم يذكره  
 لانه قد تقرر في بداية العقول ان الموجب لا بد وان يكون تأثيره  
 بالتسوية ولاجل هذا قالت الفلاسفة المقتضى لشكل الجسم هو  
 طبيعة وتأثير الطبيعة الواحدة لا بد وان يكون متشابهها  
 فلا جرم قالوا يجب ان يكون شكل الجسم البسيط هو الكرة ثم  
 انما شاهد الاختلاف العظيم في خلقه النبات والحيوان اما  
 النبات فانك ترى الاترج قشرة حارة يابس وشجره حار وطبا  
 ومحاضته بارد يابس وبذره حار يابس فهذا شيء واحد حصلت  
 فيه الطباع المختلفة وتري الرمان فيه ذلك القشر الغليظ  
 والشحم القابض العفص ثم تري الحب فيه ذلك المله اللطيف  
 العذب وفيه ذلك النور الغليظ البارد اليابس القابض بل تجد  
 الورقة اللطيفة من الورد احد وجهيها في غاية الصبر والوجه  
 الاخر في غاية المحرم ثم تري في وسط تلك الورقة اللطيفة عرقا  
 مستداما من اصلها الى طرفها ثم تري العروق الصغيرة منشعبة  
 من ذلك العرق المتوسط ثم ينشعب من كل واحد من تلك  
 الشعب شعب اخرى كيفية ارق من الشعب مرات فاذا شاهدت  
 هذه الاختلافات الكثيرة في التركيب في اللون والخاصية وكان  
 تقرر في عقلك ان الموجب بالذات يكون تأثيره متشابهها  
 لاختلفا فكيف يجوز من عقلك ان تقول ان يتولد هذه النواع

المختلفة انما كان بسبب تأثيرات الانجم والافلاك فهذا برهان  
 قاطع على انه لا يمكن استناد الحوادث الارضية الى الافلاك  
 والانجم ولاجل هذا السرجع مقطع هذه الآية قوله يذكره  
 يعني الا يذكر ما كان مقتضا في عقلك ان تأثير الموجب بالذات  
 لا يكون مختلفا مع انك شاهد بحسبك هذه الاختلافات الكثيرة  
 فتأمل ايها المسكين في هذه الاسرار لتعلم ان القرآن مجر تحقيق  
 لا ساحل له وبالله التوفيق واعلم انما شرعنا هذين النوعين  
 من المناظرات لبرهيم عم لتعلقهما بالنجوم والشمس والقمر فلنذكر  
 سائر مناظراته في التوحيد وان لم يكن لنا تعلق بالنجوم والشمس  
 والقمر **الفصل الثالث** في شرح مناظرة ابرهيم عم مع ابيه  
 في التوحيد قال تعالى في سورة مريم واذكر في الكتاب ابرهيم  
 انه كان صديقا نبيا الآية اعلم ان الغرض من هذه السورة  
 من اولها الى اخرها بيان التوحيد والنبوة والمعاد والمنكرون  
 للتوحيد هم الذين اشتوا معبودا سوى الله وهم من يقان  
 منهم من اثبت معبودا غير الله حيا عاقلا فاهما وهم النصارى  
 ومنهم من اثبت معبودا غير الله حمادا وهم عبدة الاوثان والفرقيان  
 وان اشركا في الضلال الا ان ضلال الفريق الثاني اعظم فلما  
 بين الله في هذه السورة في ضلال الفريق الاول وهم النصارى  
 حكيم بعد في شرح ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان



فقال واذا ذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا والواو في  
قوله واذا ذكر عطف على قوله ذكر رحمت ربك عبده زكريا كانه  
لما انتهت قصته زكريا وعيسى عليهما السلام قال يا محمد قد ذكر  
لهم حال زكريا فاذا ذكر حال ابراهيم وانما شرح في قصة ابراهيم لوجوه  
الاول لان ابراهيم كان ابا العرب وكانوا مقرونين بعلو شأنه  
وطهارته دينه على ما قال ملته ابيكم ابراهيم وقال ومن يرغب  
عن ملته ابراهيم الا من سفه نفسه وكانه قال تعالى للعرب ان كنتم  
من المقلدين لا بايكم على ما هو قولكم انا وجدنا اباؤنا على امة  
فعلوم ان اجل ابايكم قد راوا عظمهم فخر او شرفا هو ابراهيم  
فكونوا مقلدين له في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدين  
فتأملوا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم لتعرفوا فيها ضاد  
عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ملته ابراهيم اما تقليدا او لمصلحة  
والثاني ان كثيرا من الكفار في زمن الرسول دم كانوا يقولون  
كيف نترك دين اباؤنا واجدادنا فذكر الله تعالى قصة ابراهيم  
وبين انه ترك دين آزر وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل  
على متابعة الاب ليصرف الكفار ان ترجح جانب الاب على جانب  
الدليل د على الاب الاكبر الذي هو ابراهيم والثالث ان كثيرا  
من الكفار كانوا يمتكون بالتقليد وينكرون الاستدلال على ما  
قالوا انا وجدنا اباؤنا لهاعابدين فحكي الله تعالى عن ابراهيم التمسك

بطريقة الاستدلال تنبيهها هو لاداء اله تعالى على سقوط هذه الطريقة  
ثم انه تعالى قال في صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا وفي الصديق  
قولان احدهما انه كان نبيا فيكون صادقا وهو الذي يكون عادة  
الصدق ولان هذا البند مبني على ذلك يقال رجل خبير وسيكر  
للموع بهذه الافعال والثاني ان يكون معناه كثير التصديق بالحق  
حتى يصير مشهورا به والاول اولى وذلك لان المصدق بالشئ  
ربما يوصف بكونه صديقا الا اذا كان صادقا في ذلك التصديق  
فيعود الامر الى الاول فان قيل الدليل على القول الثاني قوله  
اولئك هم الصديقون قلنا انما سماءهم صديقين لكونهم صادقين  
في ذلك التصديق واعلم ان النبي يجب ان يكون صادقا في كل ما  
اخبر لان الله تعالى صدقه ومصديق الله صادق والالزم الكذب  
في حق الله وهو محال فلزم من هذا ان يكون الرسول صادقا في كل ما  
ينجز عنه ولان الرسل شهداء الله تعالى على الناس على ما قال  
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا  
والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل فما قولك في  
ابراهيم عليه السلام حيث كذب ثلث كذبات وهو قوله بل فعله  
كبيرهم وقوله اني سقيم وقوله هذه اخي قلنا معاذ الله ان يكذب  
ابراهيم وسنخ من هذا الكلام في باب عصمة الانبياء فثبت  
ان كل نبي يجب ان يكون صديقا وظاهرا انه لا يجب ان يكون





كل صديق نبياً فلهذا السبب وصفه أولاً بكونه صديقاً ثم بعده  
وصفه بكونه نبياً وأما النبي فسيجيء في باب النبوة تفسيره وقوله  
كان صديقاً قيل إنه صادق وقيل إنه وجد صديقاً نبياً أي كان  
من أول وجوده إلى انتهائه موصوفاً بالصدق والديانة  
وهذا يؤكد ما ذكرناه أن قوله هذاري في مقام المناظرة البطالة  
لهذا القول عليهم وما كان في معرض الاخبار وأما قوله يا ابت  
فالتاء عوض من تاء الاضافة ولا يقال يا ابت لان لا يجمع بين العوض  
والمعوض منه وقد يقال يا ابت لتكون الالف بدلاً من التاء  
ثم اعلم انه تعالى حكى أن ابراهيم تكلم مع ابيه باربعة انواع من الكلام  
النوع الاول قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً  
وصف الاول ان بصفات ثلثة كل واحد منها قادح في المعبودية  
وبيان من وجوه الاول ان العبارة غاية التعظيم فلا يليق الا  
لمن له غاية الانعام وهو الذي يكون قادراً على خلق اصول النعم  
وفروعها كما قررناه في تفسير قوله كيف تكفرون وكنتم امواتاً  
فاحياكم الثاني ان بيده العقل حاكمه بانه لا يجوز الاشتغال  
بشكر من لا نعمة له عليك فاذا لم يحز الاشتغال بشكره فلان لا  
يجوز الاشتغال بطاعته وعبادته كان اولى الثالث انه اذا  
لم يسمع ولا يبصر لا يميز من مطيعها عن معصياها فأي فائدة  
في عبادتها وهذا يدل على ان الاله يجب ان يكون عالماً بكل المعلمات

من الكليات والجزئيات حتى يكون العبد آمناً من وقوع الغلط  
في الثواب والعقاب والرابع ان الدعاء مخ العبادة فالوثن  
اذا لم يسمع دعاء الداعي فأي منفعة في عبادته واذا كان لم يبصر  
تقرب من يتقرب اليه فأي فائدة يحصل من ذلك التقرب  
الخامس ان السامع البصير الصار النافع افضل ممن كان عادياً  
عن هذه الصفات والانسان موصوف بهذه الصفات والصنم  
عار عنها فيكون الانسان اشرف وافضل من الصنم واقدام <sup>الشر</sup>  
الاعظم على عبودية الارذل الاخص لا يليق بالعقلاء السالكين  
انها اذا كانت لا تنفع ولا تنفع لم يحصل اليها رغبة ولا منها  
رهبة فأي فائدة في عبادتها السابع انها اذا لم يقدر على حفظ  
نفسها عن اضعاف الحيوانات كما قال تعالى ان الذين يدعون من  
دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلمهم الذباب  
شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا  
الله حق قدره ان الله لقوى عزيز بل لا يقدر على صيانة  
نفسها عن الكسر والاذلال وان الله تعالى اخبر عن ابراهيم  
انه كسرها وجعلها حذاً فاذا كان لا تحفظ نفسها عن  
الكسر والافساد فأي رجاء للغير فيها الثامن انه تعالى نزه  
نفسه عن الشرك في سورة النحل فقال سبحانه وتعالى ما يشكون  
ثم اخرج عليه بوجوه الاول خلقه السموات والارض



فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون الثاني مخلقة  
الانسان فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين  
الثالث يخلق للحيوانات فقال والانعام خلقها لكم الى قول الليل  
والبغال وللمجر الرابع يخلق النباتات فقال هو الذي انزل من  
السماء ماء لكم منه شراب الخامس مخلقة البحر فقال وهو الذي  
سخر البحر السادس مخلقة الارض فقال والقي في الارض رواسي  
ان نميد بكم ثم ختم ذكر هذه الدلالة باعادة المقصود وهو نفي  
الشركاء والانداد فقال امن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون  
وكل ذلك اشارة الى ان التسوية بين النافع والضار وبين  
من لا يضر ولا ينفع في العبادة سفة التاسع ان ابراهيم عليه السلام  
عاب الاصنام من ثلثة اوجه من حيث انها لا يسمع ولا يبصر ولا يقد  
فكانه قال العبادة لا يليق الا الرب والهي فانه يسمع بدليل قوله  
اجيب دعوة الداع ويبصر بدليل قوله انتي معكم اسمع واري  
ويقتض الحوايج بدليل قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه العاشر  
قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن  
الله وقال في سورة لقن عقيب هذه الآية قل الحمد لله بل اكثرهم  
لا يعلمون قوله قل الحمد لله معناه الشكر لله على اعترافهم بذلك  
وقوله بل اكثرهم لا يعلمون معناه انكم اقررت بان المدبر هو  
الله تعالى فكيف تشغلون بعبادة غير الله فان الاقدام على هذا

عيب

العمل

١٢٢  
العمل مع الاقرار بذلك القول لا يليق بمن له عقل وفهم ومعرفة  
فان قال قائل الستم قد ذكرتم ان عبدة الاوثان معبودهم هو  
الكواكب في الحقيقة فكيف توجه هذا الدليل عليهم الجواب  
انا بينا في تفسير قوله تعالى لا احب الاولين ان على كل التقدير ان  
الاعراض عن مدبر الافلاك والاعجم والاشتغال بعبادة الافلاك  
والاعجم او بعبادة اصنامها وتماثيلها عين الجهل فانه لما دلت  
الدلائل على افتقار الافلاك والاعجم الى الاله الخالق المدبر  
وثبت ان خالق الافلاك والاعجم لا بد وان يكون قادرا على خلق  
الناس لان القادر على الاقوى قادر على الاضعف كما قال الخلق  
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال تم اوليس الذي  
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخالق  
العليم واذا كان الامر كذلك كان الاشتغال بخدمة رب الافلاك  
والاعجم اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك وقد سبق تقرير هذا  
المعنى على الاستقصاء النوع الثاني من كلام ابراهيم عليه السلام  
مع ابيه قوله يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاستعني  
اهدك صراطا سويًا واعلم ان هذه الآية فيها اشارة الى ان  
روح النبى عم متميز عن سائر الارواح بمزيد الكمال والجلالة  
وتقريبه وهو ان العالم علما ان عالم المحسوس وعالم المعقول  
والمعقول لا يكون معقولا حتى ثبت له مثال في المحسوس والآلة



متخيلا موهوما والمحسوس لا يكون محسوسا حتى ثبت له مثال  
 في المعقول والآلة كان سرا با معدوما واذا عرفت هذا فنقول  
 عالم الروحانيات عالم عظيم لا يعرف عددهم وانواعهم واصنافهم  
 واجناسهم الا الله تعالى ولا بد فيه من مدبر مطاع نافذ الامر  
 في جميع الروحانيات وهياكل الروحانيات هي العرش والكرسي  
 والكواكب ولا بد وان يكون ذلك المدبر من جنسهم والافلاك  
 والكواكب فلا بد وان يكون كاملا للفعل لان الاخراج من القوة  
 الى الفعل لا يحصل الا من كان له مبداء عن القوة خارجا الى الفعل  
 من كل الوجوه واما العالم الجسماني فهذا يجب ان يكون فيه مدبر  
 كامل من جميع الوجوه نافذ القضية في جميع الجسمانيات ويكون  
 تدبيره اخراج ما بالقوة الى الفعل في ما ابا جنسه مدبر العالم  
 الروحاني هو الروح الاعظم ومدبر العالم الجسماني هو الرسول  
 الاعظم ثم يكون بين الروح والرسول مناسبة علوية وملاقة  
 عقلية فيكون الروح الاعظم مصدرا ويكون الرسول الاعظم  
 مظهره فالروح مبداء والرسول نهاية واول الفكر اخر العمل  
 واذا عرفت ان الرسول مدبر الجسمانيات باخراج ما فيها من  
 الكمالات من القوة الى الفعل عرفت المراد من قوله ابراهيم عي  
 اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهذهك صراطا سويا  
 وههنا اسرار عظيمة وقد نبهنا عن مشرعيها النوع الثالث

قوله يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا  
 والمعنى لا تطعه فانه عاص في الله فنفره بهذا الوصف عن القبول  
 منه لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم ان ابراهيم عليه السلام  
 كان عظيم الدرجة في الاخلاص في طاعة الله فلا جرم لم يذكر في  
 جنابات الشيطان الا كونه عاصيا في الله ولم يذكر البتة كونه عدوا  
 لادم كان النظر في عظم حاله في معصية الله عي فكره واطبق  
 على ذهنه وهذا كما ان عيسى عليه السلام اول ما تكلم ذكر ما يدل  
 على تنزيه الله ولم يذكر على ما يدل على برادة امه كان اشتغاله  
 بتنزيه الله يشغله عن الالتفات بحال الام وايضا فان معصية  
 الله لا يصدر الا عن ضعف الرأي ومن كان كذلك كان حقيقا  
 بان لا يلتفت اليه فان قيل ان هذا القول يتوقف اثباته على امور  
 احدها اثبات الصانع والثاني اثبات الشيطان والثالث ان  
 الشيطان عاص في الله والرابع انه لما كان عاصيا لله لم يحز  
 طاعته في شيء من الاشياء والخامس اثبات ان الاعتقاد الذي  
 كان معتقدا والد ابراهيم مستفاد من طاعة الشيطان ومن شأن  
 الدلالة التي يورثها الانشاء على خصه كونها مركبة من مقدمات  
 مشتملة معلومة ولعل والد ابراهيم كان مناوفا في كل هذه المقدمات  
 فكيف استحسن ابراهيم ذكر هذا الكلام قلنا الحجة المعقولة عليها  
 في ابطال مذهب ابيه هو الذي ذكره اولاً من قوله لم تعبد



ملا يسمع ولا يبصر ولا يفهم عنك شيئا فاما هذا الكلام مجرى مجرى  
التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر والتأمل في تلك الدلالة  
النوع الرابع قوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن  
وفي قوله اخاف قولان قال الفراء معناه أعلم والاكثرون  
يقولون انه محمول على الظاهر وحمل هذا اللفظ على العلم انما يجب  
لو كان ابراهيم عالما بان اياه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت  
فوجب اجراؤه على الظاهر فانه كان يجوز في ابيه ان يؤمن  
فيصير من اهل الثواب ويجوز فيه ان يموت على الكفر فيكون من  
اهل العقاب ومن كان كذلك كان خائفا لا طمعا لا قاطعا  
واعلم ان من يظن وصول مزر الى غير فانه لا يستحي خائفا الا اذا  
كان بحيث يلزمه من ذلك الضرر ان لم يلق قلبه كما يقال انا خائف  
على ولدي اما قوله فتكون للشيطان وليا فذكر وافي الولى  
وجوها الاول اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان  
والولاية سبب للمغية فاطلاق اسم السبب على السبب مجاز  
واما لم يجوز حمله على الولاية الحقيقية لقوله ثم الاخلاء يومئذ  
بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم  
ببعض ويلعن بعضكم بعضا وحكى عن الشيطان انه يقول لاهل  
اني كفرت بما اشركنتمون من قبل الثاني ان يحمل العذاب على هذا  
تفريعه اني اخاف ان يمسك خذ لان الله فتصير مواليا للشيطان

فينبأ

فينبأ الله منك كما قال ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله  
فقد خسر خسرانا مبينا الثالث وليا اي قاليا للشيطان تليه كاسمي  
المطر الذي يلته ثانيا وليا فان قيل قوله ان يمسك عذاب من الرحمن  
فتكون للشيطان وليا يقتضي ان يكون ولاية الشيطان اسوا حالا  
من العذاب فاما معنى ذلك الجواب ان رضوان الله اعظم وانف  
من الثواب كما قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم  
فوجب ان يكون ولاية الشيطان التي هي في مقابلة رضوان الله اكبر  
من العذاب واعظم فهذا هو الشارة الى تفسير هذه الكلمات الاربعة  
التي ذكرها ابراهيم عم لابي واعلم انه رتب هذا الكلام في غاية  
الحسن لانه نبه على ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم امر  
باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على ان طاعة  
الشيطان غير جائزة في المعقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر  
عن الاشتغال بما ينبغي ثم انه عليه السلام اورد هذا الكلام الحسن  
اللطيف مقرونا باللفظ والرفق فان قوله في مقدمة كل كلامه  
يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صوته عن العقاب وارشاده  
الى الصواب وختم الكلام بقوله اني اخاف وذلك يدل على شدة  
تعلق قلبه بمصالحه واما فعل ذلك لوجوه الاول قضاء حق الاتق  
كما قال تعالى وبالوالدين احسانا والارشاد الى الدين الحق من اعظم  
الاحسان واذا انصاف اليه رعاية الاب والرفق كان ذلك



نور على نور الثاني ان الهادي الى الحق لابد وان يكون رفيقا  
لطيفا يورد الكلام لا على سبيل العنف لان الايراد على سبيل العنف  
يصير مانعا من الاستماع والقبول الثالث ما روى ابو هريرة  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك  
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمة سبقت لمن حسن  
خلقه اني اظله تحت عرشه واسكنه حظيرة القدس وارنيه من  
جوازي قوله تعالى اراغب انت عن الهة يا ابراهيم اعلم ان ابراهيم  
لما ادعا اياه الى التوحيد فذكر الدليل على فساد عبادة الاوثان  
وارد فذلك الدليل بالوعظ البليغ واورد كل ذلك مقرونا  
باللطف والرفق قابله ابو بجواب يضار ذلك فقابل حجته  
بالتقليد فانه لم يذكر في مقابلة حجته الا قوله اراغب انت عن  
الهة يا ابراهيم فامر على ادعاء الهتها جهلا وتقليدا وقابل  
وعظه بالسفاهة حيث هذره بالضرب والشم وقابل رفته  
في قوله يا ابت بالعنف حيث لم يقل له يا بني بل قال يا ابراهيم  
وانما احكى الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لتخف على قلبه ما كان  
يصل اليه من اذى المشركين فيعلم ان الجهال منذ كانوا على هذه  
السير المذمومة واعلم ان قوله اراغب انت عن الهة يا ابراهيم  
ان كان المراد منه الاستغناء فهو خذلان لانه قد عرف منه  
بما تكره منه من وعظ وتنبية ووعد ووعيد انه اراغب

عن ذلك

عن ذلك مما فائدة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التجب فاني  
التجب في الاعتراض عن حجر لا يضر ولا ينفع انما التجب كل من  
الاقدام على عبادتها اما قوله لئن لم تنته لارجمك ففي الرجم  
قولان الاول انه الرجم بالناس وهو الشتم والذم ومنه قوله  
تعالى والذين يرمون المحصنات اي بالشتم ومنه الرجم اي المرمى  
باللعن قال مجاهد الرجم كل من القران بمعنى الشتم والثاني  
انه الرجم باليد وعلى هذا التفسير ففيه وجوه الاول لارجمك  
بأظهار امرك للناس لان يرموك فيقتلوك الثاني لارجمك  
بالحجارة لتباعد عني الثالث قال المورج لارجمك لاقتلتك  
بلغة قريش الرابع قال ابو مسلم لارجمك المراد منه الرجم بالحجارة  
الا انه قد يقال ذلك في معنى الطرد والابعاد على سبيل الاتساع  
والدليل عليه انه اراد بالطرد قوله تعالى واهجر في مليا قوله واهجر  
فيه مجتان الاول عطف واهجر في على معطوف عليه محذوف  
يدل عليه لارجمك والتقدير لارجمك فاحذرنى واهجر في  
الثاني في قوله واهجر في قولان احدهما المراد واهجر في القول  
والثاني واهجر في بالمفارقة من الدار والبلد وهو كحجرة الرسول  
عليه السلام والمؤمنين اي تباعد حجة لا اراك وهذا الثاني  
اقرب الى الظاهر اما قوله مليا ففيه قولان الاول مليا اي مدة  
بعيدة ما خوذ من قولهم اني على فلان ملاوة من الدهر اي دما



بعيد الثاني مليا بالذهاب عنه قبل ان اضربك فلا نقدر ان نذهب  
من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطبقا له قادر عليه ثم ان  
ابراهيم عم لما سمع من ابيه هذا الجواب اجابه بامر من احدهما  
انه وعد التباعده منه وذلك لان اباه لما امر بالتباعده اظهر  
الانقياد وقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي توديع متاركة  
كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لانتفى الجاهلين  
وقال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز  
متاركة المبتطل اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابلة الاساءة  
بالحسن ويجوز ايضا ان يكون قد دعاه بالسلامة استمالته  
الا ترى انه وعد الاستغفار ثم انه لما ودعه بقوله سلام عليك  
ضم اليه ما دل على انه وان بعد منه الا ان شفقت عليه باقية  
وهو قوله ساستغفر لك ربي واجتج من طعن في عصمة الانبياء  
بهذه الآية تقرير ان ابراهيم استغفر لابيه وابوه كان كافرا  
والاستغفار للكافر غير جائز فثبت بمجموع هذه المقدمات ان ابراهيم  
فعل ما لا يجوز وانما قلنا انه استغفر لابيه بقوله تعالى هذه الآية  
سلام عليك ساستغفر لك ربي وايضا واعف لابي انه كان من  
الصائين وامان اباه كان كافرا فذاك بنقض القران وامان  
الاستغفار للكافر غير جائز فيدل عليه وجهان الاول قوله تعالى  
وما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين والثاني

قوله تعالى في سورة الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم  
الى قوله الا قوله ابراهيم لابيه لا استغفرن لك فامر بالتأسي  
بابراهيم الا في هذا الفعل فدل على ان هذا الفعل معصية  
الجواب قوله بالاستغفار للكافر غير جائز قلنا الكلام عليه من وجوب  
الاول ان القطع على ان الله تعالى يعذب الكافر لا يعرف الا بالسمع  
فلعل ابراهيم عم لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الكافر  
فلا جرم استغفر لابيه الثاني ان الاستغفار قد يحى بمعنى الاستبطاء  
قال تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله  
والمغنى اسأل ربي ان لا يجعل عقاب كفر في الدنيا الثالث  
انه عم انما استغفر لابيه انه كان يرجو امنه الايمان فلما ايس  
من ذلك ترك الاستغفار ولعل في شرعه جواز الاستغفار للكافر  
الذي يرجي منه الايمان والدليل على وقوع هذا الاحتمال قوله تعالى  
وما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا  
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فبين ان المنع  
من الاستغفار انما يحصل بعد ان يعرفوا انهم اصحاب الجحيم قال  
تعالى بعد ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها  
اياهم الآية على انه انما وعد بالاستغفار بشرط ان يؤمن فلما لم يؤمن  
فقد الشرط فلا جرم لم يوجد المشروط فان قيل اذا كانت  
القصة كذلك فلم منعنا من التأسي به في هذا المغنى قلنا الآية



تدل على انه لا يجوز لنا التأسية به في هذا المعنى الا ان المنع من  
التأسيه به لا يدل على ان ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشياء  
هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لنا التأسية به  
مع انه كان ذلك مباحا للرسول عليه السلام الرابع لعل هذا  
الاستغفار كان من باب ترك الافضل وحسنات الابوار سيئات  
المقربين اما قوله ان كان به حقيقيا اي لطيفا رفيقا يقال الحق  
فلان في المسئلة بفلان اذ الطف به وبالغ في الرفق والمراد به  
انه تعالى لكثرة الطاف به وانعامه على عود به في الاجابة فاذا  
استغفرت حصل المراد كانه جعله بذلك عايقين انه ان تاب  
غفر الله له ذلك الوجه الثاني من الجواب قوله تعالى واعتزل لكم  
وما تدعون من دون الله والاعتزال عن الشيء هو التباعده عنه  
والمراد اني افارقكم في المكان وافارقكم في طريقكم ايضا وابعد  
عنكم ولن تغفل بعبادة ربي الذي ينفع ويضر فانكم بعبادة الآلهة  
سلكون طريقة الضلال فواجب على مجابنتكم ومعنى قوله  
عسى ان لا يكون لعل ان لا يكون بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا يكون  
كذلك وانما ذكر هذا الكلام على سبيل التواضع كقوله والذي  
اطمع ان يغفر لي ربي خطيئتي يوم الدين وقوله شقيا مع ما فيه  
من التواضع ففيه تفرغ بشفاعتهم في دعاء الله لهم على ما قرره  
اولا في قوله لم تعبدوا الا الله ولا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله ثم

فلما

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب  
وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلناهم لسان  
صدق عليا واعلم ان احدا لا يخسر على طاعة الله فان ابراهيم  
عليه السلام لما اعتزلهم في دينهم وبلدهم واختار الهجرة  
الى ربه ماضية ذلك في الدين ولا في الدنيا بل نفعه ففوق منه الله  
اولادا انبياء ولا منصب في الدين اعظم من ان يجعله الله  
رسولا الى خلقه ويوجب عليهم طاعته والانقياد له مع ما حصل  
فيه من عظم المنزلة في الآخرة فصار جعله تعالى ابناءهم انبياء  
من اعظم النعم في الدنيا والآخرة ثم بين تعالى انه مع ذلك وهب  
لهم من رحمة اي وهب لهم مع النبوة اشياء اخرى وانهم في اكرامها  
ويذكر فيه المال والحجاء والاتباع والنسل الطاهر والذرية الطيبة  
ثم قال تعالى وجعلناهم لسان صدق عليا ولسان الصدق الشاهد  
الحسن وعبر باللسان عما يحصل باللسان واستجاب الله دعوته في قوله  
واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حجة ادعى كل  
اهل الاديان انهم على دينه وملة وقال تعالى ابراهيم حنيفا  
وقال ملة ابيكم ابراهيم وقال ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا قال  
بعض العلماء ان الحليل عم اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزلكم  
وما تعبدون من دون الله لاجرم بارك الله في اولاده فقال  
وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا وتبرا من ابية الله



علي ما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه لاجرم سماه الله ابا  
المؤمنين فقال ملته ابيكم ابراهيم وتل ولد له للجبين ليدحه  
في الله علي ما قال فلما اسلم وتله للجبين لاجرم فذاه الله كما قال  
وفدنياه بذبج عظيم واسلم نفسه لله كما قال اسلمت لرب  
العالمين وجعل النار بردا عليه فقال يا ناركوني بردا وسلاما  
علي ابراهيم واشفق علي هذه الامة فقال ربنا وابعث فيهم  
رسولا منهم لاجرم اشركه الله في الصلوة فانهم يقولون في اخر  
الشهد كما صليت وباركت علي ابراهيم وال ابراهيم وكان واقفا  
في اداء طاعات ربه كما قال وابراهيم الذي وثق لاجرم جعل الله  
موطى قدمه مباركا فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى  
وعادى كل الخلق في الله فقال فانهم عدوا لارث العالمين لاجرم  
اتخذ الله خليلا فقال واتخذ الله ابراهيم خليلا ليعلم صحة ما  
ذكرنا انه لا يخسر علي طاعة الله احد **الفصل الرابع** في شرح  
مناطرة ابراهيم مع قومه بكسر الاصنام قال تعالى في سورة الانبياء  
ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين اعلم قبل  
الشروع في شرح هذه الواقعة انه تعالى مدح ابراهيم عم بقوله  
ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وفيه مسائل المسئلة  
الاولى في الرشده قوله لان الاول انه النبوة واحتج من ذهب  
الى هذا القول بقوله وكنابه عالمين قالوا لانه تعالى انما يخص

بالنبوة من يعلم من حاله انه في المستقبل يقوم بحقوقها ويحترز  
عن كل ما لا يليق بها ويجتنب عما يفرق قومه من قبول تكاليفها  
ويتأكد هذا بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته ويتأكد ايضا بقوله  
واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات فانهن قال اني جاعلك للناس اماما  
والقول الثاني ان الرشده هو الاهتداء لوجوه الاول  
الصالح في الدين والدنيا قال تعالى فان آمنتهم منهم رشدا  
فادفعوا اليهم اموالهم وقال في سورة هود عموهم اليهم منكم  
رجل رشيد وقال قوم شعيب له انك لانت الخليم الرشيد  
ومرادهم لانت السفية الضال ذكروه علي سبيل الاستهزاء  
وقال وما امر فرعون منكم برشيد وفيه قول ثالث وهو  
ان يدخل النبوة والاهتداء الى كل الصالح تحت اسم الرشده  
اذ لا يجوز ان يبعث الله نبيا الا وقد عرفه ذاته وصفاته  
وافعاله ودله ايضا علي مصلح نفسه ومصلح قومه وكل ذلك  
من الرشده واعلم ان لفظ الرشده جاء في القران علي خمسة  
اوجه الاول قال تعالى قد تبين الرشده من النقي الثاني الاسلام  
قال تعالى في الاعراف وان يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلا  
الثالث الهداية قال تعالى في سورة البقرة لعلمهم يرشدون  
وقال في سورة الكهف ومن يضل الله فلن تجد له وليا مرشدا  
وقال ايضا في هذه السورة علي ان تعلمه تمام علم رشدا



وقال في سورة الحجرات اولئك هم الراشدون الرابع معرفة  
المصالح في امور الدنيا قال تعالى في سورة النساء فان استقم  
منهم رشتا والخامس من فعل الصواب على سبيل الاطلاق قال  
في سورة الحجرات فاولئك هم الرشتا ويرى منه قوله في سورة  
الكهف ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا  
فالوجوه الثلاثة مختصة بالدين والوجه الرابع مختصة بالدنيا  
والوجه الخامس يعم لكل ما يتعلق بالدين وما يتعلق بالدنيا  
والله اعلم المسئلة الثانية اخرج اصحابنا على ان الايمان  
ليحصل بخلق الله بهذه الاية وذلك لاننا بيتنا ان لفظ الرشد  
يتناول الاهتداء الى كل مصالح الدين والدنيا واعظم وجوه  
الاهتداء الى مصالح الدين هو معرفة الله سبحانه فكانت معرفة  
الله اعظم وجوه الرشد والله تعالى قال ولقد اتينا ابراهيم  
رشته فدل هذا على ان ايمان ابراهيم انما حصل بتخليق الله  
وايجاده اجاب الكعبة عن هذه الحجة بان مثل هذا الكلام انما  
يقال فيمن عزم عليه ما ينفعه واذا قيل يقال ان فلانا اوتي  
الرشد وهذا ممن اعطى المال لولد من قبله احدهما وثمره ورده  
والاخر اخذه ثم ضيعه فيقال فلان اغنى ابنه فيمن ثمر المال  
ولا يقال فيمن ضيع المال للجواب هذا الكلام مشوش ونحن قد  
بيننا ان لفظ الرشد يتناول الايمان والله نعم نص على انه اتاه

رشته فكان هذا صريحا في ان الله نعم اتاه ايمانه واعطاه معرفة  
اما قوله من قبل ففيه وجوه الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما  
وابن جريه الطبري رضي الله عنهما اتينا ابراهيم رشته بنوته واهتداه  
من قبل موسى الثاني اتينا ابراهيم رشته في صغره قبل بلوغه  
حين كان في الغار وهذا قول من حمل الرشد على الاهتداء الى  
وجوه المصالح والا لزمه ان يحكم بنوته قبل البلوغ الثالث  
قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الضحاك المراد حين كان  
في صلب آدم عليه السلام حين اتخذ الله ميثاق النبيين الرابع  
وهو كلام خطر ببالي وهو انه اشارة الى العناية الازلية  
والى ان السعيد من سعد في بطن امه والى قوله عليه جفت  
القلم بما هو كائن الى يوم القيامة يعني انه جرى القضاء الازلي  
والحكم الابدئ يجعله من السعداء والابرار لا انذنت حديثا اليوم  
وذلك من مذهب اهل السنة انه تعالى قضى بسعادته في هذا  
اليوم فحصلت هذه السعادة من نتائج ذلك القضاء الازلي  
والمعتزلة يقولون انه يستغل بالايمان فيصير لشغاله بالايمان  
موجب على الله نعم ان يقضى بالسعادة وهذا في غاية البعد  
لان العقل يقتضي ان يكون صفة الخالق متصرفه في صفة المخلوق  
ولا يجوز ان يكون صفة المخلوق وفعله متصرفه في صفة الخالق  
ولهذا قال ابو بكر الواسطي لا اعبد ربنا برضيه طاعته وبغضه



معصية والمراد انه لا ينبغي ان يجعل طاعة العبد ومعصية مؤثري  
 في رضا الرب وغضبه ولكن رضا او وقع العبد في الطاعة  
 وغضبه يوقعه في المعصية حتى يكون الخالق متصرفا في المخلوق  
 لا ان يكون المخلوق متصرفا في الخالق اما قوله تعالى وكتابه عالمين  
 والمراد منه ما هو المراد من قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته  
 والمعنى انه تعالى علم اختصاص روحه القدسية باحوال العجبة  
 واسرار بدعيته وهو مستغراقه في معرفة الله تعالى ومواظبته  
 على طاعته واقباله على الدعوة الى الله وبالجملة فكانت روحه  
 في الارواح كالشمس التي تنير الظلمات وتنزل الصلوات  
 والجهالات ونظير هذا الكلام قولك في رجل كبير انا عالم بفلان فان  
 هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه ادل مما اذا شرحت حلال كماله  
 واما قوله اذا قال لابي وقومه فقال صاحب الكشاف اذا ما  
 ان يتعلق بآسنا او برشد او محذوف اي اذكر من اوقات  
 رشد هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون  
 والتمثال اسم للشيء المصنوع شيها بخلق من خلق الله واصله  
 من مثل الشيء بالشيء اذا شبهته وذلك الممثل يسمى بالتمثال  
 واعلم ان القوم كانوا يتخذون لكل كوكب تمثالا مخصوصا  
 على ما هو المشهور من مذهب اصحاب الطلسماء فجعل ابراهيم هذا  
 القول منه ابتداء كلامه لينظر فيما عساهم يوردونه من شبهة

حتى يبطلها عليهم قال صاحب الكشاف لم ينزلها كافرين مفعولا  
 بل اجراء مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلمين العكوف لها  
 او واقفون لها فان قيل لم لم يقل عليها عاكفون كقوله يعكفون  
 على اصنامهم قلنا لو قصد التقديس لعداه بصلته التي هي على  
 اما قوله تعالى قالوا وجدنا اباؤنا على هذا عاكفين واعلم ان القوم  
 لم يذكروا في الجواب الا طريقة التقليد الذي يوجب مزيد الانكار  
 عليهم لانهم اذا كانوا على خطاء من امرهم لم يعصمهم من هذا الخطاء  
 ان اباؤهم ايضا سلكوا هذا الطريق واعلم ان عبادة الكفار في  
 اكثر الامور القبول على طريق التقليد نظيره قوله تعالى المائدة  
 واذا قيل لهم تعالى الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما  
 وجدنا عليه اباؤنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون  
 وقال في يوسف وكاتين من هاتين في السموات والارض يمشون  
 عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون  
 وقال في لقمان واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الآية وقال في  
 الزخرف بل قالوا انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على انا هم  
 مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الله  
 الا قال مترفوها انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على انا هم مقتدون  
 وقال في ص اجعل الالهة الهاء واحدا ان هذا الشيء عجاب الى قوله  
 الا اختلاق وقال ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا



عليها واعلم ان الشير يوكل ويذم فلا ترى في الدنيا انسانا الا  
وهو يذم التقليد ثم انك اذا فتشت عن احواله تراه غرقا في  
التقليد من فوقه الى قدمه والخروج عن طريقة التقليد والتفوق  
على الدليل نعمة عظيمة من الله سبحانه تخلص بها من يشاء من عباده  
فلنبحث عن الاسباب الموجبة لتسلط التقليد عن اكثر الخلق  
فنقول ههنا وجوه الاول يروي عن الخليل بن احمد بن البصري  
انه قال الناس على اربعة اقسام رجل يدري ويدري انه يدري  
فذاك عالم فاتبوع ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذاك  
فايم فايقتوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك مستر  
فازسدره ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذاك  
شيطان فاجتنبوه وقال بعضهم الرجل اذا سئل فقال لا ادري  
فذاك في المرح اقوى من قوله ادري فاعترض بعضهم عليه فقال  
انما يعظم منصب الرجل بيدري لا بلا يدري فقال الجيب  
لكن قوله لا ادري من ثمرة يدري لانه يدري انه لا يدري  
وقوله ادري من ثمرة لا يدري لانه لا يدري انه لا يدري  
الثاني الانسان لا ينبغي ان يسام الانسان عن المسائل الصورية  
والدلائل العقلية وذلك لان هذه العلوم والمباحث تنال  
للعقل فمن كرهها فقد كره العقل ومن كره العقل فليستظر  
الى الجحيم فانه انما قيد بالسلاسل لانه طرعه العقل وهو الخلق

فيه معذور فمن رضى بالتقليد وطرح العقل بالاخياد اولي  
ان يقيد بالسلاسل كما قال في سلسلة ذريعتها سبعون ذراعا  
فاستلهم الثالث ان ادم عليه السلام كان في الجنة فترك النظر  
في مسألة واحدة من مسائل الفروع وهو ان المراد من قوله  
ولا تقر باهذه الشجرة النوع ام الشخص فخرج عن الجنة فمن  
ترك النظر في مسألة واحدة من مسائل الفروع اخرج عن  
الجنة فالخارج عن الجنة اذا ترك النظر في كل مسائل اصول  
كيف يدخلها الرابع ان الرسالة اقل مرتبة من الربوبية ثم  
ان الرسول عدم لما في الصديق وقال انا رسول الله اليك  
قال ما الحجة قال ذاك السر الذي ذكرته مع اهلك في بيتك  
قال ذلك سر لم يطلع عليه احد الا الله فلو لا ان الله اخرجك  
والا لما عرفت انك لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله  
فاذا كانت الرسالة دون الالهية ثم انها لا يثبت بالتقليد من  
لنا اعدا للخلق فكيف يحصل معرفة الربوبية من لنا الاله  
والاسلاف بل ههنا ما هو اقوى من كل ذلك وهو انه تعالى قال  
لموسى عم اتني انا الله لا اله الا انا فاعبد فقال موسى هذه  
الدعوى فاين الدليل يجعل الله دليلا عليه ان جعله بحيث لم يسمع  
ذلك الكلام بجميع اعضاءه حتى برجله فيستد علم المقصود  
فلما لم يكن كلام الحق في معرفة الحق فكيف يكون كلام الخلق



في معرفة الحق الخامس انصف من نفسك فانه تعالى لا يطلب منك  
الا الانصاف قال الاصوليون رجل اعتقد ان الله منزله عن الجسمية  
والمكان تقليدا وبقى عليه سبعين سنة فهو من اهل النار ولو انه  
قرب اجله فقال يا الهي ثبت عن ذلك التقليد والآن لا اعلم انك  
على العرش أم لا واجوز كلا الامرين واشرع في النظر والتفكر  
حتى اعرف الحق ثم انه لم يجد مهلة النظر حتى مات في تلك الساعة  
قالوا انه من اهل الجنة فعند اعتقاده الجازم التقليدي هو كان  
من اهل النار وان كان ذلك الاعتقاد حقا وعند التردد كان  
من اهل الجنة وما ذاك الا انه انصف حتى اعترف بالخير بالخير  
السادس روى ان عليا رضى رجع عن بعض الغزوات وكانت  
حصته من الغنمة ماملأ به زيله فاناه سائل فجعل يجتار اخف  
الظواهر فعلم ان ذلك من وسوسة ابليس فاخذ الكل ورفع  
الى السائل اذ هو اكبر من الجهل الذي رجع عنه ودخل على النبي  
مستبشرا فقال لا النبي م ما فعلت فقال رجعت عن الهاد  
وقص عليه القصة فقال طنت انك ازلت صاحب شبهة عن  
شبهة والنكتة ان هذا يدل على ان من تعلم وعلم ثم تشتغل  
بالتعلم كان هذا خير ممن صار غنيا واعطى وبذل المال حتى  
افنى لان فائدة اعطاء المال في الدنيا وفائدة اعطاء العلم في  
الآخرة ابد الابد ودهر الداهرين السابع وهو ان واحدا

اراد خدمة ملك فقال الملك اذهب فتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما  
شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال امسك  
عن التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال كنت اهلا لخدمتك  
حين لم ترى اهلا وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا  
لخدمة الله وذلك لان كنت اظن ان الباب بابك لجهلى  
فلما تعلمت علمت ان الباب باب الرب واعلم ان القوم لما قالوا  
انا وجدنا اباءنا لها عابدين احاب ابراهيم قال لقد كنتم انتم  
واباؤكم في ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقا بسبب  
كثرة المتمسكين به فعند ذلك استبعد وامنه هذا الكلام لشدة  
الغم بذلك التقليد فقالوا له اجئنا بالحق امانت من اللاعنين  
واعلم ان القوم لما وهو انه انما يقول ذلك الكلام على سبيل  
المزاح اظهر ابراهيم في ذلك الوقت مما يعملون به انه مجده في  
اظهار ما قاله وذلك بالقول اولا ثم بالفعل ثانيا اما الطريقة  
القولية فهي قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والارض الذي  
فطرهن وانا عما ذلكم من الشاهدين اما وجه دلالة السموات  
والارض على اثبات الصانع الحكيم القدير فقد تقدم شرحه  
والمعنى ان الخالق الذي خلق السموات والارض لمنافع العباد  
هو الذي يحسن ان يعبد لان من يقدر على ذلك فهو الذي  
يرجى نفعه ويخاف ضرره فيرجع حاصل هذه الطريقة الى الطريقين



المتقدّمتين احديهما كون السموات والارض مخلوقة محدثة  
 كما قال لاجب الافلين والثاني فتح عبادة الاصنام كما قال  
 لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فهذا الطريقة  
 مشتملة على تنك الطريقين قال صاحب الكشف الضمير في فطرته  
 للسموات والارض او التماثيل فكونه للتماثيل ادخل في الاحتجاج  
 اما قوله وانا على ذلك من الشاهدين الاول ان المقصود بالمبالغة  
 في التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ في مدح انسان اودعه  
 اشهد انه كريم اودعهم الثاني ان قوله وانا على ذلك من الشاهدين  
 معناه اني قادر على اثبات ما ادعيته بالحجة واني لست مثلكم  
 في ادعاء ما لا اقدر على اثباته بالحجة وذلك انكم ما زدت على اثبات  
 مذهبكم الا على قولكم وانا وجدنا اباؤنا لها عابدين واما  
 الطريقة الفعلية وهي قوله وتالله لا كيدن اصنامكم بعد ان تولوا  
 مدبرين واعلم ان القوم لغاية حماقتهم لما لم ينتفعوا بالدلائل  
 القولية عدل ابراهيم عليه السلام الى الفعل وكيفية القصة وجها  
 الاول قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على اصنامهم  
 فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت فقال  
 آزر لابراهيم عليه السلام لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان بعض  
 الطريق التي نفسه وقال اني سقيم اشتكى رجلي فلما مضوا وبقي  
 الضعفاء من الناس نادى وقال وتالله لا كيدن اصنامكم

بعد ان تولوا مدبرين واحتج هذا القائل بقوله تعا قالوا سمعنا  
 فتذكرهم يقال له ابراهيم الثاني قال الكبي كان ابراهيم وم  
 من اهل بيت ينظرون في الحجوم وكانوا اذا اخرجوا الى عيدهم  
 لم يتركوا الامر ايضا فلما هم ابراهيم عليه السلام بالذي هم به  
 من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه  
 ارا في اشتكى رجلي غذا فذلك قوله فنظر نظرة في الحجوم فقال  
 اني سقيم واصبح في الغد معصوبا براسه فخرج القوم لعيدهم  
 ولم يخلف احدهم وقال وتالله لا كيدن اصنامكم وسمعه  
 رجل منهم هذا القول فحفظ عليه ثم ان ذلك الواحد اخبر غيره ونشر  
 ذلك الخبر في جماعة فلذلك قال الله تعا قالوا سمعنا فتذكرهم  
 واعلم ان كلا الوجهين ممكن وتام القصة ان ابراهيم وم لما دخل  
 بيت الاصنام وجد سبعين صنما مصطوفة وثمة صنم عظيم  
 مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينه جوهرتان مضيئتان  
 بالليل فكسرا كل بغاس في يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الغاس  
 في عنقه اما قوله فجعلهم جذاذا الاكبر لهم فاعلم ان الجذاذ  
 القطاع من الجذ وهو القطع وفيه سوالات الاول لم قال فجعلهم  
 جذاذا وهذا الجمع لا يليق الا بالعقلاء الجواب من حيث اعتقدوا  
 فيها انها كالناس وانها تعظيم وتقرب اليها ولعله كان فهم  
 من يظن انها نضر وتنفع السؤال الثاني ما معنى قوله الاكبر لهم



قلنا يحتمل الكبير في الخلقة وفي العظيم وفي الامرين جميعا واما قوله  
لعلمهم اليه يرجعون فيحتمل رجوعهم الى ابراهيم عم ويحتمل رجوعهم  
الى الكبير اما الاول فتقرير من وجهين الاول ان يكون لعلمهم رجعون  
الى الذين الحق وهو الاقرار بالتوحيد ويعدلون عن الباطل وعبادة  
الاوثان الثاني انه غلب ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما انه ظهر  
فيهم انه هو الذي ينكر دينهم ويسب اهنتهم اما الثاني وهو  
قوله الخير يرجع الى الكبير فضيه وجهها الاول لعلمهم يرجعون اليه  
كما يرجع الى العالم الكبير في حل المشكلات فيقولون لذلك الكبير  
كيف كسر هؤلاء وبقيت انت صحيحا وكيف غلق الفاس في رقبته  
وهذا قوله الكلمة وهو بناء على شدة حماقتهم فلعلمهم يعتقدون  
فيها انه مجيبه ويتكلم الثاني انه عليه السلام انما قال ذلك مع علمه  
انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم وان قيل من سجد له ويعبد  
ان يرجع اليه في حل المشكلات اما قوله تعالى قالوا من فعل هذا  
بالهتاء انه لمن الظالمين اي من فعل هذا الكسر والحطم بشديد  
الظلم انه معدود في الظلمة اما لجرأته على الالهة الحقيقية بالتوقيف  
والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في كسرها وتماديا في الاستهانة  
بها اما قوله قالوا سمعنا فتي يذكرهم يقال له ابراهيم والمعنى  
انهم كانوا من قبل قد عرفوا منه وسمعوا ما يقول في اهنتهم فغلب  
على قلوبهم انه هو الفاعل ولولم يكن الا قوله ما هذه التماثيل التي

انتم لها عاكفون لكني واعلم انه لا بد ههنا من الكلام في الفتوة  
يقال ان ابراهيم عم وصف بالفتوة في كل الاشياء اعطى البذل  
للنيران والمال للضيفان والولد للقربان ويجلي ان جبرئيل عم  
جاء فوقف في وسط غنمه وكان له غنم كثير حتى قيل انه كان  
عدد كلابه اثني عشر الف كلب كل كلب مطوق بطوق وقلادة  
من ذهب فقال جبرئيل سبح قدوس رب الملائكة والروح  
فنظر ابراهيم يمنه ويسره ولم يرا أحدا فقال ايها العبد الذي  
يذكر الله لك ثلث غنمي فاذكره ثانيا فاذكره ثانيا فاعطاه الثلث  
الثاني فاذكره ثالثا فاعطاه الثلث الثالث فاذكره رابعا فذهب  
منه الكلاب مع ما على اعناقها من الاطواق فاذكره خامسا فذهب  
منه العبيد الذين كانوا يحفظون الاغنام فاذكره سادسا فقال  
ما بقي لي ملك فاستبعدني فاحي الله الى جبرئيل كم تغدب خيلي  
فظهر عند ذلك جبرئيل نفسه وقال حق ان تكون لله خليلا  
وهذه الاغنام والعبيد كلها مرد ود عليك انا جبرئيل لا احتج  
الى شيء منها فقال يا جبرئيل هذا شيء اخرجته من ملكي لوجه الله  
فلا اعيده الى ملكي وقد وقفته على جميع المسلمين يا كل من  
مر عليه وقال بعض الحكماء راس الفتوة قول لا اله الا الله  
الا ترى في قصة اصحاب الكهف قال انهم فسية آمنوا بربهم  
سماهم فسية لانهم آمنوا بربهم فلما كان ابراهيم عم في العالمين



الى الله تع كان باسم الفتوة اولى اجتمع ابو حفص الخزاز مع الجند  
 في بغداد فسأله عن الفتوة فقال ابو حفص اذكروا انتم فانكم  
 اصحاب البيان والعبارة فقال الجند الفتوة اسقاط الرؤية  
 وترك التشبه بالفتيان فقال ابو حفص ما احسن ما قلت  
 لكن الفتوة عندي اداء الانصاف وترك المطالبة بالانصاف  
 فقال الجند قوموا يا اصحابنا فقد زاد ابو حفص على آدم وذنبة  
 وسأل ابو حفص واحدا من العيارين بنيسابور عن الفتوة  
 فقال يا ابا حفص نسألك عن فتوتنا فقال ابو حفص اجب عن  
 الفضلين فقال اما فتوتنا معشر الشطارين <sup>او فتوتكم</sup> فكل ما نقول بالله  
 وفيانا به واما فتوتكم معشر العارفين فما نقولونه بالسر مع  
 نفوز به فقال ابو حفص لو سألت عنه لما كنت اهتدي اليه اهتدي اليه  
 وقال الفضيل بن عياض سيد الفتيان يوسف الصديق عليه السلام  
 وذلك لانه تحمل المحن العظيمة من اخوة تم لما قدر عليهم ما قبلهم  
 البتة بل قال لا تريب عليكم اليوم يفخر الله لكم وقيل الفتوة  
 ان لا تؤخر ولا تدخر ولا تقدر وقيل ان لا تخاصم في الاخرة  
 احدا ولا تخاصمك احد وقيل الفتوة بذل المجهود والرضا بالموجود  
 وترك طلب المفقود وحفظ الحدود والسكون الى الموعد والقيام  
 بخدمة المعبود واعلم انه تم سمي في القرآن بالفتوة خمسة اشخاص  
 سمي ابراهيم في هذه الآية بالفتوة وسمي يوسف به تراود فتاها

عن نفسه وسمي خزنة وقال لفتيان اجعلوا بضاعتهم ويوسع  
 واذا قال موسى لفتية واصحاب الكهف اذا روى الفتية الى الكهف  
 وانما سمي ابراهيم عم بالفتي لانه كان وافيا بعهود الله تعالى  
 قال وابراهيم الذي وفي وسمي يوسف بالفتي لانه كان حافظا  
 لعهود عزير مصر وهو قوله حكاية عنه قال معاذ الله انه ربي  
 احسن مثواي وسمي خزنة يوسف فتبانا لان الخازن يكون  
 امينا حافظا للمال وسمي يوسف فتي لانه كان حافظا لاسرار  
 موسى عليه السلام قال ارايت اذا اوتينا الى الصخرة وسمي اصحاب  
 الكهف فتية لانهم كانوا يفضنون اعداء الله لن ندعوا من دون  
 الها ويحبون الله تعالى قال تعالى فقالوا ربنا رب السموات  
 والارض وروى في الاخبار ان واحدا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 وسال حاجته فقال النبي عليه السلام لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه  
 احسن اليه فذهب علي وجاء معه دينار وخمسة دراهم  
 ورغيف تام ونصف رغيف فسأله الرسول عن كيفية الواقعة  
 فقال ان هذا السائل لما سأل وقع في قلبه ان اعطيه دينارا  
 ثم قلت بكفيه نصف رغيف ثم طردت الوسوسة عن قلبه  
 رجئت بكل هذه الاشياء فقال عم لافته الاعلى واعلم انه قيل  
 الفتوة على اقسام احدها الفتوة باليد يروي ان عليا رضي  
 كان يجارب كافرا فقال الكافر اعطني سيفك فذفع علي سيفه اليه



فقال له ذلك الكافر أمجنون انت لم تدفع سلاحك الى وائي  
خصمك واطلب قتلك فقال سالت ويقبح بالفتى ان يرد السؤال  
فانا استعمل الفتوة معك فان انت قتلني كان ترك الفتوة منك  
وثانيها الفتوة بالعين كماله لمحمد دم كما قال ما زاع البصر وما  
طفي ويروي ان رجلا يزوج بامرأة وقبل الدخول بها ظهر بالمرأة  
جذري فقال الرجل ظهر في عيني نوع ضعف وظلمة ثم قال عمت  
ففرقت اليه المرأة ثم ان المرأة ماتت بعد ثنتين سنة ففتح الرجل  
عينه فقبل له في ذلك فقال ما عمت ولكن تعاميت حذارا ان تحزن  
المرأة فقبل له سبقت الفتيان وثالثها الفتوة بالمال يحكى ان  
واحدا من الحاج نام بالمدينة فتوهم ان هميانه سرق فخرج فراى  
جعفر الصادق فتعلق به وقال اخذت همياني فقال كم كان فقال  
الف دينار فادخله داره واعطاه الف دينار فرجع الرجل الى  
داره فراى هميانه في بئنه فاستحي فخرج الى الصادق متعفرا اليه  
ورده عليه الدنانير فاني ان يقبلها وقال شئ اخرجت من يدي  
لا استرده فقال الرجل من هذا فقالوا جعفر الصادق وحكى  
عن السبلي انه قال خطر ببالي اني بحيل ولئيم فقلت اجرب  
نفسه فنويت ان كل ما اوجده في هذا اليوم اهبه لاي شخص  
اراه اولاً ثم جاد في الحال خادم من دار الخلافة ووضع عندي  
صرقة فيها خمسون دينارا فاخذتها وخرجت من الدار

فرايت تجا ما مخلوق رأس اعنى فدفعت الصرة الى الاعمى فقال  
الاعمى ادفعها الى هذا الحجام فقلت انها ذهب فقال الاعمى ما هذا  
البحل ثم اخذها ودفعها الى الحجام فقال الحجام انا نويت ان اخلق  
رأس هذا الفقير لله تعالى ولا اخذ الذهب والحاصل ان ذلك الذي  
ما قبله الاعمى ولا الحجام ورابعها الفتوة بالنفس يقال ان واحدا  
من السلاطان ذهب اليه واحد من غلمان الملك مخفيا فطلب  
السلاطان منه فانكره فضربه الف سوط فاسلمه فاتفق انه اضلم  
تلك الليلة وكان البرد شديدا فلما اصبح اغتسل بالماء البارد  
فقبل له خاطرت بروحك فقال استحييت من الله ان اصبر على  
ضرب الف سوط لاجل مخلوق ولا اصبر على مقاساة الماء البارد  
لاجل امر الله وخامسها الفتوة بالهمة كما قيل لبعض الزهاد  
لو ان الله اعطاك الدنيا بكليتها ماذا تفعل قال اجعلها  
كلها لمة واضعها في فم مجوسى حتى يصل العدوق الى العدو ويقي  
الحبيب للحبيب وقال بعضهم ان الله تعالى سمي ثلث فوق رجالا  
احدها الذين لا يمتنعون الدنيا عن خدمة المولى رجال لانهم  
تجارة ولا بيع عن ذكر الله والثاني رجال يتطهرون عن النجاسة  
رجال تحبون ان يتطهروا والثالث رجال يقتلون في مقام الفتوة  
رجال صدقوا معا هدا الله عليه ثم يقول بالفارسية  
جوامردان بوا بجواني مرد شود • بجوامين سه خصلت عادت او شود



دل از مشغول بودن بغير از خداي عز وجل دور دارد و جامه  
دل را از لوث ديار دور دارد و نیز خود را برزيت بندي اراده  
دارد و قيل سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد بن الصادق عن الفتوة  
فقال ما تقول انت فقال شقيق ان اعطينا شكرنا وان منعنا  
صبرنا فقال جعفر بن محمد بن الصادق الكلاب عندنا بالمدينة  
كذلك تفعل فقال يا بن رسول الله ما الفتوة ان اعطينا الثرنا  
وان منعنا شكرنا قوله نعم قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلمهم  
يشهدون وفي قوله لعلمهم يشهدون وجهان الاول انهم كرهوا  
ان يأخذوه بغير بيعة فارادوا ان يجيئوا به على اعين الناس  
لعلمهم يشهدون عليه بما قالوا فيكون ذلك حجة عليه الثاني  
لعلمهم يشهدون فيبصرون ما يصنع به فيكون ذلك زاجرا لهم  
عن الاقدام على مثل فعله قوله نعم قالوا انت فعلت هذا بالهنا  
يا ابراهيم واعلم ان في الكلام حذف وهو فأتوا به فقالوا لله انت  
فعلت طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا على ايدائه فظهر منه  
ما انقلب الامر عليهم حتى سوا الخلاص منه قال بل فعله كبيرهم  
وعرضه من اظهر وجههم في عبادة الاولان فان قيل قوله  
بل فعله كبيرهم كذب الجواب للناس فيه قولان الاول انه ليس  
بكذب وهو قول جمهور المحققين وذكره في الاعتذار عنه  
وجهين الاول ان قصد ابراهيم عليه السلام ما كان الى ان ينسب

ذلك الفعل الى الصنم وانما قصد تقريبه لنفسه واثباته لها على  
اسلوب تقريضي وهذا كما قال صاحبك وقد كتبت كتابا بخط  
رشيق وانت مشهور بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك  
اي لا يحسن الخط ولا يقدر الاعمى ذمه فاسد فقلت له  
بل كتبت انت كان قصدك بهذا الجواب تقريبه لك مع الاستهزاء  
به لان فيه عنك واثباته للامى او المحرتمش لان اتيانه والامر  
بالتقريب كما للعاجز منكما استهزاء به واثبات ذلك للقادر الثاني  
ان ابراهيم عليه السلام غامسة تلك الاصنام حين ابصرها  
مصطفة مزينة وكان غيظه من كبيرها اشد لان تعظيم  
القوم له كان اكثر فاشتد الفعل اليه لانه هو السبب في اقامه  
على كسرها والفعل كما يسند الى مباشرة فقد يسند ايضا الى الحال  
عليه الثالث ان يكون ذلك حكاية لما يلزم على مذهبيهم كانه قال  
لهم ما ينكرون ان يفعل كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى  
اله ان يقدر على هذا وعلى اشد منه الرابعة انه كناية عن غير  
مذكور اي فعله من فعله وكبيرهم ابتداء الكلام وعن الكسائي  
انه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يستدعي كبيرهم الخامسة  
يجوز ان يكون فيه وقف عند قوله كبيرهم ومن نفسه لان  
الانسان اكبر من كل صنم السادسة ان يكون في الكلام تقديم  
وتأخير كانه قال بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فيكون



اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا  
 ناطقين امتنع كونهم فاعلين السابعة قرأ محمد بن سميع  
 فعله كبيرهم يعني فعله اي فعل الفاعل كبيرهم والقول الثاني  
 وهو قول طائفة من اهل الحكايات ان ذلك كذب واحتجوا  
 بما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا بثلث  
 كذبات كلها في ذات الله مع قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم  
 وقوله لسارة هي اختي وفي خبر اخر ان اهل الموقف اذا سألوا  
 ابراهيم الشفاعة قال اني كذبت ثلث كذبات وهذا القول  
 باطل اما الخبر الذي رواه فلان الكذب الى راوية اولى من ان  
 يضاف الى الانبياء عليهم السلام والدليل القاطع عليه انه لو جاز  
 الكذب يضاف الى الانبياء عليهم السلام لمصلحة وباذن الله تعالى  
 فيه فلينجز هذا الاحتمال في كل ما احتزوا عنه وذلك يبطل وثوق  
 بالشرائع ثم ان ذلك الخبر لو صح فيه فهو محمول على المعارض  
 على ما قاله عم ان في المعارض مندوحة عن الكذب واما  
 قوله اني سقيم فلعله كان به سقم او يكون ذلك محمولا على انه  
 سيصير كذا كقوله تعالى انك ميت اما قوله تعالى فرجعوا الى  
 انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ففيه وجوه الاول  
 ان ابراهيم عم لما نبههم على قبح طريقهم فنبهوا ففعلوا ان  
 عبادة الاصنام باطلة وانهم على جهل وغرور الثاني قال مقاتل

فرجعوا

فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا انتم الظالمون لا ابراهيم حيث  
 تزعمون انه كسرها مع ان الفاس في رقة الصنم الكبير الثالث  
 انتم الظالمون لانفسكم حيث سألتموه عن هذا السؤال حتى انه  
 اخذ يستهزؤكم في الجواب اما قوله تعالى ثم نكسوا على رؤوسهم لقد  
 علمت ما هؤلاء ينطقون فقال صاحب الكشاف نكسته ولبسته  
 فجعلت اسفله اعلاه وفي المعنى وجوه الاول انهم لما تفكروا وعلموا  
 انهم الجاهلون والظالمون ثم انكفوا وانكسوا وانقلبوا عن  
 تلك المجادلة فاخذوا في المجادلة بالباطل وتقرير ان هذه الاصنام  
 مع انها غير ناطقة هي الهة معبودة الثاني انهم انقلبوا على  
 رؤوسهم حقيقة لغرض اطرافهم من الخجالة والانكسار من كلام  
 ابراهيم الثالث قال ابن جرير ثم نكسوا على رؤوسهم معناه  
 انهم احتجوا على ابراهيم بما كان في الحقيقة حجة عليهم فقالوا  
 لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فاقدام بهذا الكلام الحيثية التي  
 لحقهم والمعنى نكست حججهم فاقبوا الخبر عنهم مقام الخبر عن  
 حججهم اما قوله افتعبدون من دون الله الآية فالمعنى ظاهر  
 وهو الكلام الذي ذكره ابراهيم عليه السلام لابييه وقد سبق  
 شرحه ثم يحتمل انه قال لهم ذلك وقد عرفوا صحة قوله ويحتمل  
 انه قال لهم ذلك وقد ظهرت الحجة وان لم تفعلوا وهذا هو الاقرب  
 لقوله افتعبدون ولقوله افلا يعقلون قوله تعالى والواحرقوا



وانضروا اليكم ان كنتم فاعلين واعلم انه ليس في القرآن من  
القائل بهذا القول والمشهور انه عمرو بن كنان بن سجار  
بن عمرو بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام وقال ان الذي  
قال حرقوه رجل اسمه هبيرة خفف الله به الارض فهو يتخلل  
فيها الى يوم القيامة واما كيفية القصة فقال مقاتل لما مجزم  
القول على احراقه حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالظرة وذلك  
قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا قال القوم في الجحيم ثم جمعوا له الخشب  
الكثير حتى ان امرأة لومرضت قالت ان عافاني الله لا اجمعن  
خشباً لابراهيم ثم نقلوا له الخشب على الدواب اربعين يوماً  
فلما اشتعلت النار اشتدت وصارت بحيث لو مر الطير في اقصى  
الهواء لاصترق ثم اخذوا ابراهيم عليه السلام ورفعوه على راس  
البيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا  
مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا  
الثقلين صيحة واحدة يا ربنا ليس في ارضك احد يعبدك غير  
ابراهيم وانه يحرق فيك فالتفت لنا في نصرته فقال سبحانه ان  
استغاث بكم فاغثوه ولم يمسك الابي فانا وليه وكافيه  
فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الریح ان شئت طارت  
النار في الهواء وجاء ملك البحار التجارتي فقال ان شئت سلطت  
البحار على هذه النار وجاء ملك الشياطين فقال ان شئت مطرت

على هذه النار بحيث لا اترك منها اثرا فقال عم لا حاجة اليكم  
فلما وضع في المنجنيق ورعى به قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين  
لحم الحمد ولك الملك لا شريك لك فجاء جبرئيل دم وقال يا ابراهيم  
هل لك من حاجة قال اما اليك فلا قال فاسئل ربك قال حسبك من  
سؤالي علمه قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يتبع بردها بسلام لما  
ابراهيم عليه السلام من بردها قال ولم يبق يومئذ في الدنيا  
نار الا طفيت واخذت الملائكة بصفي ابراهيم واقعدوه في الارض  
فاذا عين ماء عذب وورد احمر ولم تحرق النار منه الا وثاقه  
وبعث الله ملكا الظل اليه ففعد الى جنبه يونسه واتا جبرئيل  
بقميص من حرير الجنة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت  
ان النار لا تضرا احبابي وقال انه عم بقي في تلك النار اربعين  
يوما او اكثر ثم ان عمرو بن نظير من صرح له واشرف على ابراهيم عم  
فراه جالسا في روضه وراى الملك قاعدا الى جنبه فناده  
عمرو يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج  
فقام بمشيئة حتى خرج منها فلما خرج منها قال له عمرو من الرجل  
الذي رايت معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليونسني  
فيها فقال عمرو اني متقرب الى الهك بالفراش لما رايت من  
قدرته فما صنع بك واني ذابح له اربعة الاف بقرة فقال ابراهيم  
عليه السلام لا يقبل الله ذاك منك مادمت على دينك فقال



يا ابراهيم لا استطيع ترك ملكي ولكنني اذبحها ثم اذبحها له  
 ثم كف عن ابراهيم ثم هم بالطايف اللطيفة الاولى حصل  
 هناك نار ان نار الدنيا ونار حب المولى فظنوا ان نار الدنيا  
 بحرقه لكن نار محبة محبة المولى اقوى فهذه النار ابطلت نار  
 نمرود هكذا يكون يوم القيامة فان جميع الخلق يدخلون جهنم  
 كما قال وان منكم الاوارد ها كان علي ربك حتما مقضيا فيجمع هناك  
 نار ان نار جهنم ونار حب المولى ثم ان نار المحبة يبطل نار جهنم  
 وتدفعها كما قال تعالى ثم نبخى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا  
 وقال عيسى عليه السلام ربه جل جلاله جز يا مؤمن ان ابراهيم قال في ظاهر  
 الشمس والقمه هذاري فالفاه الله في النار ثم لما كان القول  
 صورة بلا معنى لاجرم صير الله في هذه النار صورة بلا معنى وذلك  
 تنبيه على ان كل من قال هذا القول فانه لا يخلص عن النار الثالثة  
 الملائكة قالوا ونحن نستبح بحمدك ونقدس لك وضاروا بمحبين  
 نبيهم فالفى الله في خليفه النار حتى سيج الحليل في وسط النار  
 ويقول حسب الله ونعم الوكيل فقال الحق انتم تسبحون في وسط  
 الرحمة وهو يستبح في وسط النار ليظهر حكمه قال اني اعلم ما لا تعلمون  
 الرابعة ان ابراهيم وم كان ابد اخاف النار ويقول ابد او  
 من النار ولهذا قال ان ابراهيم لحليم اواه منيب ففيض الله  
 نمرود وقال اجي نار عظيمة والحق ابراهيم فيها حتى اجعل النار

فان غلبت  
 النار

بردا وسلاما على ابراهيم لكي يعلم ابراهيم ان الخوف ليس من النار  
 بل من خالق النار الخامسة من كنت معه برحمته جعلت النار له ماء  
 كما في حق ابراهيم ومن كنت حربا عليه جعلت الماء نارا القوم فرعون  
 امر قوا فادخلوا نار الساسة ان ابراهيم وم لما ناظر في الملكوت  
 قال لاحب الافلين ثم ناظر مع الملك فقال فان الله يا بني بالشمس  
 من المشرق ثم ناظر مع ابيه فقال لم تصد ما لا يسمع ولا يبصر ولا  
 يفقه عندك شيئا ثم ناظر مع القوم بل ربكم رب السموات والارض  
 الذي فطرهن ثم ناظر معهم بالمعاملة وكسر الاصنام وجعلها  
 حذاذا ثم لما اتى النار قال حسبى الله فقال له جبرئيل هل لك  
 من حاجة فقال اما اليك فلا قال له سل ربك قال حسبى من سؤالي  
 علمه عجالي فلما انتهى الى هذا الحد كان قد خرج من طبع البشر بالكلية  
 وصار ملكا مقربا فلحق تعالى قال ان لا ابراهيم اسلم من طبيعة  
 البشرية فبا نار انت ايضا اسلم من طبيعتك كوني بردا وسلاما  
 على ابراهيم واحد بواحد السابعة لما اتى في النار ظن الخلاق كلهم  
 ان النار تحرقه فظن ملك المطر والرياح والسيحان ذلك فعرضوا  
 انفسهم عليه فلم يلتفت ابراهيم اليهم وكان قلبه مشغولا برحمته  
 فقال الله تعالى يا ابراهيم انك في النار تنظرون الى ظاهر ابراهيم  
 ولا تفرقون باطنه وانا اعرف ظاهره وباطنه وانتم تنظرون الى ظاهر  
 النار فترون منها الاحراق والافساد وانا اعلم ظاهرها والآن



قد انكشف لكم انكم لا تعلمون باطن ابراهيم لانه لم يلتفت الى احد منكم  
وقت الحاجة وساكشف لكم انكم لا تعلمون باطن النار يا نار كوني بردا  
وسلاما على ابراهيم حتى تعلقوا يا ايها الملائكة انه لا عجرة بظواهر الاشياء  
وان حقايقها لا يعرفها احد غيري فيخبركم بظهركم صدق قولنا اني اعلم  
ما لا تعلمون فلكذلك كنتم رايتهم من ظواهر بن آدم الشهوة والغضب  
والقتل وكنت اري من بواطنهم العلم والحكمة والعبودية الثامنة  
كان الحق سبحانه قادرا على ان يمنع عزود عن ذلك العمل من اول الامر  
لكنه تعالى اراد ان يظهر للملائكة انقطاع ابراهيم الى الله تعالى واعراضه  
عن كل المسايط والمسباب وذلك لان ابراهيم عم ادعى هذه البراءة  
بقوله فانهم عدوني الا رب العالمين وفي قوله لا احب الاقربين وفي  
قوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خنيقا وفي قوله وما انا  
من المشركين وفي قوله ومحيي ومماتي لله رب العالمين وفي قوله  
اسلمت لرب العالمين وكل هذه الاحوال يدل على انه بلغ في مقام الرضاء  
بقضاء الله الى الغاية القصوى وكان الحق سبحانه عالما بصدقه في  
هذه الدعاوى فلم يمنع عزود عن عمله ليظهر للملائكة صدق ابراهيم  
في هذه وقين للخلق انه في عا سوي الله ولم يبق له حيوة ولا قوة  
الا بالتوجه الى حضرة الله سبحانه وتعالى التاسعة قال بعضهم نار الدنيا  
احمر من ان يحاط بها الله ولكن خطاب مع نار المحبة ونار المحبة  
المعرفة فقال كوني بردا وسلاما على ابراهيم والعزم من ان لا يفتي ابراهيم

بالكلية في نار المعرفة والمحبة العاشرة بقي منها سؤالان الاول  
ان ابراهيم عليه السلام لم يخف من النار وموسى خاف من العصى  
حين صارت حية لقوله تعالى فاجش نفسه خيفة موسى والجواب  
لان انقلاب العصا حية فعل الملاق ونار عزود فعل الخلق والرسول  
المعصوم يخاف الله ولا يخاف غير الله السؤال الثاني لم لم يحصل  
لمحمد عم واقعة مثل هذه الواقعة والجواب بل وقعت قال تعالى  
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم  
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل  
كما انقلب الخليل بنعمة من الله وفضل واعلم ان هذه الكلمة وهي  
قوله حسبنا ونعم الوكيل يفيد النجاة من الهوم والهموم عن عبد الله  
بن طلحة الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عندي  
او غم عشر مرات حسب الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب  
العرش العظيم اذهب الله غمه ومن سلم على عشر افكنا اعتق  
رقية وكان لفتح الموصلي اربع مائة درهم عند صدق له بغير فيه  
فارسل الى الصديق ان اعمل الى المال فقال وهل ظهرك من خيانة  
قال لا ولكن اعملها الى تحملها اليه فتصدق بها على المساكين  
ثم جلس فريدا وحيدا وقال لا احب ان يكون اعتمادى على شيء غير الله  
حسبه الله ونعم الوكيل فلما قربت وفاة ابي يزيد قال لاصحابه  
اني على ثمانون سنة استرني ان اقول مرة حسب الله ولم اقدر



عليه فقالوا كنا نظن انه لا يميز بك ساعة الا ولسانك رطب من ذكر  
الله فقال لم اقل ذلك لاني لو قلت حسب الله ثم ملت الى الدنيا او  
الآخرة يقول الله تعالى كذبت يا ابانريد لو كنت انا حسبك لما تنفك  
بغيري قوله تعالى يا زاركوني برد او سلاما على ابراهيم ففيه مسائل  
المسئلة الاولى قال ابو مسلم الاصمها في تفسير قلنا يا زاركوني  
برد او سلاما المراد انه تعالى جعل النار برد او سلاما لان خطاب الجاد  
لا يجوز لان هناك كلام كقوله كى فيكون اى يكونه لان هناك امر  
وكلام والاكثر ان على انه حصل هذا القول ثم هو لا لهم قولان  
احدهما وهو قول السدي ان القائل هو جبرئيل عليه السلام والثاني  
وهو قول الاكثرين ان القائل هو الله سبحانه وتعالى وهذا هو اللابى  
بالظاهر المسئلة الثانية ذكرنا في كيفية برد النار وجوها الاول  
انه تعالى اذا لخصها ما كان فيها من الحار والاحراق وابقى ما فيها  
من الاضادة والاشراق والله على كل شئ قدير الثلثة انه تم خلق في  
جسم ابراهيم عرم كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل الحزنة  
جهنم الثالث انه تعالى خلق بينه وبين النار حاجلا يمنع من وصول  
اثر النيران اليه قال المحققون الاول اولى لان ظاهر قوله يا زار  
كوني برد او سلاما على ابراهيم ان نفس النار صارت باردة حتى  
سلم ابراهيم عرم من تأثيرها الا ان النار بقيت كما كانت واعلم  
ان كثير من جهال الاطباء والطبيعيين ينكرون هذه الحالة ويقولون

من المستحيل

من المستحيل زوال صفة الاحراق عن جرم النار وهذا قول باطل  
ويدل عليه وجوه الاول ان الاجسام متماثلة فكما ان جسم الماء  
يقبل البرد والرطوبة فكذلك جسم النار يقبلها وكما ان جسم النار موصوف  
بالحر واليبس فكذلك جرم الماء قابل لهما واذا كان الامر كذلك  
ثبت انه يمكن انقلاب الماء نارا وانقلاب النار ماء فثبت ان هذا  
في نفسه ممكن الوجود فثبت ان للعالم صانعا قادرا على جميع الممكنات  
فوجب القطع بكونه قادرا على تبرد النار للحجة الثانية انا شاهد  
شعلة النار اذا تضاعدت انطفئت ولا معنى لذلك الا انطفاء الا  
ان الجرم اللطيف الهوائى حين كان موصوفا بالاشراق والاحراق  
كما شاهدناها فاذا تضاعدت زالت عنها صفة الاشراق فصار  
هواء واذا كان الامر كذلك علمنا ان جرم النار الموصوف بالاشراق  
والاحراق لا يبعد في العقل زوال هاتين الصفتين عنه فثبت ان  
انقلاب جرم النار الى البرد امر جائز ممكن الوجود للحجة الثالثة  
انا اذا شددنا منفذ الكبر والخننا عليه بالنفخ فانه يشتعل النار  
فيه وما ذاك الا ان الهواء المحترق داخل الكبر يتسخن بسبب  
الحاج النفخ فيه فاذا قوى التسخن اشتعل نارا فعلمنا ان الهواء  
يمكن ان ينقلب نارا واذا امكن انقلاب الهواء نارا امكن ايضا  
انقلاب النار هواء باردا للحجة الرابعة ان اهل الطبايع يقولون  
للحيوان والنبات انما يتولد من امتزاج الطبايع الاربعة واذا كان

الكبر  
مبرور كذا في دقة



كذلك لزمهم الاعتراف بان جرم النار موجود في ابدان النبات  
 والحيوان وما ذاك الا ان جرم النار انكسر حرارته وحصلت  
 فيها حرارة معتدلة لايفة بابدان الحيوان والنبات واذا كان الامر  
 كذلك ثبت ان حرارة النار مع بقائها نارا قابلة للانكسار واذا كان  
 الامر كذلك ثبت ان انقلاب النار بردا وسلاما امر ممكن الوقوع  
 في نفسه الحجة الخامسة ان عند اطباء الفقه المجازية والقوة الهائلة  
 انما يقوى على افعالها بمشاركتها لحرارة الغريزية وزعموا ان  
 الحرارة الغريزية عبارة عن جوهر النار الذي صار جزءا من البدن  
 ومن المعلوم ان هذه الحرارة الغريزية غير محترقة فعلما ان على  
 قولهم النار تقبل الانكسار في الحر لا يمكن انكار ما ذكرنا الحجة السادسة  
 اننا شاهد ان النعام يتلع الحديدة للحمى المحماة وان المسند  
 يعيش في النار ولا يحرق فيها البتة واذا كان هذا ممكنا في الحيوانات  
 الخبيثة فاي عاقل يستبعد ذلك من قدرة الله تعالى في حق الرسول  
 المعصوم الحجة السابعة اننا نرى النار مستولية على احراق جميع  
 الاحجار والاجساد الاجزاء واحدا هو سلطان الاحجار كلها  
 وهو الباقون وجسدا واحدا هو سلطان كل الاجساد وهو الذهب  
 والسبب في انه لا ولاية للنار على هذا الحجر وهذا الجسد هو ان  
 هذا الحجر والجسد من الاشياء المنسوبة الى الشمس فاذا حصل في الاحجار  
 والاجساد حجر وجسد لا ولاية للنار عليهما بسبب انسابهما الى الشمس

فكيف يستبعد ان يحصل في النوع البشري شخص لا يكون للنار  
 ولاية عليه بسبب مزيد اختصاصه بحضرة خالق الشمس والقمر  
 وبالجملة فكل من حصر اسرار قدرة الله وحكمته على مقدار ما الفه  
 وشاهد كان عن المعقول خارجا وفيه الجهل والجا اما قوله وسلاما  
 على ابراهيم فالمعنى ان البرد اذا افترط اهلك كما ان الحر كذلك  
 بل زائد في الكل من الاعتدال ثم الى تحصيل الاعتدال في الكيفيات  
 طرق احدها ان يقدر الله برده وحرها بالمقدار الذي لا يوذى  
 ولا يفسد الثاني ان يجعل بعض اجزاء النار بردا وبعضها يتحركها  
 على حرارتها فيخيل يخلط الحار بالبارد فيحصل الاعتدال الثالث  
 ان يخلق تعالى في جسمه مزيد حر فيسلم من ذلك البرد الشديد بل  
 ينتفع به ثم همنا سؤال الاول هل تنارت كل النيران في ذلك  
 الوقت بهذه الصفة الجواب الثاني المذكور في القرآن اسم الماهية  
 فيلزم حصول هذا البرد في الماهية ويلزم منه عموم في كل افراد الماهية  
 وقيل بل اختص هذا الخطاب بتلك النار والمعجز على هذا التقدير  
 اعظم لان اختصاص تلك النار المضيئة بهذه الحالة تدل على ان المقصود  
 رعاية حال ابراهيم ثم هل يجوز ما روي انه تعالى لو لم يقل سلاما  
 اهلك البرد على ابراهيم الجواب هذا بعيد لان برد النار لم يحصل  
 منها وانما حصل من جهة الله فهو القادر على الحر والبرد هل يجوز  
 ان يقال انه كان في النار انهم عيشا منه في ساير احواله والجواب



لا يمتنع ذلك لما فيه من مزيد النعمة ويجوز ايضا ان يقال انه  
انما صار انعم عينا هناك لعظم ما ناله من السرور بخلصه من ذلك  
الامر العظيم وتكثير سروره بحسب خيبة اعدائه وبظهور دلائل  
دين الله تعالى اما قوله وارادوا بكيدا فجعلناهم الاخيرين والمعنى  
ارادوا ان يغلبوا وضاروا مغلوبين غالبوه بالجدل فلقنه الله  
الحجة المسكنة ثم عدلوا الى القوة فخلصه الله من عذابهم قوله  
ونجيناها ولوطا الى الارض الذي باركنا فيها للعالمين وفي الاخبار  
ان هذه الواقعة كانت في حدود بابل فنجاه الله تعالى من تلك  
البقعة الى الارض المباركة واختلفوا فيها قيل انها مكة لقوله تعالى  
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة وقيل انها ارض الشام  
لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله والسبب في بركتها  
في الدين ان اكثر الانبياء عليهم السلام بعثوا منه فانتشرت  
شرايعهم واثارهم الدينية منه واما في الدنيا فلانه تعالى باركنا  
فيها بكثرة الماء والشجر والتمر والخشب وطيب العيش قوله تعالى  
وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم  
ايمه يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة  
وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين اعلم انه تعالى بعد ان ذكر انعامه  
على ابراهيم وعلى لوط عليه السلام بان نجاهما الى الارض المباركة  
استبعد بذكر سائر النعم التي خص ابراهيم وعم وهو قوله وهبنا له

اسحق ويعقوب نافلة والنافلة العطية الخاصة وكذلك النفل  
وسمي الرجل الكثير العطاء نؤفلا والمفسرين ههنا قولان الاول  
قال ابن عباس والجي بن كعب ان ابراهيم عليه السلام لما سأل ولدا  
وهو قوله تعالى رب هب لي من الصالحين فاجاب الله دعاءه  
وهب له اسحق واعطاه يعقوب من غير دعاء به فكان ذلك  
نافلة كالشيء المستطوع به من الادميين فكانه قيل وهبنا له  
اسحق اجابة لدعائه وهبنا له يعقوب نافلة على ما سأل كالصلوة  
النافلة التي هي زيادة على الفرض وحكي على هذا القول يكون النافلة  
هو يعقوب خاصة والقول الثاني وهو ان النافلة ههنا مصدر  
من وهبنا وهو مصدر من غير لفظ الفعل والفرق بين ذلك  
وبين قوله وهبنا له هبة او وهبنا له هبان عظيمة وفضل من  
غير ان يكون جزاء مستحقا وهذا الوجه اقرب لانه تعالى جمع بينهما  
ثم ذكر قوله نافلة ولما صلح ان يكون وصفهما فهو اولى والنعمة  
الثانية قوله تعالى وكلا جعلنا صالحين اي وكلا من ابراهيم واسحق  
ويعقوب انبياء مرسلين عليهم السلام وقال آخرون عاملين  
بطاعة محتسبين محارمة وهذا الوجه اقرب لانه لفظ الصلاح  
يتناول الكل لانه تعالى قال بعده هذه الآية واوحينا اليهم فعل  
الخيرات ولو حملنا الصلاح على النبوة لزم التكرار واجبة ايضا  
بهذه الآية على ان افعال العباد مخلوقة له لانه قوله جعلنا صالحين



يدل على ان ذلك الصلاح من قبله اجاب الجبائي بانه لو كان كذلك  
لما مدحهم على كونهم صالحين وعلى كونهم ائمة وعلى كونهم عابدين  
ولما اتى عليهم بسبب هذه الخصال ومدحهم عليها علمنا انها  
افعالهم واذا ثبت هذا فلا بد من التأويل وهو من وجهين  
الاول ان يكون المراد انه سبحانه اعطاهم من لطفه وتوفيقه ما لم  
لاجله الثاني ان المراد انه تعالى سماهم بذلك كما يقل في زيد انه فسق  
فلان فضله وكفره اذا وصفه بذلك وكان مصداق عند الناس  
وكما يقال في الحاكم انه زكي فلانا وعذله اذا حكم بذلك واعلم  
ان هذه الوجوه مختلفة اما اعتمادهم على المدح والتعظيم فيسمى  
الجواب عنه واما الحمل على اللطف فباطل لان فعل اللطاف عام  
في حق المكلفين فلا بد في هذا التخصيص من مزيد فائدة وايضا  
فلان قوله جعلته صالحا كقولك جعلته متحررا كلفه على تحصيل شيء  
سوى الصلاح ترك للظاهر واما الحمل على التسمية فهو مجاز  
افصى ما في الباب انه قد يصار اليه عند الضرورة في بعض المواضع  
وهنا لا ضرورة فيه وايضا انه تعالى لما اخبر عنه كان وقوعه واجبا  
والا لزم انقلاب الخبر الصدق كذا وانقلاب علمه جهلا  
وذلك محال والمفصّل الى المحال محال الثالثة قوله تعالى وجعلناهم  
ائمة يهدون بامرنا وفيه قولان احدهما جعلناهم ائمة يدعون  
الناس الى دين الله والطاعة لأمرنا الثاني قول ابي مسلم

ان هذه الائمة هي النبوة واحتج اصحابنا بهذه الآية على امرين  
احدهما في مسئلة خلق الافعال على ما تقدم تقريره والثاني  
ان الدعوة الى الحق والمنع عن الباطل لا يجوز الا بامر الله تعالى  
لانه لو لم يكن الامر مقبولا لما كان في قوله بامرنا فائدة النعمة الرابعة  
واوحينا اليهم فعل الخيرات وهذا يدل على انه تعالى ختمهم بشرف  
النبوة وذلك من اعظم النعم على الالب ثم انه تعالى كما بين اصناف  
نعمته عليهم بين ذلك اشتغالهم بعبودية فقال وكانوا لنا  
عابدين كانه سبحانه لما وفى بعهد الرتبوتية في الاحسان والانعام  
منهم ايضا وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة والعبودية  
الفصل الخامس في تقرير مناظرة اخري لابرهم عليه السلام في  
تقرير التوحيد قال تعالى في سورة الشراء وانزل عليهم نبأ الهى  
ابراهيم اذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اعصناما  
فنظّل لها عاكفين اعلم انه تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن  
محمد عليه الصلوة والسلام بسبب كفر قومه وهو قوله لعلى  
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم انه تعالى ذكر قصة موسى  
لعرف محمد وعلم ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ع  
ثم ذكر عقيبها قصة ابراهيم لعرف محمد وعلم ان حزن ابراهيم  
بهذا السبب كان اشد من حزنه لان من عظم المحنة على ابراهيم  
عليه السلام ان يرى اياه وقومه كلهم في النار وهو لا يتمكن



من انقاذهم فقال لهم ما تعبدون وكان ابراهيم عليه السلام يعلم  
انهم عبدة الاوثان ولكنهم سألهم لربهم ان ما يعبدونه ليس  
من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت  
تعلم ان ماله الدقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال ثم انهم  
اجابوا ابراهيم عم بقولهم نعبد اصناما فنظّل لها عاكفين  
والعكوف الاقامة على الشيء وانما قالوا انظّل لانهم كانوا يعبدونها  
بالنهار دون الليل واعلم انه كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا  
نعبد اصناما ولكنهم ضموا اليهم زيادة على الجواب وهو قولهم  
فنظّل لها عاكفين وانما ذكرنا هذه الزيادة اظهارا للاحتياج  
والافتخار بعبادة الاصنام فقال ابراهيم عم منبها على فساد  
مذهبهم هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون  
وهذا هو الوجه الذي ذكرناه في سورة مريم وشرحناها بالاستقصاء  
فصنع هذا قال القوم بل وجدنا اباؤنا كذلك يفعلون فاجاب  
ابراهيم عم بقوله افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم  
الاقدمون وكل ذلك قد تقدم تفسيره في الفصل الذي قبل  
هذا الفصل ثم قال فانهم عدوا لي الا رب العالمين واعلم انه  
عليه السلام ما ذكر الاعداء الا بهذه الكلمة الواحدة ثم مدح  
الحق سبحانه بالفاظ كثيرة وفيه تنبيه على ان الاشتغال بعبادة  
الاصنام بالاعداء وهو مانع من الله تعالى فكان تفضيله اولى

انما الاستقصاء يجب ان يكون بالاشتغال بالشأن على الله تعالى  
وفيه اسئلة السؤال الاول كيف يكون القسم عدوا وهو جواب  
الجواب من وجوه الاول قال تعالى في سورة مريم في صفة الاصنام  
كلا سيكفرون بعبادتهم قيل في تفسيره ان الله تعالى يحس ما يعبدوه  
من الاصنام حتى يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم وعلى هذا الوجه  
سيمر هذه الاوثان اعداء لهؤلاء الكفار في الاخرة فاطلق  
ابراهيم عم لفظ العداوة على هذا التأويل الوجه الثاني في الجواب  
ان الكفار لما عبدوها وعظموها ورجعوا اليها في طلب المنافع  
والمصائر فنزلت منزلة الاحياء العقلية في اعتقاد الكفار ثم انها  
صارت اسبابا لانقطاع الانسان عن العادة ووصوله الى الشقاوة  
فلما جرت هذه الاصنام منزلة الاحياء وجرت مجرى الدافع للشفقة  
والحالب للمفزة لاجرم جرت مجرى الاعداء الثالث ان المراد من  
قوله فانهم عدوا لي العابدون هم في دوني الاصنام التي هي المعبود  
السؤال الثاني فلم قال فانهم عدوا لي ولم يقل فانها عدوا لكم  
الجواب انه عليه السلام صور المسئلة في نفسه على معنى اني  
فكرت في امرى فرايت عبادتي لها عبادة للعبد فاجتنبتها وادهم  
انها نصيحة نصيح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ان ابراهيم ما نصحا  
الا بما نصح نفسه به فيكون ذلك الدعي للمعقول السؤال الثالث  
لم لم يقل فانهم اعداء لي الجواب لفظ العدو والصديق يقع



على الواحد والجماعة قال الله تعالى وهم لكم عدو ثم قال ابراهيم  
عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين واعلم لما حكى عنه انه استنسخ  
رب العالمين حكى عنه ما وصفه به مما يستحق العبادة لاجله  
وهي اربعة انواع من الصفات الصفة الاولى قوله الذي خلقني  
فهو يهدين واعلم انه تعالى على ذاته يهدين الوصفين  
فقال سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر  
فهدي واعلم اننا نفرض مثالا واحدا ونحقق فيه معنى الخلق  
والهداية فنقول الانسان مخلوق من قالب هو من عالم الخلق  
ومن قلب هو من عالم الامر وتركيب البدن الذي هو من عالم  
الخلق فقدم على ايجاد الروح الذي هو من عالم الامر على ما قال  
فاذا استويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية لمادة الى تركيب  
المزاج وتعديل الاشباح ونفخ الروح لمادة الى اللطيفة الربانية  
النورانية وتتمام هذا التقدير سيجي في قوله ولقد خلقنا الانسان  
من سلاله من طين وبأجله فخلق لمادة الى تعديل البدن  
والهداية لمادة الى ابداع القوى المدركة والمحركة فيه فثبت  
ان قوله خلقني فهو يهدين كلمة حاوية لجميع المنافع في الدنيا  
وفي الدين ثم فيه دقيقة وهي انه قال خلقني فذكره بلفظ الماضي  
وقال فهو يهدين ذكره بلفظ المستقبل والسبب فيه ان خلق  
الذات لا يتجدد ساعة فساعة بل ما حصل بقي الامر المعلوم

اما الهداية فهي امر يتكرر في كل حين واوان سواء كانت الهداية  
في الدنيا او في الدين فبين تعالى انه هو الذي خلقني في الماضي وانه  
هو الذي يهديني في المستقبل في كل حين واوان الى وجوه المصالح  
بغروب الهدايات الثانية قوله والذي هو يطعمني ويسقيني وقد حصل  
فيه كل ما يتصل بمنافع الرزق وذلك لانه تعالى اذا خلق الطعام  
وملكه منه فلو لم يكن ما يتمكن معه من اكله والاغتذاء به نحو  
الشهوة والقوة والتميز لم يكمل هذه المنفعة وذكر الطعام والشراب  
ونبه على ما عداها وقال بعضهم يطعمني طعام المعرفة ويسقيني  
شراب المحبة وقيل الذي يطعمني طعام المنجاك ويسقيني شراب  
الوصول الى الدرجات وهما باحث وهو انه روى الامام محمد  
بن علي الحكيم الترمذي في كتابه زاد الاصول عن عتبة بن عامر  
انه قال لا تتركوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم  
واعلم ان المرض سبب لانقطاع عشق القلب على البدن لتواتر  
الآلام والاوجاع عليه وكلما كان ذلك العشق اقل كان حب الدنيا  
اقل ومرض القلب ليس الا حب الدنيا فطعم هذا كلما كان مرض  
البدن اتم كان عوذا القلب الى الصحة اتم وكلما ازداد القلب  
طهارة من دين الذنوب وسقم حب الدنيا كان شبع القلب  
باعذية المعرفة وريية شراب المحبة اتم وما يدل على ما قلنا  
ان اقل الناس اكلا الانبياء ثم الاولياء وكلما كان العبد اكثر خطاء



من اليقين كان اقل الكلا وروى عن عامر بن العبد القيس انه  
داوم شهرا لا يأكل شيئا وقال ابراهيم النبي لقد اتى على شهر ما اكلت  
طعاما ولا شرابا الا حبة عنب اكرهوى عليها وما انا بصائم  
واني لا اقضي حوائجي وقال عليه السلام الكافر يأكل في سبعة  
امعاء والمؤمن يأكل في معاء واحد فالمؤمن ايمانه يشبعه ففي  
قوله عم فان الله يطعمهم ويسقيهم انه يطهر قلوبهم من الذنوب  
واذا طهرهم من عليهم بعد ذلك باليقين فاشبعهم وارواهم  
واذا قوى القلب واستخرج بمعرفة ربه وصار فرجا بخدمة ربه  
وبالمثول في طاعته وبجبالسة الملائكة المقربين صار للجسد  
بحيث لا يحتاج الى الغذاء الا ترى ان الانسان اذا ناله فرح  
شديد صار بحيث ينسى الحاجة الى الطعام هذا كله كلام الشيخ  
محمد بن علي الترمذي ثم قال رح وللقلوب مع الله شان  
لا يعرفه الا اهل القلوب الصفة الثالثة قوله واذا مرضت  
هنوب فني وقال الجنيد رح اذا مرضت بوحشة الخلق شفتاني  
بانس الحق وقال الشبلي واذا مرضت من هم الاشتياق شفتاني  
بلذة التلاقي وفيه سؤال واية قال مرضت دون مرضي والجواب  
من وجوه الاول ان المرض انما يحصل باستيلاء بعض الاخطا  
على بعض وذلك الاستيلاء يحصل بسبب ما فيها من التناثر  
الطبيعي اما الصحة فهي لا يحصل الا عند بقاء الاخطا على اعتدالها

وبقاءها

وبقاءها على اعتدالها انما يكون بسبب قهر قهرها على الاجتماع  
وعودها الى الصحة انما يكون ايضا بسبب قهر قهرها على العود  
الى الاجتماع والاعتدال بعد ان كانت بطباعها مشتاقة الى التفرق  
والنزاع فاذا احدث المرض انما كان بسبب طباع الاخطا وطرد  
الصحة انما كان بسبب ان الله سبحانه قهرها على الاجتماع والاعتدال  
والثاني وهو ان الشفاء من اعظم نعم الله على الانسان والمرضى  
ليس كذلك ومن عادة الله ان كل مكان منفعة ولزق فانه  
يضيفه الى نفسه وكل مكان اما فانه لا يضيفه الى نفسه الا ترى  
انه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال كتب في قلوبهم الايمان  
ولما آل الامر الى المشقة ما اضافها الى نفسه فقال كتب عليكم  
القصاص في القتل كتب عليكم الصيام فلما كانت عادة الله  
جارية برعاية هذه الدقيقة لاجرم ان ابراهيم عليه السلام  
اعتبر هذا المعنى فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى الله سبحانه  
قال وان نقصته بقوله والذي يميتني ثم يحييني فاعلم ان الموت  
سبب خلاص الروح عن رحمة البدن والاتصال بحضرة الله تعالى  
ورحمته فكيف يعد ذلك من المكروه ولهذا قال عم من شرني  
بمخرج صفر بشرته بالجنة والسبب انه دم كان عالما بان وفاته  
يقع في شهر ربيع الاول فكان شديد الاشتياق اليه اما المرض  
فانه لا يتخلص الروح فيه عن البدن بل يبقى في الرحمة الثالث



ان عرض الخليل في هذا المقام اظهار لسان الشكر لا اظهار لسان  
الشكوى واصافة المرض الى الله شكاية فاضاف المرض الى نفسه  
والشفاء الى الله ليكون ابلغ في الشكر الرابعة قوله والذي يمتني  
ثم يحيين وقد شرحنا في تفسير قوله الذي خلق الموت والحياة  
وفي تفسير قوله كيف يكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الخامسة  
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وهو اشارة الى  
المطلوب كل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالنجاة واعلم  
ان ابراهيم عليه السلام جمع في هذه الالفاظ جميع نعم الله من  
اول الخلق الى اخر الابد في الدار الاخرة وهما سؤالات الاول  
لماذا قال اطمع والطمع عبارة عن الرجاء وانعم كان قاطعا  
بذلك الجواب من وجوه ثلثة الاول ان هذا الكلام لا يستقيم  
الا على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب لاحد على الله شيء الثاني  
لعله عم قال هذا الكلام قبل النبوة الثالث غرضه موافقة  
كلام الله في قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكل ما علق  
الله به ذلك بالمشية وافقه الخليل فعلقه بالطمع وهذا من غاية  
حسن الادب السؤال الثاني لم اسند الخطيئة على نفسه مع  
ان الانبياء منزّهون عن الخطايا الجواب لعله ذكر هذا الكلام  
قبل النبوة او محمول على ترك الاولى السؤال الثالث لم علق  
مغفرة الخطيئة بيوم الدين وهو تعالى انما يغفر في الدنيا

الجواب لان اثر هذا الغفران انما يظهر بيوم الدين السؤال الرابع  
ما فائدة لي في قوله ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين الجواب من وجوه  
الاول ان الجود افادة ما ينبغي لا الغرض وهذا هو صفة الحق  
فقط اما كل من سواه فله فيه غرض فان الاب اذا عف عن ولده  
والسيد اذا عف عن عبده بذلك انما يكون لطلب الثواب  
او الخوف عن العقاب او لطلب المدح والثناء او لدفع الرقة  
الجنسية عن القلب واذا كان كذلك لم يكن المقصود من الغفر  
عناية جانب المغفور بل رعاية جانب النفس اما التحصيل  
ما ينبغي اولدفع ما لا ينبغي اما الحق سبحانه فانه كامل لذاته فيمتنع  
ان يحصل له صفة كمال ما لم يكن او يزول عنه نقصا كان واذا  
كان كذلك لم يكن عفوه الا لرعاية جانب المعفو عنه فقوله والذي  
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني هو الذي اذا غفر كان  
غفرانه لي ولا جلي لا لاجل امر عايد اليه البتة الثاني كانه يقول  
الحق خلقني لالي ولا لاجلي لانك حين خلقني ما كنت موجودا  
واذا لم اكن موجودا استحال تحصيل شيء لاجلي ثم مع هذا فان  
خلقني اما لوعفون كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقني اولا  
مع اني ما كنت محتاجا الى ذلك الخلق فلان يغفر لي ولا جلي مع  
اني في نهاية الاحتياج الى العفو كان البق بفضلك ورحمتك  
الثالث ان ابراهيم عم لشدة استغراقه في بحر المعرفة شديد <sup>الغفار</sup>



عن الالتفات الى الدنيا والى الوسايط ولذلك لما قال له جبرئيل دم  
الك حاجة قال اما اليك فلا فها قال اطع ان يغفر لي خطيئة  
يوم الدين اى اريد ان يغفر لي خطيئة بجردي عبدك ومحتاج  
اليك وخاضع بين يدي رحمتك لا لان تغفر هالي بواسطة شفاعة  
شافع واعلم ان الاحوال ثلثة اما الماضي والحاضر والمستقبل وقد  
ذكر الخليل نعم الله تعالى عليه في هذه الاحوال الثلثة اما في الماضي فهو  
قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين واما في الحاضر فهو قوله والذي  
هو بطيعي ويسقيني واما مرصنت فهو يشفيني واما في المستقبل  
فهو اما في الدنيا واما في الآخرة واما في الدنيا فهو قوله والذي يميتني  
ثم يحييني واما في الآخرة والذي اطع ان يغفر لي خطيئة يوم الدين  
فما احسن هذا الترتيب قوله رب هب لي حكما والحقني بالصالحين  
واعلم ان كل ما مضى شاء على الله تعالى وقوله رب هب لي حكما والحقني  
بالصالحين دعاء وتقديم الشاء على الدعاء واجب بحكم النقل والعقل  
اما النقل فكما في هذه الآية وايضا روى ابنه عليه السلام عن رب  
الفرقة من مشغله ذكرى عن مسئلة اعطيت افضل ما اعطى السائلين  
واما العقل فهو ان الداعي اذا قدم الشاء على الله استأذنه  
بنور معرفة الله تعالى واتصل قلبه بعالم الالهية وسراقات الهدية  
ومقامات الفردانية وارتفعت المحب وتلا لآيات الانوار الالهية  
في القلب فيصير القلب كالقمر اذا وقع في مقابلة الشمس فيكمل نوره

واذا

واذا اكمل نوره قوى تأثيره فاذا اتبعه بالدعاء صارت تلك  
القوة الحاصلة بسبب الذكر والثناء معيناً على تحصيل المطلوب  
ولهذا المعنى وجب تقديم الشاء على الدعاء كما فعله الخليل عليه السلام  
في هذا المقام فان قيل لم لم يقتصر ابراهيم عليه السلام على الشاء  
فان الدعاء استعانة بطلب الجنة وهو مانع من الاستغراق  
لا سيما ويروى عنه انه قال حبه من سؤالي علمه بحالي الجواب  
ان في هذا المقام كان مشغولاً بدعوة الخلق الى الحق بدليل انه قال  
هنا فانهم عدوا لي الآرب العالمين فلا جرم ذكر الشاء اولاً  
ثم الدعاء ثانياً لاجل تعليم الخلق اما لما خلى بنفسه اقتصر على الشاء  
وهو قوله حبه من سؤالي علمه بحالي واعلم ان ابراهيم عليه السلام  
طلب من الله انواعاً من المطالب المطلوب الاول قوله رب هب لي  
حكماً والحقني بالصالحين ولقد اجاب الله تعالى اليه حيث قال  
وان في الآخرة لمن الصالحين واعلم ان النفس الانسانية لها قوتان  
قوة نظرية عاقلة وقوة عملية فاعلة فالقوة النظرية عبارة  
عن القوة التي باعتبارها يقبل البلايا القدسية عن عالم الغيب  
والقوة العملية عبارة عن القوة التي باعتبارها يقوى على تدبير  
هذا البدن وذلك لان كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والحر  
لاجل العمل به وقوله رب هب لي حكماً اشارة الى سعادة القوة  
النظرية وقوله والحقني بالصالحين اشارة الى سعادة القوة



العملية وإنما قدّم سعادة القوة النظرية على سعادة القوة  
العملية لأن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف  
وبالذات والدليل عليه الوجوه التي ذكرناها في الفصل الأول  
في بيان أن علم الأصول أشرف من علم الفروع وإنما فسرنا معرفة  
الأمور بالحكم وذلك لأن الإنسان لا يعرف حقائق الأشياء إلا  
إذا استحضرت في ذهنه صور الماهيات ثم نسب بعضها إلى بعض  
بالنفي أو الإثبات فتلك النسبة هي الحكم ثم إن كانت تلك القضية  
النسبة الذهنية مطابقة للنسبة الخارجية كانت النسبة الذهنية  
ممتعة الغير وكانت مستحكمة قوية فمثل هذا الإدراك يسمى  
حكمة وحكما وهو المراد من قوله عليه السلام أرنا الأشياء كما هي  
وأما الصلاح فهو كون القوة العملية متوسطة بين طرفي الإفراط  
والتفريط وذلك لأن الإفراط في أحد الجانبين تفريط في الجانب  
الأخر وبالعكس فالصلاح لا يحصل إلا بالاعتدال ولما كان  
الاعتدال الحقيقي شيئا واحدا لا يقبل القسمة الممتدة والأفكار  
البشرية في هذا العالم قاصرة عن إدراك ذلك الحد على سبيل الحقيقة  
لاجرم لم ينفك البشر البتة عن الخروج عن ذلك الحد وإن قل  
إلا أن خروج المقرين عنه فيكون في القلة بحيث لا يحسن به  
وخروج العصاة عنه يكون متفاحشا جدا فقد ظهر هذا من احتياج  
كل أحد إلى أن يستعين بتوفيق الله في تحصيل هذا الصلاح سوادا

نبينا أو وليا فظهر بهذا احتياج إبراهيم عليه السلام على أن  
يقول والحقن بالصلحين المطلوب الثاني في هذا الدعاء قوله  
وأجعل لي لسان صدق في الآخرين وأعلم أن مراتب السعادات  
ثلاثة النفسانية والبدنية والخارجية فالنفسانية قسمان كمال  
القوة النظرية وهو المراد بقوله هب لي حكما وكال القوة العملية  
وهو المراد بقوله والحقن بالصلحين والبدنية قسمان وهو  
الصحة والجمال وأما الخارجية فقسمان المال والجاه والمال  
أشد جسمانية لأنه ملك الأعيان والجاه أشد روحانية  
لأنه ملك الأرواح وأن إبراهيم عليه السلام طلب السعادات  
النفسانية بقسميها ولم يلتفت إلى السعادات البدنية لعلها  
بأنها غير باقية وأما السعادات الخارجية فطلب منها ضمنا واطلا  
وهو الجاه والثناء الحسن وهو المراد بقوله وأجعل لي لسان  
صدق في الآخرين وقد أعطاه الله ذلك وهو قوله وتركنا  
عليه في الآخرين فإن قيل وأي عرض له في أن يمدح ويشي للآخرين  
من وجهين الأول وهو على لسان الحكمة الأول أن الأرواح  
البشرية قد بينا أنها مؤثرة في الجملة إلا أن بعضها قد يكون  
ضعيفا فيعجز عن التأثير فإذا اجتمع منها طائفة فرتبنا  
قوى مجموعها على ما عجزت الأحصاء عنه وهذا المعنى مشاهد  
في المورثات الجسمانية إذا ثبت هذا فالإنسان الواحد



اذا كان بحيث ينشئ عليه الجمع العظيم ويمدحونه فربما صار الضراق  
 همهم عند الاجتماع اليه سببا لفيضان زيادة كمال عليه من عالم  
 القدس الثاني وهو ان عوام الخلق ربما كانوا غير مستعدين  
 لقبول الانوار من عالم القدس فاذا انصل هذه الارواح بالارواح  
 بالقوة التي يكون للانبياء فاذا اجتمعت الانوار الالهية في تلك  
 الارواح القوية النبوية انعكس اثر من تلك الانوار الى هذه الارواح  
 الضعيفة المتعلقة بها سبب شدة المحبة فيحصل لهذه الارواح  
 الضعيفة نوع من السعادات بسبب تلك العلاقة والوجه الاول  
 من الجواب جعلنا الشاء والمدح سببا لحصول مزيد السعادة  
 للمدح وفي الوجه الثاني جعلنا ذلك الشاء والمدح سببا لحصول  
 مزيد السعادة للمادح والوجه الثالث وهو كلام اهل الظاهر  
 ان من صار محدوصا فيما بين الناس بسبب مكان له من الفضائل  
 فانه يصير ذلك المدح داعيا للمادح الى اكتساب مثل تلك الفضائل  
 التأويل الثاني لقوله واجعل لي لسانا صدوق في الآخرين انه سأل  
 ربه ان يحصل من ذرئته في آخر الزمان يكون داعيا الى الله تعالى  
 وذلك هو محمد عليه السلام التأويل الثالث قال بعضهم المراد  
 اتفاق اهل الاديان على حبه ثم انه تعالى اعطاه وذلك لانك  
 لا ترى اهل دين الا يحبون ابراهيم عليه السلام المطلوب الثالث  
 قوله وجعلني من ورثة جنة النعيم واعلم انه لما فرغ من طلب

مراتب السعادات في الدنيا طلب بعد سعادة الآخرة وهي جنة  
 النعيم وشبهها بما يورث وسند ذكر السبب في انه تعالى يسمى  
 الجنة ميراثا المطلوب الرابع قوله تعالى واغفر لي اني ان كان  
 من الصالحين والكلام فيه قد تقدم في الفصل الثالث من تفسير  
 قوله سلام عليك ساستغفر لك ربي المطلوب الخامس قوله نعم  
 ولا تخزني يوم يبعثون وفيه سؤالان الاول انه لما قال اولاً  
 واجعلني من ورثة جنة النعيم امتنع الخزي لانه من حيث حصلت الجنة  
 فقد زال الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني يوم يبعثون وايضا  
 قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فكان نصيب الكافر  
 فقط كيف يخاف منه الرسول المعصوم قلنا كما ان حسان الابرار  
 سيئات المقربين فكذلك درجات الابرار درجات المقربين وخزي  
 كل احد ما يليق به السؤال الثاني قوله يبعثون ضمير عن اي شيء جازا  
 انه ضمير العباد لانه معلوم وان لم يكن مذكورا وضمير الصالحين  
 واعلم ان في الآية وجوها من النكت الاول قيل معنى الآية  
 لا يظلمني يوم القيامة لصدق الخلة فلا نقل يا ابراهيم ادعيت  
 اني خليل الله فهات صدق الدعوى والنكته ان ابراهيم عليه السلام  
 لما خاف من هذا المقام افلا تخاف انما المذهب ان يطلب يوم  
 القيامة بحق الايمان والتوحيد كما قال ليسل الصادقين عن صدقهم  
 الثاني الخليل عزم لما قال ولا تخزني يوم يبعثون لم يظهر جوابه



في نص القرآن ثم ان الله تعالى اعطى هذا الامان لامة محمد م  
فقال يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه اما قوله الامن  
الى الله بقلب سليم اعلم ان الله تعالى اكرم بهذا الوصف حيث  
قال وان من شيعة لابرهم اذ جاء ربه بقلب سليم وفي تفسير  
القلب السليم وجوه الاول المراد منه سلامة القلب عن الجهل  
والاخلاق الذميمة كان سلامة البدن عبارة عن حصول ما ينبغي  
من المزاج والتركيب ومر منه عبارة عن زوال احد تلك الامور  
الثلاثة ان السليم هو الدفع من خشية الله الثالث السليم هو انه  
سلم واسلم وسالم واستسلم وهذه الاحوال كانت حاصلة  
لابرهم عليه السلام كما قال تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت  
لرب العالمين قال السبي رحمة الله القلب السليم كقلب الخليل  
كان يشير قلبه من جانب الحق الى الوفا ومن جانب الفوق الى  
الرضا ومن اليمين الى العطاء ومن اليسار الى ترك الهواء  
ومن القدام الى اللقاء ومن الخلف الى البقاء **الفصل السادس**  
في تفسير لند لال نوح عم قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام  
نقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا قال مقاتل ان قوم نوح  
لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعظم ارحام  
ناسهم اربعين سنة فجمعوا فيه الى نوح فقال نوح عليه السلام  
استغفروا ربكم من الشرك حتى يفتح ابواب النعمة واعلم بالاستغفار  
عليكم

بالايمان وسائر الطاعات سبب لافتح ابواب الخيرات ويدل  
عليه وجوه الحجج الاولى ان الكفر سبب لحراب العالم قال تعالى  
في صفة كفر النصارى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض  
وتخر الجبال هذا ان دعوا للرحمن ولدا الى قوله الا الى الرحمن عبدا  
فلما كان الكفر سببا لحراب العالم وجب ان يكون الايمان سببا لعمارة  
العالم **الحجة الثانية** الايات الدالة على هذا المعنى منها هذه الآية  
ومنها قوله ولوان اهل القرى امنوا واتقوا الفتحنا عليهم بركات  
من السماء والارض وقال ولوانهم اقلعوا التورية والانجيل وما  
انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال  
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفستهم فيه  
وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب  
وقال واهل هلك بالصلوة واصطبر عليها لانسالك رزقا خيرا  
نرزقك **الحجة الثالثة** انه تعالى ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه  
فاذا اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج اليه في الدنيا على  
سبيل التسمية **الحجة الرابعة** انه تعالى قال وما خلقت الجن والانس  
الا ليعبدون بين انك مخلوق لاجل عبادته ثم قال خلق لكم ما  
في الارض جميعا فبين ان جميع الارض مخلوق لخدمته انه تعالى قال  
او فوا بعهدي اوف بعهديكم فلما اوفيت بعهدي العبودية فهو  
المراد بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا بد وان ينفي الحق



بعهد الربوبية فهو المراد بقوله خلق لكم ما في الارض جميعا الحجة  
الخامسة روى ان عمر رضي خرج يستسقي فمأزاد على الاستغفار فقل  
له وما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجارح  
السماء المخرج ثلاثة كواكب مخصوصة ونوه يكون عزير اشبه عمر  
الاستغفار بالانواء الصادقة لأنه لا يخطئ الحجة السادسة ان قوله  
يرسل السماء عليكم مدرارا يحتمل ان يكون المراد منه انزال الغيث  
والمطر على ما هو ظاهر اللفظ ويحتمل ان يكون المراد منه فتح ابواب السماء  
بامطار التوفيق والهداية والارشاد ويجب حمل اللفظ عليها جميعا  
اما الاول فما روى ان الحسن جاءه رجل وشكى الجذب فقال استغفر  
الله وشكى اليه اخر من الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه  
فامر الكل بالاستغفار فقال له بعض القوم انك رجال يشكون اليك  
انواعا فامرت الكل بالاستغفار فتلا هذه الآية واما الثاني فروى  
عن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلم استغفارا اقلهم  
ذنوبا وتحقيقه من جهة العقل ان الاستغفار اذا قوى على الرفع بعد  
الثبوت فلا يبقو على الرفع والمنع كان اولي فان قيل لم قال  
انه كان غفارا ولم يقل انه الآن غفار اقلنا المراد منه انه كان غفارا  
في حق كل من استغفره كانه قال تعالى لا تطعنوا ان غفاريته انما حد  
الآن بل هو ابداهكذا فكما ان حرقتم هذا الذنب والمعصية  
فلا جرم فكذا حرقته هو الغفاريته قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا

واعلم

واعلم ان الخلق محبوبون على محبة الخيرات العاجلة ولذلك قال تعالى  
واخرى تخبونها نضر من الله وفتح قريب لا جرم علمهم الله تعالى  
ان ايمانهم بالله يجمع مع الحظ الوافق في الاخرة الحظ والفضل  
في الدنيا والاشياء التي وعدهم من منافع الدنيا في هذه الآية خمسة  
اولها قوله يرسل السماء عليكم مدرارا وفي السماء وجوه الاول  
ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض الثاني  
ان المراد بالسماء هو السحاب الثالث المراد بالسماء المطر من قوله اذا  
نزل السماء بارض قوم والمدار الكثير الدور ومفعال مما  
يسوى فيه المذكور والمؤنث كقولهم رجل وامرأة معطار ومنقل  
والنعم الثانية قوله ويمدكم باموال هذا لا يختص بنوع واحد  
من المال بل يعنى الكل الثالثة قوله وبنين ولاشك ان  
كثرة الاولاد الذكور سبب لبقاء الذكر والشهادة الظاهر والنعم  
الرابعة قوله وجعل لكم جنات اي اليساين والنعم الخامسة  
قوله ويجعل لكم انهارا فبدأ ذكر هذه النعم بانزال الماء من السماء  
وختمها باخراج الماء من الارض والسبب فيه اننا بيننا ان تولد  
النعم في هذا العالم انما يكون بنزول الماء من السماء الى الارض  
واعلم انه تعالى لما امرهم بالاستغفار ووعد على الاستغفار بهذه  
المنافع أكد ذلك وعقب فيه فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا  
وفيه وجوه الاول ان يكون التقديم ما لكم لاملون من الله وقارا



وتعظيما بفعله في حقكم كان القوم لما قيل لهم انكم من استغفرتم الله اعطاكم هذه النعم الكثيرة والقوم استبعدوا ذلك فقالوا كيف ان يعطينا هذه النعم العظيمة بمجرد الاستغفار فاجيبوا بقوله مالكم لا ترجون لله وقارا اي مالكم لا ترجون من الله ان يفعل في حقكم بهذا التوفير والتعظيم مع ان فعله في حقكم ما هو اعظم واجل منه وهو انه خلقكم اطوارا الثاني ان القوم كانوا يبالغون في الاستخفاف بنوح عليه السلام فامر الله بتوقيفه وترك الاستخفاف فقبل لهم انكم اذا قرعتم نوحا كان ذلك لاجل الله ثم مالكم لا ترجون لله وقارا يا تون به لاجل الله فانه لا بد وان يرجوا منه خيرا الوجه الثالث وهو ان يكون المراد من الوقار الحلم وترك التعرض والمعنى مالكم لا تاملون ان تترك الله معاجلتكم بالعذاب بحلمه ولطفه وبمهلككم لتؤمنوا وقوله لله لبيان من ثبت له الوقار الوجه الرابع ان الوقار هو الثبات من وقرا ذنبت واستقر فكانه قال مالكم وعند هذا تم الكلام ثم قال على سبيل الاستهزام بمعنى الانكار لا ترجون لله وقارا اي لا ترجون لله ثباتا وبقائه فانكم لو رجوتم ثباته وبقائه لحقتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف برسله واوامره والمراد من قوله ترجون اي يعتقدون لان الرأى للشيء معتقده ثم انه تعالى لما امر في هذه الآية بتعظيم الله استدلل على التوحيد بوجوده من الدلائل للحجة الاولى حجة مأخوذة

من الانفس وهي قوله وقد خلقكم اطوارا وفيه وجهان الاول قال البت الطور المتارة يعني حال البعد حال فانه كان ترابا او لاشم نطفة ثم علقه ثم مضغه الثاني قال ابن الانباري الطور الحال والمعنى خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضهم بعضا كما قال واختلاف السننكم والوانكم واعلم انه قد خلق البشر بحيث لا يشبه بعضهم بعضا في الصورة والحكمة وفيه لانه لو حصلت التشابه لمحصل التشابه فما كان يتميز زوج هذه المرأة عن لم يكن زوجها ولا عبد هذا الانسان من عبد غيره وحينئذ لا يتميز الحلال عن الحرام والمستحق عن غير المستحق وذلك يفضي الى زوال المصلح وحصول المفاسد فلهذا السبب اقتضت الحكمة الالهية تخصيص كل شخص بصورة مخصوصة معينة ثم انه من اعظم الدلائل على القادر المختار لان الاب والام وتاثير الطبايع والنجوم والفلوك واحد ثم يكون مع هذا التشابه والتساوي يكون كل واحد منهم مختصا بصورة مخصوصة معينة فهذا لا يكون الا بتاثير القادر المختار وروى ان واحدا استعظم امر الشيطان عند عمر رضي الله وقال انه رقعة مختصرة ثم انه يقع فيه انواع غير متناهية من اللعب فقال عمر رض رقعة الوجه اصغر من رقعة الشيطان وكل عضو من اعضاء الوجه موضع معين من الوجه لا يتغير عنه فان العين لها موضع معين وكذلك الانف والفم ثم مع هذا يقع فيه



من الاختلاف ما لا نهاية له فانك لا ترى انسانين في المشرق والمغرب  
يتماثل صورتهم من كل الوجوه وهذا يدل على كمال قدرة الله وعلمه  
وحكمة الحجة الثانية على التوحيد حجة مأخوذة من الافاق  
وهو قوله تعالى الم تر و كيف خلق الله سبع سموات طباقا جعل  
القم فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واعلم انه تعالى ثلاثة بديا بدلائل  
الانفس وبعدها بدلائل الافاق كما في هذه الآية وذلك لما ذكرنا  
ان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه فلا جرم بدأ بالاقرب فالاقرب  
لان الاقرب اعرف وتارة بداء بدلائل الافاق ثم بدلائل الانفس  
اما لان دلائل الافاق اشرف اشهر واعظم اولانها اشرف واعلم  
ان هذا في الحقيقة دلائل ثلاثة اولها للسموات السبع الطباق وقد  
تقدم في الباب المتقدم كيفية دلالتها على الصانع المختار وثانيها  
كون القمر نورا وثالثها كون الشمس سراجا وانما وصف الشمس  
والقمر بانواع من الصفات الصفة الاولى ذكر كون القمر نورا  
والشمس سراجا في آيات احديها في هذه الآية وقال في يونس  
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل الآية  
وقال في الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل  
فيها سراجا وقمر اميرا واعلم ان الاستقراء يدل على ان احوال  
هذا العالم مختلفة بحسب اختلاف انوار الشمس والقمر فليبين  
ذلك في الشمس اولانهم في القمر ثانيا اما في تأثيرات انوار الشمس

في هذا العالم

في هذا العالم فمن وجوه الاول التأثيرات الحاصلة بسبب اليوم  
والليلة وذلك لاننا نرى جميع الحيوانات نور الحيوة وكان طلوع  
الشمس نفخ في ابدان الحيوانات قوة للحيوة وكلما كان طلوع هذه  
النور اكثر كان ظهور قوة للحيوة في الابدان الحيوانية اكل ثم  
كلما طلع قرص الشمس بالتمام ترى الناس وسائر الحيوانات يستدرون  
بالحركة والقوة والاشتداد ومادامت الشمس صاعدة الى وسط سماها  
كانت حركتهم في الزيادة والقوة فاذا مالت الشمس عن وسط السماء  
اخذت حركاتهم وقواهم في الضعف ولا يزال يتزايد ذلك الضعف  
الى زمان غيبوبة الشمس وكلما ازدادت غيبوبة الشمس ازداد  
الضعف والفتور والنقص في الابدان الحيوانية وفي القوى  
المدركة والحركة ورجعت الحيوانات الى بيوتها وحجراتها كالمية  
المعدومة فاذا طلعت الشمس عليهم في اليوم الثاني رجعوا الى  
الحالة الاولى من الحيوة وقوة الحركة الوجه الثاني في تأثيرات  
الشمس بحسب حركاتها اليومية وبيانها لو كانت واقفة في موضع  
واحد لاشتدت التخنون في ذلك الموضع واشتد البرد في سائر  
المواضع ولكنها بطلع في اول النهار من المشرق فمقع ما يحاذيها  
من جانب المغرب ثم لا يزال يدور ويفتح جهة بعد جهة حتى  
ينتهي الى طرف المغرب فيشرق حينئذ على الجوانب الشرقية حينئذ  
لا يبقى موضع مكشوف في الشرق والغرب الا ويأخذ حظا



من شعاع الشمس الوجه الثالث في تأثيرات الشمس بحسب الفضول  
 الاربعة وبيانها وهو انه لو لم يكن للشمس حركة في الميل لكان تأثيرها  
 مخصوصا بمدار واحد وكان سائر المدارات تخلو عن المنافع الحاصلة  
 منه وكان يبقى كل واحد من المدارات والجنوبية والشمالية على كيفية  
 واحدة فان كانت حارة افنت الرطوبات واحالتها كلها الى النار  
 ولم تكون المنولدان فيكون الموضع المحاذي لمر الشمس على كيفية  
 الاحراق والبعيد عنه جدا على كيفية متوسطة فيكون في موضع  
 صيف دائم يوجب الاحتراق وفي موضع شتاء دائم يوجب الجود  
 والتجبر وفي موضع ربيع دائم او خريف ولا يتم فيه النفع اما  
 اذا حصل للشمس ميل تارة الى الجنوب وتارة الى الشمال حصلت  
 في كل بقعة من بقاع الارض هذه الفصول الاربعة التي هي معينة  
 على النشوء والنماء وحصول مصالح الحيوانات والنبات الوجه الرابع  
 في تأثيرات حركة الشمس من حيث انها يتم الدورة في سنة واحدة  
 وذلك لاننا لو قدرنا ان الشمس يتحرك حركة بطيئة لكان هذا  
 الميل قليل النفع وكان التأثير شديد الافراط وكان يعرض  
 فربما لم يلزم له ميل ولو كانت حركتها اسرع من هذه المنافع  
 لما كملت المنافع وماتت فاما اذا كانت هذه الحركة لا في غاية  
 السرعة ولا في غاية بطء حصلت المنافع المذكورة والمصالح المذكورة  
 الوجه الخامس في تأثيرات الشمس بحسب قربها من سمت الرأس

وبورها

اصلة

وبعد ها عنه اعلم ان كل موضع يكون الشمس بعيدة جدا عن سمت  
 الرأس يشتد البرد فيه وهو ميل الموضعين اللذين تحت القطبين  
 فانه لا يتكون هناك حيوان ولا ينبت فيه نبات من شدة البرد  
 ويكون هنا ستة اشهر نهارا وستة اشهر ليلا ويكون هناك  
 رياح عاصفة جدا وتلوج متوالية ويدل عليه البحر الارمني فانه  
 اقرب الى مدار الشمس من الموضع المذكور بقرب مع انه يشتد  
 فيه الرياح العواصف ويشتد ظلمة حتى انه لا يمكن ركوبه لشدة  
 برده وظلمة ويستدل عليه ايضا ببحر الشام فانه اذا حصلت الشمس  
 في اوائل العقب الى ان يحصل في اول الخوت ففي هذه الاشهر الاربعة  
 لا يستطيع الناس ركوب هذا البحر الوجه السادس في تأثيرات  
 الشمس في احوال الحيوانات بحسب قواها من سمت الرأس <sup>بعدها</sup>  
 عنه اعلم ان الاستقراء يدل على ان السبب الظاهر لاختلاف  
 الناس في اجسامهم والوانهم واختلافهم وطبايعهم وسيرهم اختلاف  
 احوال الشمس في الحركة وذلك لان الناس ثلثة اقسام احدها  
 الذين يسكنون خط الاستواء الى محاذاة ممر رأس السرطان  
 وهم يسمون بالامم العام السود ان لان الشمس يمر على سمت  
 رؤسهم في السنة اقامة او مرتين فتحرقهم وتسود ابدانهم  
 وشعورهم والذين يسكنهم في غايه القرب من خط الاستواء هم  
 الرنج والهبشة والشمس لقوة تأثيرها في مساكنهم يحرق شعورهم

بكثير



ونسودها وتجعلها جعدة كثيفة وتجعل وجوههم قحلة وجنتهم  
عظيمة واخلاتهم وحشية واما الذين مساكنهم اقرب الى محاذات  
ممر رأس السرطان فالسواد فيهم اقل وطبايعهم اعدل واخلاتهم  
ايسر واجسامهم اوصف كاهل الهند واليمن وبعض المقاربة  
وكل العرب والقسم الثاني الذين مساكنهم على ممر رأس السرطان  
الى قريب من محاذات بنات النعش الكبرى وهم سيمون بلم العام  
البيضان منهم كاهل ان الشمس لانسامت رؤسهم وايضا لا يبعد  
عن مسامتة رؤسهم بعدا كثيرا لم يعرض لهم شدة من الحر والبرد  
فلا جرم صارت الوانهم متوسطة ومقادير اجسامهم معتدلة  
واخلاتهم حسنة كاهل الصين والترك وخراسا والعراق وقار  
والشام ثم هؤلاء كل من كان اميل منهم الى ناحية الجنوب كان  
اتم في الذكاء والفهم لقربهم من منطقة البروج وممر الحركات  
المتحركة ويكون حركاتهم البقية بحركات الكواكب السيارة في السرعة  
والخفة ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق منهم اقوى نفسا  
واشد تذكيرا لان المشرق يمين الفلك لان الكواكب تطلع منه  
والانوار من جانبه تظهر واليمين لاشك انه اقوى ومن كان  
الى ناحية المغرب منهم البن نفسا واشد تأثيرا واكثر كتمانا للامور  
والقسم الثالث الذين يكونون مساكنهم محاذية لبنات النعش  
الصغرى وهم الصفالية والدوس فانهم لكثرة بعدهم عن ممر البروج

وحارة الشمس صار البرد عليهم اغلب والرطوبة الصقلية اكثر  
لانه ليس هناك من الحرارة ما ينشئها فكذلك صارت الوانهم بيضا  
وشعورهم بسيطة شفرة وابدانهم عظيمة رخصه وطبايعهم  
مايلة الى البرودة واعلم ان كل واحد من هذين الطرفين  
وهم اقليم الاول والسابع يقبل فيه العمران وينقطع بعضه على  
بعض لغلبة الكيفيتين الفاعلتين ثم لا يزال يزداد الحرارة في  
الاقليم الثاني والسادس والخامس ويقبل الخراب فيها واما الاقليم  
الرابع فانه متواصل العمارات قليل الخراب وذلك لفضل الوسط  
على الاطراف باعتماد المزاج الوجه السابع في تأثير ان الشمس  
محب قربها وبعدها من الارض اعلم ان المواضع التي تسامتها  
حضيض الشمس منى البراري الجنوبية وهي محروقة نارية لا يتكون  
فيها حيوان البتة واما البلاد المقاربة لتلك المواضع فسكانها  
كلهم سود اللون على التفصيل الذي ذكرناه واما المواضع التي تسامتها  
اوج الشمس فهي في جانب الشمال وهي غير محروقة بل معتدلة  
واعلم ان التفاوت الحاصل بسبب قرب الشمس من الارض في  
الحضيض وبعدها من الاوج ليس بكثير بل قليل ثم ان سبب  
التفاوت القليل صار الجنوب محترقا فاعلمنا بهذا ان الشمس  
لو صارت الى الفلك الثابت لفسد الطبايع من شدة البرد ولوانها  
انحدرت الى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية فلهذا الحكمة



جعل الباري جل ثناؤه الشمس وسط الكواكب السبعة ليكون  
بحركتها المعتدلة وقربها المعتدل سعي الطبايع والمطبوعات  
في هذا العالم على حد الاعتدال وأما أهل الأقليم الأول فلاجل  
قربهم من حضين الشمس كانت سخونة الهواء بهم شديدة فلاجرم  
هم أكثر سوادا لأن تأثير الشمس فيهم وأهل الأقليم الثاني سمر الألوان  
وأما الأقليم الثالث والرابع فاعدل الأقليم مزاجا بسبب اعتدال  
الهواء وايضا فغاية ارتفاع الشمس انما يكون عند كونها في ابعد  
بعدها عن الارض فلاجرم صار أهل هذا الأقليم معدنا للأشخاص  
الفاصلة والصور الجميلة وأما الأقليم الخامس فسخونة الهواء  
هناك أقل من الاعتدال بقدر يسير فلاجرم صار في حيز البرد  
والثلوج وصارت طبايع أهلها أقل نضجا من طبايع أهل الأقليم  
الرابع إلا أن بعدهم عن الاعتدال قليل وأما أهل الأقليم السادس  
والسابع فاهلها محروسون ولغلبة البرد والرطوبة عليهم شد  
بياض الوانهم وزرقة عيونهم وعظمة وجوههم واستدارت  
فقد ظهر أن صور الناس واشكالهم انما يختلف بحسب اختلاف  
احوال الشمس فهذا اشارة الى كيفية تأثيرات الشمس وأما القمر  
فتأثيراته من وجوه الأول اننا نرى ابدان الحيوانات في وقت  
زيادة ضوء القمر يكون اقوى واسخن وبعد الامتلاء يكون اضعف  
وابرد ويكون الاختلاط اليه في بدن الانسان ما دام القمر زائدا

مختار  
في

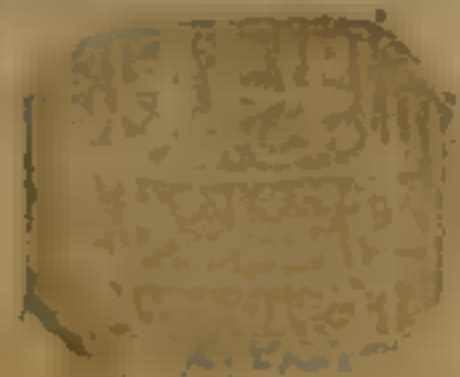
في ضوءه فانها يكون ازبد ويكون ظاهر البدن أكثر رطوبة وحسنا  
فاذا نقص ضوء القمر تناقصت هذه الاحوال الثاني ان التجارب  
الطبية دلت على ان احوال الحيوانات مرتبطة باحوال زيادة  
ضوء القمر ونقصانه الثالث انه يكثر البان للحيوانات في النصف  
الاول من الشهر ويتناقص في النصف الثاني الرابع ان الانسان  
اذا نام في ضوء القمر حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل  
ويهيج عليه الزكام والصداع واذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة  
تحت ضوء القمر تغيرت طعومها وروائحها ولاصحاب التجارب  
اعتبارات كثيرة من هذا الباب وبكفيها هذا القدر في بيان منفعة  
كون الشمس ضياء والقمر نورا فان قال قائل ظاهر كلامكم في هذا  
الفصل مشعر في ان المؤثر في احوال هذا العالم هو الشمس والقمر وكلامكم  
في الابواب المتقدمة مرجح في ان المؤثر هو قدرة الله تعالى  
فكيف للجمع بين القولين **الجواب** اليس اننا نقول الخبز مشبع  
والماء مروي وان كنا نعتقد ان خالق الشبع والري هو الله  
فكذلك اليس انه تعالى قال هو الذي خلق الموت والحياة وقال  
والذي يميتني ثم يحييني وقال الله يتوفى الانفس حين موتها  
ثم قال قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال اذا جاء احدكم الموت  
توفته رسلنا فخذول الموت والوفاء منسوبة الى الله بالخلق  
والايجاد ومنسوب الى ملك الموت بالامر لا يقبض الارواح



ومنسوب الى اتباع ملك الموت لاجل انهم يباشرون اعمالا اجري  
الله عادة مخلق الموت عقيبها فكذلك هم هنا الله تعالى اجري عادة  
بخلق الحوادث المختلفة بحسب قرب الشمس وبعدها فلك الحوادث  
منسوبة الى قدرة الله بالخلق والايجاد ومنسوبة الى الشمس على سبيل  
اجراء العادة الصفة الثانية من صفات الشمس والقمر كونها  
مستخرقة قال تعالى في الاعراف ان ربكم الله خلق السموات والارض  
في ستة ايام الاية وقال في الرعد الله الذي رفع السموات بغير  
عمد ترونها الاية وقال في الروم خلق السموات والارض بالحق  
الاية واعلم ان لهذا السجى من وجوه الاول انها مع غايه ثقلها  
بقيت في جو السماء وذلك لا يكون الا بتسخير الله تعالى وحفظها  
في جو الهواء الثاني انها مستخرقة بالاستدارة على نهج واحد لا يقع  
في كل الحركات اختلافا بالبطؤ والسرعة وبالرجوع والاستقامة  
ولا بالارتفاع والانخفاض بل لكل واحد منها سبيل مقدور ونهج مقدر  
وجهة مقدره وذلك لا يكون الا بتسخير مستحق وتقدير مقدر هو  
سبحانه وتعالى يقول الظالمون علوا كبيرا واعلم ان العقول قاصرة  
عن معرفة منافع ما لكل واحد من الكواكب وفي كل واحد منها من القرب  
والبعد والحركة والجمية ولكن العقل انما دل على بعض المنافع والحكم  
وجب ان يقاس الباقي عليه فيقطع بان الله تعالى في كل واحد منها حكما  
مخفية واسرار مطلوبة لا تنصل اليها عقول الخلق ولا ينتهي الى مباديها

افهام الملائكة المقربين فضلا عن افهام البشر ويكون الغاية  
القصوى لنا ان نعترف بجلاله خالقها وكما لحكمة مدبرها  
كما قال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار  
الصفة الثالثة كون القمراية الليل والشمس اية النهار قال  
تعالى في بني اسرائيل وجعلنا الليل والنهار آية وقال في سورة  
يس والشمس تجري لمستقر لها الى قوله كل في فلك يسبحون فلهذا  
الآيات دالة على ان سيرها وحركتها بحركة الغير وعلى ان هذه الحركات  
ينتهي بالآخرة الى الانقطاع والسكون فغاية كل محرك سكون  
ونهاية كل متحرك ان لا يكون وهذا الذي حكم بان الشمس والقمر  
لا يدرك كل واحد منهما صاحبه انما يكون الآن فاما عند نهايتها  
الى الانقطاع فهناك يجتمعان كما قال في سورة القيامة فاذا برق  
البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر فتأمل الآن في ضوء هذه  
الكواكب ثم اعرف زوال الضوء عنها في العاقبة كما قال تعالى اذا  
الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وتامل الآن في حركاتها  
الجمية ثم اعرف انتهاء حركاتها الى السكون كما قال تعالى كل يجري  
لاجل مستمى الآهو العزيز الفقار فهذا جملة الكلام في صفات  
الشمس والقمر الحجة الثالثة قوله تعالى والله انبئكم من الارض  
نباتات ثم يعيدكم ويخرجكم اخرجاء واعلم انه تعالى رجع ههنا الى  
دلائل الانفس وهو كالتفسير بقوله خلقكم اطوارا فانه تعالى

حكمة بالغة تح





فانه تعالى بين انه خلقهم من الارض ثم يردهم اليها ثم يخرجهم منها  
مرة اخرى واعلم ان كيفية خلق الانسان من التراب سيأتي شرحها  
في باب خلق الانسان واعلم ان قوله انبتكم من الارض نباتا  
بحثان الاول في معنى هذه الالة وجهان الاول معنى قوله انبتكم من  
الارض اي انبت الاله الاول من الارض وهو آدم عليه السلام  
والثاني انبت الكل من الارض لانه تعالى انما يخلق البشر من النطفة  
والنطفة متولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولدة  
من الارض البحث الثاني كان ينبغي ان يقال انبتكم من الارض  
نباتا لكنه لم يقل ذلك بل قال انبتكم من الارض نباتا والمعنى انبتكم  
من الارض نباتا والمعنى انبتكم من الارض فنبتم نباتا وفيه  
دقيقة لطيفة وذلك لانه انما ذكر هذا لستدل على اثبات الصانع  
والاثبات صفة الله وتخليقه وصفة الله تعالى غير محسوسة فلا يمكن  
الاستدلال بهاعلى وجود الصانع اما النبات صفة المخلوق  
وهي مشاهدة محسوسة فيمكن الاستدلال بهاعلى وجود الصانع  
فكان العدول من لفظ النبات الى لفظ النبات بهذه الدقيقة  
اللطيفة الحجة الرابعة قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا  
واعلم ان شرح صفات الارض قد تقدم فلا يفيد **الفصل**  
**السابع** في شرح مناظر موسى مع فرعون في اثبات الصانع  
المختار سبحانه واعلم اننا قبل الخوض في شرح تلك المناظر

نقدم مقدما ما لا بد منها المقدمة الاولى ان كتب القصص  
ناطقة بان فرعون كان يدعي كونه خالقا للسموات والارض  
والنبات والحيوان حتى ذكروا ان ابليس معه ذهب الى دار فرعون  
منهوة المستراح ففرع الباب فقال من انت فقال ابليس وهل  
يخفى عليك رب الخلق ما وراء الباب فلما دخل عليه ابليس قال فرعون  
من شربنا قال ابليس انت قال لم قال لا في اطراف الشرق والغرب  
وكان منتهى امرى في آدم اتى قلت انا خير منه واما انت فمع نفسك  
وقصورك تقول انا ربكم الاعلى فكيف اكون شر منك ثم خاف  
ابليس ان يرجع فرعون عن طريقته بسبب هذه الواقعة فقال هل  
تعرف شرنا فقال لا فقال الذي يستعمل بعمل الاخرة في كسب الدنيا  
وامثال هذه الحكايات في كتب التفسير كثيرة واعلم انه بعد  
عندي ان يقال انه كان يدعي انه خالق السموات والارض والحيال  
والبحار والمعادن والنبات والحيوان ويدل عليه وجهان **الحجة الاولى**  
ان فرعون وقومه اما ان يقال انهم كانوا عقلاء او مجانين  
فان كانوا عقلاء امتنع منه ادعاء كونه خالقا للسموات والارض  
لان العلم بفساد ذلك ضروري وما كان كذلك امتنع وقوع الخلاف  
فيه بين العقلاء واما ان قلنا انهم كانوا مجانين فهذا باطل  
لوجود احدها لو كان الامر كذلك لما كان يليق بحكمة الله تعالى  
ارسال الرسول وانزال الكتب عليهم وكيف قال عليه السلام



رفع العلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يعق وعن  
النائم حتى يستيقظ والثاني وهو ان مناظر ان فرعون مع موسى  
يدل على انه كان في غاية الخيف والمكر والزها وذلك لا يليق  
بالجانبين الثالثة ان ضبط تلك الممالك وتسخر اولئك الاقوام  
الاكثرين لا ينافي الحجة الثانية ان ملك فرعون لم يتجاوز  
القيبط ولم يبلغ الشام والدليل عليه انه لما هرب موسى منه  
الى مدين قال له شعيب عليه السلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين  
ويقال انه ما كان بين مصر وبين مدين اثمانية ايام مع هذا  
القصور في ملك الدنيا كيف يجد العاقل من نفسه ان يدعى  
كونه خالق السموات والارض فثبت بما ذكرنا فساد هذا الكلام  
واجب القائلون بذلك القول بانه تعالى حكى عنه انه قال انا ربكم  
الاعلى وحكى عنه في سورة القصص انه قال فرعون يا ايها الملأ  
ما علمت لكم من الغي فادعي الربوبية في الآية الاولى والالهية  
في الآية الثانية ويدل ذلك على ما قلناه والجواب انا بيتنا بالدلائل  
القاطعة ان مثل ذلك الانسان اذا كان عاقلا لا يجوز ان يدعى  
كونه خالق السموات والارضين فلا بد من تأويل لفظ الرب  
ولفظ الاله فنقول الرجل اذا كان دهر بالعله كان يظهر القول  
بانكار الصانع وكان يقول الافلاك والكواكب واجبة الوجود  
لذواتها وهي الموثقة في حوادث العلم واذا كان كذلك فلا امر

ولاهني

ولاهني ولا ثواب ولا عقاب ولا رسول ولا تكليف ثم انه يجب  
على ملك البلد ان يقوم بتحصيل مصلح الرعية ويحجب على الرعية  
ان ينقادوا لاوامر ذلك فاذا كان الملك هو الذي يقوم بمصلحهم  
وبهم يتربسهم ويعين بشانهم كان رباهم ومرتباهم واذا كان  
هو مرتباهم ومنفعا عليهم وجب عليهم ان يكونوا منقادين لاوامره  
وتكاليفه ومقرفين بعبودية وعبادته واذا كان كذلك كان  
هو معبودهم والاله هو المعبود وكان مراده من ادعاء الربوبية  
والالهية هذا المعنى ويحتمل ايضا ان يقال انه كان من الصائبة  
وهم الذين يقولون الله البشر عبيد الكواكب والكواكب عبيد  
الاله الاكبر للعالم فلا جرم يجب على البشر عبادة الكواكب وعلى  
الكواكب عبادة الله والقائلون بهذا القول يستمرون بالمعصية  
وامحباب الوسائط وهذا القول اقرب والدليل عليه قوله  
حكايه عن قوم فرعون ويذكر والهلك فاشتوا الهة فها اما  
الكواكب واما الاصنام وعلى هذا التقدير فقوله انا ربكم الاعلى  
بمعنى انتم عبيد وتحت امرى وانا عبد الشمس والقمر وهما عبد الاله  
الاكبر وقوله ما علمت لكم من الغي معناه انا الحكم والهي هو  
الشمس والقمر هو الاله الاكبر فيرجع حاصل الكلام الى ان فرعون  
كان اما من الدهرية واما من الصائبية فاما ان يقال انه كان  
يدعى كونه خالق السموات والارض فهذا لا يفي بالعلل المقدمة الثانية

فلا يخفى اني باحد من العقلاء في



انه تعالى حكى عنه في القصص انه قال يا ايها الملاء ما علمت لكم من اله  
 غيري فاوقد لي يا هان ابن لي مرحا لعل ابلغ الاسباب اسباب  
 السموات فاطلع الى اله موسى واتى لاطنه كاذبا واعلم ان كثيرا  
 من اهل الآثار روى انه لعنه الله لما امر ببناء هذا الصرح وجمع  
 هامان لعماله حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والامراء  
 وامر بطبخ البحر والجبن ونجس الخشب وضرب المسامر فشيروا  
 ذلك الصرح حتى بلغ مبلغا لم يبلغه ببناء احد من الخلق فبعث  
 الله تعالى جبرئيل عليه السلام عند غروب الشمس فضرب بجناحيه  
 فقطعه ثلث قطع وقطع على عسكر فرعون فقتل الف  
 الف رجل وقطعة وقعت في البحر وقطعة بقيت منه دمة ولم يبق  
 احد من عماله الا وقد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون  
 ارتقى على ذلك الصرح ورمى بنشابه الى السماء فاراد الله ان يقتلهم  
 فرد النشابة اليه ملطوخة بالدم فقال فرعون عند ذلك قتل  
 اله موسى فعند ذلك بعث الله تعالى جبرئيل عليه السلام حتى  
 ضرب ذلك الصرح وفرغوا على هذه الحكايات وجوها كثيرة من  
 الكلام واعلم ان مثل هذا العمل لا يليق بالعقلاء ويدل عليه  
 وجوه الحجج الاولى ان فرعون وقومه لما كانوا من العقلاء  
 ولا شك انهم كثيرا ما يكونون في اعلى جبل يكون من اعلاه الى اسفله  
 فرسخ او فرسخين ثم ان كل احد يرى السماء من اعلى ذلك الجبل

ومن اسفله على قدر واحد من غير تفاوت البتة ومن المعلوم  
 ان وضع بناء يكون مقدار ارتفاعه في الهواء فرسخين كالمقذر  
 وبقتدير ان يحصل ذلك فانه لا تفاوت قدر السماء في الحسن  
 سبب الصعود على اعلاه ومنه كان كذلك فالعاقل العارف  
 بهذا الامر كيف يليق به ان يبنى الصرح حتى يصعد منه الى السماء  
 للحجة الثانية ان الذي يقال انه رمى السهم الى السماء فرجع  
 ملطحا فقال قتل اله موسى هذا ايضا من السخف الذي لا يليق  
 بالعقلاء وكيف يليق للعاقل ان يحاول اوصول السهم الى السماء  
 وبقتدير ان يفعل ذلك فكيف يمكنه ان يقتل اله السماء  
 بهذا القدر من العمل فلعل اله السماء يكون متسترا بحجاب  
 واصل السماء لا تصل اليه السهم تعالى الله عن هذه الاوهام  
 الفاسدة علوا كبيرا اما هذه الكلمات من احاديث العقلاء  
 في شيء واما هو من سخف ارباب الطامات الذين غرضهم  
 تشوش قلوب الاعيار من المستمعين وكلام الله تعالى منزله  
 عنه وعن امثاله ويصير امثال هذه الترهات مشعرا قويا لمن  
 اراد الطعن في القرآن بل الصواب عندنا في تفسير هذه الآية  
 ان هذا الكلام من تمه قوله ما علمت لكم من اله غيري وذلك  
 لان الرجل كان دهرتيا فقال لموسى عليه السلام هذا الاله الذي  
 تدعي وجوده غير مشاهد ولا محسوس ولا دليل ايضا على وجوده



فانه يكتفى لحدوث الحوادث الارضية بحركات الاجرام الفلكية واذا  
كان غير معلوم بالضرورة وبالدليل فكيف يمكن اثباته فهذا هو قوله  
من قوله ما علمت لكم من الله غيري ثم قال عند هذا الكلام على سبيل  
السخرية يا هاهنا ابن لي صرحا على ابلغ الاسباب اسباب السموات  
فاطلع الى الله موسى ومثل هذا الكلام لا يقال على سبيل التحقيق  
بل على سبيل الاستبعاد وبيان انه لا سبيل له ونظير قوله تعالى محمد  
عليه السلام فان استطعت ان تبغى نفقا في الارض او سبيلا في  
السماء فتأتيهم بآية وليس المقصود ببيان انه يجب عليه ان يفعل  
ذلك حتى تأتيهم بآية بل الغرض ببيان انه لا سبيل الى ذلك فكذا  
في هذه الآية فهذا من تفسيرها والله اعلم بمراده المقدمة الثالثة  
ان فرعون وان كان من المشركين بوجود الصانع باللسان ولكن  
من الناس من قال انه كان عارفا بقلبه بربه الا انه لعنه الله  
كان يظهر الانكار تكبرا وعنادا واصررا عليه بوجوه الحجج الاولى  
قوله تعالى حكايه عن موسى عليه السلام قال لفرعون لقد علمت  
ما انزل هو الا رب السموات والارض هو من نصب السماء  
في علمت كان هذا خطا بالموسى وم مع فرعون وهذا يدل على  
ان فرعون كان عارفا بربه الثاني قوله تعالى ومجدوا بها ولتفتنها  
انفسهم ظلما وعلوا وهذا صريح في المطلوب الثالث قوله تعالى في القصص  
في صفة فرعون وقومه وظنوا انهم البينا لا يرجعون وهذا يوم

انهم كانوا معترفين بالمبدء منكرين للمعاد الرابع انه قال  
فرعون وما رب العالمين قال موسى رب السموات والارض  
فقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب  
منه الماهية وهو ما يدرك ما يدل على الصفة الخارجية عن الماهية  
فان الخلاقية صفة خارجية عن الماهية وهذا يدل على ان فرعون  
ما نازعه في وجود الصانع بل كان يطلب الماهية الخامس لما قال  
من ربكما يا موسى اجابه موسى بقوله ربنا الذي اعطى كل شئ  
خلقه ثم هدى وقال اهل اللغة الذي كلمة يقتضى وصف العارف  
بجمل معلومة وهذا يدل على انه كان قد قرر عند فرعون ان الخلق  
والهداية لا بد لهما من قادر فاعل مختار السادس قوله في الاعراف  
ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك  
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل  
فالقوم لما قالوا للموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الرجز دل  
على انهم كانوا معترفين بوجود الاله تعالى الحجج السابعة انا قد  
دللتنا على ان فرعون كان عاقلا والاما حسن بعثة الرسول اليه  
ويوجب التكليف عليه ولما كان من العقلاء شهد تغير احواله  
في نفسه وبدنه وفي آياته واجداده بافتقاره الى صانع حكيم  
مدبر ولهذا قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن  
الله فهذا ما قيل في هذا الباب وبالجملة فقد كان كافرا عظيم الكفر



سواء كان كفر بسبب الجهل أو بسبب العناد ولما فرغنا من هذه  
المقدمات فلنرجع إلى المقصود ونقول إن سؤال فرعون عن  
موسى عم في اثبات الصانع على وجهين أحدهما أنه سأل  
عن الصانع بكلمة من والثاني أنه سأل عنه بكلمة ما أما السؤال  
بكلمة من فهو في صورة طه قال تعالى حكاية من ربكما يا موسى  
وأما السؤال بكلمة ما فهو في سورة الشعراء قال تعالى حكاية  
عن فرعون قال فرعون وما رب العالمين وقبل الخوض في التفسير  
لابد من الفرق بين السؤالين فنقول المطلوب بسؤال من التبيين  
الحاصل بسبب الصفات العرضية بعول من هذا الرجل فنقول في  
جوابه أنه فقيه عربي وما يجري مجرى هذه الصفات وأما المطلوب  
بسؤال ما فهو اليقين الحاصل بسبب الماهية ومقدما للحقيقة  
يقول ما هذا الشيء فيكون جوابه أنه جسم أو جوهر أو عرض أو غير  
ذلك إذا عرفت هذا فنقول علمنا بصفات الله تعالى من قدرته  
وعلمه وإرادته متقدم على علمنا بحقيقة ذاته المخصوصة ولكنه  
ماهية وذلك لأن العلم بكنه الحقيقة أما أن لا يحصل للبشر  
أو أن أمكن حصوله للبشر إلا أن هذه المرتبة يكون متأخرة عن العلم  
بقدرته وعلمه بل كنه حقيقة المخصوصة متقدم بالرتبة على صفاته  
لأن الذات موصوفة والموصوف متقدم على الصفة إلا أن المحكى  
في القرآن هو كيفية التوسل بالدلائل إلى معرفة الله وإذا كان

كذلك

كذلك كان السؤال بمن متقدما على السؤال بما فلا جرم راعى الله في  
هذا الترتيب فذكر السؤال بمن في سورة طه وذكر السؤال بما  
في سورة الشعراء وهذا شيء عجيب ولقد ذكر البحث عن هذين الموضوعين  
الموضوعين الأول قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى  
وفيه سؤالات الأول لم قال فمن ربكما يا موسى ولم يقل فمن  
الهكما الجواب لأنه أثبت نفسه رباً لموسى وهو قوله الم نربك  
فيناوليدا فذكر على سبيل التعجب كأنه قال أنا ربك فلم تدعي رباً  
آخر وهذا الكلام يشبه بكلام عزود وذلك لأن إبراهيم عم  
لما قال ربني الذي يحيي ويميت قال عزود أنا حيي وأميت ولم يكن  
الأحياء الذي ذكره شبيهاً بالأحياء الذي تمتك به إبراهيم عم  
الآن في اللفظ فكذلك ههنا لما ادعى موسى عم ربوبية الله تعالى  
ذكر فرعون كونه رباً لموسى وما كان بين الربوبية التي ذكرها  
موسى وبين الربوبية التي ذكرها فرعون مشابهة الآن اللفظ  
السؤال الثاني أن فرعون طول المناظرة في سؤال ما ولم يطول  
في سؤال من فما الفرق الجواب ما ذكرنا أن المطلوب في سؤال من  
معرفة الصفات وهذا مقام واضح ليس فيه من الشبهات كما قال في  
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فلا جرم  
ترك فرعون فيه التحويل أما المطلوب بسؤال ما فهو كنه الماهية  
وذلك مقام صعب كما قال تعالى وما قدر والله حق قدره فلهذا الب



طولا المناظرة فيه السؤال الثالث ان فرعون قال بعد هذا الكلام  
 فما بال القرون الاولى واى تعلق بهذا الكلام بما قبله ثم ان موسى  
 اجاب عنه بقوله قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى  
 ثم عاد مرة اخرى الى ذكر دلائل اثبات الصانع وهو قوله الذى  
 جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا فكيف وقع ذلك  
 الكلام الاجنبى في البين للجواب قد بينا ان الدلائل الدالة  
 على اثبات الصانع وقدرته وعلمه وحكمته في غاية القوة والظهور  
 ولا يمكن القاء شبهة من الشكوك والشبهات فيه فلما طال به فرعون  
 بسؤال من كان جوابه في غاية الظهور وعجز فرعون عن القاء  
 الشكوك والشبهات فيه فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام وشغله  
 من كلام اجنبى عنه لئلا يظهر قوة كلامه فيسأله عن توارخ  
 المتقدمين فيعرف موسى عدم ان غرضه تشوش ذلك الكلام  
 عليه فلم يلتفت اليه بل دفعه بقوله قال علمها عند ربى في كتاب  
 لا يضل ربى ولا ينسى يعنى لا فائدة لنا في هذا السؤال وهذا الجواب  
 ثم رجع الى تقرير الكلام الاول فقال الذى جعل لكم الارض  
 مهدا فتأمل هنا في سعي المبطلين في اخفاء الحق وانظر الى قوة  
 قلب المحققين وعدم التفاتهم الى لغوهم وجهلهم ومن انصف  
 علم ان كل آية من هذا الكتاب الكريم معجز ظاهرة فضلا عن كل  
 هذا الكتاب السؤال الرابع ما وجه دلالة قوله ربنا الذى اعطى

كل شئ خلقه ثم هدى على وجود الصانع الجواب اعلم ان هذا  
 الدليل هو الذى حكاه الله تعالى عن ابراهيم في قوله الذى خلقني  
 فهو يهدين وهو الذى ذكره الله تعالى لمحمد في قوله سبح اسم  
 ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر هدى وتقدير  
 هذا الدليل على سبيل التفصيل ان الخلق عبارة عن تركيب القوابل  
 والابدان والهداية عبارة عن ابداع القوى المدركة والحركة  
 في تلك الابدان وخلق جوهر الابدان مقدم على ابداع القوى  
 فيها ولذلك قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية  
 للقالب ونفخ الروح عبارة عن ابداع القوى فيه وقال ولقد  
 خلقنا الانسان من سلاله من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا  
 اخر فظهر ان الخلق مقدم على الهداية فلهذا المعنى قدم الله تعالى  
 الخلق في الذكر على الهداية فلهذا المعنى قدم الله تعالى الخلق في الذكر  
 على الهداية ثم اعلم ان الشروع في شرح عجائب حكمة الله تعالى  
 في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له ومن اراد تصنيفها  
 مشتملا على جميع تلك الوجود فذلك التصنيف هو جميع عالم الالام  
 والارواح اما عالم الاجسام فخذ من اعلى سطح العرش الى اقل  
 سطح تحت الشرى وغرض بفكرنا في كل ذرة من ذراتها فانك  
 تجد تلك الذرة في دلالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمة بحر الاحاط  
 له فمن ذا الذى يمكنه ان يعرف تمام حكمة الله تعالى في خلقه



جناح بعوضه ومن الذي يمكنه ان يعرف كيفية تخليقه لبدن  
البعوضة فتركيب اعضاءه وتاليه ابعاضه وتاليه العظام  
والعروق والاعصاب ونفخ الروح فيه وابداع الحواس الخمسة  
والذهن فاذا عجز عقلك عن معرفة البعوضة فابن انت من  
معرفة الخلق والهداية وفي اجزاء السموات والارض تعالى خلق  
السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم اذا عرفت ضعف عقلك  
في عالم الاجسام فانقل منه الى عالم الارواح واعرف ان عالم  
الاجسام في عالم الارواح كالقطرة في البحر فكيف يمكنك تفصيل  
عالم الارواح مع انك عاجز عن معرفة روحك حيث قال وما  
اوتيتم من العلم الا قليلا فعند هذا شاهد عجزك وقصورك  
عن معرفة اقل الاشياء وعن الاحاطة باقل شاهد من شواهد  
جلال الله ولائيل قدس الله وعزته وهذا اخر مقام الصديقين  
كما قال ولوان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده الانية  
وان اردت امثلة هذا المعنى فتأمل في الابواب الانية المشتملة  
على عجائب خلق السموات والارض والشمس والقمر في الابواب  
المقدمة المشتملة على عجائب خلق الانسان والحيوان والنبات  
اما السؤال الثالث وهو السؤال على ما ذكره الله تعالى في سورة  
الشعراء ففيه اسرار واعلم ان هذا البحث لا يمكن الا بتقديم  
مقدمة عقلية وهي ان اذا كانت حقيقة من الحقائق مجهولة

فتعريفها اما ان يكون بنفسها او بما يكون داخل فيها او مقومها لها  
او بما يكون خارجا عنها والحقايق او بما يتركب من القسمين  
اعني الامور الداخلة والامور الخارجة اما تعريفها بنفسها في حال  
لان المعرفة معلوم قبل المعرفة فتعريف الشيء بنفسه يقتضي تقدم  
الشيء على نفسه وهو محال واما تعريف تلك الحقيقة بالامور الداخلة  
في قوام الماهية فهذا في حق واجب الوجود محال لوجهين الاول  
ان هذا انما يتأتى في الحقيقة التي يكون مركبة من اجزاء القوام  
وذلك في حق واجب الوجود محال لان كل مركب فهو محتاج  
الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غير فكل مركب  
هو مفقود في غيره وكل مفقود في غيره فهو ممكن لذاته فمالين يمكن  
لذاته فهو غير مركب من الاجزاء واذا لم يكن مركبا من الاجزاء  
فانه يمتنع تعريفه باجزائه الثانية ان بتقدير ان يكون واجب الوجود  
مركبا من الاجزاء الا ان اجزاء ماهية غير معلومة فيمتنع تعريفه  
باجزائه ولما ثبت فساد هذين القسمين ثبت انه لا يمكن تعريف  
واجب الوجود الا بلوازمه واثاره ثم ان تلك اللوازم والاثار  
قد يكون خفية وقد يكون جلوية ولا يجوز تعريف الحقائق باللوازم  
الخفية بل لابد من تعريفها باللوازم الجلوية واظهار اثار واجب  
الوجود نتائج قدرته وحكمته هو هذا العالم المحسوس وهو  
السموات والارض وما بينهما اذا عرفت هذه المقدمة فنقول



ان فرعون لما سأل موسى بسؤال من في قوله من ربكم يا موسى  
 فوجد كلام موسى في غاية القوة عدل عن ذلك السؤال الى سؤال  
 اخر وهو السؤال بما لان الجواب عن هذا السؤال في غاية الصعوبة  
 ويمكن القاء الشبهة فيقال ومارب العالمين فقال رب السموات  
 والارض وما بينهما ان كنتم موقنين والمعنى انكم لما سئلتهم في الجواب  
 عن السؤال الاول وهو السؤال بلفظة من وجوب انتهاء هذه  
 المحسوسات الى موجود واجب الوجود لذاته وثبت ان واجب الوجود  
 لذاته فرد مطلق منزّه عن الكثرة في حقيقة وماهيته وثبت  
 ان الفرد المطلق المنزّه عن الكثرة من جميع الوجوه لا يمكن تعريف  
 حقيقة الابدك لو ازمته واثاره الظاهر الجلية وثبت ان الظاهر  
 اثار واجب الوجود لذاته هو هذا العالم المحسوس ثبت انه  
 لا يمكن تعريف حقيقة وذاته الخصوصية الابدك انه خالق هذه  
 السموات والارضين فقوله ان كنتم موقنين معناه ان كنتم موقنين  
 بتحقيقة هذه المقدمات فاعلم انه لا جواب عن سؤالكم الا  
 هذا الذي ذكرت ولما ذكر موسى هذا الجواب قال فرعون  
 لمن حوله ألا تسمعون اظهر التعجب من كلام موسى عم يعنى  
 انا اطلب جواب الدال على الماهية وهو يذكر الجواب الدال  
 على الصفة وهذا الجواب هو جواب السؤال بمن وانا اطلب جواب  
 السؤال بما فابن احدهما عن الاخر وتتام الاشكال ان تعريف الماهية

بلوازمها لا يفيد معرفة تلك الماهية لانا اذا قلنا في تعريف شئ  
 انه الذي يلزمه اللازم الثاني فهذا يتوجه عليه سؤال وهو  
 ان تلك الحقيقة هل هي معلوم ام لا فان كانت معلومة فلا حاجة  
 الى تعريفها بذكر هذا اللازم وان لم يكن معلومة فكيف يعلم  
 انه يلزمها هذا اللازم لان قولنا يلزمها هذا اللازم تصديق  
 والتصديق مسبق بالتصور فلو كان التصور مستفاد من  
 هذا التصديق لزم الدور فثبت ان قوله رب السموات والارض  
 لا يصلح جوابا عن قوله ومارب العالمين فعند هذا احباب  
 موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب اباكم الاولين فكانه عدل  
 عن تعريف تلك الحقيقة بخالقية السماء والارض الى تعريفها بكونه  
 خالقنا ولا يابنا ذلك ولانه لا يمتنع ان يمتنع احد ان يعتقد  
 ان السموات والارض واجبة لذواتها من غنية عن الخالق والموجد  
 الى ان يظهر فساد هذا الاعتقاد بالبرهان اما لا يمكن ان يعتقد  
 احد في نفسه وابانه واجداده كونهم واجبة لذواتها لما ان  
 المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود  
 وما كان كذلك لان ممكننا محدثا فيظهر جدا افتقاره الى المحدث  
 والموجد فلهذا السبب عجل موسى من الكلام الاول الى هذا الكلام  
 فعند هذا قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون  
 والمعنى اني سألته عن الماهية فاجاب بذكر الصفة فلما تكرر



عليه هذا الجواب ذكر جوابا مثل الجواب الاول فان المذكور في الجوابين  
 هو الصفة الخالقية وذكر الصفة لا يصلح جوابا عن السؤال الطالب  
 للماهية فهذا محنون حيث لا يفهم السؤال بعد التكرير عليه مرتين  
 قالوا قال موسى رب المشرق ورب المغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون  
 فعلمه الى طريق اخر اوضح مما تقدم ذلك لان الجواب الاول  
 اشارة الى دلائل الافاق والجواب الثاني اشارة الى دلائل الانفس معا  
 لان قوله رب المشرق والمغرب اشارة الى دلائل الافاق وقوله وما  
 بينهما اشارة الى دلائل الانفس فاذا تأملت فيه علمت ان موسى لم  
 يترك في عالم المحسوسات شيئا يدل على الله الا وقد ذكره لان دلالة  
 عالم المحسوسات على الله تعالى اما من الافاق او من الانفس او منهما معا  
 واعلم انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار وبالمغرب  
 غروب الشمس وظهور الليل والامر ظاهر في ان هذا التدبير المحكم  
 العجيب لا يحصل الا بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه وهذا هو  
 بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه قال ربي الذي  
 يحيي ويميت وهو الذي قاله موسى في قوله ربكم ورب اباؤكم الاولين  
 ثم لما طلب نمرود بتمام الدلالة قال ابراهيم فان الله ياتي  
 بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب وهو عين قول موسى  
 رب المشرق والمغرب وما بينهما واعلم ان موسى عليه السلام انما قال  
 ههنا ان كنتم تعقلون لانه لما ثبت بالبرهان القاهر انه لا يمكن

تقريف الحقيقة بنفسها ولا يمكن تعريف حقيقة واجب الوجود  
 باجزاءها لما ثبت انه فرد صمد منزّه عن التركيب ولا يمكن ايضا  
 تعريفه بما يتركب من الداخل والخارج ولانه يقتضي كون تلك الماهية  
 مركبة ولما بطلت هذه الاقسام الثلاثة لم يبق طريق الى تعريف تلك  
 الحقيقة الا بذكر لوازمها وانوارها الظاهرة فكانه قاله وان كنت  
 من العقلاء ويفهم الكلام ويميز بين الحق والباطل فاعلم انه  
 لا سبيل الى تعريف حقيقة الا بهذا الطريق الذي ذكرت وهذا  
 اخر هذه المناظرة وهو في غاية الشرف والجلالة ولعلم انه من  
 فوائد هذه المناظرة انها تدل على انه ليس بجسم ولا متغير ولا  
 مشكل لانه لو كان كذلك لكان الجواب الكاشف عن الماهية ممكنا  
 فحينئذ يكون جواب موسى باطلا وسؤال فرعون حقا ولما كان  
 القول بذلك باطلا علمنا انه منزّه عن الجسمية والجوهرية والجزئية  
 وبالله التوفيق ولما كان ختم هذه المناظرة على المتمسك بشروق  
 الكواكب وغروبها فلندكرهنا كيفية الدلالة **الفصل**  
**الثاني في شرح كيفية دلالة الشروق والغروب في آيات**  
**أحدها** انه ذكر بلفظ الوحدان فقال رب المشرق والمغرب **ومنها**  
 انه ذكر بلفظ التثنية فقال رب المشرقين ورب المغربين **ومنها**  
 انه ذكر بلفظ الجمع فقال رب المشارق والمغارب **ومنها**  
 انه تعبر عن الشروق والغروب بعبارة اخرى فقال والليل



اذا عسعس والصبح اذا تنفس وقال في سورة الفلق قل اعوذ  
 برب الفلق وهو إشارة الى زمان الطلوع ثم قال ومن شر غاسق  
 اذا وقب وهو إشارة الى زمان الغروب ومنها انه تم خص  
 اول زمان الطلوع بالذكر فقال قالق الاصباح وجاعل الليل  
 سكنا والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم وخص زمان  
 الغروب بالذكر فقال والنجم اذا هوى وقال ابراهيم لاجب الأفلين  
 وهما مباحث البحث الاول وهو ان الطلوع والغروب حالتان  
 عجيبتان يدلان على الافتقار الى الخالق الحكيم المدبر وذلك لاننا  
 اذا نظرنا الى الكوكب اول طلوعه من افق المشرق فانه يطعم تنيرا  
 متلا ليا مثل النار ليس في نوره كدورة ولا غيرة ولا ظلمة واذا  
 نظرنا اليه وهو افق المغرب تراه قد ذهب نوره ورونته حتى  
 ان الشمس مع عظم جرمها وكما نورها اذا قربت من الغروب  
 فانه يذهب نورها ورونتها واذا اعتبرنا هذه الاحوال علمنا  
 ان اول طلوع الكوكب يشبه ولادة الصبي ولذلك فان اهل النجوم  
 جعلوا الدرجة الطالعة من الفلك دليل الحية قالوا كما ان الولد  
 ظهر في هذا العالم بعد ان كان غير ظاهر كذلك ظهرت هذه الدرجة  
 في تلك الساعة بعد ان كانت غير ظاهرة فلما حصلت المشابهة بينهما  
 من هذا الوجه جعل تلك الدرجة دليلا على حيوة ثم ان الكوكب  
 بعد طلوعه يزاد كل لحظة نقا عدا وقوة ونورا واستغلاء وكالا

ولا يزال

ولا يزال كذلك الى ان يقرب من وسط السماء والى هذا الوقت  
 يشبه حاله حال الادمي في زمان النشوء والنماء ثم اذا قربت الشمس  
 من وسط السماء فهناك تبقى زمانا على حالة واحدة لا يشاهد  
 منها اثر الارتفاع ولا اثر الانخفاض وهذه الحالة من الشمس وسائر  
 الكوكب يشبه حال الانسان في حال الشباب ومدة الوقوف  
 وهي المدة التي لا يظهر فيها زيادة ولا نقصان ثم ان الشمس والكوكب  
 بعد ذلك يقع في الربع الغربي من الفلك لا يزال يأخذ في الخطا  
 قليلا قليلا الا ان لا يظهر بسبب ذلك الخطا نقصان في نورها  
 وقوتها ومرارتها وهذه الحالة من الكوكب يشبه حالة الانسان  
 في سن الكهولة واخر هذا الوقت هو اول وقت صلوة العصر  
 ثم بعد صلوة العصر يأخذ قوة الشمس النقصان الظاهر والخطا  
 البين فيستقص نورها ويقل منورها ويعظم امتداد ظلها  
 ولا يزال تزايد هذه النقصانات الى ان يصل الكوكب الى افق  
 المغرب فهذه الحالة من الشمس والكوكب يشبه سن الشيخوخة  
 واما غروبها من افق الغرب فلا يكون الا بعد ذهاب نورها  
 واصفرار لونها ونقصان قوتها وارتعاش ذاتها وسقوطها  
 في النظر على وجه الارض ثم انها تقرب فتصير كأنها فئت وبطلت  
 وهذه الحالة يشبه حال الانسان عند الموت فانه اول ما يذهب  
 نور وجهه ويبطل حسن صورته وتصفر لونه وتضعف قوته



ويأخذ الادتقاش والضعف ثم يسقط على وجه الفراش بحيث  
لا يمكنه ان يرفع رأسه ثم انه بعد ذلك يموت فهذه الاحوال  
الاربعة للشمس والقمر وساثر الكواكب يشبه الاحوال الاربعة  
لكل حيوان ونبات اعني سن النمو والظهور وسن الكهول وسن  
الشيخوخة ثم حصول الموت بعد ذلك ثم ان الشمس اذا غربت بقيت  
اثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم بعد ذلك يزول ذلك الشفق  
ولا يبقى في هذا العالم من اثار الشمس شئ البتة وهذا يشبه ان  
الانسان اذا مات بقي بعد موته ذكره واثاره اياما قليلة ثم انه  
يبطل ذلك الذكر وتلك الاثار ولا يبقى في الدنيا منه اثر ولا خبر  
فهذه الاحوال الخمسة للشمس تشبه الاحوال الخمسة للانسان فلهذا  
السبب اوجب الشارع للحكيم الصلوات الخمسة في هذه الاوقات  
للمنعة وما احسن هذا الترتيب وما استمد مطابقة لحكمة الشرعية  
والنبوية على الحكمة العرشية الروحانية واعلم انك متى تأملت  
في جميع الاجرام الفلكية العلوية والسفلية والابداعية والعضوية  
ظهر لكل عاقل انها عند الشروق والمصاعد اخذت في الكمال  
بعد ان كانت ناقصة وعند الانحدار من وسط السماء الى نهاية  
الغروب واخذت في النقصان بعد ان كانت كاملة وتوارد هذه  
النقصانات بعد الكمالات والكمالات بعد النقصانات على سبيل  
الدوام والامتداد على انه لا كالاتها بذواتها ولا نقصاناتها من نفسها

بل هي تحت تسخير مسخر وتدير مدبر قاهر يتصرف فيها بقدرته  
ويجربها على حسب ارادته ومشيئته له الخلق والامر تبارك الله  
رب العالمين البحث الثاني في الشروق والغروب وهو ان حال  
ما يأخذ ذلك الكوكب في الغروب ترى كوكبا اخر في مقابلة  
من افق المشرق واخذ في الطلوع وترى كوكبا اخر قد طلع هو  
أخذ في الارتفاع والمصاعد وكوكبا اخر قد بلغ وسط السماء  
وكوكبا اخر قد وقع في الربع الغربي وقرب من الغروب فاذا عبرت  
هذه الاحوال تربها مشابهة لاهوال الخلق في هذا العالم فاشا  
يموت وانثا يولد وثالث في تلك الساعة يكون طفلا ورابع  
شاب وخامس كهل وسادس شيخ وكما ان كواكب السموات  
مختلفة الاحوال فبعضها سعد وبعضها نحس وبعضها قوى النور  
وبعضها ضعيف النور وبعضها قريب من وسط الفلك وبعضها  
واقع في اطراف الفلك وبعضها في الشرق والبست المثلثة وبعضها  
في الوبال والهبوط والحلو عن الخطوط فكذلك ترى اشخاص هذا  
العالم بعضهم في السعادة وبعضهم في النحوسة وبعضهم في الفقر  
وكذا القول في الدولة والعلو وذلة السقوط وكما ان مدبر  
العالم العلوي دبر نظام تلك الكواكب مع اختلافها في الطلوع  
والغروب والنورانية والضعف من غير ان يختل شيئا من  
احوالها فكذلك تدبر احوال اشخاص العالم السفلي مع اختلافهم



في السعادة والثقاوة والفن والفقر وعند هذا بلوح كدثمة  
من اسرار قوله كل يوم هو في شأن وقوله لا يشغله شأن  
عن شأن وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه  
وتمام الكلام في هذا المباحث العميقة ما اليه الاشارة في سورة  
الاعراف وهو قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض  
الآية فقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اشارة الى ما  
ذكرناه من كيفية التسخير والتدبير وقوله آله الخلق والامر  
فيه سر عظيم وحكمة عالية وهي انك لما شاهدت في اجزاء السموات  
والكواكب والارض اثار التسخير والتدبير يقع في قلبك ان تعرف  
وجه الحكمة في كل واحد منها على سبيل التفصيل فحينئذ يقال لك  
قف في درجتك ولا تبعد طورك ولا تلق عقلك في بحر لا ساحل له  
ولا يتكلف صعود جبل لا نهاية له ولا يطعم في الوصول الى ما هو  
فوق فهمك ووهبك وعقلك وروحك فانك لست من جال هذه  
الاسرار ولا في حدة عقلك قوة الاطلاع على هذه الانوار ولكن  
اعترف لنفسك بالجهل والذلة والقصور واعترف بخالق هذه  
الموجودات على سبيل الاجمال بغاية الجلالة ونهاية الكبرياء وقل  
آله الخلق والامر والحكمة والفرقة والسلطان والعلو والكبرياء  
تبارك الله رب العالمين ومدبر الاجساد والارواح والعلويات  
والسفليات اجمعين ثم اذا تركت الخوض في ذلك التفصيل

واعترف

واعترف بهذا العظيم على سبيل الاجمال فعند هذه الحالة ارجع  
الى نفسك واعتبر حال مجزك وقصورك واشتغل بالدعاء والتضرع  
فهنا غاية درجات الصديقين ونهاية خطرات افكار العارفين  
وليس ورايه للعقول مطار ولا مسرى ولا لا ولا تكاد مجال ولا مخط  
واليه الاشارة بقوله ثم في اخى هذه الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية  
فما اجل هذه التلويحات التي اشتمل عليها القرآن العظيم وما  
اشرف هذه الرموز الحاصلة في مطاوى آيات الذكر الحكيم فوالله  
الذي لا اله الا هو انه لا يحيط ببال هذا المسكين الكاتب لهذا  
الكتاب ولا يدور في خياله طريق احسن ولا انفع ولا اجذب  
الارواح البشرية والعقول الانسانية الى حضرة القدس الاحد  
الضمد من هذه البيانات الالهية والاسرار العلوية ونظر هذه  
الآية في اخر اعراس ان في خلق السموات والارض الى قوله ربنا  
ما خلقت هذا باطلا اشارة الى وقوع العقل في هذا البحر الذي  
لا ساحل له وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا اشارة الى منع العقل  
من طلب هذه التفصيل واجباب ان يقتصر على الشاء الجمل والعظيم  
الجمل وقوله فقنا عذاب النار اشارة الى الاشتغال بالدعاء و  
التضرع عقيب حصول هذه الحالة المبحث الثالث في الاستدلال  
بكيفية الطلوع والغروب على وجود الخالق المدبر اعلم ان التفسير  
عن المشرق والمغرب بلفظ الوحدان اشارة الى مشرق الشمس ومغربها



ايعا قوله رب المشرقين ورب المغربين فالمراد طلوع الشمس والقمر  
 وغروبها واما قوله رب المشارق والمغارب ففيه قولان  
 الاول المراد منها طلوع الشمس والقمر والخروج والثاني المراد  
 منها مطالع الشمس ومغاربها وذلك لان الشمس من اول  
 اليوم الذي يكون في النقطة الاولى من السرطان وهو اليوم  
 الاول من الصيف الى ان يحصل في النقطة الاولى من الجدي وهو  
 اليوم الاول من الشتاء ومجموعه ستة اشهر تطلع كل يوم  
 من مطلع افروذ لك مائة وثمانون مطالعا ثم انها في اول  
 الشتاء الى اول الصيف وهو ايضا ستة اشهر يرجع فيطلع  
 من تلك المطالع باعيانها ولما كان للشمس مائة وثمانون  
 مشرقا ومائة وثمانون مغربا كان المراد من قوله رب المشارق  
 والمغارب هذه المشارق والمغارب واذا عرفت هذا فنقول  
 الاستدلال باحوال المشارق والمغارب على الخالق المدبر الحكيم  
 في غاية الظهور وذلك لان هذه الاجسام الفلكية والاجرام  
 الكوكبية لا يمكن ان يكون حركاتها لنفس طبائعها ويدل عليه جوه  
 الاقوله ان الاجسام متساوية في الجسمية وتمام الماهية وحكم  
 الاشياء المتساوية في الذات وتمام الماهية التساوي في اللوازم  
 والاحكام واذا كان كذلك فكل ما صح على كل واحد منها صح  
 على الباقي واذا كان كذلك كان اختصاص كل فلك وكل كوكب

بطبعة وحيز وشكل وحركة لا بد وان يكون لاجل القادر  
 المختار الحجة الثانية ان الشيء الذي يكون مهربا عنه بحكم  
 الطبيعة يمتنع ان يكون مطلوبا بمقتضى نفس تلك الطبيعة وهذا  
 الاجرام الفلكية متحركة بالاستدارة وكل ما كان متحركا بالاستدارة  
 فان كل نقطة تفرض كونها مهربا عنها يمكن ان يفرض كونها  
 مطلوبا فان المهرب عنها هو نفس طلبها ونفس التوجه اليها  
 فثبت ان هذه الحركات ليست بالطبيعة الحجة الثالثة لو كانت  
 هذه الحركات طبيعية لوجب ان يكون شروقها وغروبها  
 على نهج واحد وطريقة واحدة لان ما يكون من توابع الطبيعة  
 وجب بقاؤها وعدم تغيرها لكتابتها ان الشمس تطلع كل  
 يوم من مشرق اخر وتغرب في مغرب اخر فثبت بهذه الدلائل  
 ان حركات هذه الافلاك ليست لها من ذواتها ولا طبائعها  
 فلا بد وان يكون بتدبير مدبر وتقدير مقدر ومهترقاهر  
 يحركها على حسب مشيئته ومقتضى ارادته فتبارك الله رب  
 العالمين فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان حركاتها سبب انها  
 احيا مختارة قلنا هب ان الامر كذلك الا على هذا التقدير  
 يكون كل واحد منها مخصوصا باختيار خاص وارادة خاصة  
 فيعود طلب العلة لذلك الاختصاص ولا ينقطع الطلبات  
 ولا يزول الحاجات الا عند الانتهاء الى القضاء الالهي والتقدير



الارضى السرمدي سبحانه وتعالى يقول الظالمون علوا كبيرا  
ومن الايات الواردة في هذا الجنس في القرآن قوله تعالى لا اقسم  
بالجنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس  
واعلم ان الجنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاختفاء  
فيقال خنس من بين القوم والخنس في الحديث الشيطان يوسوس  
الى العبد فاذا ذكر الله خنس اي انقبض منه ولذلك  
سمي الخناس والكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل  
الكناس وهو مقر الوحش يقال كنست الظباء كنسها وتكنست  
المرأة اذا دخلت هو ذبحها يشبه بالظبي اذا دخل الكناس اذا  
ثبت هذا فنقول المعتبرون من المفسرين ذكروا في الخنوس  
والكنوس وجهين الاول ان ذلك إشارة الى رجوع الكواكب  
واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها  
تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه الحالة حالة عجيبة وفيها  
اسرار عظيمة باهرة فلهذا المعنى اقسم الله بها والقول الثاني  
ما روى عن علي رضي واختاره مقاتل وقتادة انها هي جميع الكواكب  
وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها  
عبارة عن ظهورها للبصر في الليل وعندى فيه قول ثالث وهو  
ان هذه الكواكب السبعة السيارة يختلف مطالعها ومقاربها  
على ما فترناه وشرحناه ولا شك ان لها مطالعا واحدا

ومغربا واحدا هما اقرب المشارق والمغارب الى سمت رؤسنا  
نتم انها ياخذ في التباعد قليلا قليلا من ذلك المطالع الى سائر  
المطالع حتى يصل الى غاية بعدها هي سمت رؤسنا ثم يرجع  
من ذلك الموضع قليلا قليلا حتى يصل الى سمت رؤسنا فنحنوها  
عبارة عن تباعد هاهنا هذا المطالع الذي هو اقرب المطالع  
الى سمت الرأس وكنوسها عبارة عن عودها اليه فكل التفسير  
الاول يكون القسم واقعا في خمسة المتخبر وعلم القول الذي  
ذكره يكون القسم واقعا بجميع السيارات السبعة وعلم القول  
الذي ذكره امر المؤمنين يكون القسم واقعا بجميع الكواكب سواء  
كانت من السيارات او من الثوابت واعلم انه تعالى اقسم بها يدل  
ذلك على اختصاصها باسرار عجيبة واحوال شريفة لا يصل العقول  
البشرية اليها على ما حققنا الكلام فيه في تفسير قوله في آخر آل  
عمران الذين يذكرون الله قياما وقعودا الى قوله فقنا عذاب  
النار وما نزيد ههنا اننا بدأنا من اعمال الصديقين بالذكر  
فقال الذين يذكرون الله ثم انهم يصلون من الذكر الى الفكر  
واليه الإشارة بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض وههنا  
الشكال وهوانه تعالى قال في الذكر الذين يذكرون الله قياما وقعودا  
وعلى جنوبهم يجعل الذكر المعبر اللائق بهذا المقام ذكر الله لا ذكر  
غيره ثم جعل نهاية هذا الذكر الفكر فكان يجب ان يكون هذا



الفكر هو الفكر في الله لكنه لم يقل ذلك بل جعل الفكر الاتي بهذا  
المقام الفكر في خلق السموات والارض وهذا اشتغال بغير الله فكيف  
يعقل ان يجعل ذكر الله اولا ومبدأ الفكر في غير الله نهاية  
وكما للجواب انا بينا في مناظرة موسى عليه السلام مع  
فرعون ان الفكر في الله ممنوع ولانه لا يمكن التوصل الى الله تعالى  
وعظمته الا بالنظر في مخلوقاته ومبدعاته وهذا مما يتد بقوله  
عليه السلام تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق ولما كان  
اشرف مخلوقاته المحسوسة هو عجائب السموات والارض كما قال  
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس لاجرم جعل الفاعل  
القصوى لسير افكار المقربين والنهاية العظمى لفايان انظلام  
ان يتفكروا في عجائب خلق السموات والارض ثم انا بينا فيما قبل  
ان الخاطر اذا وقع في هذا الموضع كان الاولى رده عنها ومنعه  
عن الخوض فيها والاقتصار على التناء المبرم والتعظيم المجل  
كما في قوله تعالى في الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم  
قال بعد الاله الخلق والامر ببارك الله رب العالمين وهذا  
هو التناء ثم قال بعد ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهذا هو الدعاء  
وقال في الاعران ويتفكرون في خلق السموات والارض ثم قال  
بعد ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فهذا هو التناء ثم قال  
فنعذاب النار وهو الدعاء هو الدوة الى وجدنا هاهنا في فقر

بحر القران وهي اشرف المطالب واعظم الرغائب وماذا الا  
بتوفيقه وهدايته وما هو الا من فضل ربي ليبلوني اءشكر ام اكر  
فيا رب الارباب والله الالهة زدنا من فضلك واحسانك يا ارحم  
الراحمين امما قوله والليل اذا عسعس فقال اهل اللغة عسعس  
من الاصداد يقال عسعس الليل اذا ادبر وعسعس اذا قبل ثم  
منهم من قال المراد هنا قبل الليل لان على هذا التقدير يكون القسم واقعا  
باقبال الليل وهو قوله والليل اذا عسعس وباد باده وهو قوله  
والصبح اذا تنفس ومنهم من قال المراد بقوله عسعس ادبر ثم قوله  
والصبح اذا تنفس اي امتد منوره وتكامل فقوله والليل اذا عسعس  
اشارة الى اول طلوع الصبح وقوله والصبح اذا تنفس إشارة الى  
تكامل طلوع الصبح ونظيره قوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر  
امما قوله والصبح اذا تنفس اي اذا اسفر وهو قوله والصبح اذا  
اسفر في كيفية التشبيه قولان احدهما اذا قبل الصبح اقبل  
باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على سبيل المجاز والثاني  
انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا ينم  
واجتمع الحزن في قلبه فاذا تنفس وجد راحة فلهذا لما طلع الصبح  
فكانه تخلص من ذلك الحزن فغير عنه بالنفس واعلم ان في طلوع  
الشمس وغروبها احوالا عجيبية فالاول ان طلوع الشمس يشبه تكون  
العالم وتخليقه في اول وقت كن فيكون وغروبها يشبه تخراب العالم



عند قيام القيامة وتقرير هذا التشبيه ان الظلمة صفة عدمية  
وهي شديدة المناسبة للعدم الاصلى المستمر من الازل الى وقت  
حدوث العالم فكما ان في اول الليل يكون الظلمة مستقرة في جميع  
اقطار السموات واكناف الارض فكذلك كانت ظلمة العدم مستقرة  
مستمرة من الازل الى الابد مما كان هناك لا لوج ولا قلم ولا انوار  
ولا ظلم ولا اسماء ولا ارض ولا طول ولا عرض ولا ذوات ولا اوصافا  
بل كان الله ولم يكن معه شيء غيره وكان في اخر الليل يتعلق بحر  
الظلمات بنهر من النور ويكون ذلك النور مخفوفاً بالظلمات  
الى لاحدتها فكذلك ظهر في اخر ليل الازل نهر من نور ايجاد الله  
وتكوينه وهذه المخلوقات متناهية والممكنات الباقية على العدم  
غير متناهية والمتناهي بالنسبة الى غير المتناهي قليل من كثير فهذه  
الحالة شبيهة بظهور نور الصبح في مجاز طلمات الليل واذا عرفت  
هذا اظهر ان طلوع النور مسبوق بتراكم ظلمات العدم وظهر ايضا  
ان الانوار الساطعة والممكنات من الوجود اقل من الممكنات الباقية  
في ظلمات العدم لاجرم قدم الله ثم ذكر الظلمات على النور وعبر  
عن الظلمات بلفظ الجمع وعن النور بلفظ المفرد فقال الحمد لله الذي  
خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فتأمل في هذا الكلام  
فهذا حالة يشبه طلوع الصبح بطلوع صبح الابد والتكوين  
من مشرق احسان الله وفضله وعناية البحث الثاني

غروب الشمس في اخر النهار شديدا تشبيهه بامانة جميع الاحياء  
وقت قيام القيامة وبقاء الخلق جامدين جامدين ليس  
لهم حس ولا حركة في الليل يشبه بقاء الخلق فيما بين النفتين  
على العدم المحض ثم انتباه الخلق في وقت الصبح يشبه قيام  
الخلق عند الحشر والبعث وتقرير هذا الكلام وهو ان النفخ في  
الصور يحصل ثلث مرات اولها نفخة الفرع قال تعالى في سورة  
النمل ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الارض  
الامن شاء الله والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة الاحياء  
قال الله تعالى في الزمر ونفخ في الصور فصعق من في السموات  
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيها نفخة اخرى فاذا هم قيام  
ينظرون وهذه الاحوال الاربعة بعينها موجودة في الشمس  
وذلك لان غروبها في المغرب يشبه نفخة الفرع فان الشمس اذا  
غربت في مغربها استولى الخوف والفرع على الحيوانات ويوجه  
كل واحد منها الى ماواه ومسكنه واذا غرب الشفق بالكلية فذلك  
يشبه نفخة الصعق وهناك يكن كل حيوان وبنام ويصير  
الكل خالدا جامدا وكأنه صار ميتا او صار معدوما الا  
من شاء الله من الحيوانات التي لا ينام وهذا الاستثناء المذكور  
حاصل في الآية ههنا ايضا واما طلوع الصبح فذلك يشبه نفخة  
البعث والاحياء وذلك لان الشمس اذا قربت من مشرقها



فكانها ينفخ روح النور في اموات عالم الظلمات وهكذا ايضا  
حال النفخة الثالثة لاسرافيل عليه السلام فانه يصل من فوق تلك  
النفخة اثر الحياة الى جميع الاموات واعلم ان مشابهة هذه الاحوال  
الثلاثة من الشمس من اقوى الدلائل على صحة هذه الاحوال في يوم  
البعث وزمان القيامة وذلك لان الارواح اعظم واقوى  
من الاجسام فاذا لم يبعد ان يكون في عالم الاجسام من مخلوقات  
الله تعالى جسم له هذه التأثيرات الثلاثة فاني بعد ان يكون في عالم  
الارواح من مخلوقات الله ملكا يكون له هذه التأثيرات الثلاثة  
وعند هذا الاعتبار يظهر صدق اقوال الانبياء عليهم السلام  
فيما اخبروا عنه من معرفة المبدأ ومعرفة المعاد اما معرفة المبدأ  
فهو ان عالم الاجسام مع ملكها وهو الشمس وعالم الارواح  
مع ملكها وهو اسرافيل عزم كلهم مسخرون تحت سرادقات  
الغرة وعتبان الالهية واما معرفة المعاد فهو قيس عالم الارواح  
على عالم الاجسام فكما ان كوكب السموات مختلفة بالعظم والصغر  
والكمال والضعف فكذلك الشمس كالسلطان لها باسرها وهي  
مع وحدتها مستولية على كل الكواكب والكل مقهور تحت صولته  
مخفيون تحت شروق نوره كذلك يجب ان يكون في عالم الارواح  
شيء كالسلطان لجميع الارواح ويكون الكل تحت رايته ومقهور  
تحت جلالة واليه المآثرة بقوله يوم يقوم الروح والملائكة

صفا وهو المسمى يمين رب الغرة في قوله والارض جميعا قبضته  
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ثم قد شهدت الفطرة  
السليمة ان الارواح كالمبدئ والاجسام كالمظهر وكل واحد من  
الارواح والاجسام منفقر بعضها الى البعض ومحتاج بعضها  
الى البعض واحتياج بعضها الى البعض من اصدق الشواهد  
واظهر الدلائل على افتقار الارواح والاجسام والانوار والظلمات  
بسبب روحيتها الى الفرد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد  
ولم يكن له كفوا احد واليه المآثرة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا  
زوجين فثبت بما ذكرنا ان التأمل في كيفية طلوع الشمس وغروبها  
مفتاح عظيم لانفتاح انوار عالم القدس وتجلي اصواء سرادقات  
الجلال **الفصل التاسع** في كيفية الاستدلال على اختلاف  
الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى علم ان  
الايات الدالة على هذا النوع من البحث نوعان احدها الايات  
الدالة على تعظيم احوال الليل والنهار والثاني الايات المشتملة  
على حكمة خالق الليل والنهار اما النوع الاول فهي كثيرة في القرآن  
فاوله قوله تعالى في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض  
واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون وقال  
في اخر سورة العنكبوت ان في خلق السموات والارض واختلاف  
الليل والنهار لايات لاولى الالباب والمقصود من هذا الكلام



في السورتين واحد وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق  
 السموات والارض الآية واعلم ان في نظم هذه الآية الثلاثة  
 اسرار عجيبة فالاول انه تعالى ابتداء في هذه الايات الثلاثة بذكر  
 السموات والارض ثم ذكر عقيبها احوال الليل والنهار والسبب  
 في هذا الترتيب ان تخلق السطح المقعر من الفلك الاعظم ظهر  
 المكان وتتحريك السطح المحذب منه ظهر الزمان فالمكان اقرب  
 اليامن الزمان وقد عرفت ان التعليم المفيد هو الذي يبدأ  
 فيه من الاظهر فالأظهر مترقيا الى الاخفى فالأخفى ولما كان للقصو  
 منه من هذه الايات ذكر الدلائل الدالة على جلال الله وقدره  
 لاجرم وقع الابتداء فيها بذكر خلق السموات والارض فان  
 ذلك مشعر بالمكان ثم وقع الانتقال منها بالذكر الليل والنهار  
 وانه مشعر بالزمان ونظم قوله تعالى في سورة الانعام قل من  
 ما في السموات والارض قل لله فهذا اشارة الى ان المكان وكل ما  
 في المكان ملكه ومملكه ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار  
 وهو اشارة الى الزمان وكل ما في الزمان ملكه ومملكه والمكان  
 والمكانيات والزمان والزمانيات شاهدة معروفة دالة على  
 كونه تعالى منزها عن علايق المكان والمكانيات والزمان والزمانيات  
 ومناسبات الحدود والامكان ومشابهات الاركان والافلاك  
 ومن نظاره ايضا قوله في صفة السماء رفع سمكها فسويها

وهو اشارة الى المكان ثم قال واعطش ليلها واخرج ضجيجها  
 وهو اشارة الى الزمان النوع الثاني من لطائف هذه الايات  
 انه جعل هذه الدلائل في سورة البقرة ايات لقوم يعقلون  
 وجعلها في سورة آل عمران لايات لاوى الالباب وفي سورة الانعام  
 انتقل من الغيبة الى الحضور فقال ان ربكم الله الذي خلق السموات  
 والارض في ستة ايام والتب في هذا الترتيب على ما يخطر  
 بالبال والله اعلم باسرار كلامه ان درجات المحققين ثلاثة  
 اولها الذين يستدلون باحوال السموات والارض على وجود  
 الصانع المختار واليه اشارة في سورة البقرة بقوله تعالى لايات  
 لقوم يعقلون والثاني الذين صادوا مكاشفين بكيفية دلالة  
 كل واحد من اجزاء الارضين والسموات على وجود الصانع وحكمة  
 وعدله وعلمه وذلك لا فائتنا ان كل واحد من اجزاء الارضين  
 والسموات دلالات لانهاية لها على كمال قدرة الله وحكمة فاذا  
 صار الانسان مكاشفا باحوال تلك الدلالات حتى يصير عقله  
 عرقا في بجارت تلك الدلائل فهذا الانسان مكاشفا باحوال تلك  
 الدلالات قد ترقى من ظاهر عالم العقل الى اوج عالم الاسرار  
 الالهيات واليه اشارة في سورة آل عمران بقوله لايات  
 لاوى الالباب والثالث ان الانسان في المقام الاول والثاني  
 كان مشغولا بمطالعة الدلائل بقدر اشتغال العقل بمطالعة



الدلائل يحصل الحزمان عن الاستغراق في نور جلال الله ثم فإذا  
كملت درجة الانسان في مقام الاستدلال بنودي من بطنان  
الصدقية وسراقات الجلال والكبرياء اخلع نعليك فان كل دليل  
هو مركب من مقدمتين لا محالة لا اريد ولا انقص هاتان  
المقدمتان كالنقلين في قديم العقل بهما يتمكن العقل من السفر  
من الخلق الى الخالق ومن الممكن الى الواجب فاذا وصل الى بدياء  
الصدقية وبساط جلال الالهية يؤمر بجمع هذين النقلين فاذا  
قال العبد لم اخلصها قيل له انك بالواد المقدس طوى فمن وصل  
الى الوصلة كيف يلتفت الى الكثرة ومن وجد المدلول كيف يبقى  
مشغولا بالدليل وحينئذ يترقى من مقام الغيبة الى الحضور  
والشهود فيصير مخاطبا من الحق بالحق في الحق الى الحق فيسمع من  
عز واسطة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة  
ايام وسمعت بعض المحققين ان اول الدرجات ان يقول العبد  
ما رايت شيئا الا ورايت الله بعده وفي وسط السير تقول ما رايت  
شيئا الا ورايت الله معه في اخر الدرجة يقول ما رايت شيئا  
الا ورايت الله قبله وذلك لانه في المقام الاول يستدل بغير  
الله على الله وفي المقام الثاني يستدل بالله على الله وفي المقام  
الاخير يستدل بعين الله على الله وهذه المراتب الثلاثة مطابقة  
لهذه الايات الثلاثة واعلم ان دلالة الليل والنهار على وجود الصانع

الحكيم وجوه الاول كون الليل والنهار مختلفين كما في هذه الايات  
وقال في يونس ان في اختلاف الليل وما خلق الله في السموات  
والارض لايات لقوم يتقون وقال في الحج ذلك بان الله  
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير  
وقال في الفرقان وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد  
ان يذكر وقال في الزمر يكون الليل على النهار ويكون النهار  
على الليل قال المفسرون هذا الاختلاف يحمل وجهين الاول  
انه افتعال من قولهم خلفه خلفه اذا ذهب الاول وجاء الثاني  
فاختلاف الليل والنهار عبارة عن تعاقبهما في الجي والذهاب  
ومنه يقال فلان يخلف الى فلان اذا كان يذهب اليه ويحي من  
عنده فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف ذهابه وكل شيء يحي  
بعد شيء اخر فهو خلفه ولهذا في قوله وهو الذي جعل الليل والنهار  
خلفه الثاني المراد اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والزيادة  
والنقصان وعندى فيه وجه ثالث وهو ان الليل والنهار  
كما يختلف في الطول والقصر والازمنة فهما يختلفان ايضا في  
الامكنة فان الاصح ان الارض كرة واذا كان كذلك فهو انما  
التي اشير اليها هي ههنا وقت الصبح وفي موضع اخر وقت طلوع  
الشمس وفي موضع اخر وقت الظهر وفي موضع اخر وقت العصر  
وفي موضع اخر وقت المغرب وفي موضع اخر نصف الليل



وعلى هذا القياس جميع الاصوال المختلفة في الليل والنهار حاصل  
في هذه الساعة الواحدة بحسب كل واحد من بقاع الارض هذا  
اذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول اما البلاد المختلفة في العرض  
فكل بلد يكون عرضه الشمالي اكثر كانت ايام الصيفية اطول  
وليلية الصيفية اقصر وليالية الشتوية بالصدف فهذه هي  
الاصوال المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف اطوال البلاد  
وعروضها وهذا ايضا هو المراد من تكوين الليل على النهار وتكوين  
النهار على الليل الوجه الثاني من وجوه دلالة الليل والنهار على  
وجود الصانع الحكيم قوله تعالى في القصص وهو الله لا اله الا هو  
له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون اما كلمة هو  
فيجب تفسيرها في باب اسماء الله تعالى واما كلمة لا اله الا الله فقد  
تقدم تفسيرها ثم انه تعالى اردف ذلك بصفات ثلاثة الصفة  
الاولى قوله له الحمد في الاولى والاخرة وفيه ابحاث الحج الاول  
بيان حقيقة الحمد والفرق بينه وبين المدح والشكر والثاني  
ان قوله له الحمد دل على ان نعزم لا يستحق الحمد والثالث ان  
اهل الاخرة مشغولون بالحمد كما في هذه الآية وكما في قوله تعالى  
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والحمد لله الذي احلنا  
دار المقامة من فضله وآخر دعوانهم ان الحمد لله رب العالمين  
تحقيق الكلام في هذه المباحث سيجي ان شاء الله في تفسير سورة

الفاحة الصفة الثانية قوله وله الحكم والمعنى انه لا حكم في الدنيا  
والاخرة الا له اما في الدنيا فلان حكم احد سواه لا ينفذ  
على الغير الا بوسطة حكمه فلو لا امر الله وحكمه لما نفذ على العبد  
حكم سيده وعلى الزوجة حكم زوجها وعلى الولد حكم والده  
وعلى الرعية حكم السلطان وعلى الامة حكم الرسول ونظم قوله  
تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وقوله الا له الحكم وهو اسرع  
الحاسبين واذا تأملت كما ينبغي علمت ان الحق هو الحاكم في الحقيقة  
واما في الاخرة فلا شك انه تعالى له الحكم والقضاء كما قال يوم  
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله الصفة الثالثة  
قوله واليه ترجعون يعني مرجع كل احد الى حكمه وقضائه  
لا تعرف للصد في ذلك اليوم كما قال واتقوا يوما لا تجزي  
نفس عن نفس شيئا الى آخر الآية واعلم انه تعالى لما بين انه  
هو المستحق للحمد اتبع هذا الكلام ببعض ما به يستحق الحمد  
وهو ايجاد الليل والنهار فقال قل ارايتم ان جعل الله  
عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يا ايها  
بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا  
الى يوم القيامة من اله غير الله يا ايها الذين آمنوا بليل تسكنون فيه افلا  
تنبهون واعلم ان وجه الدلالة بهذا المعنى على الصانع الحكيم  
من وجوه الاول انه لا بد من النهار ليحصل فيه الضوء فيستمر



الحركة عند الابصار ولا بد من الليل ليحصل الظلمة فيه فيحصل  
 السكون عند ذلك للاستتار واما انه لا بد من الحركة فان  
 الانسان محتاج الى تحصيل المطعوم والملبوس واعداد المسكن  
 وسائر المصلح وكل ذلك مما لا يتهيأ الا عند السعي والجهد في  
 التحصيل وذلك لا يتيسر الا في الضوء النهار واما انه لا بد  
 من السكون فلان الانسان اذا سعى وتحرك كثير انقب فاحتاج  
 الى النوم والراحة ليزول تلك الاعيا والتعب الوجه التلذذ في  
 كيفية الاستدلال ان بتقدير ان يسكن الله الشمس في موضع  
 معين في الفلك واقف الفلك عن الحركة فيستد يدوم النهار  
 في ذلك الجانب من الارض ويعظم السخونة فيه ويدوم الليل  
 في الجانب الاخر من الارض ويعظم البرودة فيه وحينئذ يخرج  
 كل واحد من جوانب الارض عن صلاحية العماره وسكنه الحيوانا  
 الوجه الثالث ان بتقدير تعاقب الليل والنهار فلو كان  
 الليل اطول مما هو الان او كان النهار اطول مما هو الان  
 لبطلت المنافع ايضا لالتري ان تحت القطبين يكون نصف  
 النهار ونصفها ليلا الا ان هناك لا يصلح لتولد الحيوانات ولا  
 لتولد الشجر والنبات وظهر ان المنافع لا يحصل الا بتعاقب  
 الليل والنهار ومع التعاقب لا بد وان لا يكون الليل في غاية  
 الطول وان لا يكون النهار في غاية الطول ومنه حصل التعاقب

بين الليل والنهار وكان لكل واحد منهما مدة معتدلة ومقدار  
 معتدل حصلت المنافع وصححت الامكنة والارمنة لسكنه الحيوانا  
 الوجه الرابع ان كل واحد من الليل والنهار يصير لمجيئ الاخر  
 مغلوبا فلو لا تهرقاه وتدير مدبر لا تمنع ان يصير الغالب مغلوبا  
 والمغلوب غالبا وهذا يدل على ان لهما مدبرا واحدا وفيه ايضا  
 دلالة على البعث لان الليل يأتي على النهار فيكلفه حتى لا يبقى من  
 اثر النهار شيء ثم النهار يأتي على الليل فيكلفه حتى لا يبقى من اثر  
 الليل شيء ثم انهما ببقيا على هذا التعاقب دائما فلما قدر المدبر  
 سبحانه على اعادة الليل الذي ذهب وبطل فذل ذلك على انه  
 قادر على اعادة ما اماته وافناه وان لم يبق له اثر الوجه الخامس  
 ان قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل دليل على قساد  
 قوله الشئبة ان فاعل الخير غير فاعل الشر لان الامر لو كان كاذكوا  
 لكان الاله الاتي بالنور غير الاله الاتي بالظلمة فاذا غلب الله النور  
 الله الظلمة فالغالب لا يصير مغلوبا فوجب ان لا يزول النهار ولا  
 يحصل الليل فلما لم يكن كذلك علمنا ان الليل والنهار والظلمة  
 والنور بتدبير مدبر واحد وتقدير مقدر واحد وهو الله رب  
 العالمين وفي هذه الاية سوالات السؤال الاول ما معنى السرد  
 في اللغة الجواب السرد هو الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة  
 ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد الثاني هذا قال



بنهار يبصرون فيه كما قال بليل تسكنون فيه الجواب لأن منافع الليل  
 هو السكون والنوم هو الراحة أما منافع النهار فكثيرة بطول  
 تقديرها السؤال الثالث لم قال في الليل أفلا تسمعون وفي النهار  
 أفلا تبصرون الجواب لأن الليل عبارة عن الظلمة وهي غير مرئية  
 لاجرم قال في مقامها أفلا تسمعون والنهار عبارة عن الضوء وهو  
 مرئي فلهذا قال أفلا تبصرون وقال الكلية في قوله أفلا تسمعون  
 معناه أفلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله أفلا تبصرون ما أنتم  
 عليه من الخطاء والضلال النوع الثالث من وجوب دلالة  
 الليل والنهار على الصانع الحكيم قوله تعالى في آخر هذه الآية ومن  
 رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله  
 ولعلكم تشكرون واعلم أن تقرير هذا الوجه أن الليل والنهار  
 صندان والضدان يكون كل واحد منهما مبطلا لذات الآخر ونفقه  
 أما الليل والنهار فانه لا يحصل الانتفاع باحدهما الا عند حصول  
 الآخر فقلب طبيعة الصديق من المعارضة الى المعاونة مما لا يقدر  
 عليه احد الا الله تعالى وانما قلنا انه لا يحصل المنفعة الا بتعاقبهما  
 وذلك لانه لو دامت الظلمة دامت البرد وتعدرت الحركات  
 فتهلك الحيوانات ولو دام الضوء دامت السخونة ولم تحصل  
 النوم ويستوى الاعياء والتعب على الحيوانات فيموت الكل  
 فظهر ان الانتفاع باحدهما لا يمكن الا عند حصول تعاقبهما

ومن المعلوم ان قلب طبيعة الصديق عن المعارضة الى المعاونة  
 لا يقدر عليه الا الله تعالى ثم انه تعالى بين في هذه الآية ان الازدواج  
 بين الليل والنهار لا غرض ثلثة لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من  
 فضل الله بالنهار وليستغفوا بالشكر على هاتين المنفعتين النوع  
 الرابع من وجوب دلالة الليل والنهار على الصانع الحكيم قوله تعالى  
 في سورة الفرقان وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا  
 وجعل النهار نشورا وفي سورة غم وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا  
 الليل لباسا وجعل النهار معاشا اما قوله وجعلنا نومكم سباتا  
 فقد طعن فيه بعض المحققين فقال السبات هو النوم فيصير التقدير  
 وجعلنا نومكم نومما والجواب عنه ان السبت في اصل اللغة هو  
 القطع يقال سب الرجل راسه يسبته سببا اذا حلق شعره  
 وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا يعني قطعنا وعندها يحتمل  
 الآية وجوها الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم مقطوعا  
 لا دائما فان النوم بمقدار الحاجة من النفع الاشياء اما دوامه  
 فهو من اضر الاشياء فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لاجرم ذكره  
 الله تعالى في معرض الانعام الثلثة ان الانسان اذا تعب ثم نام  
 فذلك النوم يزيل عنه التعب فسميت تلك الازالة سباتا وقطعا  
 وهذا هو المراد من قوله ابي قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اي  
 راحة وليس غرضه منه ان السبات اسم للراحة بل المقصود



ان النوم يقطع القرب ويزيله فحينئذ يحصل الواحد الثالث  
قال المبرد المراد وجعلنا نومكم سباتا اي جعلناه نوما خفيفا  
يملككم دفعه وقطعه تقوله العرب مسوت ان كان النوم يغالبه  
وهو يغالبه النوم كانه قيل وجعلنا نومكم نوما سباتا لطيفا  
يملككم دفعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من الامور  
الشديدة اما قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فقال الفقيه اصل  
اللباس هو الشيء الذي يلبسه الانسان ويتغطى به فيكون ذلك  
مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس بظلمة فيغلبهم جعل لباسا  
لهم والمراد كون الليل ساترا لهم واما وجه النعته في ذلك فهو  
ان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا اراد هربا من عدو  
او ياتاه او اخفاء ما لا يجب الانسان اطلاعه غيرم عليه قال  
المستبني ومك لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب  
وايضا فكما ان الانسان بسبب اللبس يزداد جماله ويتكامل قوه  
ويندفع عنه اذى الحر والبود ويندفع عنه اذى القرب للجماني  
واذى الافكار الموحشة النفسانية ولهذا السبب فان المريض  
اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة اما قوله وجعلنا النهار  
معاشا فاعلم ان في المعاش وجهان الاول انه مصدر يقال  
عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا  
التقدير لا بد فيه من اعمار وجعلنا النهار وقت معاش

والثاني ان يكون معاشا مفعلا وطرفا للنقيش وعلى هذا الاثر  
الى الاخبار ومعنى كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم  
التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار ولا في الليل والله اعلم  
النوع الخامس من وجوه دلالة الليل والنهار على وجود الصانع  
الحكيم قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون  
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم واعلم انه  
قوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار إشارة الى الليل وقوله  
والشمس تجري لمستقر لها إشارة الى النهار وفي قوله والشمس تجري  
لمستقر لها عدة اقوال اصحها انها تجري وتتحرك لانتهاء امرها  
عند انقضاء الدنيا اي لا تزال تجري حتى ينتهي الى الوقت الذي  
تنقضي الدنيا فيه وفي ذلك الوقت تقف وتستقر وتترك الحركة  
ولذلك هذا النهار افضل ام الليل وفي ترجيح كل واحد من  
الطرفين وجوه اما الذين يفضلون النور على الظلمة فقد تمسكوا  
الوجوه الاول في مباحث متفرقة في هذا الباب النوع الاول  
في المباحث المتفرقة عما كون القمر هلالا اعلم انه تعالى فرع عما  
كون القمر هلالا اجمالا يتعلق بعلم اصول والتوحيد واجازا  
يتعلق بعلم الفروع والتكليف اما ما يتعلق بعلم اصول  
فهو قوله تعالى في نيس والقمر قد رنا ه منار لحيته عاد كالمرجوت  
القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار



وكل في فلك يسبحون ونظير قوله في سورة اذا السماء انشقت  
 فلا اقسم بالشفق والليل وما سبق والقر اذا انشق فقوله اذا  
 انشق فاعلم ان اصل الاساق الاجتماع يقال وسقنه فاشق  
 كما يقال وصلته فانصل اي جمعه فاجتمع ويقال امور متسقة  
 اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال ابن عباس رضي الله <sup>عنها</sup>  
 اذا انشق اي اذا استوى واجتمع وتكامل وثم واستدار وذلك  
 ليلة ثلثة عشره واما ما يتعلق بعلم الفروع فهو قوله في سورة  
 البقرة يسئلونك عن الاهلة قل هي موافيت للناس ولج فالتكلم  
 في شرح هذين الاصلين اما الآية الاولى فاعلم انه تعالى جعل  
 الزمان مقدارا من اربعة اوجبة السنة والشهر واليوم والساعة  
 اما السنة فهي عبارة عن جعل الزمان الحاصل من حركة الشمس  
 من نقطة معينة من الفلك بحركتها الحاصلة على خلاف الحركة اليوتية  
 الى ان يعود الى تلك النقطة بعينها والقوم اصطحو على جعل  
 تلك النقطة الاعتدال الربيعي وهي اقل الحمل واما الشهر فهو  
 عبارة عن حركة القمر عن نقطة معينة من الفلك الخاضع به الى ان  
 يعود الى تلك النقطة ولما كان اشهر احوال القمر وصنعه مع الشمس  
 واشهر اوضاعه من الشمس هو اطلاق الفرجي مع ان القمر في هذا  
 الوقت يشبه الموجود والمعدوم والمولود الخارج من الظلم  
 لاجرم جعلوا هذا الوقت مبدء للشهور واما اليوم

بليلة فهو عبارة عن مفارقة نقطة من دائرة معدل النهار  
 نقطة من دائرة الافق او نقطة من دائرة الافق او نقطة من  
 دائرة نصف النهار وعودها اليها فالزمان المقدر بهذا المقدار  
 عبارة عن اليوم بليلة ثم ان المجتهدين اصطحو على تعيين دائرة  
 نصف النهار مبدء لليوم بليلة واما اكثر الامم فانهم جعلوا  
 مبادئ الايام بلياليها من مفارقة الشمس افق المشرق وعودها اليه  
 من الغداة واجتج من نصر مذهبهم بان الشمس افق المشرق وعودها  
 عند طلوعها كالموجود بعد العدم فجعله اول اولى وعلى هذا القول  
 فزمان الليل عبارة عن مدة كون الشمس تحت الارض وزمان  
 النهار عبارة عن مدة كون الشمس فوق الارض وفي شريعة الامم  
 يفتتحون النهار من وقت طلوع الفجر وجوب الصلوة والصوم  
 وغيرهما من الاحكام وعند المجتهدين مدة الصوم في الشرع هي زما  
 النهار كله مع زيادة من زمان الليل معلومة المقدار محدودة  
 المبدأ واما الساعة فهي على قسمين مستوية ومعوجة فالمستوية  
 جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم وليلة والمعوجة من اثنا  
 عشر جزءا من يوم وليلة فهذا هو الكلام المختصر في تعريف  
 السنة والشهر واليوم والساعة اذا عرفت هذا فنقول اما السنة  
 فهي عبارة عن دورة الشمس فيحدث بسببها الفصول الاربعة  
 وذلك لان الشمس اذا حصلت في الحمل فاذا تحركت من هذا الموضع



الى جانب الشمال اخذ الهواء في جانب الشمس شيئا من التخونة  
 لقربها من مسامنة الرأس وبوتواتر الاسنان الى ان يصل الى  
 اول السرطان وحينئذ يشتد الحر مادامت في السرطان والبلد  
 لقربها من سمت الرأس ثم ينكسر قليلا قليلا الى ان يصل الى  
 الميزان وحينئذ يطيب الهواء ويعتدل ثم يأخذ الحر في النقصا  
 والبرد في الزيادة ولا يزال يزداد البرد الى ان يصل الشمس الى اول  
 الجدي وحينئذ يشتد البرد ومادامت في الجدي والدلو فالبرد  
 يكون في غاية الشدة الى ان ينتهي الى اول الحمل فحينئذ يطيب الهواء  
 ويعتدل وعادة الشمس الى مبداء حركاتها وتمت السنة <sup>حصل</sup>  
 الفصول الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء  
 ومنافع الفصول الاربعة مشهورة في الكتب واما الشهر فهو  
 عبارة عن دورة القمر في الفلك الخاص فتعموا ان نوره مستفاد  
 من الشمس وابدأ يكون احد نصفيه مضيئا بالتام الا انه عند  
 الاجتماع يكون نصفه المضيئ هو النصف الفوقاني فلا جرم نحن  
 لانرى في تلك الحالة من نوره شيئا وعند الاستقبال يكون  
 نصفه المضيئ مواجها لنا فلا جرم نراه مستنيرا بالتام وكلما  
 كان القمر اقرب الى الشمس كان المرئ من نصفه المضيئ اقل مواجها  
 لنا فلا جرم لانراه مستنيرا بالتام وكلما كان ابعد كان المرئ  
 من نصفه المضيئ اكثر ثم انه من وقت الاجتماع الى وقت الاستقبال

يكون كل ليلة ابعد من الشمس فلا جرم نرى كل ليلة ضوءه اكثر  
 من وقت الاستقبال الى وقت الاجتماع يكون كل ليلة اقرب  
 الى الشمس فلا جرم نرى كل ليلة ضوءه اقل ولا يزال يقل ويقل  
 حتى عاد كالمرجون القديم فهذا ما قاله اصحاب النجوم واما <sup>صوليون</sup> الالف  
 فهم يقولون القمر جسم والشمس جسم والاجسام كلها متماثلة  
 في الجسمية والاشياء المتساوية في تمام الماهية تمتنع اختلافها  
 في اللوازم فاذا حصل الضوء في جرم الشمس والقمر امر جاز  
 الوجود لا يمتنع حصوله ولا يمتنع عدمه وما كان كذلك امتنع  
 رجحان وجوده على عدمه الا بترجيح الفاعل المختار وكل ما كان  
 فعلا للفاعل المختار فان ذلك الفاعل يكون قادرا على ايجاده  
 وعلى اعدامه وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى اسناد هذه <sup>الافان</sup> الف  
 الحاصلة في نور القمر الى قربها وبعدها من الشمس بل الحق ان  
 حصول النور في جرم الشمس انما كان بسبب ايجاد القادر المختار  
 واذا كان كذلك كان الامر له قادرا على ازالة النور عن جرمه  
 فحينئذ يكون صيرورة الشمس مظلمة في ذاتها امر جاز او حينئذ  
 يفتح باب في الدين وهو الايمان بصفة كل ما جاء في صفات  
 الافلاك والكواكب يوم القيامة نحو قوله اذا الشمس كورت  
 واذا النجوم انكدرت واذا السماء اشفت واذا السماء كسفت  
 واذا عرفت هذا ظهرت دلالة اختلاف احوال القمر في الضوء



والنور على الفاعل المختار الحكيم سبحانه بقى في الآية سؤالات  
 الأولى ما معنى قوله والقر قد رناه منازل الجواب معناه والقر  
 قد رناه مسيرة منازل اوله منازل على حذف الجار اذا منازل  
 على حذف المضاف الثاني ما المرجون للجواب المرجون اصل العز  
 قال الزجاج هو فعلون من الانفراج وهو الانقطاع واذا قدم  
 دق وانحنى واصفر شبه الهلال به لدقته وانحنائه وتقويسه  
 فهذا ما يتعلق بعلم الاصول من مباحث الهلال اما ما يتعلق  
 بعلم الفروع فهو ان لقائل ان يقول خالق العالم ومدبر لم يخص  
 حرم القمر بهذا الاختلاف فنقول لعلماء الاسلام في هذا المقام  
 جوابان احدهما ان يقال ان فاعلية الله لا يمكن تقليلها بفرض  
 ومصلحة ويدل عليه وجوه الاول ان كل من فعل فعلا الفرض فان  
 كان وجود ذلك الفرض اولي بذلك الفعل من لا وجوده كان  
 ذلك الفاعل ناقضا بذاته مستكسما لغيره وذلك في حق الله تعالى محال  
 وان لم يكن اولي به لم يكن غرضا الثاني ان من فعل فعلا الفرض  
 فان قدر على تحصيل ذلك الفرض دون ذلك الوسطة كان فعل  
 تلك الوسطة عبثا وان لم يقدر فهو عاجز الثالث لو كان فعلا  
 معطلا بفرض فذلك الفرض ان كان محدثا افتقر الى احدائه  
 الى غرض آخر وان كان قديما لم من قدمه قدم الفعل وهو محال  
 فلا جرم قالوا كل شيء منعه ولا علة لسنعه ولا يجوز تقليل افعال الله

واحكامه البتة لا يسئل عما يفعل الجواب الثاني قول من يقول  
 لا بد في افعال الله تعالى واحكامه من رعاية المصلحة والحكم والقانون  
 بهذا القول سلموا ان العقول البشرية قاصرة في اكثر الامر  
 عن الوصول الى اسرار حكمة الله في ملكه وملكوته الا ان الله تعالى  
 اخبر عن الحكمة في اختلاف ضوء القمر في ايات منها قوله تعالى في سورة  
 البقرة يستلونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج ومنها  
 في قوله في يونس هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقد  
 منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ومنها قوله في بني اسرائيل  
 وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار  
 مبصرة لتبتغوا من فضلنا من ربكم ولتعلموا عدد السنين  
 والحساب وقال في يسس والقمر قد رناه منازل حتى عاد كالعرجون  
 القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار  
 وشرح هذا المعنى ان يقول ان بتقدير الزمان بالشهور فيه منافع  
 يتصل بعضها بالدين وبعضها بالدنيا واما ما يتصل منها بالدين  
 فكثيرة منها الصوم قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن  
 ومنها الحج أشهر معلومات ومنها عدة المتوفى عنها زوجها  
 قال تعالى يترقبن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ومنها  
 مدة الحمل والرضاع قال وحمله وفضاله ثلثون شهرا ومنها  
 الذورات التي يتعلق بالاوقات في ايام الاصل ولا يسئل عما يفعلها



الا بالاهلة واما ما يتصل بالدنيا منها فهو كالمداينات والاعارة  
 ومدة الحمل والرضاع وغيرها وكل ذلك مما لا يسهل ضبط اوقاتها  
 الا عند وقوع الاختلاف في ضوء القمر وتحقيق الكلام فيه ان  
 المصنف الذي يراعي الترتيب يقسم كتابه الى انواع ثم كل نوع  
 منه الى ابواب ثم كل باب منه الى فصول حتى يكون الاطلاع على  
 مضمون ذلك الكتاب اسهل وايسر وجملة هذا العالم تصنيف  
 الله تعالى وهو سبحانه ما اعظم شأنه يراعي التسهيل على المكلفين  
 فقسم جملة الزمان الى السنين ثم قسم كل سنة الى اثني عشر شهرا  
 كما قال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله  
 ثم قسم كل شهر الى الايام ثم قسم كل يوم الى الساعات ثم قسم  
 كل ساعة الى الانفاس ثم قسم كل نفس الى اللحامات ثم قال انا انك  
 به قبل ان يرد اليك طرفك ثم قسم كل لحظة الى الاجزاء التي  
 لا يجزي والايان التي لا تنقسم ولما ظهر ان لاختلاف احوال القمر  
 معونة عظيمة في تعيين الاوقات وتجديدها للوجوه التي ذكرناها  
 لاجرم نبت الله تعالى على هذه النعمة بقوله قل هي مواقيت للناس  
 والحج لان تنفيذ جميع تلك المنافع يفيض الى الاطناب والاقصار  
 دون البعض اجمال لبعض فلم يبق الطريق الا التنبية على الكل  
 بطريق الايجاز ومن منافع اختلاف ضوء القمر انه لو لم يحصل  
 هذه الاختلاف لتأكد شبهة الفلاسفة في قولهم ان الاجرام الفلكية

لا يمكن تطرق النفي الى احوالها فهو سبحانه بحكمة القاهرة  
 ابقى الشمس على حالة واحدة واظهر الاختلاف في احوال القمر  
 من وجهين احدهما المحو الذي في وجهه فان بعض اجزائه  
 مخالف للبعض في كيفية النور والثاني ضوءه يختلف في كل يوم  
 ثم جعل هذين النوعين من الاختلاف دليلا على كون هذه الاجرام  
 قابلة للاختلاف والتغير حتى يدل ذلك على افتقار الشمس  
 والقمر والخموم والافلاك والعناصر الى مقدر قادر حكيم النوع  
 الثاني من المباحث المتعلقة بالبروج قال تعالى في سورة الحجر  
 ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناس وقال في الفرقان  
 تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقال والسموات البروج  
 واليوم الموعود واعلم ان هذا كما ذكر البروج ذكر المنازل  
 ايضا فقال في سورة يونس عم وقدره منازل لتعلموا عدد  
 السنين والحساب وقال في سورة يس والقمر قدرناه منازل  
 والكلام في المباحث المتعلقة بالبروج والمنازل طويل الا اننا  
 نذكر ههنا من ذلك طرقا قليلا فنقول اما البروج ففيها حجاب  
 الاول وهو اننا بيننا ان مصالح هذا العالم لا ينظم الا بالفصول  
 الاربعة المتعاقبة فالحق تعالى قسم الفلك باربعة اقسام الربيع  
 الاول الذي متى كانت الشمس فيه كانت الزمان ربيعا والربيع  
 الثاني الذي متى كانت الشمس فيه كان الزمان صيفا والربيع الثالث



اذا حصلت الشمس فيه كان الزمان خريفا والرابع الذي  
 منه حصلت الشمس فيه كان الزمان شتاء فقسم الفلك الى هذه  
 الاربعاء الارباع الاربعة ليحدث الفصول الاربعة في الارض ثم  
 ان تقسم كل فصل الى ثلثة اقسام ابتداء ووسط وانتهاء  
 والحكمة فيه ان الانتقال من احد الصدين الى الصند الاخر يوجب  
 الامراض والاسقام الشديدة فلما كان الشتاء باردة جدا جعل  
 اول الربيع ضعيفا في الحرارة حتى ينتقل الانسان من البرد الشديد  
 الى الحر الضعيف ولا يصير الطبيعة مقهورة ثم ان ذلك الحر لا يزال  
 يتزايد ويقوى حتى يبلغ الى كمال الحر اللايق بالربيع فحينئذ يقع  
 الانتقال منه الى الحر الشديد الذي هو في الصيف فلا يصير طباع  
 الامزجة والابدان مقهورة فاوّل الربيع ضعيف الحر لانه مجاور  
 للشتاء واخر الربيع قوى الحر لانه مجاور للصيف وبهذا التدبر  
 حصل الانتقال من صند الى صند فلا يحصل الامراض والآلام بسبب  
 ذلك فلهذا المعنى اقتضت الحكمة الالهية ان يقسم كل ربع من ارباع  
 الفلك بثلثة اقسام احدها يكون مبدأ لذلك الفصل والثاني يكون  
 وسطه والثالث يكون كماله فصار لاجل هذا الترتيب صار  
 الفلك مقسوما باثني عشر برجاً ثم ان تقاسم سائر الشمس في هذه البروج  
 كما قال تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا  
 وقمر اميناً فلا حرم صير السنة اثني عشر شهراً كما قال تعالى ان عنة

الشهور عند الله اثني عشر شهراً الآية الوجه الثاني في عجائب  
 البروج واعلم ان العوالم ثلثة العالم الاصفر وهو بدن الانسان  
 والعالم الاوسط وهو العالم السفلي بما فيه من العناصر الاربعة  
 والعالم العلوي هو عالم السموات والكواكب اما العالم الاوسط  
 فخلق فيه اجرام اربعة الارض والماء والهواء والنار وان نقل  
 الاجسام هو الارض فلا حرم جعل الارض تحت جميع طبائع الارض  
 والماء اقل ثقلا منه فجعل الماء محيطا بالارض ثم الهواء خفيف  
 فجعل الهواء محيطا بالماء ثم النار اخف اجسام العناصر فجعل  
 النار محيطا بجميع العناصر الاربعة فهذا هو الترتيب الحكيم  
 المنقن ثم ان تقال قلب هذا الترتيب في تخليق العالم الاصفر فجعل  
 الارض فوق الكل والنار تحت الكل والدليل عليه ان بافوخ الانسان  
 فوق جميع اعضائه وهو عظم والعظم بارد يابس وطبيع الارض  
 فجعل الارض فوق جميع الاعضاء ثم جعل الهوا تحت الارض فان  
 النفس هواء ومنفذ النفس هو الانف وهو تحت البافوخ ثم  
 جعل الماء تحت الماء الهواء لانه معدن الماء هو الفم والفم تحت  
 الانف ثم جعل النار تحت الماء لانه معدن النار والحرارة الغريزية  
 هو القلب والقلب تحت الاعضاء ففي العالم الاوسط جعل الارض  
 تحت الكل والنار فوق الكل وفي العالم الاصفر قلب هذا الترتيب  
 فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل ليظهر للعقل ان السبب



في حصول هذا الترتيب تخليق القادر المختار وتكوينه لا تأثر  
 الطبيعة والخاصية واملأ العالم الاكبر فقد رتب هذه الطبايع  
 على خلاف ما وقع ترتيبها من العالم الاصغر وفي العالم الاوسط  
 وذلك لان الحمل برج نارى ثم تجاوره الثور وهو ارضى ثم مجاور  
 الجوزاء وهو هوائى ثم تجاوره السرطان وهو مائى فوقه الابتداء  
 بالنار والانهاء بالمائى واعلم ان الحكمة في وقوع هذه الطبايع  
 الاربعة في كل واحد من هذه العوالم الثلاثة على ترتيب اخر مخالف  
 لترتيب غير ليكون ذلك شاهدا بان الطبايع معزولة والنواض  
 باطلة ولاننا نرى الابقرة الاحد القمد الذي لم يلد ولم يولد ولم  
 يكن له كفوا احد الوجه الثالث ان ترتيب العناصر الاربعة في  
 هذا العالم الاسفل وقع بحيث يكون متجاوزين منها فانهم ليسوا  
 في كيفية وينها ينال في الاخرى مثلا الارض والماء يتركان في البر  
 ويختلفان في الرطوبة واليبوسة والماء والهواء يتركان في  
 الرطوبة ويختلفان في الحرارة والبرودة والهواء والنار يتركان  
 في الحرارة ويختلفان في الرطوبة واليبوسة فالواو والسبب فيه  
 ان لا يتجاوز صدان من كل الوجوه ثم ان هذه الدقيقة صارت  
 متروكة في ترتيب الطبايع في العالم الاكبر وذلك لان هناك قد  
 تجاوزت البروج والمتضادة لا ترى ان للحوت والحمل متضادان  
 لان الحوت بارد رطب والحمل حار يابس وهما متجاوران وكذلك

الثور والجوزاء متضادان لان الثور بارد يابس والجوزاء حار  
 رطب وكذلك السرطان والاسد وكذلك السنبلة والميزان  
 وكذلك الجدى والدلو كل واحد من هذين البرجين متضادان  
 بكلية الكيفيتين ثم متجاوران وهذا من اقوى الدلائل على ان  
 تجاوز هذه البروج ليس لاجل مشاكلة طبايعها وبجاستدلالها  
 بل ذلك لايجاد القادر المختار الصانع الحكيم جلالة وتقدس سلطانه  
 الوجه الرابع ان الشمس في غاية السخونة ومذهبكم ان الحمل برج  
 حار يابس نارى والسرطان برج بارد رطب مائى فلو كانت  
 هذه التأثيرات حاصلة بسبب الطبيعة لكان اذا حصلت الشمس  
 في الحمل فقد حصل كوكب حار جدا في برج حار يابس جدا فوجب  
 ان يقوى السخونة جدا واذا حصلت الشمس في السرطان فقد  
 حصل كوكب حار جدا في برج بارد جدا فوجب ان ينكسر حره  
 ويضعف لكن ليس الامر كذلك فانه حين يحصل الشمس في الحمل  
 يكون الحر ضعيفا وحين يحصل في السرطان يكون الحر قويا فاعلمنا  
 ان قوة الحر ليس لتأثير النجم والبروج بل بتقدير المقدار  
 وتدبير الصانع الحكيم فان قيل اذا حصلت الشمس في السرطان  
 فهنا وان حصلت الشمس في البروج البارد الرطب الا انها  
 على سمت الرأس فلا جرم قوى الحر بهذا السبب قلنا هذا باطل  
 لكونها في الاسد لان الشمس حال كونها في الاسد تباعدت



عن سمت الرأس مع ان الحمر عند كون الشمس في الاسد استند  
واقوى وهذه الاعتبارات دالة على ان تغير احوال العالم بسبب  
تقدير الصانع المختار لا بسبب احوال الاجرام والافلاك  
الوجه الخامس ان القوم لما سلموا ان هذه البروج في الطبايع  
والماهيات فان واحدتها يقتضى السخونة واليبوسة والاخر  
يقتضى البرودة والرطوبة فلولا اختلافها في الماهية والاما  
اختلفت اثارها واذا كانت هذه البروج مختلفة الطبايع <sup>هي</sup> <sup>هنا</sup>  
كان الفلك مركبا من اجسام مختلفة الطبايع والحقيقة كانت  
الانسان مركب من اعضاء مختلفة واجزاء غير متساوية في الحقيقة  
والماهية وكل مركب فانه ينسحق الى الاحلال والاختلاف  
ومباينة كل واحد من تلك الاجزاء المتنافرة المتعاندة عن صاحبه  
وهذا يقتضى ان السموات تنشق وتخرّب ولا يبقى تركيبها وهو  
مطابق القرآن العظيم وليكتف بهذا القدر من الكلام في البروج  
والمنازل النوع الثالث في المباحث المتعلقة بالشفق قال  
فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقر اذا اتسق لتزكبن  
طبقا عن طبق اعلم ان تركيب لفظ الشفق اصل في اللغة لدقة  
الشيء يقال شيء شفق اذا كان رديا وذلك لضعفه ورقته وجوه  
والشفق عليه اذا رق قلبه عليه والشفقة رقة القلب ثم اتفق  
العلماء على انه الاسم للآخر الباقي من الشمس الا في بعد غروبها

ثم

ثم اختلفوا فذهب عامة العلماء الى انه هو الحمر وهو قول ابن  
عباس ومقاتل ومن اهل اللغة قوله الليث والفراء والرجاج  
وعن ابي حنيفة في احد الروايتين انه البياض وروى اسد بن  
عمر انه رجع عنه واجتمع الاولون على قولهم بوجود الاول  
قال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه  
الشفق وكان ذلك الثوب احمر فدل على ان الشفق هو الحمر  
<sup>الحجة</sup> <sup>الثانية</sup> ان الامة بمجموعة على ان الشفق هو وقت العشاء  
الاخيرة فوجب ان يكون المعبر هو الحمر لا البياض لان البياض  
يمتد وقته ويطول لبثه والحمر لما كانت بقية ضوء الشمس عن  
الافق فذلك يذهب اذا ذهب الحمر <sup>الحجة</sup> <sup>الثالثة</sup> ان اشتقاق  
الشفق لما كان من الرقة ولا شك ان الضوء يأخذ في الرقة  
والضعف من عند غيبة الشمس فيكون الحمر شفقاً اما من قال  
انه هو بياض فقد اجمعت عليه بوجود <sup>الاولى</sup> <sup>اننا</sup> <sup>ان</sup> اشتقاق  
هذا اللفظ يدل على الضعف والبياض الباقي اضعف بقي  
من الشمس فوجب ان يكون مسمى بهم الشفق <sup>الحجة</sup> <sup>الثانية</sup>  
ان صلوة الصبح وصلوة العشاء واقعتان على الطرفين فلما كان وقت  
صلوة الصبح بطلوع البياض وجب ان يكون صلوة العشاء لغروب  
البياض اما قوله تعالى والليل وما وسق فقال اهل اللغة وسق  
اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجمع الذي يكال ويوزن



ثم صار اسما للجميل واستوسقت الابل اذا اجتمعت فانفتحت  
قال القفال مجموع اقاويل المفسرين يدل على انهم فسروا قوله  
تعالى وما وسق على جميع ما يجمعه الليل من الخجوم ورجوع  
للحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه من الهوام ثم هذا  
يحتمل ان يكون إشارة الى الاشياء كلها لاشتمال الليل عليها فكانه  
قال تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما  
لا تبصرون وقال سعيد بن جبير المراد من قوله وما وسق الاعمال  
التي عملت من الليل قال القفال يحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد  
فقد مدح الله المستغفرين بالاجار لجاز ايضا ان يحلف بهم  
واما قلنا ان الليل اجمع هذه الاشياء كلها لان ظلمة كانهما تحلل  
للجبال والجار والشجر والحيوانات فلا جرم صح ان يقال وسق  
الليل جميع هذه الاشياء وقوله والقر اذا اتسق فاعلم ان اصل  
الكلمة من الاجتماع يقال وسقته فانسق كابقا وصلته فانصل  
قال ابن عباس والقر اذا اتسق اي استوى واجتمع وتكامل ولقد ار  
وذلك ليلة الرابع عشر ثم قال لتركن طبقات طبق وفيه مسائل  
المسئلة الاولى قوله لتركن طبقات طبق على خطاب الانسان في باب  
الانسان ولتركن بضم الباء خطاب للجنس لان النداء في قوله يا ايها  
الانسان انك كادح للجنس ولتركن بكسر الباء على خطاب النفس  
ولتركن بباياء على معنى لتركن الانسان المسئلة الثانية الطبق

ماطابق غير يقال ما هذا بطبق كذا اي لا يطابق ومنه قيل للفظا  
الطبق والطباق الثرى ما يطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها  
طبق ومنه قوله تعالى طبقات طبق اي حالا بعد حال كل واحدة  
مطابقة لاختلافها ولذا ذكر وجوه المفسرين فيقول اما القراءة  
برفع الباء وهي خطاب الجمع فيجمل وجوها الاولى ان يكون المعنى لتركن  
ايها الانسان امورا واحوالا امر بعد امر ومنزلا بعد منزل الى ان يستقر  
الامر على ما يقتضيه برفع الانسان اوله من جنة فيجسّد يحصل الدوام  
والخلود اما في الثواب او في العقاب ويدخل في هذه الجملة احوال  
الناس من حين يكون نطفة الى ان يصير شجاش ثم يموت فيكون في البرزخ  
ثم يحشر ثم ينقل اما الى الجنة واما الى النار الثاني ان يكون مع الآية  
ان الناس يلقون يوم القيامة احوالا وشدايد حالا بعد حال وشدة  
كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث كايين والناس يلقون  
فيها الشدايد والاهوال <sup>الاحوال</sup> الى ان يفرغ الله من حسابهم فيصير  
كل احد الى ما اعتد لهم من جنة او نار وهو كقوله لي وربي لتبعثن  
ثم لتنبؤن بما عملتم وقوله يوم يكشف عن ساق وقوله يوما  
يجعل الولدان شيا الثالث ان يكون المعنى ان الناس ينتقل احوالهم  
فمن منعم يشقى ومن شقى يتنعم وقوله خافضه رافعة وهذا الناول  
مناسب لما قيل هذه الآية كانت ناعما ذكر حال من يؤتى كتابه وراء  
ظهره انه كان في اهله مسرورا وكان يظن ان لن يحور لي اخبر الله



انه يجوز ثم اخبر ان الناس يكون في الاخرة يركبون طبقات طبق اي  
 حال بعد حالهم في الدنيا والرابع ان يكون المعنى لترتيب طبقات سنة الاولين  
 فمن كان فيكم في الكذب بالنسبة والقيامة واما القراءة بنصب  
 البناء من قوله لترتيب فيها اقوال الاول ان يكون ذلك إشارة النبوة  
 بالهوى والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه قال اقسام يا محمد  
 لترتيب حال بعد حال حتى يختم لك بحيل العاقبة ولا تحزنك تكذبتهم  
 وتماذيهم في كفرهم ويتفرع عما هذا القول احتمالان احدهما ان يكون  
 المعنى انه يركب كان ظفر غلبة بعد حال خوف وشدة والاحتمال الثاني  
 ان يكون المعنى ان الله تم سد له بالمشركين انصارا موقنين مسلمين  
 ويكون مجازا ذلك من قولهم طبقات الناس والقول الثاني ان يكون  
 ذلك إشارة لمحمد يوم يصعوده الى السماء ليشهد ملكوتها ويشاهد  
 اجلال الملائكة له والمعنى لترتيب يا محمد السموات طبقات طبق وقال  
 تعالى سبع سموات طباقا وقد فعل الله ذلك على ليلة الاسري وهذا  
 القول مروى عن ابن مسعود وعن ابن عباس رضي والقول الثالث  
 لترتيب يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب  
 من الله تعالى والقول الرابع في هذه القراءة ان هذه الآية واردة  
 في شرح احوال السموات والمعنى لترتيب السموات يوم القيامة حالة  
 بعد حالة وذلك لانها اول ما يتشقق كما قال اذا السماء انشقت ثم  
 ينفطر كما قال اذا السماء انفطرت ثم يصير ورده كالدهان

وكالمهل على ما ذكر الله في هذه في آيات من القرآن فكانت نكاحا لما ذكر  
 في اول السورة انما تشق اقسام في اخر السورة انها تنقل من احوال  
 الى احوال وهذا مروى عن ابن مسعود رضي النوع الرابع في مباحث  
 المتعلقة بالاطلال قال تعالى في سورة الرعد والله يسجد من في السموات  
 والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدق والاصال وقال اولم يروا  
 الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمال سبح الله  
 وقال في القرآن الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا  
 ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسييرا ولنشرع  
 من تفسير هذه الآية المذكورة في الفرقان فنقول انه تعالى ليتدل  
 بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال على وجوه  
 الصانع الحكيم اما قوله الم تر فيه وجهان احدهما انه من رؤية  
 العين والثاني انه من رؤية القلب وهو العلم فان جعلناه على رؤية  
 العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مد رتبك وان جعلناه على العلم  
 وهذا اختيار الزجاج فالمعنى الم تعلم وهذا اولى وذلك لان الظل  
 اذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله في تمديد عزمه  
 بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير ممكن وكل ممكن فله  
 مؤثر يحمل هذا اللفظ على رؤية القلب من هذا الوجه اولى المسئلة  
 الثالثة المخاطب بهذا الخطاب وان كان هو الرسول بحسب ظاهر  
 اللفظ الا ان الخطاب عام في المعنى لان القصد بالاية بيان انعام



الله بخلق الظل وجميع المكلفين مشتركون في انه يجب كونهم متنبهين  
لهذه النعمة ولست لالاتهم بها على وجود الصانع الحكيم سبحانه والكلام  
المختص يرجع الى وجهين الاول ان الظل هو الامر المتوسط  
بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر الى  
طلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وافنية الجدران  
وهذه الحالة اطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة بكرها للطبع  
وينفر عنها المزاج واما الضوء الخالص وهو الكيفية الغائبة  
من الشمس فهي لقوتها تهرجس البصر ويفيد التخونة القوة  
وهي موزنية فاذا ن اطيب الاحوال هو الظل ولذلك وصف الجنة  
به فقال وظل ممدود واذ انت هذا فنقول انه تعالى بين ان  
هذا الظل من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ثم ان الناظر الى  
الجسم المملون وقت الظل كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم وسوى  
اللون ولا يعرف ان الظل امر ثالث به يكمل الانتفاع بحسوات  
هذا العالم فاذا اطلعت الشمس ووقع ضوءها على اجسام هذا العالم  
زال ذلك الظل فلو لا وقوع ضوء الشمس على الاجرام لما عرف  
ان للظل وجودا وحقيقة لان الاشياء انما تعرف باضدادها  
ولولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس على الارض  
زال الظل فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زاوية على الجسم واللون  
فلهذا قال تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا الاظلال

بما فيها من المنافع والخيرات ثم هدينا العقول الى معرفة وجودها  
بان اطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود كيفية الظل  
الذي هو منشأ المنافع الكثيرة ثم قبضناه اي ازلنا الظل لا دفعة  
بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان  
الاظلال في جانب المغرب ولما كانت الحركة المكانية لا توجد دفعة  
بل يسيرا يسيرا فكذا زال الاظلال لا يكون دفعة بل يسيرا يسيرا  
وايضا فقضى الاظلال لو حصل دفعة واحدة لاحتلت المصالح  
ولكن قبضها يسيرا يسيرا يفيد رعاية لمصلحة العالم والمراد  
بالقبض الازالة والاعدام هذا احدا لنا ويلين والتا ويل لنا  
انه لما خلق تعالى وتقدس الارض والسماء وما خلق الشمس والقمر  
والكوكب ووقع ظل السماء على الارض فحصلت ظلمة شديدة متكاثرة  
في الارض ثم انه تعالى خلق الشمس دليلا عليه وذلك لانه بحسب  
اصواء يتحرك الاظلال فانها متعاقبان متلازمان لا واسطة  
بينهما فمقدار ما يزداد الاخر ينقص الاخر وكما ان المهتدي  
يهتدي بالهادي والدليل ويلزمه فكذلك الاظلال مهتدية  
وملازمة للاصواء فهذا هو المراد من جعل الشمس دليلا عليها  
واما قوله ثم قبضناه اليها قبضا يسيرا فاما ان يكون المراد منه  
انتهاء الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصانها فسمى ازالة الاظلال  
قبضا لها او يكون المراد من قبضها يسيرا يسيرا قبضا عند قيام الساعة



وذلك يقبض بسببها وهي الاجرام التي يلقي الاظلال وكقوله سيرا  
كقوله ذلك حشر علينا يسير فهذا هو التأويل المختص اذا عرفت  
هذا فنقول الاستدلال به على وجود الصانع المحسن الرحيم ظاهر  
وذلك لان حصول الظل امر نافع للاحياء والعقلاء واما حصول  
الصنوء الخالص والظلمة الخالصة فهو موجب للمضار لا للمنافع  
وذلك لان تركيب الانسان تركيب ضعيف والحواس الانسانية لا يطبق  
ادراك الكيفيات القوية واعتبر ان النظر الى الصنوء القوي يعنى  
البصر وسماع الاصوات القوية يورث الضم وملازمة لحرارة القوى  
او البرد القوي يورث الموت بل لابد من الاعتدال في المدركات  
والحسوس والظل كيفية معتدلة كانتا كيفية متولدة عن امتزاج  
النور والظلمة فثبت ان كيفية الظل من المنافع العظيمة اذ اثبت  
هذا فنقول هذه الكيفية اما ان يكون من الواجبات او الجائزات  
والاول باطل والا لما تفرقت التغيرات اليه فاذا هو من الجائزات  
فلا بد لوجوده بعد العدم ولعدمه بعد الوجود من صانع قادر محسن  
رحيم مقدير هذه الاظلال في قوتها وضعفها بالمقدار النافع  
ويقدر بقاءها وانتقالها بالمقادير النافعة وما ذلك الا انه  
سجانه خضع الشمس والقمر والنجوم كل واحد منها بمقدار خاص  
من الصنوء وبمقدار خاص من قوة الانشاء ومقدار خاص من الجبهة  
في الحركة والبطء والسرعة وما ذلك الا من المحسن الرحيم الحكيم

فهذا

فهذا هو الكلام في الاستدلال لوجود هذا الاظلال على الصانع  
واعلم ان للاظلال انواعا من الخواص العجيبة الخاصة الاولى  
ان الاظلال في انفسها متحركة الا ان الحسن لا يشاهد حركاتها البتة  
اما ان العقل قاطع بكونها متحركة وذلك لان الجسم مشاهد بالانتقال  
الظل من مكان الى مكان اخر ولو لا حركتها والاما حصل هذه  
الانتقال واما ان الحواس لا يشاهد حركاتها والامر فيه ظاهر  
النوع الخامس من المباحث المتعلقة بالنجوم واعلم انه تعالى  
ذكر في القرآن انواعا من منافعها الاولى كونه زينة للسماء الثانية  
كونها رجوما للشياطين والله تعالى ذكرها بين المنفعتين معا  
في آيتين احدهما قوله تعالى في الصافات انا زيننا السماء الدنيا  
برزية الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد الى قوله فاتبعه شهاب  
سابق وثانيتهما في سورة الملوك وهو قوله ولقد زيننا السماء  
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال في سورة  
الجن حكاية عن الجن وانا لمسننا السماء الدنيا فوجدناها ملئت  
حشا شديدا وشهبا فلنتكلم في شرح هاتين المنفعتين <sup>المنفعة</sup>  
الاولى وهي كون هذه النجوم زينة للسماء ومصابيح فيها فاعلم  
ان هذا مشتمل على بحثين احدهما كونه زينة ومصابيح والثاني  
انها في السماء الدنيا اما انها زينة للسماء فلا شك فيه واما انه قد  
لم سماها بمصابيح في سورة الملوك وذلك لان المصابيح هي السرج



والناس يزيتون مساجدهم وودعهم بالمصابيح فكانه قيل ولقد  
 زينا سقف الدار التي اجتمع فيها بمصابيح اي بمصابيح لايساويها  
 مصابيحكم في الاضاءة الخ الخ ظاهر الالة تدل على ان هذه  
 الكواكب مركوزة في السماء الدنيا لكن اصحاب الهيئة والنجوم اتفقوا  
 على ان هذه الثوابت مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق  
 اكر السيارات واحتجوا عليه بان بعض هذه الثوابت في الفلك  
 الثامن فيجب ان يكون كلها هناك وانما قلنا ان بعضها في الفلك  
 الثامن وذلك لان الثوابت التي يكون قربية من المنطقة واقعة  
 في حمر السيارات ينكسف بهذه السيارات والمكسوف لا بد  
 وان يكون فوق الكاسف فهذه الثوابت هي فوق اكر السيارات  
 الكاسفة وانما قلنا انه لما كان بعض الثوابت في الكرة الثامنة  
 وجب ان يكون كلها في الكرة الثامنة لانها باسرها متحركة حركة  
 واحدة بطيئة في كل مئة سنة درجة واحدة واذا كانت هذه  
 الثوابت متشابهة في الحركة وجب ان يكون كلها مركوزة في كرة واحدة  
 واعلم ان هذه الحجج ضعيفة فانه لا يلزم من تشابه الثوابت  
 كلها في الحركة كونها باسرها مركوزة في كرة واحدة لانه لا يمنع  
 في العقل وجود كرة تحت كرة القمر تكون متشابهة في البطء لكرة  
 الثوابت ويكون الكواكب التي لا ينكسف بهذه السيارات مركوزة  
 في هذه الكرة السفلية التي هي السماء الدنيا اذ لا يبعد وجود كرتين

مختلفتين

مختلفتين بالصغر والكبر مع كونها متشابهتين في الحركة الا ترى  
 ان ممثلات جميع السيارات سوى الشمس والقمر متحركة بحركة بطيئة  
 متشابهة بحركة فلك الثوابت وعلى هذا التقدير لا يمنع ان يكون  
 اكثر هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا فان قيل هب ان ما ذكرتم  
 محتمل الا انكم سلمتم ان هذه الكواكب الثابتة الواقعة في حمر  
 السيارات المنكسفة بها مركوزة في كرة فوق اكر هذه السيارات  
 السبعة وحينئذ يعود الاشكال في تلك الكواكب الجواب من جهتين  
 احدهما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح يفتضيه ان يكون  
 السماء الدنيا مزينة بمصابيح وليس فيه دلالة على ان كل الكواكب  
 في هذه السماء واما قوله في سورة الصافات انا زينا السماء  
 السماء الدنيا بزينة الكواكب فصيغة الجمع وان كانت يفيد الاستغراق  
 الا ان اطلاق لفظ العموم لارادة الاكثر مجاز مشهور في القرآن  
 الوجه الثاني في الجواب ان قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب  
 لا يقتضي كون الكواكب موجودة فيها وذلك لان هذه السموات  
 اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت في سماء الدنيا او كانت  
 في سموات اخرى فوقها هي لا بد وان يظهر من سماء الدنيا  
 وبلوح منها فلهذا التقدير يكون السماء الدنيا مزينة بهذه  
 المصابيح المنفعة الثانية الكواكب كونها رجوما للشياطين  
 يروى ان الجن كانوا يصعدون الى السموات ويسمعون الاخبار



ويرجعون الى السماء الدنيا ويقولها على الخلق فكان يصير ذلك سببا  
لتمكن الكهنة من الاخبار عن الغيوب فلما بعث الله سبحانه محمدا  
عليه السلام حرمت السماء ورصدت الشياطين فمن جاءهم مسترقا  
للسمع رعى من هذه الكواكب شهاب فاحرقه فهذا هو السبب  
في انقضاء الشهب وهو المراد من قوله وجعلناها رجوما  
للشياطين ومن الناس من طعن فيه واحتج بوجود الاولى ان  
انقضاء هذه الكواكب امر مذكور في كتب قدماء الفلاسفة قالوا  
ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ  
كرة النار احترق بها فلك الشعلة هي شهاب اذا كان الامر كذلك  
فكيف يمكن ان يقال السبب فيه رعى الجنة بالشعلة من النار  
الثانية ان هؤلاء الجن كيف يعقل ان شاهدوا واحدا والفا  
من جنسهم كلما استرقوا السمع احترقوا ثم انهم مع ذلك يعودون  
الى مثل صنيعهم فان العاقل اذا راى الهلاك في شئ واحد فرقه او الف  
الفرقة امتنع ان يعود اليه من غير فائدة الثالثة روى في الاخبار  
ان تخن كل واحد من السموات مسيرة خمسمائة عام فهو للجن  
ان قدروا يحرق هذه السموات مع عظمها فهذا باطل لانه تعالى  
نفى ان يكون فيها قطور قال تعالى هل ترى من قطور وما لها من فرق  
ووصفها بالشدق فقال سبحانه شادا وان لم يقدر للجن عا حرق  
انصال السموات فكيف يمكنهم ان يسموا اسرار الملائكة من هذا

البعد العظيم ثم ان عقل ان يسموا اسرار الملائكة من هذا البعد  
العظيم فلم لا يسمعون تلك الاسرار من الارض ايضا وحسب  
لا يبقى فائدة في تبعدهم من السماء الحجة الرابعة ان الملائكة ربما  
اطلعوا على الاحوال المستقبلية اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ  
اولا لانهم تلقفوها من وحى الله تعالى اليهم وعلى هذا التقديرين  
فلم لم يسكنوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الشيطان من الوقوف عليها  
لا سيما وقد وصفهم الله تعالى بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره  
يعلمون فاذا لم يأذن الله تعالى لهم في ذلك الكلام لا يذكره  
واذا لم يذكره عن الشيطان عن الوقوف عليه الخامسة ان القرآن  
دل على ان الشياطين مخلوقة من النار قال تعالى وخلق الجن من  
مارج من نار والنار لا تحرق النار بل يقويها فكيف تعقل ان يقال  
ان الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذا الشهب الساذج  
انا ان قلنا ان هذا القذف كان لاجل صون المعجزات عن شهاد  
الكهنة فلم دام ذلك بعد وفاة الرسول عم السابعة انه تعالى  
لما قال ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما  
للشياطين دل هذا على انه تعالى خلق الكواكب لها تين المنفعين  
واذا كان احدي المنفعين وهي الترين كانت موجودة قبل بعث  
النبي عليه السلام وجب ان يكون المنفعة الثانية ايضا كانت موجودة  
قبل المبعث الثامنة ان وصف هذا الانقضاء في حاء في شجر الجاهلية



قال بسربن ابي حازم • والعير ترهقها الغبار وحجتها • ينقض  
 خلفها انقضاء الكوكب • وقال اوس بن حجر • وانقض كالدرى  
 يتبعه • تقع يثور تحاله طنبا • وقال عوف بن الجذع يرد علينا  
 العير من دون الف • او الثور كالدرى يتبعه الدم • التاسعة  
 روى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم  
 قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار  
 اذ رمى بنجم فاستدار فقال عليه السلام ما كنتم تقولون في مثل هذا  
 في الجاهلية فقالوا كنا نقول بموت عظيم او بولد عظيم فقال لهم  
 انا لا ارمى بموت احد ولا حياة قالوا فثبت بهذا الوجوه ان هذه  
 الشهب لا يجوز ان يكون المعنى فيها ما ذكرتم للجواب عن الشبهة  
 الاولى انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة قبل بعث  
 النبي صلى الله عليه وسلم بمنافع اخرى الا ان ذلك لا ينافي انها  
 بعد المبعث قد حصلت بسبب اخرى وهو دفع الجحيم ونجرهم ويروى  
 انه قيل للزهري اكان يرمى في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله  
 وانا كنا نقعد منها مقلعد للسمع فهو يستمع الآن يجده شهابا  
 رسدا قال غلطت وشددت امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم  
 الجواب عن الثانية انه اذا جاء القضاء والقدر على البصر فاذا  
 قضى الله تعالى طائفة منها للاصراق لطفياتها وصلاتها اوقع  
 في قلوبها من الدواعي المظلمة المظلمة في درك المقصود بما يعيدها

على العمل المفضي الى الهلاك والبوار والجواب عن الثالثة ان  
 البعد بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام اما نحن كل فلك فلانته  
 فلعلة لا يكون عظيم الجواب عن الرابعة ما روى الزهري عن علي  
 بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر قصة الرمي بالنجم قال فقال  
 عليه السلام انها لا ترمى لموت احد ولا حياة ولكن ربنا تعالى  
 اذا قضى الامر في السماء سجت حلة العرش ثم سبح اهل كل سماء  
 ثم ينسحق النجم الى سماء الدنيا ثم يستخرج اهل كل سماء ماذا قال  
 ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينسحق ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان  
 ينسحق الخبر الى السماء الدنيا فيخطف الجن فيرمون الجواب عن الخامسة  
 ان النار تكون اقوى من نار اخرى فالاقوى يبطل الاضعف للجواب  
 عن السادسة ما بيننا ان الشهب كانت موجودة لسائر المنافع الا  
 انها في زمان محمد صمد شددت وغلظت لهذا المقصود الاخر  
 فعند زوال بعض المقاصد لا يجب زوال الشهب وهذا هو الجواب  
 عن بقية الشبهات في حكمة الشهب المنفعة الثالثة في تخليق  
 الكواكب انه جعلها علامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر قال  
 تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون المنفعة الرابعة ان يستدل  
 بحر كاتها السخيرية على وجود المتاع الحكيم قال في سورة الاعراف  
 والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرهم فهذه هي المنافع المذكورة  
 في القرآن واهل التجارب ذكروا وجوها اخرى منها انه يحصل سببها

حتى



في الليل قدر من الضوء ولذلك فانه اذا تكاثف السحاب في الليل  
عظمت ظلمة الليل وذلك بسبب ان السحاب يحجب انوارها ولا  
يبعد اذ حال هذه المنفعة تحت قوله وعلاما وبالجمهم يهدون  
فان ذلك القدر من الاضاءة اذا حصلت ترتب عليه الاهتداء  
ومنها انه يحصل بسببها تفاوت في احوال الفصول الاربعة وذلك  
لانها اجسام عظيمة نورانية فاذا قاربت الشمس كوكبا دريا  
مستحنا صار الصيف اقوى حرا وهو مثل نار تظم الى نار اخرى  
فانه لا شك انه يكون الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنها انه  
يستدل ببعض الكواكب على معرفة القبلة ولا شك انها من الملائكة  
واعلم انه تعالى بين ان له في تخليق البعوضة حكما عظيمة فقال  
ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاذا كان  
خلق البعوضة لا ينفك عن حكمة باهرة ودلائل قاهرة فكيف  
يجوز انفكاك خلق هذه الخجومات الشريفة والكواكب النورانية  
الدرية عن حكم شريفة واسرار قدسية فجميع اجزاء العالم  
بسمواته وكواكبه ورياحه ومجاريه وجباله ومعادنه ونباته  
وحيواناته واعضاء حيواناته لا يخلو ذرة من ذراته عن حكمة  
كثيرة باهرة عن فناها اولم نعرفها فبما هي الله العزيز الحكيم  
**الباب الثالث** في الاستدلال بخلق الانسان على وجود  
الصانع الحكيم سبحانه وتعالى وفيه فصول الفصل الاول في الحكمة

في خلق الانسان اعلم ان هذه المناظرة هي التي شرحتها الله تعالى في قوله  
واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اعلم انه تعالى  
لم يذكر في هذه الآية وجه الحكمة على التفصيل في تخليق ولم يزد على  
قوله اني اعلم ما لا تعلمون وللعلماء في هذا المقام طريقان الطريق  
الاول الطريقة الاجمالية التي ذكرها الله في هذه الآية وتقريرها انه تعالى  
قادر على جميع المقدورات منزوعة عن كل الحاجات علم بكل المعلومات  
واذا كان الامر كذلك كان لا محالة عالما بانه ما الذي ينبغي فعله وما  
الذي ينبغي تركه وكان عالما لا محالة بكونه غنيا عن كل ما لا ينبغي  
ومن كان غنيا عما لا ينبغي فكان عالما بكونه غنيا عما لا ينبغي امتنع  
اقدامه على فعل ما لا ينبغي واذا كان الامر كذلك ثبت ان كل ما يفعله  
الله لا يخلو من حكمة وصواب وانه منزوع عن فعل العبث كما قال  
الحسبيتم انما خلقناكم عبدا ومنزوعة عن فعل اللب كما قال وما خلقنا  
السموات والارض وما بينهما الا عبيد ومنزوعة عن فعل الباطل كما قال  
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا بل كل ما فعله انما فعله  
بالحق كما قال ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق  
وله الملك والمملكة بالحق كما قال ثم ردتوا الى الله مولاهم الحق  
ومنه علمنا ان الامر كذلك علمنا ان له في تخليق البشر حكما بالغة  
واسرار شريفة ولكن سيجانه وتعالى ما كشف تفاصيلها الطريق  
الثاني في بيان حكمة خلق الانسان على التفصيل وفيه وجوه الاولة



ان المخلوقات على اربعة اقسام احدها الذي له عقل ولا شهوة له  
 وهم الملائكة قال تعالى لا يعصوه الله ما امرهم وقال يخافون ربهم  
 من فوقهم والثاني الذي له شهوة ولا عقل له وهو كل الحيوانات  
 سوى الانسان والثالث الذي له شهوة وعقل وهو الانسان  
 فان ربح شهوة على عقله الحق بالبهائم بل كان اضل كما قال تعالى  
 اولئك كالانعام بل هم اضل وان ربح عقله على شهوة الحق بالملائكة  
 قال تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والرابع الذي  
 لا عقل له ولا شهوة له وهي الجمادات ثم انه تعالى كان في العهد الاقدم  
 والزمان السابق خلق الاقسام الثلاثة وبقى القسم الرابع وهو  
 الذي يحصل فيه العقل والشهوة معا فافتضت قدرته التامة  
 ومشيته الكاملة خلق هذا القسم لئلا يبقى شيء من الاصناف  
 محروما عن وجود ايجاده ونعمة ابداعه فعند هذا قال للملائكة  
 اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة انك اذا جمعت بين  
 الشهوة والغضب وبين العقل جاءك المنازعة ويتولد الفساد  
 من الشهوة ويتولد سفك الدماء من الغضب فقال مدبر العالم  
 المحيط اعلمه جميع الكليات والجزئيات اني اعلم ما لا تعلمون ويحتمل  
 والله اعلم بمراده ان يقال انه يحصل من تخليقهم وتكوينهم كمال  
 حكمته ورحمته وقدرته ويحصل منه ايضا كمال حالهم ودرجتهم  
 اما كمال قدرته فليلا يبقى هذا القسم محروما عن اثر الجود واما

وكمال حكمته فلانه وان كان الفساد والقتل يحصلان كثيرا الا  
 ان الاكثر عدمهما وحصول العبودية والنداء وترك الخير الكثير  
 لاجل الشر القليل وهو غير لائق بحكمته وكمال حالهم ودرجاتهم  
 فهو ان العمل بمقتضى العقل عند عدم الشهوة ليس غاية الكمال اما  
 الكمال هو العمل بمقتضى العقل مع قيام منازعة الشهوة كما في  
 حق البشر فيحتمل في ظنوننا ان المراد بقوله اني اعلم ما لا تعلمون  
 هو هذا المعنى والله تعالى اعلم باسرار كلامه القسم الثاني للمخلوقات  
 اعلم ان مخلوقات الله بحسب التقسيم العقلي على ثلاثة اقسام  
 فانها اما ان يكون ارواحا قدسية نورانية بلا اجساد واما  
 ان يكون اجسادا بلا ارواح واما ان يكون مركبة من الارواح والاجساد  
 اما القسم الاول فهم الملائكة ولهذا السبب سماهم الله في القرآن  
 اروحا قال تعالى في سورة البقرة في صفة عيسى وايدناه بروح القدس  
 وقال نزل به الروح الامين فقال في سورة مريم فارسلنا اليها  
 وقال في عظم يوم يقوم الروح والملائكة صفا بل سمي اثارهم  
 من ارواح البشر وروحا فقال في النحل تنزل الملائكة بالروح  
 من امرهم وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا واما القسم  
 الثاني اعني الذي يكون اجسادا بلا ارواح فهي الحيوانات والنبات  
 والمعادن فان قيل الحيوان له روح فكيف ادخلته تحت القسم  
 لا روح له قلنا مرادنا من الروح الروح اللطيفة التي يفوق



على ادراك المعقولات والمجردات وليس لساكن الحيوانات هذا الروح  
ولما دخل في الوجود هذان القسمان بقي القسم الثالث وهو الموجود  
الذي يحصل من الازدواج بين الارواح العلوية والاجساد السفلية  
والارواح النورية الربانية اللطيفة والاجساد الظلمانية الكثيفة  
فحصل من ذلك الازدواج الانساخ جسده من عالم الخلق وروحه  
من عالم الامر فلا جرم قال الاله الخلق والامر وحصل جسده بالتشوي  
وروحه بالنفخ فقال فاذا سوية ونفخت فيه من روحي فكان  
جسده من فطرة هذا العالم وروحه من فطرة العالم الاعلى فقال  
في فطرة جسده ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الى تمام  
المراتب الستة ثم قال في فطرة روحه في المرتبة السابعة ثم انشأناه  
خلقا اخر وذكر ان جسده من هذا العالم فقال قل انما انا بشر  
مثلكم وان روحه متوجه الى ذلك العالم وهو قوله يوحى الى ربي  
ان طاعة الجسد هو الاستغفال بالعبادات وان طاعة الروح  
هو التوكل على رب الارضين والسموات فقال في اخر هوود فاعبده  
وتوكل عليه اعلم ان دلائل كمال القدرة وجلال الحكمة في تخلق  
هذا النوع انتم وامل وبيان من وجوه الاوله ان الروح علوي  
والبدن سفلي والعلوي والسفلي صندان والروح لطيف والبدن  
نوراني والبدن ظلماني والنور والظلمة صندان والروح لطيف  
والبدن كثيف واللطافة والكثافة صندان والروح سماوي

وروحه بية

٥٢٠  
والبدن ارضي والسماء والارض صندان والروح رحمانى بدليل  
انه لا يرغب الا في معرفة الله ولا يفرح الا بحمد الله تعالى ولا  
يميل الا الى محبة الله ولا يبتغي الا بمطالعة انوار جلال الله تعالى  
ولا يطمئن الا بذكر الله ولا يستقر الا على عتبة قدس كبرياء  
الله واما البدن فانه شيطاني شهواني فانه لا يغنى الا بدردى  
العالم للجسماني ولا يفرح ولا يقوى الا بانغماس في الشهوات  
والظلمات واذ كان الامر على هذه الجملة حصل بين الروح  
والجسد منافاة عظيمة ومباينة تامة فالجمع بينهما يدل على قدرة  
تامة وحكمة عالية له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين  
الحجة الثانية ان الشوق الى الله مقام شريف وفيه لذة عجيبة  
وهذا المقام غير حاصل الا للبشر واعلم ان هذا الكلام انما  
لا يتخلص الا بتقديم حقيقة الشوق فنقول ان الشوق لا يتصور  
الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه اخر اما الذي  
لم يدرك بوجه من الوجوه اصلا فلا يستاق اليه فانه من لم يرى  
شخصا ولم يسمع وصفه لم يتصور ان يشاق اليه وما ادركك  
بكماله وتمامه لا يشاق اليه لان الشوق طلب وطلب الحاضر  
محال ثم ان الشوق الى المحبوب يقع على وجهين احدهما اذا راه  
ثم غاب عنه بقي في ضياله اثر تلك الصورة المحسوسة فاستلحق الروح  
الى ان يتقلد ذلك الاثر من عالم الخيال الى عالم الحس والوجه الثاني



ان ترى وجه محبوبه ولا يرى شعره ولا سائر محاسنه فيشتاق  
الى ان ينكشف له ما لم يره قط واذا عرفت هذا فنقول هذا الوجه<sup>ن</sup>  
غير متصورين في حق الملائكة اما الوجه الاول فلان ذلك انما يمكن  
اذا ادرك ثم غاب ويمتنع في حق الملائكة ان يعبوا عن شيء عرفوه  
فكل ما عرفوه فذلك العرفان حاضر لهم ابد الا يتبدل ذلك العرفان  
بالغفلة ولا ذلك الحضور بالغيبه وهذا هو المراد بقوله يستجوب  
الليل والنهار لا يفرون ويقولون وما من الله مقام معلوم ويقولون  
عليه السلام ان الملائكة صافون لا يركعون ولا يركعون لا يسجدون  
وبالجملة فاحوالهم باقية ومعارفهم دائمة وهم مصونون عن تغيرات  
الاحوال وتبدلات المعارف فان حصل لهم شوق فذلك يكون من  
القسم الثاني اما الانسان فان هذين القسمين لا يمكن وقوعهما  
بالنسبة الى معرفة الله تعالى بل هما لازمان لكل العارفين ضرورة  
اما القسم الاول فلان الذي تجلّى للعارفين من الالهية وان كان  
في غاية الوضوح والجلال الا انه يكون مشوباً بالشوائب الخيلات  
فان الخيلات لا تفر في هذا العالم عن المحاكيات والتمثيلات  
وهي مكدرات للمعارف وانما تمام التجلي في الاخرة حيث يزول  
الخيالات وتبطل التمثيلات فهذا اخر نوعي الشوق وهو التكمال  
الوضوح فيما اتضح والقسم الثاني ان الامور الالهية لانهايتها  
وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها ويكون الحاضر منها

والغايب غير متناه ولوان العارف خلق في اول وقت حدوث  
العالم ثم سار باسرع في درجات المعارف الالهية بل طار حول  
عرش الجلال اشد طرباً الى اخر وقت بتخيّل الخيال ويستحضر  
العقل من اواخر اوقات اهل الجنة واهل النار كان الحاصل  
من طريانه وسير متناهيما ويكون ما لم يصل هو اليه غير متناه  
واذا كان الامر كذلك ظهر ان القسم الاول من الشوق نزول  
في الاخرة واما القسم الثاني من الشوق الى الله تعالى فانه لا يزول  
البسته بل كلما كان السير اشد واكثر كان الشوق اكمل واعظم  
واذا عرفت هذه المقدمة والقاعدة فنقول كل من بقي على حالة  
واحدة فان كانت تلك الحالة موجبة للذة ثم بقيت فعند بقائها  
واستمرارها لا يبقى لذيذا وكذا اذا كان مولماً فعند استمراره لا يبقى  
مولماً بل اللذة والالم لا يحصلان الا عند الانتقال من احد الجانبين  
الى الجانب الاخر واضرب لهذا مثلاً من المحسوس فاحوال الخلق  
بالنسبة الى الاغذية والطبيعة والاطعمة اللذيذة ثلثة الاولى  
حال الملوك المستعينين المتوسعين في كل بليليا اللذيذة الطيبة  
لا يلبذوها وذلك لانهم لما اطلبوا على اكلها اعتادوها  
فلا حرم لا يلبذون بها والقسم الثاني الفقراء الذين لا يملكون  
الا الاطعمة الخسنة البشعة ولم يتفق لهم البسته تناول الطعمة  
الطيبة القسم الثالث الذين في اكثر الامر يأخذون الاطعمة



الحسنة البشعة وقد يتفق لهم في بعض الاحوال تناول الاطعمة  
الطيبة اللذيذة فهو لاء اذا وجدوا طعاما فيه ادنى طيب ولذة  
فانهم يستلذون بها في الغاية اذا عرفت هذا فنقول الملائكة  
المقرَّبون وأن كانت درجاتهم في العرفان عالية الا ان تلك  
الدرجات باقية مستمرة كالمملوك المتشبهين فانهم وان كانوا  
مواظبين على الاعتناء بانوار جلال الله والاشتياق من نسيم  
روح الله الا انه لم يتفق لهم مرة في هذه الحالة والانتقال  
عن هذه الدرجة وما وقعوا في ظلمة المعصية وانك اطلات  
الذنوب واما الحيوانات فخالهم يشبه حال الفقراء المواظبين  
على الفقر والصبر والبوس والمسكنة والجوع والعري ولم يتفق لهم انتقال  
من هذه الحالة الى حالة طيبة فلا جرم لم يكن لهم الم من الحالة التي  
هم فيها اما الانساق فتارة يقع في ظلمات عالم الاجسام وتارة يخلص  
منها الى انوار عالم القدس وسجيات سرديات الجلال فينتقلون  
تارة من الشدة الرخا واخرى من الرخا الى الشدة فاذا انتقلوا  
من الشدة الى الرخا ومن الابتلاء الى النماء عظم التذادهم  
فلا جرم يحصل هناك من اللذات والسعادات ما لا عين رأت  
ولا اذن سمعت واذا كانت اسباب هذه الغيبة بعد الحضور  
والحضور بعد الغيبة متعاقبة على الارواح البشرية في دار الدنيا  
حصلت هناك الامن ولذات متعاقبة واللذة اذا حصلت

بحيث يكون قبلها فقدان وبعد ها توقع الحرمان كان اللذات  
بها اشد واكل هذا النوع من السعادة والبهجة حاصلة  
للانسان وغير حاصلة للملائكة المقربين ولا السائر الحيوانات  
فيمكن ان يكون المراد من قوله اني اعلم ما لا تعلمون هذه الحالة واليه  
الاشارة بقوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فنقول وحملها  
الانسان اشارة الى تجلي انوار عالم القدس في روح الانسان وقوله  
انه كان ظلوما جهولا اشارة الى طيران ظلمات النفس الجسائية  
والموانع الشهوانية النفسانية الوجه الثالث ان بتخليق الملائكة  
ظهرت القدرة والحكمة وذلك لان كمال قوتهم يدل على كمال قدرة  
خالقهم وكمال عصمتهم يدل على كمال خالقهم اما بتخليق البشر فظهر  
كمال الجود وكمال الرحمة اما كمال الجود فانه لا مناسبة بين التراب  
وبين رب الارباب ثم انه برحمته وكرمه جعله مركز المحبة ومعدن  
المعرفة كما قال يحبتهم ويحبونه واما كمال الرحمة فلانه مع كثرة مقام  
اظهر فيه انواعا من العجايب واذرع في قلبه نور عرفان جلاله  
واجري على السناد كرتوحيد وجعل عينه محلا لا بصار دلائله  
واذن محلا لسماع كلامه فالملائكة بهم ظهرت القدرة والحكمة  
والبشر بهم ظهور الجود والرحمة الوجه الرابع ان الملائكة خلقوا  
من الانوار اما اثار التركيب في البشر اكثر وذلك لانه تعالى خلقك  
من جوهرين الروح والبدن واطهرك من اثنين الام والاب



وركبك من شئني المنى والدم وجعل لك مطيبتين الليل والنهار  
وعذاك بغذاي الطعام والشراب واعد لك دارين الجنة والنار  
كل هذا التحقيق صدق قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين الوجه الخامس  
ان العبد يعلم ربه بالقدس والعظمة وصفات الجلال والاكرام  
مع انه ابعد الاشياء مثابته له ومشاكلته ثم انه لا يعلم روحه  
ونفسه مع انه هو هو كما قال تعالى قل الروح من امر ربي وما اوثتم  
من العلم الا قليلا يعلم العبد ان كل ذلك بسبب مدد التوفيق  
والارشاد لا بسبب الجهد والاجتهاد والقسم الثالث للموجودات  
ان تقول الموجودات بحسب القسمة العقلية على اربعة اقسام موجبة  
لا اول له ولا اخر له وهو الحق سبحانه وتعالى والثاني موجود له اول  
وله اخر وهو الدنيا والثالث موجود له اول ولا اخر له وهو العبد  
في الاخرة اما القسم الرابع وهو الذي لا اول له وله اخر فهذا  
محال لما ثبت في علم الاصول ان ما ثبت قدمه احتمال عدمه اذا عرفت  
هذا فنقول ايها العبد لك اول ولا اخر لك وكذلك الاخرة لها  
اول ولا اخر لها فانظر انك كفو الدنيا وكفو الاخرة لا يخفى عليك  
انك كفو الاخرة فلما كان الامر كذلك فالحق سبحانه خلق الملائكة  
للبقاء ابد الاباد في الاخرة وخلقك ايضا للبقاء ابد الاباد في الاخرة  
الا ان اظهرها القدرة والحكمة والرحمة في خلقك للبقاء اتم من  
اظهارها بسبب خلق الملائكة وذلك لانها ذوات نورانية

مبراة عن الاستقام والاعلال والامراض فلعلة يحظر بها احد  
ان بقاءها انما كان لكونها صافية نورانية ثم انه تعالى ازال هذا  
الخيال بان خلقك من اكثف الاشياء واشدها ظلمة وهو التراب  
وجعلك محل الاستقام والاعلال ومنزل الافات والامراض ثم جعلك  
في البقاء الابدي كنف الملائكة المقربين ليظهر الخلق ان البقاء  
لا يحصل الا بابقائه والوجود لا يحصل الا ببقاءه وابداعه واعلم  
انك قد عرفت ان الدنيا لها اول واخر وهذا يقتضي انها لا يبقى البتة  
وكما ان من صفتها انها لا يبقى فكذا من صفتها ان الانسا كلما كان  
اشد قبضا للدنيا واشد امساكا لها كان فوات الدنيا عنه  
اكثر والدليل عليه انه تعالى شبه الدنيا بالماء فقال انما مثل الحيوق  
الدنيا كما انزلناه من السماء والماء اذا اغترفت منه بقي في يدك  
فاما اذا قبضت يدك لا يبقى من الماء في يدك شئ وكما كان ذلك  
القبض اشد كان عدم بقاء الماء في الكف اكل فكذا الدنيا مهما  
اخذتها لا بل حرص بما حصلت فاما اذا قبضت يدك لا يبقى من الماء  
في يدك شئ عليها بمحالب حرصك فانك وخرجت عن يدك  
فان قيل فزى ان الخيل الذي يمسك المال يكثر ماله والسخي الذي  
ينفق المال يقل ماله قلنا هذا خطأ لان الذي يظن انه بقي عليه  
ماله وليس كذلك لانه يموت فيؤخذ ذلك المال من غير حمد ولا اجر  
ولا يبقى عليه الا الخسار والذي ينفقه في سبيل الله يبقى كل ذلك



في خزائنه رحمة الله كما قال ما عندكم ينفد وما عند الله باق  
 التقسيم الرابع للخلوقات انها على ثلاثة اصسام اما كاملة لا يتطرق  
 اليها النقصان وهم اصحاب العالم العلوي اجسادهم السموات  
 وارواحهم الملائكة واما ناقصة لا يتطرق اليها الكمالات وهي  
 الحيوانات والنبات والمعادن وبقى في التقسيم قسم ثالث وهم  
 الذين يكونون كاملين وتارة يصيرون ناقصين فاذا صاروا  
 في هذا الحال كانوا فوق العرش جالسين مع الملائكة في حضرة  
 رب العالمين معتكفين على عتبة عزة مواظبين على ذكر جلال  
 الله متفكرين في مقاربه الا الله متوكلين على وجه الله مشغلين  
 بحمد الله مستغرقين في محبة الله محترقين بنور عظمة الله  
 وتارة ينزلون الى حد النقصا ومقام الشهوة والغضب اما في  
 مقام الشهوة فتارة يكون كخنزير يراجع ثم ارسل على التجاسا  
 وتارة كالذباب الذي كلما ذب آب الى القاذورات واما في مقام  
 الغضب فتارة كالكلب العقور واخرى كالجل الصول والثالث  
 كالنار المحرقة والسيول المفرقة فهو مع كونها شخصا واحدا ينفذ  
 عليه انه ملك نوراني وشيطاني ظلامي وخنزير حريص وحمار صبور  
 وكلب نايح ونقلب رولع وفاسق خبيث وملك كريم ولا شك ان  
 تركيب شخص واحد يظهر منه الانا والمنافضة والاحوال المتباينة  
 اذ على حال القدرة واعظم في اظهار اثار الحكمة فلهذا السبب

والله اعلم قال اني اعلم ما لا تعلمون واعلم ان الانسا الموصوف بهذه  
 الصفات بعث الى هذه الدنيا ليكون مسافرا قال علي بن ابي طالب  
 رضي الله عنه الناس سفرو الدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن  
 امة مبداء سفرهم والاخرة مقصده وزمان حيوته مقدار مسافته  
 وسنوه منازله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه  
 خطاهه ويساره سير السفة يراكبها وقد دعي الى دار السلام  
 كما قال لهم دار السلام عند ربهم وقال والله يدعو الى دار السلام  
 ثم دار السلام اشرف البقاع واعز المواضع قال تعالى جنتان تجري  
 من تحتها الانهار وقال وجنته عرضها السموات والارض اعدت  
 للمقين لكن الطريق الى دار السلام مظلم جدا فهو يبرحمته يهدي  
 اليه وبفضله يرشد اليه وباحسانه يدعو اليه وبكرمه يسر له المنهج اليه  
 وبجوده يعفو عن الذنوب ويتجاوز عن السيئات فلهذا المعنى قال  
 اني اعلم ما لا تعلمون فهذا تمام الكلام في حكمة خلق الانسا •  
**الفصل الثاني** في شرح فضيلة الانسا قال تعالى ولقد كرمنا  
 بني آدم وحملناهم في البر والبحر الآية واعلم ان هذه الآية مشتملة  
 على اربعة انواع من التشرifications **النوع الاول** قوله تعالى  
 ولقد كرمنا بني آدم وفيه مباحث البحث الاولى اعلم انه سبحانه  
 وتعالى بنى امرك في الاول والوسط والنهاية على الكرم واعترف  
 العدو بذكركم بين الحق نهائية كرامتك ثم بشركك في ذلك بالملائكة



المقربين أما أنه يقين أول أمر عليه الكرم اقراء باسم ربك الذي  
خلق خلق الانسان من خلق اقراء وربك الاكرم الذي علم بالقلم  
فهذه الآية أول آية انزلها الله ثم على الرسول وم قوله اقراء  
باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من خلق اشارة الى أول وجودك  
فثبت أول آية انزلها الله ثم على محمد عليه السلام أما انزلها البيان  
كرمه ووجوده في أول احوال تخليقك واجبادك وفيه دققة  
وهي ان أول أمر عليه الكرم على كونه كريما بل على كونه اكرم الموحدين  
لأنه قال اقراء وربك الاكرم وبنالك هذه الكلام الذي ذكرناه  
لما روى عن عليه السلام ان ادم عليه السلام لما عطف قالت الملائكة  
له قل الحمد لله فقال الحمد لله فقالت الملائكة يرحمك الله ولذلك خلقك  
وأما انه بنى وسط أمر عليه الكرم من قوله ولقد كرمتنا بنى آدم  
وأما انه بنى حاتمة أمر عليه الكرم من قوله يوم القيامة عند عرجك وشدة  
خوفك وعدم قدرتك على تمهيد الاعتذار يا أيها الانسان ما عرك  
بربك الكريم قال المفسرون هذا تلقين للجواب والمقصود ان يقول  
العبد يا رب عرني بك غاية كرمك فلما كان أول هذا الامر ووسطه  
واخره مبني عليه الكرم ظهر ان العبد لا يضع في حال كرمه ولا ينجب  
مع كثرة نعمه فأما انه اعترف العدو بذل فلان اعدى الاعداء  
هو ابليس وقد اعترف بذلك حيث قال اذ أنكد هذا الذي كرمت  
علي وأما انه يقين نهاية كرمك من قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم

وأما انه شتهرك بالملائكة المقربين في هذه الصفة فلأنه تعالى  
وصف الملائكة بالكرم فقال في صفة جبرئيل وم انه لقول رسول  
كريم وقال في صفة يوسف عليه السلام ما هذا بشر ان هذا الا  
ملك كريم وقال في صفة الملائكة الذين كانوا ضيف ابراهيم وم  
هل اتيك ضيف ابراهيم المكرمين وقال في صفة جميع الملائكة بل  
عباد مكرمون ثم ههنا دققة وهي انه تعالى قال في صفة الملائكة  
انهم مكرمون من غير التشديد وقال في حق البشر ولقد كرمتنا  
ذكره مع التشديد والمقصود من هذا التشديد بيان تكثير الكرامة  
في حق البشر قال ابو يزيد البسطامي ان انواع كرامات الله في حق  
البشر غير متناهية الا ترى ان قوله وان نعد وانعمة الله لا تحصى  
فهذا على سبيل الجمال اما على سبيل التفصيل فهو من وجوه الأول  
منها انه يطر كل ساعة على المتوكلين مطرا الكفاية دليله قوله ثم  
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وكل مؤمن فهو متوكل على الله دليل  
قوله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وقال  
عن الصحابة حسبنا الله ونعم الوكيل ثم قال فانقلبوا بسعة من الله  
وفضل ومنها انه تعالى يطر في كل ساعة على المطيعين مطر المودة  
قال تعالى سيجعل الرحمن ودا ومنها انه تعالى يطر على المجتهدين مطر  
الهداية قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومنها انه  
يطر على الشاكرين قال ثم لنن شكرتم لازيدنكم ومنها انه يطر



على المذكورين مطر الهداية والبصرة قال تعالى ان الذين اتقوا اذا  
 مستهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبسرون والاستقصاء  
 في هذا الباب خارج عن وسع الشروكة داخل تحت قوله ولقد  
 كرّمنا بنى آدم البجى الثاني في قوله ولقد كرّمنا بنى آدم واعلم  
 ان عطية الله تعالى لها اسماء كثيرة في القرآن اصدّها الفضل قال تعالى  
 قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اي ينبغي ان يكون  
 فرحكم بفضل الله عليكم لا بأعمالكم وهذا هو مذهب اهل السنة  
 والجماعة فانهم يقولون العبد وان اطاع ربه باعظم الطاعات  
 من اول خلق العالم الى قيام القيامة فانه لا يدخل الجنة الا بلطفه  
 ورحمته ولا يكون للعبد على ربه دين ولا حق وما يدل على صحته  
 هذا المعنى وجوه الاول ان هذا العبد ان اطاع فرجا وجد من  
 كان اذكي منه واكثر حذقا وعلما منه مع انه وقع في الكفر واذ كان  
 كذلك فكلا من هذين العبدين اعني المطيع والعاصي والمؤمن  
 والكافر والمقر والمنكر يصح ان يصدر من كل واحد منهما ما  
 كل واحد من هذين العاملين بدلا عن الثاني فهذا المطيع لما اختار  
 الطاعة مع انه كان يجوز منه ان يختار المعصية بدلا عن الطاعة  
 فاما ان يقال حصل هذا الرجحان من غير مرجح وهو يقف على  
 نفي الصانع او توقف على مرجح وذلك المرجح ان كان من العبد  
 عباد الطلب الاول ويفضى الى التسلسل وان كان من الله فحينئذ

يكون

يكون صدور تلك الطاعة من الله نعمة في حقه واذا كان صدور  
 الطاعة من العبد عين نعمة الله تعالى فكيف يستحق العبد بفضله الله  
 عليه في الدنيا نعمة اخرى منه في العقبه فهذا برهان واضح من ضوء  
 الشمس على انه كل ما يحصل فانه انما يحصل بفضل الله ولهذا قال تعالى  
 قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الحجة الثانية وهوان  
 العبد الى ان يصير بحيث يقدر على ان يأتى بالطاعة ويحترز عن  
 المعصية فقد سبق الله عليه نعمة عظيمة كما قال كيف تكفرون بالله  
 وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فهو الذي خلقه بعد ان كان معدوما  
 محضا كما قال وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئا ثم خلقه من  
 التراب كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم نارة اخرى ثم يرده  
 في اطوار الخلقة واكرار الفطرة ثم ننح في الروح وخلق فيه  
 الحياة كما قال ثم انشأناه خلقا اخر ثم اعطاه القدرة كما قال  
 الذي خلقكم من ضعف ثم اعطاه العقل والعلم كما قال والله  
 اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا ثم اعطاه الصورة  
 الحسنة كما قال وصوركم فاحسن صوركم ثم اعطاه الاغذية  
 والارزاق كما قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم انه تعالى بعد  
 هذه النعم العظيمة الدنيوية انعم الله عليه بالنعم العظيمة الدنيوية  
 وهو بعثه الرسول وانزال الكتب وازالة الختم والوقر والدين  
 والعشاوة من قلبه واعطاه التوفيق والهداية والعصمة



ثم ان هذا العبد بعد هذه النعم العظيمة المتقدمة ما انى بطاعة  
قليلة كما يليق بقدرة القاصرة وعقله المختصر الاحكام العقل  
بوقوع هذه الطاعات اليسيرة قضاء لحق تلك النعمة العظيمة  
المتقدمة واذا وقعت هذه الطاعات قضاء لتلك النعم السابقة  
امتنع صيرورتها موجبة لنعمة اخرى واذا كان الامر كذلك  
علمنا ان دخول الجنة يكون بمحض فضله ورحمته الحجة الثالثة  
هب انه يمكن ان يصير عمل العبد علة لاستحقاق الثواب  
على الله تعالى الا ان فرح العبد بما يعطيه الله بفضله واحسانه  
يجب ان يكون اعم من فرحه بما يجده من كسبه واجتهاده مثاله  
ان من وجد بكسبه دينارا ووجد من تشريف الملك العظيم  
خلعة نفيسة على سبيل الاعزاز فان فرح كل عاقل بما حصل من  
تشريف الملك يكون اتم واكمل من ذلك القليل الذي حصله  
بكسبه فاذا كان الامر كذلك في السلطان المجازي في الملك المخضر  
فما ظنك بتشريف سلطان السلاطين على سبيل الحقيقة في اعطاء  
الملك الابدي فلهذا قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته الحجة الرابعة  
انه تعالى جعل استغال العبد بالطاعة مبدءا للخيرات وجعل  
اعانة الله على تلك الطاعات غاية السعادات الا ترى انه قال  
اولا اياك نعبد ثم قال واياك نستعين وقال اولاد الذين  
جاهدوا فينا ثم قال لنهديهم سبلنا وفي هذه الدلائل كثيرة

ومقصودنا ههنا من اقامة هذه الدلائل القاطعة على صحة قوله  
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الاسم الثاني من  
اسماء عطية الله المنة قال الله تعالى بل الله يمين عليكم ان هدكم  
للايمان وقال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا  
من اسماء الواردة في الحديث المنان الختان فان قيل اليس انه  
تعالى نهى رسوله عن المنة فقال ولا تمنن تستكثر ونهى الامة  
عن المنة قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وبين ان المنة  
توجب الريا فقال كالذي ينفق ماله رياء الناس فاذا بين  
ان هذه الخصلة مذمومة فكيف ارتضاها لنفسه الجواب  
انه تعالى اذا انعم على العبد ثم من عليه بتلك النعمة صار العبد  
مشغولا بالمنة وصار غافلا عن النعمة والمنة صفة للحق والمنة  
من جنس الحق والاستغفار بصفة الحق اولى من الاستغفار بالخلق  
الاسم الثالث من اسماء عطية الله الاحسان قال تعالى هل جزاء  
الاحسان الا الاحسان وقال يوسف عليه السلام وقد احسن  
اذ اخرجني من السجن وقال موسى لقارون واحسن كما احسن  
الله اليك الاسم الرابع اللطف قال تعالى الله لطيف بعباده  
ومن لطفه ان نور قلبك بالهدى وجنبك عن الردى الاسم الخامس  
وجعلك من امة المصطفى ووعد ان يصونك عن العذاب  
تحت الثرى ويجشرك في زمرة ارباب النقي ونقيك من عذاب سقر



ولفظي ويدخلك الجنة المأوى ويعطيك الزيادة المذكورة في قوله  
للذين احسنوا الحسن وزيادة الاسم الخامس الهبة قال تعالى  
يهب لمن يشاء انا انا ويهب لمن يشاء الذكور الاسم السادس  
الفتح قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال  
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الاسم السابع الاكرام والتكريم  
كأنه قوله ولقد كرّمنا بني ادم والتكريم هو جعل الشيء كريما  
انما يكون بحصول صفات الكمال فيه وحصول تلك الصفات  
لا يكون الا بايجاد الحق وتكوينه فظهر ان التكريم لا يحصل الا  
باكرامه والحسن لا يحصل الا من جوده واحسانه الحج الثالث  
في قوله ولقد كرّمنا بني ادم واعلم انه قد اختلف المفسرون  
في المراد بهذا التكريم وذكروا فيه اقوالا كثيرة وطريق منطبق  
القول فيها ان نقول هذا التكريم اما ان يكون المراد منه احوال  
موجودة في جسد الانسان او احوال موجودة في روحه او مجموعهما  
اما الاحوال الجسدية فيمكن حمل هذا التكريم على امور الاول  
ان يكون المراد ولقد كرّمنا بني ادم بالصورة الحسنة والذي يدل  
على ان الصورة الحسنة من جملة نعم الله تعالى على العبد وجوه الاول  
قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثاني قوله تعالى صبغة الله  
ومن احسن من الله صبغة واعلم ان الصبغ ما يلون به الثياب  
يقال صبغ الثوب بصبغه بفتح الباء وكسرها ونحوها تلك لغات

صبغا وصبغا بفتح الصاد وكسرها لغتان الصبغة فعله من صبغ  
كالجلسة من جلس وهي الحالة التي تقع عليها الصبغ وذكرنا  
في المراد بصبغة الله وجوها الاول المراد تركيبه وصورته خلقة  
وفطرته وعلى هذا القول فالآية تدل على كمال احسن صورة الانسان  
من وجهين الاول انه تعالى لما اصناف هذه الصبغة الى نفسه وهذا  
يدل على كمالها كانه قوله بيت الله وفاقة الله الثاني انه قال  
ومن احسن من الله صبغة وهذا يدل على كمال هذه الصبغة والمادة  
ان المراد منه دين الله ثم انه لما سمي دين الله بصبغة الله وجوها  
احدها ان بعض النصارى كانوا يفسون اولادهم في ماء اصفر  
يسمونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم  
بولده قالوا الان صار نصرانيا قال تعالى صبغة الله اي اطلبوا  
صبغة الله وهي الدين والاسلام لاصبغتهم فعلى هذا السبب  
في اطلاق لفظ الصبغ طريقة المشاركة ونظير قوله تعالى فمن  
اعتدى عليكم فاعندوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة  
سيئة مثلها انما نحن مستهزون الله يستهزئ بهم بما يدعوون  
الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله وان تسخر وامنا فانا نسخر  
منكم كما تسخرون الثاني ان اليهود يصبغ ابناءها يهودا والنصارى  
بصبغ ابناءها نصارى يعني يلقبونهم فيصبغونهم بذلك لما  
يسمونه قلوب اولادهم حب هذه الاديان قال الانباري يقال



فلان يصيب فلانا في الشراي يدخله فيه ويلزمه آياه كما يجعل الصبغ  
لا يدمما للثوب وأشد ثعلب دعي الشر وانزل بالجنة تحرزا •  
إذا أنت لم يصبغك في الشرباصبغ • والثالث أنه يسمى الدين صبغة  
لأن هيئته يظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلوة وغيرها  
قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر التجود الرابع قال القاضي  
عبد الجبار بن احمد الحموي صبغة الله متعلق بقوله قولوا امنا  
بالله الى قوله ونحن له مسلمون فوصف هذا الايمان الصادر منهم  
بأنه صبغة ليسيت ان المبانيه بين هذا الدين الذي اختاره  
الله وبين الدين الذي اختاره المبطل ظاهر جلية كما يظهر المبانيه  
بين الالوان والاصباغ الذي يذكره الحسن السليم للحجة الثانية قوله  
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واعلم ان التقويم ان يصير  
الشيء على ما ينبغي ان يكون في التأليف والتعديل يقال قومه  
تقويميا فاستقام ويقوم ثم ذكرنا في هذا التقويم وجوهانها  
ما نقل عن يحيى بن اكرم وجماعة انه حسن الصورة بكل ان ملكه  
زمانه حتى بزوجه في ليلة مفرقة فقال لها ان لم تكوفي احسن  
من العرق فانت طالق فافتم الكلى بالحث اليعقوب بن اكرم فانه  
قال لا يقع الطلاق ففعل له خالفت شيوخك فقال الفتوى  
بالعلم ولقد افتمى من هو اعلم منا والله تعالى حيث يقول لقد  
خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول

الهنا اعطيت في الاولى احسن الاشكال فاعطينا في الاخرة  
احسن الاعمال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب  
الحجة الثالثة ان كل شخص فله حكان احدهما من قبل جسمه  
وهو منظره والاخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا ما  
يتلازمان وكذلك فرغ اصحاب الفراسة في معرفة احوال  
النفس اولا الى الهيئات البدنية حتى قال بعض الحكماء قل  
ما يوجد صورة حسنة يدبرها نفس ردية فنفس الخاتم  
مقروء من الطين وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقال  
عليه السلام اطلبوا الخواص من حسن الوجوه وقال عمر اذ بعثتم  
رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وحكي ان المأمون  
استقرض جيشا فمر به رجل فيسح الوجه فاستنطقه فراه الكن  
فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت  
صباحة واذا وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل  
لا ظاهر له ولا باطن للحجة الرابعة ان كمال الجسم من الفضائل  
قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم واعلم ان حسن الصورة  
وان كان امر امر غوبا فيه الا ان حسن السيرة افضل منه  
ويدل عليه وجوه الاول ان حسن الصورة من مطالب الشهوة  
وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان الحكمة افضل  
من الشهوة فكان حسن السيرة افضل لاحالة من حسن الصورة



للحجة الخامسة ان يوسف عليه السلام اجتمع له حسن الصورة وحسن  
 السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع في انواع من البلاء منها  
 ان اباه كان يحبه ازيد مما يحب الاخريين كما قال تعالى مخبراً عن اخوته  
 اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا فلا جرهم فصدوا  
 عنه قتله كما قال تعالى حكاية عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا  
 فيخل لكم وجه ابكم وثانيها انه وقع بسبب الحسن في سرائر  
 قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وثالثها انه بسبب  
 الحسن وقع في زحمة مراودة المراودة قال وراودته التي هو في بيتها  
 عن نفسه ورابعها انه وقع في الهم قال تعالى ولقد همت به وهم بها  
 لولا ان راي برهان ربه وخامسها وقع في الخوف عن زوج تلك  
 المراودة قال تعالى والفياسيد هالدي الباب قالت ماجراء من اراد  
 باهلك سوء الا ان يسجن او عذاب اليم وسادسها انهم جعلوه  
 في السجن بسبب هذه الواقعة وبقي هناك مدة طويلة قال تعالى فلبث  
 في السجن بضع سنين فهذه هي الافات الحاصلة بسبب حسن الصورة  
 واما الخيرات الحاصلة بسبب حسن السيرة فمن وجوه احدها انه  
 لما كان عالماً بعلم التعبير خاطبوه بخطاب العظيم واستفتوا منه  
 تعبیر تلك الرؤيا قال تعالى حكاية عنهم يوسف ايها الصديق  
 افناخ سبع بقرات سمان ياكلهن وثانيها ان الملك لما وجد  
 عنده هذا العلم طلبه واخرجه من السجن قال تعالى وقال الملك

استوفى به

استوفى به والثالث انه زالت الهممة عنه في هذا الوقت ببركة العلم  
 قال تعالى قالت امرأة العزيز الان حصص الحق انا راودته عن نفسه  
 وانه لمن الصادقين والرابع ان الملك اصطفاه لنفسه عن ذلك  
 قال تعالى قال الملك استوفى به استخلصه لنفسه الخامسة ان الملك  
 اثني عليه قال تعالى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين  
 ولم يقل صبح مليم السادس ان يوسف عليه السلام توسل الى ذلك  
 الملك بحسن السيرة لا بحسن الصورة قال تعالى حكاية عن يوسف  
 قال اجعلني على خزانة الارض اني حفيف ظليم فثبت بما قلنا انه  
 وقع في ستة انواع من البلاء بسبب حسن الصورة ووصل الى  
 ستة انواع من الخيرات بسبب حسن السيرة فيكون حسن السيرة  
 افضل منه للحجة الثالثة ان النسوة لما راي يوسف عليه السلام  
 قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم شهن يوسف  
 بالملك وذلك التشبيه كان في حسن السيرة لا في حسن الصورة  
 لانه عليه السلام دخل مطرقاً رأسه ولم ينظر الى واحدة منهن مع  
 انه كان عليه السلام في اول زمان الشباب واستيلاء الشهوة فلما  
 شاهدن منه تلك السيرة المحسنة صارت صورته في جنب سيرة  
 مضحكة ذاهبة حتى ان النسوة مع شدة شهواتهن لم يذكرن  
 منه الصورة بل ذكرن منه السيرة فدل على ان السيرة افضل من  
 حسن الصورة للحجة الرابعة ان حسن الصورة من مفاخر النساء

تشبهت به



وحسن السيرة من مفاخر الرجال الحجة الخامسة انه تعالى وان كان لا يطلق في هذه لفظ حسن السيرة الا ان المعنى حاصل لان افعاله كلها حسنة من حيث انها احسان وانعام ولطف وكرم وهو تعالى منز عن الصورة وهذا يدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة السادسة ان حسن الصورة لا يبقى الا اياما اما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا يبطل نتيجه فدل هذا على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة هذا جملة الكلام في شرح قول من قال المراد بقوله ولقد كرمنا بني آدم حسن الصورة الوجه الثاني ان المراد من هذا التكريم امتداد القامة وذلك لان الشيء كلما كان اكثر ارتفاعا وامتدادا كان اعلى في حسنة فان الاشجار كلما كانت اكثر ارتفاعا كانت اشرف ولهذا السبب سمي كل ما جودا واحاد جنسه بصفات الشرف بانه العلى والفايق الوجه الثالث المراد بهذا التكريم انه تعالى كرم الانسان حيث مكنته من القعود والقيام والاستلقاء والانبطاح واعلم انه تعالى خلق الملق على اربعة اصناف في التركيب منها ما يشبه القيامين وهي الاشجار والنبات ومنها ما يشبه الركعين وهي البهائم ومنها ما يشبه الساجدين وهي المشرقات التي يدب على بطونها ووجوهها ومنها ما يشبه القاعدين وهي تلك الجبال والتلال ثم انه تعالى اعد للانسان على جميع هذه الهيئات ومكنه من ان يذكر الله

على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فمن اتى بركة واحدة فقد حصلت في تلك الركعة الواحدة هي الهيئات الاربعة وهي القيام والقعود والركوع والتجود فحينئذ يحصل له ثواب هذه الاصناف الاربعة فاقدر الله تعالى الانسان على جميع هذه الهيئات وهو المراد بقوله ولقد كرمنا بني آدم الوجه الرابع في هذا التكريم انه تعالى خلق بني آدم من جوهر التراب والتراب انواع من الفضائل احدها الوصلة وذلك لانه تعالى خلق ابليس من النار كما قال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار سبب القطيعة والتراب سبب الوصلة والثاني ان التراب فيه امانة فاجتهد حتى لا يتبدل الامانة بالحيانة ولا اجل كون التراب امينا قبل آدم الامانة وهو قوله انا عرضنا الامانة على السموات الى قوله وحملها الانسا والثالث ان التراب طاهر وطهور قال تعالى يتموا صعيدا طيبا ثم قال الطيبان للطيبين فلاجل هذا السرا صطفى الله تعالى آدم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الابه ثم اصطفى ابنائه فقال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ثم كرمهم فقال ولقد كرمنا بني آدم والرابع التواضع والدليل عليه ان آدم عم لما آت بالزلة قال في الحال ببناطلمنا انفسنا ولما اتى ابليس المعصية فقال له ربه لم فعلت قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فتكبر على الله ورد من الله



الخامس الطهارة قال عليه السلام الصعید طهور المسلم والماء  
ايضا طهور قال تعالى وانزلنا من السماء ماء ثم نجح الماء بالتراب  
طاهرا بطاهر وطهور بطهور ولعلم ان النار لا ينطفئ الا باحد  
النبيين التراب والماء فيجعل هذا الطين سببا لانطفاء نار الوسخ  
في الدنيا وانطفاء نار جهنم في الآخرة الوجه الخامس في تفسير قوله  
ولقد كرّمنا بنى آدم قال ابن عباس رضي الله عنهما بالاكل بالاصابع  
وسائر البهائم فانها يأكل بالضم والعلم ان وجه التكريم في هذا  
المعنى من وجوه الاول ان الرأس محل العقل والفكر والذهن والاكل  
غذاء الشهوة والبطن ولا يليق بالحكمة ان يسجد للرأس الذي  
هو معدن العقل والفكر لاجل الغذاء الذي هو نصيب النفس بل جعلت  
اليدين خادمتين للرأس حتى ان اليد ترفع اللقمة الى الفم كما تخدم العبد  
سيده وفيه لطيفة وهي انه تعالى اعطاك عن ان تخضع رأسك  
وتسجد لطلب الطعام فلا تخترع جبهك سجدة المخلوق لطلب  
الطعام والوجه الثاني في شرح هذه النعمة ان البهيمة تأخذ  
علفها بهيها ملطخة ملوثة اما الانسان فانه ينظف طعامه باصابعه  
ويميز جيده عن رديته وهما دقيقة وهي انه تعالى علق رعاية  
مصالح البهائم بطبايعها حتى انها بطبايعها تميز بين مصالحها  
ومفاسدها فتحرز وقت تناولها العلف عما يوذيتها ويجذب  
ما ينفعها وهكذا يكون كل طيور والبهائم والحشرات من اول الامر

اما الانسان فانه علق رشده بعقله لا بطبيعته حتى ان الانسان قبل  
ظهور نور العقل فيه لا يميز بين المنافع والمضار اما اذا حملنا  
هذا التكريم على الاحوال الروحانية ففيه وجوه الاول ولقد كرّمنا  
بنى آدم بالعقل والفهم واعلم انه تعالى عظم امر العقل في كتابه من وجوه  
النوع الاول تكثير اسمائه ونحن نذكره هنا بعضها فالاسم الاول  
العقل قال موسى في مناظرته مع فرعون رب المشرق والمغرب وما بينهما  
ان كنتم تفتكرون وادعى الله الى داود عليه السلام اذا رايت عاقلا فكن  
له خادما وقال آدم اول ما خلق الله العقل فقال اقبل فاقبل ثم قال  
له ادبر فادبر ثم قال وعزقي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم على منك  
بك اخذوك بك اعطى وبك اعاقب وقال عليه السلام لا دين لمن لا عقل  
له لا يجنبكم اسلام امرى حتى تعرفوا عقلة وعقلة وقالت الحكماء في  
تفسير هذا الخبر من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حيفه في اغلب  
خصال الخير وايضا بالعقل قدر الانسان على القيام بامر الله في قوله تعالى  
قد افلح من ذكرها وقدر على تحصيل حرم الآخرة في قوله من كان يريد  
حرم الآخرة نزله في حرمه قالوا ثمرة حرم الآخرة على التفصيل سبعة  
اشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وأمن  
بلا خوف وراحة بلا شغل وعز بلا ذل وايضا اكثر المفسرين على ان  
معنى قوله الله نور السموات والارض الله هادي اهل السموات والارض  
ومعلوم ان كمال تلك الهداية انما يحصل بالعقل وايضا العقل نوعان



غريزي وهو القوة المهيبة للعلوم الكلية البديهة ووجود هذه القوة  
في الطفل كوجود النحلة في النواة والسبلة في الحبة ومستفاد وهو  
كان هذه القوة ثم هذه المستفاد ضربان ضرب يحصل للانسان حالاً  
فحالاً بلا اختيار منه ولا يعرف كيف حصل ومن اين حصل وضرب يحصل  
باختياره يعرف كيف حصل ومن اين حصل ولما انقسم العقل الى الغريزي  
والمستفاد قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه العقل عقلان فطبعي ومسموع  
ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوعاً كما لا ينفع الشمس والشمس والشمس  
العين ممنوع والى القسم الاول اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله تعالى  
خلقاً اكرم عليه من العقل والى الثاني اشار بقوله عليه السلام لعلي  
اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك  
لتسبهم بالدرجات والرتب عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة  
واعلم ان لفظ العقل في اللغة اسم لما تفيد به البعير ليلاً وتسمى هذا  
المعنى به تشبيهها على عادتهم في تسمية المعقولات باسماء المحسوسات  
تشبيهها على انه هو الذي يمنع الانسان ويكون قيده عن الاقدام على  
ما لا ينبغي من الافعال **الاسم الثاني** الملب قال تعالى ولكم في القصص  
حياة يا اولى الالباب وقال في آل عمران ان في خلق السموات والارض  
الى قوله لايات لاولى الالباب واعلم ان اللب من كل شيء هو المقصود  
الحال من منه وهذا الاسم يدل على ان المقصود من الانسان انما العقل  
وكيف لا يكون كذلك اشرف الامور الصادقة عن الانسان ان يعرف الحق

لذاته والخير لاجل العمل به ثم من الظاهر ان معرفة الحق اشرف من عمل  
الخير ومعرفة الحق لا يمكن الا بالعقل فدل على ان لب الانسان هو العقل  
**الاسم الثالث** انتهى ويحتمل ان يكون جمعا للنهي وان يكون اسما مفردا  
وجعل اسما مفردا وجعل اسما للعقل الذي انتهى عن الاشغال المحسوسة  
وتوجه الى عالم المعقولات وبهذا المعنى اُحيل اربابه على تدبر معاني المحسوسات  
الى معرفة ما فيه من المعقولات كقوله تعالى في طه افلم يهد لهم كم اهلكنا  
الى قوله لايات لاولى انتهى وقال فيها ايضا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به  
ازواجها الى قوله لايات لاولى انتهى **الاسم الرابع** الحجر واصله من الحجر اي المنع  
وهو ان يحجر الانسان نفسه عن فعل ما لا ينبغي قال تعالى هل في ذلك قسم لذي  
حجر **الاسم الخامس** الحجى من حجة الشيء اذا قطعت ومنه الاجحية فكانه  
سمى العقل بهذا الاسم لكونه قاطعا بين الانسان وبين افعال البهيمة  
**الاسم السابع** العلم لان العلم ثمره العقل ثم انه تعالى سمي العلم نورا والجهل  
ظلمة فقال تعالى الله وتلى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور  
وسماه ايضا روحا في قوله كذلك هو اوحينا اليك روحا من امرنا  
وسماه ايضا حيوة والجهل موتا فقال او من كان ميتا فاحييناه فقال  
وما يستوى الاحياء ولا الاموات وسماه ايضا ماء قال انزل من  
السماء ماء فسال اودية بقدرها فاذا كان العلم نتيجة العقل وحال  
النتيجة من العلو والشرف كذلك فاعرف ان الاصل كيف يكون النوع  
الثاني في فضيلة العقل قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب



اى لمن كان له عقل فجعل من لا عقل له كانه لا قلب له ونظيره قوله يوم  
 لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال من خشية الرحمن  
 بالغيب وجاء بقلب منيب المراد بالقلب في كل هذه الايات العقل  
 وايضا قد اثبت الله للقلب ابصاراً ورؤية اما الابصار رفعه قوله  
 وترى انهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون واما الرؤية فقوله ما كذب  
 الفؤاد ما راى وكذلك يخبرهم وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات  
 والارض وقال الم تر الى ربك كيف مد الظل وسمى عدم ادراك  
 العقل عي في ايات منها قوله ضم بكم عي ومنها قوله لا تفتح الابصار ولكن  
 تفتح القلوب التي في الصدور ومنها قوله لا تفتح الابصار الذين كانت  
 اعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سماعاً ولو ان المراد من <sup>العين</sup>  
 ههنا البصرة لا البصر لما قال عن ذكرى لان الذكر لا يدرك بجاسة  
 العين وكيف لا يكون فقد البصرة اعظم ضرراً من فقد البصر وقد عرفت  
 ان البدن بمنزلة الفرس والنفس بمنزلة الراكب وضرر عي الراكب  
 نفسه اشد عليه من عي فرسه وقال تعالى ان شر الدواب عند الله  
 الصم البكم الذين لا يعقلون وقال ايضا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا  
 في اصحاب السعير فان قيل ان كان للعقل هذه الفضائل الكثيرة فلم قال  
 اكثر اهل الجنة البله الجواب من وجوه الاول المراد بالبله الجاهلون  
 بامر الدنيا العالمون بالآخرة كما قال ابراهيم الامن اتى الله بقلب  
 سليم الثاني ان من عبد الله للجنة فلا هو ابداً في جنب من يعبد

اكثر اهل الجنة  
 البله

لكونه الهارباً مالكا الثالث قال الحسن اكثر اهل الجنة البله اى هم  
 حشو الجنة كالعام في البلد الوجه الرابع اكثر اهل الجنة البله وهم  
 اهل المعاصي الذين عفا الله عنهم واما العقلاء المطيعون منهم اهل  
 الدرجات العلى الثالث في تفسير قوله ولقد كرّمنا بني آدم انه سبحانه  
 وتعالى خلق كل ما سواكم لاجلكم فقال في الارضيات خلق لكم ما في الارض  
 جميعاً وقال في السموات وسخر لكم ما في السموات فجعل الارض فراشاً  
 لنا فقال الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء سقفاً لنا فقال جعلنا  
 السماء سقفاً محفوظاً وجعل كل ما في الارض رزقاً لنا فقال وانزل  
 من السماء ماء فخرج به من الثمرات رزقاً لكم وجعل الشمس موزناً  
 لصلواتنا فقال سبحانه الله حين تمسحون برؤوسكم وتصلون وجعل القمر  
 معرّفاً لافاق صيا منّا وجعلنا فقال قل هي مواقيت للناس والحج  
 وزين السماء الدنيا بالالكواب لاجلنا فقال ولقد زيننا السماء الدنيا  
 بمصابيح وجعل الكواكب علامات يهتدى بها في اسفارنا فقال وعلّمنا  
 وبالنجم هم يهتدون وجعل الشمس متحركة حتى انا بحر كنهها نجد القبلة  
 في النهار وجعل القطب ساكناً حتى انا بسكونه نجد القبلة في الليل  
 وخلق الانعام لغذائكم وثيابكم فقال والانعام خلقها لكم فيها ذرف  
 ومنافع ومنها تاكلون ثم سخر لكم الخيل والبغال والحمير فقال والخيول  
 والبغال والحمير لتركبوها وزينة قال وتخلق ما لا تعلمون اى اعدت  
 لكم في الدنيا من المنافع ما لا تعلمون تفصيله ثم ذكر الرسول عليه السلام



عن الله ثم مثله في الجنة فقال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين  
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم خلق النباتات لاجلك  
فقال كلوا واربعوا انعامكم ثم انه قال اعطيناكم هذه الاشياء بالفضل  
قبل الطاعة وبالكرم قبل السؤال كما قال واتاكم من كل ما سألتموه  
ثم جمع جميع النعم فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه النعمة  
اعظم من كل ما تقدم وذلك لان الانسان لما لم يشغل بالشكر بل  
لم يشغل بتعدي نعم الله عليه مهد برحمته عذره في ترك ذلك  
الشكر فقال انها كثيرة وعقلك لا يقدر على احتضارها على التفصيل  
فكان هذا الترك للجزء فكنتم معذورا فيه وهو المراد بقوله وان  
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال ان الله لغفور رحيم يعني غفور  
يستريحبك في الدنيا رحيم بالجنة وزعن تقصيرك في الآخرة وقال  
في سورة ابراهيم عم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان  
لظلوم كفار وهذا اشارة الى القدر الذي يقدر عليه من الشكر  
فانه لا يفعل ويتفادى عنه الوجه الثالث في تفسير قوله ولقد كرّمنا  
بني ادم انه سخر قلبه لمعرفة ولسان الشهادة وبدنه لخدمته ثم في  
القيامة يعطيه كل ما يتمنّى ويريد الى ان يقول الحمد لله الذي صدقنا  
وعده الوجه الرابع انه جعل آباءهم آدم رسولا الى الملائكة حيث قال  
اسمهم باسمائهم ثم جعله مسجودا لهم حيث قال اسجدوا لادم ثم  
لعن ابليس لاجل مخالفة فقال اخرج منها فانك رجيم ثم اباح له

كل الجنة فقال وكلأمنها رعدا حيث شئنا ثم انه لما وقع في الرزّة  
تاب عليه فقال فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ثم اكرمنا بالاصطفاء  
فقال ان الله اصطفى آدم ثم خفّته بالاجتناء من بعد العصيان  
فقال وعصى آدم ربه فغوى ثم اجنبه ربه فتاب عليه وهدى معلوم  
ان اكرام الاب سب لاکرام الابن الوجه الخامس انه تعالى جعل فيهم  
الانبياء والرسل والامراء كما قال حكاية عن موسى اذكروا نعمة الله  
عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الوجه السادس اكرّمنا بالحفظ  
الحسن فقال الذي علم بالقلم وقيل بالصوت الحسن وقيل بالخلق  
الحسن قال يريد في الخلق ما يشاء الوجه السابع اكرّمنا بالفضاحة  
والبلاهة قال تعالى واختلاف السنكم والوانكم وقال عليه السلام ان  
من البيا السحرا وقال الحكماء المرء باضغريه الوجه الثامن انه تعالى اكرّمنا  
بالاطمة الصافية اللذيذة كالسمن والعسل اما السمن فقال فيه  
من بين فزث ودم لبنا خالصا واما العسل فقال يخرج من بطونها  
شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وكذلك الزبد والسكر ثم انه  
تعالى اباح الكل فقال قل من حرم زينة الله الى اخرج لعباده والطيبان  
من الرزق ثم من كرمه انه اعطى هذه الاعذية اللطيفة ثم اوقع  
في القلب ايتارها على الغير عند الحاجة اليها كما قال ويؤثرون  
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى يجدونها يوم القيامة اكل  
واحسن كما قال ما عندكم ينفد وما عند الله باق وعصا من حال



من قال في صفة اذهبت طيباتكم في حيوتكم الدنيا الوجه التاسع كرمنا  
 بالامر والنهي وتثريف التكليف الا ترى انه لما كان ولد الانسا اعز  
 عليه من عبده لاجرم يكون تكليفه على ولده اكثر مما على عبده الوجه  
 العاشر قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه ولقد كرمنا بالدعوة الى الجنة  
 قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام واكرمهم بالدعوة الى الدار وعل  
 لقاء الملك الجبار كما قال للذين احسنوا الحسن وزيادة الوجه الحاد  
 عشر انه تعالى خلق الخلق اصنافا مختلفة ثم خص الحيوان بمزيد الفضل  
 والشرف وذلك لانه لو خلق العرش والسموات والشمس والقمر ولم  
 يكن حيوانا البتة لكان الكل عبثا لانه سبحانه منزلة عن النفع والضرر  
 وليس هناك حيوان يستفيع به البتة وكان خلق هذه الاشياء خاليا عن  
 الحكمة اما لو خلق العرش وخلق بعوضة وقال خلقت العرش لستفيع  
 هذه البعوضة خرج الخلق عن ان يكون عبثا ودخل في ان يكون حكمة  
 فثبت بهذا ان العرش يمكن جعله تبعا للبعوضة ولا يمكن جعل البعوضة  
 تبعا للعرش فلهذا المعنى قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم  
 ثم فضل الادميين على كل الحيوان كما قال وفضلناهم على كثير ممن  
 خلقنا تفضيلا ثم فضل الذكور على النساء فقال الرجال قوامون  
 على النساء ثم فضل على الكافر فقال وبشر المؤمنين بان لهم  
 من الله فضلا كبيرا ثم فضل العلماء والمجاهدين اما العلماء فقال  
 يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات

واما المجاهدون فقال فضل المجاهدين على القاعد بن ثم فضل  
 الانبياء فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل  
 عمران على العالمين ثم فضل اولوا العزم فقال فاصبر كما صبر  
 اولوا العزم من الرسل ثم فضل اربعة منهم على الباقين وهم  
 الخليل والكليم والروح والحبيب عليهم السلام فقال تلك الرسل  
 فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض  
 ثم فضل محمد عليه السلام على الكل فقال وكان فضل الله عليك  
 عظيما فتكرميك ان جعلك مؤمنا برا تقيا عارفا بربك مجاهدا  
 في طاعة ربك ثم جعلك على ملة ابراهيم ودين محمد عليه السلام  
 الوجه الثاني عشر في تفسير هذا التكريم انه كرمنا بالتقوى فقال  
 ان اكرمكم عند الله اتقواكم والرسول عدم اتقى للبشر لقوله وما  
 ينطق عن الهوى ثم ابوبكر اتقى الامة فقال وسيجنبها الاتقى  
 الذي يؤتى ماله يتزكى والجنة للمتقين قال في صفة الجنة اعدت  
 للمتقين والحمد لله الذي جعلنا من امة اتقى الانبياء وهو محمد  
 عليه السلام ومن محبى اكرم الاتقياء وهو ابوبكر رضى الله عنه  
 البحث الرابع في قوله تعالى ولقد كرمنا فان قال قائل انكم  
 فسرتم هذا التكريم بهذه الوجوه الا ان فيه اشكالا وهو ان  
 بنى ادم منهم المؤمنون ومنهم الكافرون فكيف يليق هذا التثنية  
 بالكافرين الجواب من وجوه الاوله فيه تنبيه على دققة لطيفة



وهو ان من ليس بمؤمن فكانه ليس من الاحياء بل ليس من الموجودات  
الثاني ولقد كرمتنا بني آدم معناه ولقد كرمتنا من بني آدم كقول  
تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا اي من قومه فاختار موسى  
سبعين رجلا الثالث ان تفسير التكريم بالاحوال التي يشترك فيها  
المؤمن والكافر وهو الصورة المحسنة والقد المستقيم والاعذبة  
اللطيفة وكون جميع المخلوقات مخلوقة لنا ونخص خاص اهل  
الايمان بهم وعند هذا القول التكريم عام في حق الكل والاشياء  
خاص الا ترى انه تعالى قال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل  
ابراهيم وال عمران على العالمين وقال الله يصطفى من الملائكة  
رسلا ومن الناس وقال في حق موسى اني اصطفيتك على الناس  
برسالاتي وبكلامي وقال في حق الامة ثم اورثنا الكتاب  
الذين اصطفينا من عبادنا الوجه الرابع في الجواب انه تعالى  
عم المؤمنين والكافرين في تسعة اشياء في الخلق والرزق والادار  
وارسال الرسل وانزال الكتب والامر والنهي والترغيب والترهيب  
ثم خص المؤمن بسبعة اشياء احدها الهداية انك لا تهدى من اجبت  
ولكن الله يهدي من يشاء والثاني المحبة والزينة ولكن الله  
حبب اليكم الايمان وزينة في قلوبكم والثالث التيسير فسيسره  
ليسري والرابع التوفيق ما شاء الله لا قوة الا بالله وقال  
وما توفيق الا بالله والخامس كراهية الكفر وكرة اليكم الكفر

والفسوق والعصيان السادس القبول انما يتقبل الله من المتقين  
والسابع المغفرة ان لا يغفر الله لغيره ويشرك به ويغفر ما دون ذلك  
لمن يشاء فهذا جملة الكلام في تفسير قوله ولقد كرمتنا النوع  
الثاني من الشريعات المذكورة في هذه الآية قوله وحملناهم  
في البر والبحر اعطيناهم المراكب اما في البر فهي الخيل والبغال والحمير  
لاجل ركوبنا وللجمال لركوبنا وحمل امتعنا كما قال ونحمل اثقالكم  
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس واما في البحر فهي السفن  
والزوارق وفيه نكتة وهي ان الدنيا سجن المؤمن ودار البلاء  
ثم انه في الدنيا اعطى انواع المركوبات والافرة دار الرحمة والآخر  
فكيف يترك العبد في القيامة بغير مركوب فلهذا قال يوم نحشر  
المتقين الى الرحمن وهذا اي راكبين على الجايب والنجائب  
وقال الصادق البر هو النفس والبحر هو القلب فهو حمله في النفس  
فقد اكرمه بنور التدبير ومن حمله في القلب فقد اكرمه بنور التأييد  
وقال بعضهم وحملناهم في البر والبحر اي تكفلنا بتحصيل مصالحهم  
في كل الاحوال النوع الثالث من الشريعات المذكورة في هذه  
الآية قوله ورزقناهم من الطيبات اي اطعمناهم الاطعمة اللذيذة  
كالعسل والسمن والزبد والسكر وما رزقناهم شيئا من الخبث  
والاذى وذلك لان الحق يا كلون العظم ودوابهم يا كلون الروث  
والبهائم يعتلف البهين والعشب والطيور يلتقط الحب والتبع



يا كل الجيف اما اعذبة بنى آدم فهي نظيفة نقية ايها المسكين  
انه ما اطعمك الا الطيبات فلا يتناول بسوا اختيارك لحم الميتة  
كما قال يجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال بعضهم  
ورزقناهم من الطيبات اي تارة مطبوخا واخرى غير مطبوخ  
واما مسائر الحيوانات فبما كلن غير مطبوخة اصلا وقيل ورزقناهم  
من الطيبات المعرفة والمناجات كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني  
**النوع الرابع** من التشرفيات المذكورة في هذه الآية قوله وفضلناهم  
على كثير ممن خلقنا تفضيلا والكلام في هذه الآية يتعلق بمسئلة  
تفضل الملك على البشر وسيجي هذا بالاستقصاء قال كعب الاخبار المطلق  
ثلاثة اصناف الملك ولهم عقل بلا شهوة والبهايم لها شهوة بلا عقل  
والادمي له كلاهما في كانت شهوة راجحة على عقله فهو اخس من  
البهايم كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل فاعلم هذا القبيح من  
كان عقله راجحا على شهوته وجب ان يكون افضل من الملائكة وايضا  
فهذه المراتب الاربعة مجموعها غير مذكورة لاحد سوى بنى آدم  
وهذا يدل على انهم افضل واعلم ان قوله ولقد كرمتنا بنى آدم  
فيه تشریف عظيم وذلك لان التكريم عبارة عن جعل الشيء كريما  
والكريم هو الذي يكون منشأ للكرم وهذا تنبيه على انه تعالى جعل  
بنى آدم مدبر الحيوانات ومصلح الاحوالها ومنابط الامورها -  
على الوجه الاصح الا ليق فيصير معناه كونه خليفة الله تعالى في الارض

كما قال

كما قال اني جعل في الارض خليفة ثم قال في المرتبة الثانية وفضلناهم  
في البر والبحر وفيه اشارة الى اعلی درجاتهم وتفضيل مقاماتهم  
والتحقيق فيه وهوان الانسان كانه جالس على الحد المشترك  
الذي هو اخر مراتب العالم الارضي واول مراتب عالم السماوي  
فنسبته الى الارضيات بالافعال والتدبير ونسبته الى السماويات  
بالانفعال والقبول فقوله ولقد كرمتنا بنى آدم اشارة الى كونه  
متصرفا في السفليات وقوله وفضلناهم في البر والبحر اشارة  
لما فيضان انوار السمويات عليه ثم قوله ورزقناهم من الطيبات  
اشارة الى التنزيه الواصلة اليه من عالم الغيب اما الى نفسه  
وروحه في العلم والحكمة والعصمة والتدبير لما الى جسده  
وقال به في الاغذية الموافقة واما قوله وفضلناهم على كثير ممن  
خلقنا تفضيلا فهو اشارة الى دققة عجيبه وذلك لان الملائكة  
ارواح عقلية محضة مطهرة عن علايق الحس والخيال والشهوة  
والغضب والحيوانات اجساد محضة لا خبر عنها من عالم المعقول  
وعتبات العصمة اما الانسان فهو مجتمع للمرتبتين ومختص  
للمرتبتين فهو مع الملائكة ملك ومع السباع سبع ومع البهايم  
بهيمة ومع الشيطان شيطان فكونه مستجما لكل هذه الاحوال  
يصلح ان يكون مراد من قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا  
والله اعلم باسرار كلامه **الفصل الثالث** في بيان



ان اول الآباء هو آدم عم اعلم ان المخلوقات على قسمين منهم  
من كان من جملة المكلفين ومنهم من لم يكن كذلك واجمع العقلاء  
على ان المكلف افضل ممن لا يكون مكلفا وكيف لا يكون كذلك  
وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهذا نص  
صريح في ان المقصود من الخلق انما هو التكليف واذا كان كذلك  
فكلما بقي في الخلق من ان يكون قايما بهذه التكليف بقي عالم الخلق  
واذا لم يبق احد يقوم باداء التكليف صار عالم المخلوقات عبثا  
والحكيم لا يرضى بالعبث فحينئذ يخرب السموات والارض ويقيم  
القيامة واذا تأملت هذا علمت ان قيام السموات والارض والجبال  
والبحار ودوران الشمس والقمر والنجوم كلها كالطيفلي على قيام  
ذلك الشخص الاشعث الاغر الذي يرده الخلق ولا يقبله احد  
من الناس وهو قائم باداء تكاليف الله ثم هو قائم باداء التكليف  
ومستغل باداء العبودية والسموات والشمس والقمر والنجوم  
والعناصر والمواليد باقية تبعا لبقائه فجعله ملوك الارض انما  
ياكلون من فنان سفرته وانما يشربون من بقية ماء في كوزه  
وهذا هو المراد بقوله عليه السلام ان الله عبادا في العالم هم السبب  
الاصلي في مصالح العالم قهرهم محيطون وبهم يرزقون وفي كل جنس  
واحد هو اكملهم واجلهم وله اصحاب يقربون منه فذلك الاكمل  
الاقوى في القيام بهذه اوامر الله تعالى هو المسمى بقطب الارض

في قطب الارض  
هو سيدكم

والذين

والذين يقربون منه ولكنهم بعد ما وصلوا اليه فهم اصحابه واذا عرفت  
هذا فنقول اصناف المكلفين اربعة الملائكة والانس  
والجن والشیاطين اما الملائكة فقد روي في الاخبار ان الله تم  
خلقهم من الريح وهذا الخبر متأكد بوجود عقلية احدها انهم  
قدروا على الطيران باسرع الوجوه وثانيها انهم قدروا على حمل  
العرش وذلك لان الريح صاعد بالطبع فيستقل بحمل الاشياء والثالث  
انهم سموا روحانيين واشتقاق الروح من الريح وروي ايضا  
في بعض الاخبار انهم خلقوا من النور ثم هذه الرواية ايضا متأكد  
بوجود عقلية احدها انها صفت عن الكدورات واخلصت  
في طاعة الله رب الارض والسموات والثاني انها لم توغلت  
بقوة نورانيتها في بحار عرفان جلال الله والثالث انهم بسبب  
تلك النورانية تبرا عن المعاصي والذنوب وعند هذا قال  
بعض الحكماء الاولى ان يجمع بين الروايتين فيقول ابدانهم من الريح  
وارواحهم من الروح فهو لاه سكان عالم السموات واما الشياطين  
فهو كفرة واما ابليس فكفر ظاهرا لانه قال وكان من الكافرين  
واما سائر الشياطين فهم ايضا كفرة بدليل قوله وان الشياطين  
ليوحون الى اوليائهم ليبادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون  
ثم انهم باسرها اعداء البشر بدليل قوله تعالى في صفة ابليس ففسق  
عن امر ربه فاستخذ منه وذرية اوليائه من دوني وهم لكم عدو



بُشِّرَ لِلظَّالِمِينَ بِدَلَالَةٍ وَقَالَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَايِلِينَ  
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَأَمَّا الْجِنِّ فَهُمْ كَافِرٌ وَمِنْهُمْ مُسْلِمٌ قَالَ تَعَالَى وَأَنَا مَتَا  
الْمُسْلِمُونَ وَمَتَا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا  
فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ فِي تَفْصِيلِ أَحْوَالِ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا الْجِنُّ  
الرَّابِعُ وَهُوَ الْإِنْسَانُ وَالْبَشَرُ فَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْهُمْ مُؤْمِنٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ  
وَأَمَّا أَصْلُهُمْ فَهُوَ مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ هُوَ أَوَّلُ الْآبَاءِ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى  
انْتِهَائِهِمْ وَجُودُهُ هَذِهِ الْأَشْخَاصِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ هُوَ أَوَّلُ  
الْآبَاءِ وَجُودُهُ الْأَوَّلُ أَنَّهُ لَوْ وَجَدَ إِنْسَانٌ فِي الْأَزَلِ فَذَلِكَ الْإِنْسَانُ  
أَمَّا أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ كَانَ مُسْبِقًا بِأَنْتَ أَخْرَأَ وَمَا كَانَ مُسْبِقًا بِأَنْتَ  
أَخْرَأَ فَإِنْ كَانَ مُسْبِقًا بِأَنْتَ أَخْرَأَ فَالْأَزَلُ مُسْبِقٌ بِغَيْرِهِ وَهَذَا مُحَالٌ  
لِأَنَّ الْأَزَلَ عِبَارَةٌ عَنْ نَفْيِ الْمُسْبِقِيَّةِ بِالْغَيْرِ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مُحَالٌ وَأَنْ لَمْ  
يَكُنْ مُسْبِقًا بِأَنْتَ أَخْرَأَ فَذَلِكَ الْإِنْسَانُ هُوَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ فَالْآبَاءُ  
مُسْتَهْزِئَةٌ إِلَّا الْآبَاءَ الْأَوَّلَ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الثَّانِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْفَكُ  
عَنِ تَغْيِيرِ الْحَالَاتِ وَتَبَدُّلِ الصِّفَاتِ لَكِنْ تَغْيِيرُ الْحَالَاتِ فِي الْأَزَلِ  
مُحَالٌ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ فِي الْأَزَلِ وَإِذَا كَانَ  
كَذَلِكَ وَجِبَ الْقَوْلُ بِانْتِهَاءِ النَّاسِ إِلَى الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ الثَّلَاثُ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْآبَاءِ مَبْدَأٌ أَوَّلٌ لَتَوَقَّفَ حُصُولُ الْوَاحِدِ كُلِّهِمْ عَلَى انْقِضَاءِ  
مَا لَا نِهَائِيَّةَ لَهُ لَكِنْ انْقِضَاءُ مَا لَا نِهَائِيَّةَ لَهُ مُحَالٌ وَالْمَوْقُوفُ عَلَى الْمَحَالِ  
مُحَالٌ وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَوْجَدْ هَذَا التَّوَلُّدُ وَحَيْثُ وَجَدَ عَلِمْنَا

أَنَّ الَّذِينَ

أَنَّ الَّذِينَ انْقَضَوْا لَهُمْ أَوَّلٌ وَمَبْدَأُ الرَّابِعِ لَوْ حُصِّلَ شَيْءٌ مِنَ النَّاسِ  
فِي الْأَزَلِ لَمَا فَخِرْنَا لِأَنَّ الْأَزَلَ لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ الْخَامِسُ أَنَّ الَّذِينَ  
وَجَدُوا فِيهَا قَبْلَ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَبْدَأٌ لَكَانَتْ أَعْدَادُهُمْ غَيْرَ مُنْتَهِيَةٍ وَلَوْ  
كَذَلِكَ لَأَسْتَعِزَّ الْانْقِضَاءُ عَلَيْهَا لِأَنَّ انْقِضَاءَ مَا لَا نِهَائِيَّةَ لَهُ مُحَالٌ  
السادسُ أَنَّ كُلَّ عَدَدٍ دَخَلَ فِي الْوُجُودِ هُوَ قَابِلٌ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ  
وَكُلِّ مَا كَانَ كَذَلِكَ هُوَ مُنْتَهَاهُ فَكُلُّ مَا دَخَلَ فِي الْوُجُودِ هُوَ مُنْتَهَاهُ  
السَّابِعُ مَجْمُوعُ الْآبَاءِ الَّذِينَ لَا نِهَائِيَّةَ لَهُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْآبَاءِ  
الَّذِينَ لَا نِهَائِيَّةَ لَهُمْ مِنْ هَذِهِ السَّابِقِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
بِالْجَمْعِ وَجَدَهَا فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعِ وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ مُنْتَهَاهُ  
وَالْمَجْمُوعُ مُنْتَهَاهُ فَيَكُونُ الْكُلُّ مُنْتَهَاهُ الثَّامِنُ كُلُّ عَدَدٍ مُوجُودٍ  
أَمَّا شَفَعٌ أَوْ تَرْتِيزٌ وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ هُوَ مُنْتَهَاهُ فَكُلُّ عَدَدٍ مُوجُودٍ  
هُوَ مُنْتَهَاهُ فَثَبَتَ بِهِذِهِ الْبَرَاهِينِ وَجُوبُ انْتِهَاءِ الْآبَاءِ إِلَى الْآبِ  
الْأَوَّلِ الثَّاسِعُ أَنَّ الْإِنْسَانَ هَذَا إِنْسَانًا يَكُونُ الْأَمِنْ نَظْفَةً الْآبِ  
فِي رَحْمِ الْأُمِّ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْبِقًا بِأَنْتَ أَخْرَأَ  
الْجَوَابُ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ حَدُوثُ  
الْإِنْسَانِ بِالتَّوَلُّدِ كَمَا يُمْكِنُ حَدُوثُهُ بِالتَّوَالِدِ وَاحْتِجَوا عَلَيْهِ بِوُجُودِ الْأَوَّلِ  
أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ مِنْ أَجْمَاعِ الْعُنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ  
كَذَلِكَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْحَدُوثُ لِبَدَنِ الْإِنْسَانِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَّا الْمَقْدَمَةُ  
الْأُولَى فَالدَّلِيلُ عَلَى صَحَّتِهَا أَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ الْحَيَوَانِيَّةَ إِذَا اجْتَرَقَتْ







المخصوصة بذلك التصرف المخصوص وحصل اختلاط بعضها ببعض  
حدوث الانسان بالتولد لكن حدوث تلك الاجزاء المخصوصة بذلك  
التصرف المخصوص مع اختلاط بعض تلك الاجزاء ببعض امر  
ممكن والمعلق بالممكن ممكن فحدوث الانسان على سبيل التولد امر ممكن  
وهذه نكتة جدا متوجبة على اصول الفلاسفة للحجة الرابعة ان  
انقطاع النوع امر ممكن واذا كان كذلك وجب ان يكون لحدوث  
على سبيل التولد ممكنا اما ان انقطاع النوع ممكن فلانه ليس بواجب  
ان يكون عن كل انسان واذا كان هذا الاحتمال قائما في كل واحد كان  
قائما في الكل فثبت ان انقطاع النوع امر ممكن واذا كان كذلك  
وجب ان يكون لحدوث على سبيل التولد امر ممكنا اذ لو لم يكن ممكنا  
لوجب ان يقع الانقطاع الذي لا يعود له للحجة الخامسة اننا شاهد  
حدوث كثير من الحيوانات بالتولد فقد يتخذ حيات من الشعر  
وعقارب من التبن والبادر ورج والفار متولدة من المدر  
والصفادع يتولد من المطر وجميع هذه الاشياء كانتا يحدث  
بالتولد فهي ايضا يحدث بالتوالد وليس اذا انقطع هذا التوالد  
فلم نشاهد سنين كثيرة وجب ان لا يكون له وجود في النذرة عند  
تشكل نادر يحصل في الفلك لا يتكرر الى حين للحجة السادسة ان اكثر  
الناس يتعجبون من تولد الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من  
تولدها في الرحم من الماء المهيين وهذا العجب في الحقيقة وذلك

لان الناس يقدرون على تصوير الحيوانات من الطين ومن الخشب  
ومن الحديد كما هو موجود ولا يمكنهم ان يتصوروا حيوانا من الماء  
لان الماء جسم سيال لا يماس فيه الصورة فيكون هذه الحيوانات  
من الماء المهيين في الرحم اعجب في الحكم واعظم في القدرة من تكوينها  
من الطين فان قال قائل اذا كان الصانع المختار قادرا على خلق  
الولد من دون الابوين فلم لم يخلق هذا كذا ليكون الدلالة  
اقوى للجواب ان الحكمة فيه من وجوه الاول ان خلق البشر  
من غير هذا الوجه لبطل التعارف بالانساب وفي بطلانه سقوط  
المصالح الكثيرة بين الناس في المعاملات وقد نبه الله تعالى عليه  
فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية الثانية انه  
لو لم يحصل التوالد لبطلت صلة الرحم وزال تعطف القرابات  
وبطل تلذذ الالباء بالابناء وتقرر الابداء بالاباء وفيه زوال  
مصالح كثيرة من العالم وقد نبه الله تعالى عليه فقال وهو الذي خلق  
من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فكان معناه  
والله اعلم جعله نسبا لما فيه من المصالح اللطيفة وكان قادرا  
على ان يوجه ابتداء الثالث ان العاقل قدام بالتواضع والاجتناب  
عن الكبرياء ثم ان العاقل اذا علم انه خلق من نطفة قد ربه  
وسار في مخرج البول مرة بعد مرة ونشأ في نجاسة بعدى منها  
ونبت لحم وعظمه منها كان ذلك كاسرا لخبرته وقد نبه الله تعالى عليه



فقال لم تخلقكم من ماء مهين فجعلنا في قرا ومكين الى قدر  
 معلوم منبها على ان من كان كذلك لم يكن له ان يتكبر بل الواجب  
 عليه ان يذل لحالقه ويخضع فثبت بهذا ان اصول الفلاسفة <sup>منهم</sup>  
 شاهدة بما كان هذا المعنى واما شهادة الاصول الاسلامية على  
 صحتها فلا شبهة فيها فعلنا ان الطعن فيه باطل اذا ثبت ما  
 ذكرنا فنقول ان القرآن دل على ان ذلك الالب الاول هو آدم  
 عليه السلام قال سبحانه يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم  
 من نفس واحدة الى اخر الآية واعلم ان هذه الآية فيها اسرار وذلك  
 لان الله تعالى افتح سورتين من كتابه بهذا اللفظ احدهما اول  
 سورة النساء فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة  
 شيء عظيم فاما السورة الاولى من سورة النصف الاول من القرآن  
 فان اولها الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم النساء واما سورة  
 الحج فهي ايضا سورة الرابعة من النصف الثاني فان اولها مريم  
 ثم طه ثم الانبياء ثم الحج وفي كيفية ترتيب هاتين السورتين  
 عجائب احدها ان سورة الاولى لمشاراة الى حال مبدء في كيفية  
 التكوين والايجاد فانه قال اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس  
 واحدة وخلق منها زوجها والثانية لمشاراة الى حال المعاد  
 في كيفية الاعدام والافناء فانه قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم  
 ثم لا شك ان الايجاد مقدم على الافناء ولهذا قدمه الله تعالى

في الذكر فقال توفي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتقر  
 من تشاء فقد تقدم ذكر الانبياء مقدما على ذكر النرج فلهذا السب  
 قدم سورة النساء على سورة الحج واللطيفة الثانية ان الايجاد  
 يشبه الرحمة والاعدام يشبه العصب وقال تعالى سبقت رحمة غضبي  
 فلا جرم قدم سورة الايجاد على سورة الافناء واللطيفة الثالثة  
 انه تعالى قال هناك ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ولم يقل في الحج  
 ربكم الذي اقام الزلزلة الشئ نظيره قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة  
 ثم قال كتب عليكم القصاص في القتلى كتب عليكم الصيام فان قيل  
 الربوبية من تشاء الرحمة واللفظ والكرم فكيف يليق بهذه الكلمة  
 المخوف الشديد الحاصل من قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم  
 قلنا من كمال الربوبية تربية المودب الرحيم المشفق ان يضرب  
 ولده وان يهدده حتى يزداد سعيه في طلب الكارم في المعالي  
 وهذا هو الجواب عن سؤال من سأل عن قوله سنفرغ لكم ايها  
 الثقلان فباي الآء ربكما تكذبان فانه يقال لان قوله سنفرغ لكم  
 ايها الثقلان غاية التهديد وقوله فباي الآء ربكما تكذبان  
 لمشاراة الى تعدد الآلاء والنعماء فكيف يليق هذا بذلك لاننا نقول  
 التهديد من الالب المشفق الرحيم في حق الولد الكسلان المغفل  
 يكون من اعظم النعم والجواب الثاني ان المرأة ترضع ولدها  
 سنتين ثم انها تلطخ حلمة ثديها بالصبر والاشياء المرة ثم يرضعها



في فم النسيب كأنها تقول انما لا فطك بهذه الحرارة شحا عليك وانما ذلك  
 لغرض اخر وهو انه خلق لك في الدنيا نعيم لا يحصى ولا ينالها  
 الا بترك هذه المصيبة الواحدة فخرجت هذه المصيبة حتى تصل الى  
 تلك الخيرات الكثيرة فكذا الرب اعد لك الجنان لكنتك لا تصل  
 اليها الا بترك كاس الموت في هذه الدار ثم ينقلك الى محفل القيا  
 ثم ينقلك الى الجنة فكان الموت وهو تخريب هذا العالم اعظم  
 النعم في حقك فلهذا المعنى قال ان زلزلة الساعة شئ عظيم ومن  
 الايات الدالة ان اول الالباء هو ادم عليه السلام قوله تعالى في اخر  
 سورة الاعراف هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها  
 زوجها الاية الا ان فيها اشكالا وهو ان اخر هذه الاية دل  
 على ان هذه النفس الواحدة اقدم على الشرك على ما قال فلما اتتهما  
 صالحا جعل الله شركاء فيما اتتهما فتعالى الله عما يشركون ومعلوم  
 ان الشرك لا يليق بادم عليه السلام فلا جرم قال المحققون  
 من هذه النفس الواحدة قصي بن كلاب والشرك الصادق منه  
 هو انه سمي اولاده بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار **الفصل**  
**الرابع** في كيفية تخليق ادم ع م اعلم انه تعالى ذكر في كيفية تخليق  
 ادم وجوها احدها انه مخلوق من التراب قال ان مثل عيسى  
 عند الله كمثلي ادم خلقه من تراب وقال في حق اولاد ادم  
 منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال في سورة

والنجم هو اعلم بكم اذا نشأتم من الارض واذا انتم اجنت في بطون  
 امهاتكم وقال في نوح والله انبئكم من الارض نباتا ثم يعيدكم  
 فيها ويخرجكم اخراجا واعلم ان في قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله  
 كمثلي ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اشكالا وهو ان تظاهر  
 الاية يقتضي ان قوله كن فيكون متاخر عن تخليق ادم عليه السلام  
 وهذا محال لانه لا بد وان يكون قوله كن فيكون متقدما على دخول  
 دل على دخول ادم في الوجود للجواب من وجهين الاول  
 ان يحمل خلق ادم على خلق بدنه ويحمل قوله كن فيكون على خلق  
 روحه الثاني ان يحمل الخلق على التقدير وعند هذا يزول الاشكال  
 لانه يحصل التقدير في علم المقدر او لا ثم يحصل التكوين والتخليق  
 مفترعا على ذلك التقدير والاية الثانية ذكر فيها انه مخلوق من الماء  
 قال تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا قال والله خالق كل دابة  
 من ماء وقال الم نخلقكم من ماء مهين وقال ايضا في الاية الثالثة  
 انه مخلوق من الطين قال تعالى الذي احسن كل شئ خلقه فبدأ خلق  
 الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقال ايضا  
 اني خالق بشر من طين فاذا اسويته ونفخت فيه من روحي والاية  
 الرابعة ذكر فيها ان خلقه من سلالة من طين قال تعالى ولقد خلقنا  
 الانسان من سلالة من طين والاية الخامسة انه مخلوق من طين  
 لا رب قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب والاية السادسة



انه مخلوق من صلصال كالنفخار قال تعالى في سورة الرحمن خلق الانسان  
من صلصال كالنفخار والاية السابعة انه مخلوق من صلصال من حماء  
مسنون قال تعالى في خالق بشر من صلصال من حماء مسنون والاية  
الثامنة انه مخلوق من العجل قال خلق الانسان من عجل والاية التاسعة  
م قوله لقد خلقنا الانسان في كبد الاية العاشرة قوله ثم الله الذي  
خلقكم من صنف الاية هذه مجموع هذه المراتب ولنشرح كل واحد  
منها فنقول اما المرتبة الاولى فهي انه مخلوق من التراب والطين  
واعلم ان ابليس طعن فيه بسبب كونه مخلوقا من التراب والطين  
وفضل نفسه عليه بسبب كونه مخلوقا من النار فقال خلقتني من نار  
وخلقتك من طين والعلماء ذكروا في تفضيل التراب على النار وجوها  
للمحبة الاولى ان التراب في غاية التواضع والنار في غاية التكبر  
فلما خلق آدم من التراب ظهر منه التواضع فقال ربنا ظلمنا انفسنا  
ولما خلق ابليس من النار ظهر منه الكبر فقال ارايتك هذا الذي  
كرمت علي الثاني ان التراب وان كان مظلم الا انه سار للعيوب  
والنار وان كانت مظلمة الا انها تدل على العيوب ويظهر الفضايل  
الثالث ان التراب يطفى النار ولهذا السبب كان وجود آدم سببا  
لانطفاء دين ابليس وايضا الشهوة والغضب والحرص مخلوقة  
من النار الا ترى ان الشهوة لا تعمل في الغذاء الا بوسيلة الحرارة  
واما ان الغضب نار فظاهر واما ان الحرص نار فذلك لان خاصية

الحرص ان الانسان كلما وجد من الدنيا اكثر صار حرصه اعظم  
كالنار كلما التفت فيها الخشب اكثر كان اشتغاله اعظم واحتياجه  
الى الحطب الكثير اشد فثبت ان الشهوة والغضب والحرص  
كلها مخلوقة من النار ثم انه تعالى اودع هذه الصفات في ذلك  
فلا جرم خلقك من الطين وهو التراب والماء وكل واحد منهما سبب  
لانطفاء النار فكان المقصود من خلق الانسان من التراب والماء  
ان ينطفى هذه النيران فيبقى الانسان مصونا في الدنيا عن الخذلان  
وفي الآخرة عن دركات النيران الرابعة انه تعالى خلق الانسان  
لخلافه الارض التي جاء على الارض خليفة فجعلك من الارض  
فان خليفة الارض اذا كان مخلوقا من الارض كان ارحم باهل  
الارض للمحبة الخامسة انه اراد اظهار القدرة فخلق الشياطين  
من نار الية هي في غاية الاشرف والصنوء ثم ابتلاهم بظلمات  
الجهالات والضلالات وخلق الملائكة من الهواء الذي هو اللطيف  
الاشياء واعطاهم كال القدرة والقوة وخلق السموات من امواج  
مياه البحار وابقاها معلقة في الهواء موصوفة بكمال الشدة  
كما قال في صفتها وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وما لها  
من فزوج وقال سبعا شدادا وخلق آدم من التراب الذي اكثف  
الاشياء واشد هائلة واعطاه الطاعة والمحبة والمعرفة التي  
هي انوار الاشياء واصنوها والمقصود من كل ذلك اظهار الصدين

كما قاله



من الضدين ليكون ذلك برهاناً بظاهره وبیاناً ظاهره انه  
هو الخالق بغير احتياج والمقدر بالمقدرة بلا علاج ومزاج الحجة السابعة  
ان التراب سبب الوصلة دليله قوله تعالى انبت سبع سنابل في  
كل سنبلة مائة حبة والنار سبب القطيعة ولما كان الامر كذلك  
لاجرم حصل لآدم عليه السلام شرف الوصلة ثم اجتبى ربه  
فتاب عليه وهدي وحصل لابليس صفة القطيعة اخرج منها  
فانك رجيم الحجة السابعة التراب فيه امانة والنار فيها خيانة  
اما الاول فانك اذا ادت اليها كفاً من الخطة ردة اليك جو القاء  
من الخطة قالتم والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي  
خبت لا يخرج الا نکدا واما ان في النار خيانة فلانها تحرق الاشياء  
وتفنيها وايضا وطما كان آدم من التراب لاجرم قبل الامانة كما قال  
وحملها الانسا وحفظها على احسن الوجوه ولما كان في النار خيانة  
لاجرم ان ابليس عبد ربه سنين ثم خاف في تلك العباداة كما قال  
وكان من الكافرين الحجة الثامنة التراب طهور طاهر قال عليه السلام  
التراب طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشرين حجج الماء ايضا طهور  
طاهر قال عليه السلام تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وجناب  
الحق طيب طاهر قال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب  
فلما كان التراب والماء طاهرين لاجرم كان آدم لكونه مخلوقا  
منهما طاهرا طيبا ولما كان كذلك كان مخصوصا من رحم الله

بالمزيد كما قال الطيبات للطيبين الحجة التاسعة روى ان محمدا  
صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة فالاغنياء طمعو ان ينزل  
في دارهم فكانوا يأخذون بزمام الناقة ليجذبوها الى بيوتهم  
فقال عليه السلام مأمورة ثم انها سارت حتى وصلت  
الى باب ابي ايوب ونزلت هناك ومما كان السبب لذلك الاغنياء  
فقر ابي ايوب وشدة انكساره وهذا ايضا متأكد بقوله عليه السلام  
حاكيا عن ربه تعالى انا عند المنكسر قلوبهم لاجلي اذا عرفت هذا  
فنقول التراب اعظم المخلوقات انكسارا وتذلا وتواضعا  
لانه تحت كل الاجسام والمخلوق يضعون اقدامهم عليه ويمشون عليه  
فلما كان اعظم الاشياء نقضا وحقارة وهو التراب لاجرم صار  
محملا ومنزلا للمحبة رب الارباب قال تعالى يحبهم ويحبونه فاما  
النار فانها تدعى العلو والرفعة والتورانية فكانت صفة النار  
صفة لفرعون كما قال تعالى في صفة ان فرعون علا في الارض فكانت  
صفة التراب صفة لموسى عليه السلام كما قال تعالى تلك الدار الآخرة  
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فلما جرم صار  
التراب اعز الاشياء والنار اذلها الحجة العاشرة النار تعلو  
الدخان المظلم فنورها تحتاني وظلمتها فوقاني واما التراب  
فظلمته تحتاني ونوره فوقاني كما قال اليه يصعد الكلم الطيب  
والعمل الصالح يرفعه وايضا النار حسنة المنظر فتجده المحجر



منى كالمنافق وكالمراة الفاجرة والارض قبيحة المنظر حسنة المخبر  
 وايضا النار ظاهرها تنضرو باطنها لا تنتر والارض بالضد من هذه  
 الصفات فالخاص ان باطن الارض كل منفعة وباطن النار كلها  
 مضره ونظر الخالق فيه علم البواطن والاسرار لا على الظواهر فلا جرم  
 عامل آدم بحسب باطنه وابليس ايضا على فوق باطنه للحجة الحادية  
 عشر ان نهاية السفلى هي الارض ونهاية العلوى العرش فالارض  
 احدا ركان عالم الاجسام واما النار فليست في غاية العلوق فان  
 السموات والعرش والكوس كلها فوقها ولا في غاية السفلى فان  
 الهواء والماء والارض تحتها فما كانت النار كاملة في مقام من المقامات  
 للحجة الثانية عشر ان النار سريعة الاشتعال سريعة الانطفاء كثيرة  
 الاحتياج الى الغذاء قليلة مدة البقاء اما الارض فانها تغذى  
 ولا يتغذى تبقى ولا تنفخ فثبت فضل التراب على النار للحجة الثالثة  
 عشر من الكلمات المشهورة قولهم كل شئ يرجع الى اصله فكانه  
 قيل يا ابليس قبل خلقتك من النار اكون مرءك الى النار واما ادم  
 فهو مخلوق من الطين والطين خاصيته التواضع والتواضع سبب  
 القرب من رحمة رب العالمين فلا جرم كان عاقبة آدم هورحة  
 رب العالمين كما قال ثم اجنبيه ربه للحجة الرابعة عشر ان الارض  
 في نفسها ليست بحسنة الوجه ولا طيبة الرائحة الا انها تخرج جميع  
 الاشياء التي لها حسن الوجه وطيب الرائحة والنار حسنة الوجه

الا انها

الا انها سبب لحدوث الاشياء القبيحة وهو الاحتراق والدخان  
 والفساد والتسبب ان العبرة بالسير لا بالصورة كما حققناه في  
 تفسير قوله ولقد ذكرنا بني آدم للحجة الخامسة عشر الماء والتراب  
 لا يحصل الانتفاع بهما الا عند فقدان الريح فانه اذا وصل الريح الى  
 التراب صار غبارا موزيا واذا وصل الريح الى الماء تموج وخرج  
 عن حد النفع واذا وصل الى النار اطفأ النار فكانه قبل لآدم كان  
 في قلب ابليس ريح التكبر فانطفأت فاره بذلك الريح فاياك ثم  
 اياك احتوز عن ريح التكبر لئلا يصير التراب الذي خلقت منه  
 موزيا والماء الذي خلقت منه متموجا مهلكا فثبت بهذه الوجوه  
 فضل التراب على النار اما المرتبة الثانية في خلق آدم عليه السلام  
 كونه مخلوقا من الماء قال ثم والله خلق كل دابة من ماء وقال وهو  
 الذي خلق من الماء بشرا وقال لم نخلقكم من ماء مهين وقال  
 لم نك نطفة من منى يمخ وفيه فوائد الاولى ان يكون صافية  
 يتجلى فيه نور جلال الله الثانية ان يكون سيارا بركه فيكون ابدا  
 عابدا لله على قمة رأسه قال تعالى والله يسجد ما في السموات  
 وما في الارض الثالثة ان يكون طاهرا في ذاته قال تعالى وانزلنا  
 من السماء ماء طهورا وايضا قال عليه السلام من توضأ تحت  
 ذنوبه كما تحات الورق عن الشجر زمان الحزين والكنة انه  
 اذا كان استعمال الماء في طاهر الاعضاء يوجب زوال الذنوب



فإن يكون خلقه اصل الاعضاء من الماء وافعاله التمكن الذنوب  
كان ذلك اولى المرتبة الثالثة في تخليق آدم كونه مخلوقا من سلاله  
من طين والسلالة فعالة وهي بمعنى المسلوله لانها هي التي سل  
والحكمة فيه ان يمتزج المكثف واللطيف والمنحرك والسكن والصلابة  
والكدر فيكون ذلك دليلا على فردانية الصانع كما قال ومن كل  
شيء خلقنا زوجين وفيه فائدة اخرى وهوان من يمشي على الطين  
فزلق رحله وسقط ثلوث ثوبه ولكنه لا يهلك ولا يكسر اعضاءه  
فلما كان الانسان موصوفا بالشهوة التي منبع الفساد والغضب  
الذي هو منشأ سفك الدماء علم الحق انه لا بد ان ينزل في رحله  
في السلوك سبيل طاعة الله تعالى فاذا كان طينا ثلوث بلوث  
المعصية ولكنه لا يهلك ولا يكسر شيء من اعضاءه بل يقوم سليما  
كما قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله  
المرتبة الرابعة في تخليق آدم كونه مخلوقا من سلاله من طين  
لانها تسال من الطف اجزاء الارض واعلم انه روي في الخبر انه عزم  
قال ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا هذه اللطافة  
انما حصلت لذلك الطين بسبب هذا الشريف وقال لابليس  
ما منعك الا تسجد اذا امرتك وهذا كما قال الشريف في حق آدم عزم  
فان قيل قال تعالى في صفة تخليق الحيوان ا ولم يروا انا خلقناهم  
مما علمت ايدينا انما فبين انما خلق الانعام بالايدي

ان تسجد ملائكتي  
ان تسجد ملائكتي بيدي

وذكر

وذكر انه انما خلق آدم هو باليدين وهذا يقتضي فضل الانعام  
على الانسان الجواب انه تعالى دقيقه يزيل هذه الشبهة فانه  
قال خلقناهم مما علمت ايدينا انما فبين انما خلق الانعام بالايدي  
اي انه انما خلق الانعام بالايدي لاجل مصالح الناس ورعاية  
ملهماتهم فكان هذا الشريف ايضا عابدا الى البشر وفيه تنبيه  
على دققة كانه قال هيأت ذاك باليدين ما يحتاج اليه بعد  
الحق من المأكول والملبوس والمركوب بالايدي وذلك لتعلم  
ان عناية بك بعد حيوتك اشد من عناية بك قبل وجودك  
ومن النكت اللطيفة ههنا ما سمعت انه كان بنيسابور امرأة من <sup>عقلا</sup>  
المجانين كان يقال لها نازنين فكانت تقول مسكين ابن آدم  
جسدك في يد الخلق كما قال خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا  
وقلبه في اصبع الحق كما قال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع  
الرحمن ثم انه مع انه لا يملك امر جسده ولا امر روحه صار <sup>لطف</sup> التكا  
متوجهة عليه والاوامر الالهية لازمة عليه المرتبة الخامسة كونه  
مخلوقا من طين لازب واللازب هو اللازم وانما سمي اللازم  
لازبا لان الملازب والملازم هو الملصق بالغير والانسان اكثر  
الاشياء حاجة فلا جرم كان اكثر الاشياء تمسكا بربيل رحمة الله  
واشد الاشياء التصاقا بجباب فضله واحسن المرتبة السادسة  
كونه مخلوقا من صلصال من حماء مسنون فان ثبت له ثلثة انواع



من الصفات الصفة الاولى كونه صلصالا وهو الذي اذا تحرك  
تصلصل كالخذف الذي يسمع من داخل صوت والصفة الثانية  
كونها حماء وهو الذي استقر في الماء وتغير لونه الى السواد والصفة  
الثالثة المسنون وهو الذي تغيرت رايحة قال الله تعالى فانظر  
الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى ما يتغير واصله لم يتسن وقال  
تعالى فيها انهار من ما غير آسن اى غير متغير واعلم ان كونه  
صلصالا اشارة الى غاية ضعفه وقلة بقاءه فان الطين الذي  
يصير صلصالا ينكسر ويتفرق بادنى سبب وكونه من حماء اشارة  
الى غاية ضعفه وقلة بقاءه والاطلاق الظلمانية البهيمية التي منشأها  
قوة الشهوة وكونه مسنونا وهو الرايحة المؤذية اشارة الى الاغلا  
السبعية التي منشأها قوة الغضب ونظيره قوله تعالى اجعل فيها  
من يفسد فيها ويسفك الدماء فالفاد منشأه من الشهوة  
وسفك الدماء منشأه من الغضب واما المرتبة السابعة وهو  
كونه صلصالا كالنفخ فاعلم ان الصلصال قبل ان يصير نفخا رايح  
لا يمر من الامور فاذا جعل نفخا رايح لان يجعل فيه الماء وذلك  
الماء اذا استقر فيه صار صافيا عذبا بارز لا لا فيكون ذلك اشارة  
الى صيرورته صالحا لحفظ ماء العبودية وزلال المعرفة واما المرتبة  
الثامنة وهو قوله خلق الانسان من عجل فاشهر الاقوال فيه  
ان المراد هو آدم وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة

والسدى والكلبي قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شئ في اخر  
سماويوم الجمعة فلما دخل الروح رأسه ولم يبلغ اسفله قال  
يا رب استعجل تمام خلقى قبل غروب الشمس قال مجاهد فذلك  
قوله خلق الانسان من عجل وعن السدى لما نفع فيه الروح وتمكن  
الروح في رأسه طمس فقال الملائكة قل الحمد لله فلما قال ذلك  
سجانه يرحمك ربك ولذلك خلقك فلما دخل الروح عينيه نظر  
الى ثمار الجنة فلما دخل الروح في جوفه اشتوى الطعام فوشب  
الى ثمار الجنة قبل ان يبلغ الروح الى رجليه فهذا هو الذي اورث  
اولاده العجلة ثم للمفسرين اقوال في تفسير العجل وقول المحققين  
خلق الانسان من عجل اى خلق عجولا واذ لك عجا المبالغة كما يقال  
للرجل الذكى هو نار يشعل والعرب قد سمي المردم بما يكثرون  
فيقولون ما انت الا اكل ونوم وما هو الا اقبال وادبار  
وهذا الوجه متأكد بقوله وكان الانسان عجولا وقال المبرد  
خلق الانسان من جعل اى من شانه العجلة كقوله خلقكم من ضعف  
اى ضعيفا الثاني قال ابو عبيد العجل الطين بلفة حمير وانشد  
والنخل ينبت بين الماء والعجل الثالث قال الاخفش من عجل اى  
من تعجل من الامر وهو قوله سجانه كن فيكون والرابع من عجل اى  
من ضعف وهو قول الحسن المرتبة التاسعة قوله لقد خلقنا الانسان  
في كبد وقيل في الكبد وجها الاول قال صاحب الكشاف الكبد

من عجل



اصله من قولك كبد الرجل كبداء فهو أكبد إذا وجعت كبده وانتفتحت  
 ثم استسع في هذا اللفظ حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه انشقت  
 المكابدة وقال الآخرون الكبد شدة الأمر ومنه تكبد اللب  
 إذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم يغلظ ويستند والفرق  
 بين هذين القولين أن الأول جعل اسم الكبد موضوعا للكبد  
 ثم اشتق منه الشدة وفي الثاني اللفظ موضوع للشدة والغلظ  
 ثم اشتق منه اسم هذا العضو المخصوص والوجه الثاني أن الكبد  
 هو الاستواء والاستقامة والوجه الثالث أن الكبد شدة الخلق  
 والقوة إذا عرفت هذا فنقول أما على الوجه الأول فيجوز  
 أن يكون المراد منه شدايد الدنيا فقط وأن يكون المراد منه شدايد  
 التكليف فقط وأن يكون المراد شدايد الآخرة وأن يكون المراد منه  
 كل هذه الوجوه أما إذا حملناه على شدايد الدنيا فيكون قوله  
 لقد خلقنا الإنسان كبداء أي خلقناه في أطوار كلها شدة ومشقة  
 تارة في بطن الأم ثم زمان الارضاع ثم بعد البلوغ يحصل وجوه  
 المعاش ووديع ضرر الاعداء ثم دفع ضرر الألام والاستقام و  
 التصون من الآفات النازلة من السماء والأرض وأما الثاني  
 وهو حمله على شدايد الدين فهو توجه التكليف الشاقة عليه  
 قال الحسن تكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء وتكابد المحن  
 في أداء العبادات والرضا بقضاء الله عند نزول الآفات

والبلية

والبلية وأما الثالث وهو حمله على مشاق الآخرة والموت  
 ومسائلة الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به  
 القرار أما في الجنة وأما في النار وأما الرابع وهو أن يكون اللفظ  
 محمولا على الكل فهو الحق عني وعندى في الآية وجه آخر وهو أنه  
 ليس في هذه الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي تظن أنه لذة فهو خلل  
 عن ألم الحر والبرد فإن ما يتخيل من اللذة عند الأكل فهو خلاص  
 عن ألم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص عن ألم الحر  
 والبرد فإذا تفكرت علمت أنه ليس للإنسان إلا الألام أو الخلاص  
 عن الألام فهذا معنى قوله لقد خلقنا الإنسان كبداء أي هو طول  
 عمره يكون في مكابدة الألام ومقاساة المتعبات والمؤذيات  
 وعند هذا الحرف يظهر أنه لا بد من حكمه حكيم المدبر لهذا العالم من  
 الحشر والنشر والبعث يوم القيامة لأن الحكيم الذي دبر خلق  
 الإنسان أن كان مطلوبه أن يولم الإنسان فهذا لا يليق بالرحمة  
 وإن كان مطلوبه أن لا يتألم وإن لا يلد في تركه على العدم حصول  
 لهذا المطلوب وإن كان مطلوبه إيصال اللذة والنفع إليه فقد  
 بينا أنه ليس كذلك الحيوة لذة وأنه تعالى خلق الإنسان في هذا الدنيا  
 في كبد ومشقة ومحنة فإذا لا بد بعد هذه الدار من دار أخرى  
 لتكون تلك الدار دار السعادات والخيرات والكرامات وأما  
 على الوجه الثاني وهو أنه تفسير الكبد بالاستواء فقال ابن عباس

لهذا العالم



في كبد اي قايما منصبا وسائر الحيوانات تمشي منكسة فهذه  
امتان على الانساب هذه الخلق المرتبة العاشرة من مراتب  
خلق الانسان قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف واعلم ان  
اذا ضعف الانسان لا تحرك كما قال بعضهم يَنْتِنُهُ الْعَرَقَةُ وَيُوْذِيهِ  
الْبَقَّةُ وَيَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وقال هارون الرشيد لابن السماك  
عظي قال ان عطشت ولم تجد شربة من الماء الا بكل ما تملكه  
ماذا تفعل قال اعطى واخذ قال فان احبس ذلك الماء ولم يخرج  
الا ببذل كل ما تملك ماذا تفعل قال اعطى حتى يخرج قال ذن الشربة  
الواحدة من الماء قيمة كل ما تملك مرتين وايضا فان البقرة اصغر  
الحيوانات جثة واضعفها قوة وبنية ثم انها قتلت غرود اكبر  
ملوك بني آدم واطفيهم واعظمهم سلطانا ويري ان الشافعي  
حضر عند بعض الملوك العظماء فكان يجيئه النوم <sup>وكان الذي ينام</sup> فيجلس على وجهه  
فيوقظه ويؤذيه ثم انه كان يظلم وجهه وخذ عند طرد الذباب  
فقال في اثناء هذه الحالة ما الحكمة في خلق الذباب فقال الشافعي  
في الحال لبذل به عظماء الملوك ويظهر عجزهم عن دفعه قال  
الدينوري اليس ان اخذ الادمي سلاحه وسيفه ورمحه فجاءوا  
حدا ما يلبسه بجمته مثل رأس ابرة فيثقل ذلك عن كل ما هو  
فيه ويتورم جلده ويتألم اعضاءه حتى لا يمكنه ان يقبض على سيفه  
وقالت الدابة اليس ان اعظمهم سلطانا ولشدتهم هيبة اذا قعد

العقرب

عاسري مملكه مع الهيبة والعظمة فانه يحج احدنا من المطبخ  
او من الخلاء ملوث اليدين والجناحين فيقع على وجهه  
وثيابه ويؤذيه ويلطخه ولا يقدر ان يحرك على الاحتراز منا  
وقالت الهوام والحشرات اليس اذا قعد احدهم في مجلسه سري  
ويحج احدنا فيدخل في ثيابه فيزججه ويزعجه واذا اراد ان  
يبطش منا يصفع نفسه بيده وتلطم خذ بكفه وذلك دليل  
لعجز الانسان وتعام البيان فيه قوله يا ايها الناس مزب مثل فاستمعوا  
له الآية فهذا هو الكلام في مراتب خلق الانسان عند وجوده  
وقبل هذه المراتب كلها العدم المحض <sup>فلا</sup> الله تعالى وقد خلقك من قبل  
ولم تكن شيئا وقال في سورة الانسا هل اتى على الانسان حين  
من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فلهذا الحيوة الدنيا وتية كانت معدة  
من الازل الى الان وسيصير معدومة من الان الى الابد فانظر  
الى طول مدة الازل وطول مدة الابد ثم انظر الى هذه الحيوة  
المحفوفة بهذين الطرفين حتى تعرف حقارة هذه الحيوة وضعفها  
وقلتها بلى ان مرفها على الطاعات استوجبت بها الثواب  
الابدي والسعادة السرمدي فحينئذ يصير هذا الحقير عظيما  
وهذا الصغير كبيرا وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في عجائب  
تكون الاجنة اعلم انه تعا خلق الخلق من اشياء مختلفة فخلق  
السماء من الدخان قال ثم استوى الى السماء وهي دخان وخلق الارض

عاسري



من زبد البحر على ما نقل عنه عليه السلام انه قال سبحانه وتعالى خلق  
جوهره لطيفة فنظر اليها بعين الهيبة فصار ماء ثم تسلط على ماء  
حرارة فارتفع منه زبد فخلق الارض وخلق الجنة من رحمة والنار  
من غضبه قال تعالى سبقت رحمتي غضبي وخلق الملائكة من النور  
كما قال النبي عم ان الله خلق الملائكة من النور وخلق الجن من النار  
قال تعالى وخلق الجن من نار و قال والجان خلقناه  
من قبل من نار السموم وقال ابليس خلقتني من نار وخلقته من  
طين وخلق آدم من التراب كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله  
كمثل آدم خلقه من تراب وخلق حواء من بعض اعضاء ادم دم  
قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق  
سمازوجهما وخلق عيسى من الریح وقال تعالى ومريم ابنت عمران  
التي احصت فرجها فنحننا فيه من روحنا وخلق اولاده من  
النطفة قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم  
جعلناه نطفة في قرار مكين وخلق سائر الحيوانات من الماء  
قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء وخلق ناقة صالح من الصخر  
قال تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكلا في ارض الله ثم  
كل هذه الاشياء مخلوقة من المواد فهذه المواد يمتنع ان يكون  
مخلوقة من مواد اخرى والا لزم التسلسل ويمتنع ان يكون  
هذه المواد قديمة لانها محل للحوادث وكل ما كان محلا للحوادث

فهو حادث فهذه المواد محدثة هي مخلوقة لله تعالى خلقها عن العدم  
المحض والنفي القرف فثبت انه تعالى تارة يحدث الاشياء عن العدم  
المحض والسلب القرف وتارة يحدث بعض الاشياء عن البعض ثم  
هنا يجب ان يتأمل الانسان وهو ان كل قادر سوى الله تعالى فانه  
لا يمكنه التقرف الى الا في نوع واحد فالحيات ينصرف الثياب والحداد  
ينصرف في الحديد واما الملقم فهو المستقر في المعدومات والموجودات  
على وفق الحكمة ومطابقة المصلحة في ههنا يظهر كمال قدرة الله تعالى  
ثم ههنا دقيقة اخرى وهوانه تعالى اذا خلق شيئا من شئ جعل فرجه  
اليه الا ترى ان الملائكة لما كان اصلهم من النور فهم لما طعنوا في  
البشر قالوا اجعل فيها من يفسد فيها لكنهم ما يقولون مستويين  
على ذلك الطعن بل رجعوا الى مقتضى اصلهم وهي النورانية وعادوا  
الى الصلاح والاستغفار فقال تعالى حكايه عنهم ويستغفرون للذين  
امنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا  
سبيلك وفهم عذاب الجحيم وعيسى كان اصله نطفة جبرئيل عليه السلام  
لاجرم عاد بالآخرة الى عالم الافلاك فقال تعالى اني متوفيك ورافعك  
الي وقال بل رفعه الله اليه وكذا البشر لما كان اصله من التراب  
لاجرم بالآخرة يرجعون الى التراب ويصيرون ترابا كما قال فيها  
خلقناكم واذا علم العبد ان مصيره الى التراب والفناء زالت محبة  
الدنيا عن قلبه واعرض عن الدنيا وعلم انه يجب عليه الاهتمام



بعبارة الاخرة والاقبال على طاعة الله تعالى واذا عرفت هذه المقدمة  
 فنقول انه ذكر في القرآن كيفية الخلقة فقال في سورة الحج يا ايها  
 الناس ان كنتم في ريب مما نبعث الى الموتى وان الله يبعث من  
 في القبور وقال في سورة لا اقسام الا بك نطفة من متى يمنى ثم كان  
 الاخر الآية وقال في المرسلات المخلقكم من ماء مهين الى قوله فقد رنا  
 نعم القادرون الا ان اكثرها شرحا وتفصيلا هو المذكورة في سورة  
 قذافح المؤمنون وهو قوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين  
 الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين واعلم انه تعالى في هذه الآية  
 ذكر سبع مرات في تخلق الاجنة وقيل هذه الآية افترحت السورة بذكر  
 سبعة انواع من افعال الخيرات والطاعات اولها الايمان وهو قوله  
 قذافح المؤمنون والكلام في حقيقة الايمان سيأتي في باب مفرد  
 وثانيها الصلوة وهو قوله والذين هم في صلواتهم خاشعون واختلفوا  
 في الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم  
 من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الاكثفات ومنهم من قال  
 هو عبارة عن مجموع الامرين وهو الاولى فالخاشع في صلوة لا بد  
 وان يحصل له من قسم افعال القلوب نهاية الخشوع والتذلل للمعبود  
 ومن قسم التزوك ان لا يكون مشتغل القلب بشيء سوى تعظيم خالقه  
 ومن افعال الجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده  
 ومن التزوك ان لا يلتفت يمينا وشمالا والخشوع عبارة عن مجموع

هذه الاشياء الا ان الخشوع الذي نرى على الانسان ليس الا ما يتوقع  
 بالجوارح فان الذي يتعلق بالقلب لا نرى وتام الكلام في هذا المعنى  
 سيأتي في كتاب الصلوة الصفة الثالثة قوله والذين هم عن اللغو  
 معرضون وفي اللغو اقوال احدها ان يدخل فيه ما كان حراما او مكروها  
 او مباحا ولكن لا يكون بالانسان ضرورة ولا حاجة اليه والثاني  
 عبارة عن كل مكان حراما وهذا التفسير اخص من الاول والثالث  
 انه عبارة عن المعصية في القول وهذا اخص من الثاني والرابع انه  
 المباح الذي لا حاجة اليه واجتبه هذا القائل بقوله لا يؤاخذكم الله  
 باللغو في ايمانكم فكيف يحمل اللغو على المعاصي ان الموازنة فيها  
 غير حاصلة واجتبه الاولون بان اللغو انما سمي لغوا لانه يلغى فكل  
 ما يقتضيه الدين الغاءه كان مسمى باللغو ثم ان اللغو قد يكون كفرا  
 لقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد يكون كذا بقوله  
 لا تسمع فيها لاغية وقوله لا يسمعون فيها لغوا اذا عرفت اللغو  
 فنقول الله تعالى صلواتهم مدحهم بانهم معرضون عن اللغو والاعراض  
 عنه بان لا يفعل ولا يرضى به ولا يجالط من تقدم عليه قال واذا مروا  
 باللغو مروا كراما واعلم انه سبحانه وتعالى ما وصفهم بالخشوع في الصلوة  
 اتبعه بوصفهم بالاعراض عن اللغو حتى يحصل لهم الفعل والترك  
 فالفعل هو الصلوة والترك هو الاعراض عن اللغو الصفة الرابعة  
 قوله والذين هم للزكاة فاعلون والقول في تفسير اسم الزكاة في معنى



سبأ في باب الزكوة الصفة الخامسة والذين هم لغزوبهم حافظون  
والكلام فيه سبأ في باب النكاح والصفة السادسة والذين  
هم لاماناتهم وعهدهم راعون وأعلم انه سمي الشيء المؤمن عليه  
والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا  
الامانات الى اهلها وقال تعالى وتحنوا اماناتكم وانتم تعلمون وانما  
يؤدى الاجسام لا المتعانيات يقع الحيانة في المؤمن عليه لا في  
نفس الامانة والعهد ما عقله الانسان على نفسه فيما يقرب الى  
ربه ويقع ايضا هذا اللفظ على ما امر الله تعالى به كقوله تعالى الذين  
قالوا ان الله عهد الينا والراعي هو القائم على الشيء بالحفظ  
والاصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية وأعلم ان الامانة والحياة  
متقابلان يا ايها الذين امنوا لا تحنوا الله والرسول وتحنوا  
اماناتكم فكل ما خرج على احدهما دخل في الاخر فكل العبادات  
داخله في الامانة بدليل قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات  
والارض ثم تمام الكشف ان العبادات قد تكون مخفية كالصوم  
وعسل الجنابة واستيفاء الوضوء وقد يكون بحيث يخفى فيه كيفية  
على الانسان قال عليه السلام اعظم الناس خيانة من لم يتم صلوة  
ومن جملة ما يلزمه الانسان بفعله او قول فعله الوفاء به  
كالودائع والعقود وما يتصل بهما ومن ذلك الاقوال التي يحرم بها  
الاالنساء ويحرم بها التعريف في العبيد لانه يؤمن في كل ذلك

واما

واما العهد فانه يدخل فيه العقود والايمان والذور فبين سبحانه  
ان مراعات هذه الامور والقيام بها معتبر في حصول الفلاح  
الصفة السابعة قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون فاعلم انه  
فرق بين الخشوع وبين المحافظة فان الخشوع صفة للقلب على ما  
ذكرناه والمحافظة عبارة عن تحصيل مشروطها من رعاية الوقت  
والطهارة والشم لا دأها وترك التواني فيه فهذه امور سبعة  
قدم الله ذكرها ثم قال بعدها اولئك هم الوارثون الذين يرثون  
الفردوس هم فيها خالدون وهما سؤالات الاول لم سمي الجنة  
بالميراث مع انه تعالى حكم بان الجنة حقهم في قوله ان الله يشتري  
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الجواب من وجوه  
الاول انه روي عن النبي عم انه قال لا مكلف الا وقد اعد الله له  
في النار ما يستحقه ان عصى وفي الجنة ما يستحقه ان اطاع وجعل  
لذلك علامة فاذا امن البعض صارت منازل ولم يؤمن البعض  
صارت منازل من لم يؤمن من قوله الى الذين امنوا علموا كان  
حرمانهم عن تلك الدرجات ودخولهم في النار شيها بالموت  
سمي ذلك ميراثا لهذا الوجه وقد قال الفقهاء انه كما يورث  
من الميت ما كان مملوكا له كذلك يورث عنه ما يقدر فيه كونه  
مملوكا له وان لم يدخل في ملكه كالدابة وانها موروثه مع انها لم يدخل  
في المقبول الثاني كما حصلت لهم مع انهم ما كانوا عارفين



في الدنيا بكمية منافعها الشبه ذلك انتقال المال الوارث الثالث  
 ان الجنة كانت مسكن اول الانبياء آدم عليه السلام فاذا انتقلت  
 الى اولاده كان ذلك بشيها بالميرات السؤال الثاني كيف حكم على  
 الموصوفين بالصفات بالفلاح مع انه تعالى ما يتم ذكر الواجبات  
 كالصوم والنجس الجواب ان قوله والذين هم لاماناتهم تاتي على الواجبات  
 من الافعال والزواك والسؤال الثالث فهذه الآية تدل على ان  
 هؤلاء هم الوارثون للجنة فاما من لم يأت بالطاعات واتى بالمعاصي  
 ثم تاب وامن عقيب توبته من غير شيء من الطاعات وجب ان لا يدخل  
 الجنة وهو على خلاف الآية الدالة على ان التائب من اهل الجنة والجواب  
 ظاهر الآية وان كان يفيد الحصر الا ان يجب حمل الظاهر على الكاملين  
 من اهل الجنة هم الموصوفون بهذه الصفات وكذا الفساق من اهل الصلوة  
 لقوله تعالى ان الله لا يفضن ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء  
 ونظر حمل هذا الحصر على حالة الكمال قوله انما المؤمنون الذين اذا  
 ذكر الله وجلت قلوبهم ومن الناس من قال الفردوس عبارة  
 عن اشرف موضع الجنة وعلى هذا التقدير يزول السؤال قال عليه  
 السلام الفردوس مقصورة الرحمن وعن ابي امامة الباهلي انه قال  
 عن النبي عليه السلام قال سئلوا الفردوس فانها اشرف الجنة واعلم  
 انه تعالى لما شرح في اول السورة هذه المراتب السبعة في العبادات  
 ساردها بما يدل على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وهو

ذكر المراتب السبعة في خلق الانسان اولها قوله ولقد خلقنا الانسان  
 من سلاله من طين وثانيها قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين  
 وثالثها قوله ثم خلقنا النطفة علقه ورابعها قوله فخلقنا العلقه  
 مضغنة وخامسها فخلقنا المضغنة عظاما وسادسها ففكسنا  
 العظام لحما وسابعها ثم انشأناه خلقا اخر فلنشأ خلقا اهل هذه  
 المراتب السبعة بعون الله تعالى وفضله اما المرتبة الاولى وهي قوله  
 ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ففيه سؤال مشكل  
 وهو ان المراد من الانسان ان كان هو آدم فكيف يستقيم قوله ثم جعلناه  
 نطفة في قرار مكين فان آدم ما كان كذلك وان كان هو اولاد  
 آدم فكيف يستقيم قوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين  
 متصرف الى آدم وانهم ليسوا مخلوقين للجواب من وجوه الآتي  
 ان لفظ الانسان شامل لآدم واولاده ثم قوله من سلاله من طين  
 متصرف الى آدم وقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين متصرف  
 الى اولاد آدم عليه السلام والثاني ان المراد من الانسان في هذه الآية  
 اولاد آدم والطين اسم آدم والسلالة وهي اجزاء الطينة المستوية  
 في اعضائها وهي اللحم التي لما اجتمعت وحصلت في اوعية المنى صارت  
 متما وهذا التفسير مطابق لقوله وبداء خلق الانسان من طين ثم  
 جعل نسله من سلاله من ماء مهين الثالث وهو الذي ذكرت  
 فقلت المراد من الانسان ههنا اولاد آدم وذلك لان المقصود



من ذكر هذه الآية التنبية على ما يدل على وجود الصانع وهذا لا يحصل  
الا بالامر المشاهد والامر المأثور هو اولاد ادم لا تولد ذات ادم  
فثبت ان المراد من الانسا هم هنا اولاد ادم بقى ان يقال فما المراد  
من قوله ولقد خلقنا الانسا من سلالة من طين مع ان اولاد  
آدم ليسوا كذلك وجوابه ان الانسا انما يتولد من النطفة وهي انما  
يتولد من الاغذية والاعذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية  
ينتهي الى النباتية والنباتية انما يتولد من صفو الطين فالانسا  
بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين اقصى ما في الباب ان  
تلك السلالة من طين توارث عليه اطوار الخلق وادوار الفطرة  
حتى صارت منيا ولكن ذلك لا تبطل كون الانسا متولدا من سلالة  
من طين كما انما يتولد عن المني بعد تعاقب الاطوار والادوار  
عليه ولم يكن ذلك قادحا في كونه متولدا من المني وهذا التأويل  
الذي ذكرته مطابق للفظ ولا يحتاج معه الى شيء من التكلفات  
والله اعلم بمراده المرتبة الثانية قوله ثم جعلناه نطفة في قرار  
مكين واعلم ان الاطباء يقولون ان الانسا اذا اكل طعاما  
فانه ينطبخ ذلك الطعام في معدته لا بحرارة المعدة وجدها  
بل بحرارة ما يطبخ بها اما من اليمين فبالكبد واما من اليسار  
بالطحال واما من قدام فبالثرب النخعي القابل للحرارة سريعا واما  
من فوق فبالقلب يتوسط تسخينه للحجاب فما يكون فيه صاقيا

يدخل

يدخل في عروق صلاب رفاق في الكبد والذي يكون كالتفل ينزل  
في الامعاء ثم ينطبخ ذلك المصفي مرة اخرى في الكبد ويحصل عند  
ذلك الانطباع رغوة وهي الصفراء يذهب الى المرارة ورسوب  
وهو السوداء يذهب الى الطحال وينفصل المائية وهي الفضلية  
ويذهب الى الكليتين ومنها الى المثانة ومنها الى الاصل و يخرج  
ثم انه ثلث خلق مجري بين الطحال وبين فم المعدة ومجري اخرى بين  
المرارة والامعاء ثم ان ذلك السوداء ينصب شيء منها على فم المعدة  
فحصل في المعدة دغدة الجوع ولو انسد هذا المجري لم يحصل للشا  
شعور بالحاجة الى الطعام وايضا ينصب من المرارة شيء من الصفراء  
على الامعاء حتى يفصل الامعاء عن الفضلات ويحصل للانسا شعور  
بالحاجة الى اخراج الفضلة ولو انسد ذلك المجري لم ينصب تلك  
الصفراء على الامعاء فيبقى الثقل فيها ويتولد القولنج ثم انه يحصل  
بعد هذين الطبخين طبع ثالث وهو ان ذلك الدم الصافي يخرج  
من الكبد ويتوزع في العروق وينطبخ مرة ثالثة في العروق ثم يحصل  
طبع رابع وهو ان تلك الدماء المتوزعة في العروق ينصب على ظواهر  
الاعضاء ويتكيف بكيفية طبائع تلك الاعضاء فبعضها بصير متكيفا  
بكيفية العظم وبعضها بكيفية اللحم وبعضها بكيفية العصب فهذه الالة  
مراتب في الطبخ اذا عرفت هذا فنقول اذا صارت الشهوة مستولية  
على الانسا تولدت من تلك الشهوة سخونة منتشرة في جميع الاعضاء



ثم بسبب تلك السخونة يرتفع بخار لطيف ورغوة لطيفة من جميع  
 الاعضاء والاضلاط ومجموع ذلك البخار والرغوة انما يرتفع مما  
 حصل عند الهضم فينتقل من العظم جوهر شبيه في الطبع بالعظم  
 ومن العروق واللاحم والاعصاب كذلك ثم انه حصل في تلك الرغوة  
 قوى وطبايع متشابهة لتلك الاعضاء البسيطة فلذلك يحصل فيها  
 قوى وطبايع متشابهة لقوى الاعضاء المركبة فيحصل فيها اجزاء  
 من الدماغ واجزاء من العين واجزاء من اليد واجزاء من الرجل ولهذا  
 المعنى لما سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب  
 الولد تارة ابيه واخرى امه فقال عليه السلام ان كان الغالب  
 هو ماء الرجل حصلت المشابهة بالاب وان كان الغالب هو ماء  
 المرأة حصلت المشابهة بالام ثم ان هذه الرغوة المختلصة  
 من جميع الاعضاء والابواض يصعد في العرقين السارين بامر  
 الحكيم الخبير الى الدماغ وذلك لان الدماغ اشرف من اعضاء الانسان  
 وهو مسكن القوة المفكرة والحافظة والذاكرة فاقضت الحكمة  
 الالهية ان يحصل من خواص الدماغ الذي هو اشرف اعضاء بدن  
 الانسان في تلك الرغوة اثر وكيفية ثم انما تقع بخلط بذك الاجزاء  
 شيئا كثيرا من اجزاء الدماغ ولذلك فان من باش كثيرا اثاره  
 على العسر في الفتوة والانكسار والكلال ثم انما تقع ينزل تلك  
 الاجزاء من الدماغ الى صلب الرجل وترايب المرادة ثم عند الوقوع

ينزل من الصلب والترائب الى مستقر الرحم وهذا هو المراد من الا  
 بسبب قوله في قرارمكن واعلم انما قد ذكرنا ان هذه النطفة  
 يجري مجرى رغوة يتفصل من الاعضاء بسبب ذوبان يعرض لها  
 عند استيلاء حرارة الشهوة فيكون بعض تلك الاجزاء من ذوبان  
 العظم وبعضها من ذوبان اللحم ولما كان البدن الانساني مخلوقا  
 من الطبايع الاربعة كان ذوبانها ايضا كذلك فيكون المنه جميعا  
 مركبا من ارضية ومائية وهوائية ونارية والهوائية والنارية  
 غالبة عليها ويدل عليه ان بياض الرطوبة انما يكون بسبب اختلاط  
 الهوائية بها كما يكون في الزبد والاجزاء الكثيفة التي في المنه هي مواد  
 الاعضاء والاعضاء اللطيفة التي فيها مواد الارواح وتلك الاجزاء  
 اللطيفة والكثيفة يكون مختلطا بعضها ببعض في اول الامر  
 ثم ان الجنسية علت الظم فيضم الاجزاء اللطيفة بعضها الى بعض  
 والاجزاء الكثيفة بعضها الى بعض ولما كان اللطيف سريع الخلط  
 والتلاشي اقتضت الرحمة الالهية جعل الاجزاء اللطيفة في الوسط  
 وجعل الاجزاء الكثيفة كالصوان لها فيصير الكل كالكرة المستديرة  
 ويكون باطنها مملوا من الاجزاء الروحانية اللطيفة ويكون  
 ظاهرها من الاجسام الكثيفة وذلك الموضع الذي هو مجموع الاجزاء  
 اللطيفة هو الله الموضع الذي اذا استحكم وكل كان قلبا فلهذا  
 المعنى قال اهل العلم اول الاعضاء الانسانية يكون هو القلب



واخرها موتا هو القلب وعند هذا يظهر ان قطرة النطفة يصير  
كالكرة ويكون مجمع الارواح في باطن تلك الكرة هو القلب ويحيد  
يحصل منها احوال عجيبه الاول ان العالم الاصفر وهو  
الاشاكره كما ان العالم الاكبر كره ايضا الثاني ان كره العالم الاصفر  
يبقى معلقة في جوهر الرحم بحفظ الخالق الحكيم كما ان كره العالم  
الاكبر بقيت معلقة في الخلاء الذي لا نهاية له بحفظ الخالق الحكيم  
كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والثالث  
ان كره العالم الاصفر يكون الكثيف محيطا واللطيف محيطا به  
على ما شرحناه وكره العالم الاكبر بخلاف ذلك لان العالم الاكبر اللطيف  
محيط وهو السموات والمحاط به هو الكثيف وهو الارض  
والرابع انه قال تعالى في السموات والارض خلق السموات والارض  
في ستة ايام واما العالم الاصفر فقال اصل التجارب ان هذه  
الكرة المتولدة من هذه النطفة تبقى ستة ايام على حالتها الاولى  
لا يتغير منها صفة ولا يزول منها حالة والخامس روى انه تعالى  
لما اراد خلق آدم وامر الملائكة حتى اخذوا من كل ناحية  
من نواحي الارض قبضة فبعض تلك الاجزاء احمر وبعضها اسود  
وبعضها ابيض وبعضها حرة وبعضها سبعة وبعضها عذبة وبعضها  
مرة فلا جرم جاءت اولاد آدم على صفات مختلفة بعضهم احمر  
وبعضهم ابيض وبعضهم اسود وبعضهم حركيم وبعضهم نذل سفیه

فكدا ههنا لما اراد تخلق ولد آدم امر الملائكة الموكلين بابدان  
البشر حتى اخذوا من كل طرف من اطراف ابدان الاب والام جزءا  
اخر على خاصية اخرى فاخذوا من سواد الحذقة والشعر جزءا اسود  
ومن بياض الملتحمة والسن والمجلد جزءا ابيض ومن الدم جزءا احمر  
ومن الدماغ الاجزاء الباردة ومن القلب الاجزاء الحارة ومن  
الكبد الاجزاء الرطبة ومن العظام الاجزاء اليابسة وبالجملة اخذوا  
من كل طرف من ابدان الابوين جزءا مناسبا له في الطبيعة مشاكلا له  
في الخاصية ثم انه تعالى كما اخبر عن طينة آدم انه خمرها بيله اربعين  
صباحا فكذا ههنا خمر هذه الاجزاء ببعضها بعض اربعين صباحا  
وكما انه سبحانه بحكمته راعى في تخيير طينة آدم دقائق لا يصل  
اليها العقول والافكار فكذا في تخيير هذه الاجزاء ببعضها بعض  
راعى اسرار الايطلع عليها او هام الخلق فيقدر كل شخص في ذلك  
التخير نسبة خاصة في المقدار والكيفية ومناسبة مقدرة في الحسن  
والقيح والنعادة والشقاوة والغنى والفقر والعلم والجهل لا يغيرها  
احدا الا هو ولا يقف عما كنه اسرارها احد الا هو له الخلق والامر  
تبارك الله رب العالمين اعلم انه تعالى ذكر في آيات كثيرة تولد  
الانسان من النطفة فقال في اول سورة النحل خلق الانسان من نطفة  
فاذا هو خصيم مبين وقال في يس اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة  
وقال في سورة الواقعة افرأيتم ما تمنون انتم تخلقون انتم نحن



وقال في الانسان انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه وقال  
 في عبس قتل الانسان ما اكفره الى قوله ثم اذا شاء انشره وفي امثال  
 هذه الايات كثيرة واعلم انه تعالى ذكر في القرآن للمني صفات كثيرة  
 منها قوله في سورة الطارق فلينظر الانسان ثم خلق خلق من  
 ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب وهذه الآية مشتملة  
 على ذكر صفتين الصفة الاولى كونه دافقا ولذا ذكر تفسير الدافق  
 بحسب اللغة ثم ما يتعلق بكونه دافقا من وجوه المصلحة اما اللغة  
 فاعلم ان الدفق صب الماء يقال دفقت الماء اي صببته وهو مدفوق  
 اي مصبوب ولما كان هذا الماء مدفوقا اختلفوا في انه لم وصف  
 بانه دافق وذكروا فيه وجوها الاولى قال الزجاج معناه ذواندلق  
 كما يقال دارع وفارس ونابل ونامر اي ذو درع وفرس ونبل وتمر  
 والثاني قال الفرأ انهم يسمون المفعول باسم الفاعل كما يقال سرك  
 كاتم وهم ناصب وليل نايم قال تعالى في عيشة راضية اي مرضية  
 الثالث الخليل في كتاب العين دفق الماء دفقا ودفوقا اذا انصب  
 بمرق الرابع ان الدافق هو صاحب الماء فاطلق هذا الوصف على  
 الماء على سبيل المجاز واما وجه الحكمة في كون هذا الماء مندफقا  
 فاعلم ان وجه الحكمة فيه التنبيه على انه ليس من المباشرة المقصود  
 تحصيل اللذة بل تحصيل الولد وذلك لان كون الماء مندفقا يمنع  
 من دوام اللذة وذلك لان السيلان المستمر اقوى في ايجاد اللذة

واكثر

واكثر دواما لها بل الحكمة في الدفق في القوة ان يكون للمني قوة  
 في الوصول الى مقر الرحم والذي سماه الله تعالى ارامكيا الصفة  
 الثانية كون المنى خارجا من بين الصلب والترائب وترائب  
 المرأة عظام صدرها حيث يكون القلادة وكل واحد من تلك  
 العظام واحد لها تربية وقد اختلف المفسرون فمنهم من قال  
 الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه  
 ومنهم من قال انه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل و  
 ترائبه المرأة واحتج الاولون بانه تعالى بين ان الانسان مخلوق  
 من ماء دافق والذي يوصف بهذا الوصف هو ماء الرجل ثم  
 عطف عليه بان وصفه بانه يخرج من بين الصلب والترائب  
 وذلك يقتضي كون هذه الصفة صفة ماء الرجل واذا كان كذلك  
 ثبت ان الولد مخلوق من ماء الرجل واحتج اصحاب القول الثاني  
 بقوله عليه السلام اذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرا ويعود نسبة  
 الى الاب والى مادته واذا غلب ماء المرأة فبالضد وهذا مرجح في  
 ان الولد متخلق من ماء الرجل وماء المرأة والله اعلم بحقائق  
 مخلوقاته الصفة الثالثة قوله في سورة النجم وانه خلق الزوجين  
 الذكر والانثى من نطفة اذ اتمنى وقال في القيامة الم بك نطفة  
 من منى يمنى ولما قل ان يقول ما الفائدة في قوله من منى يمنى مع  
 ان كل منى يمنى الجواب ان فيه تنبيها على حقارة حال المنى والتقدير



انه مخلوق من المنى الذي جرى على مخرج النجاسة ولا يليق بمثل  
هذا الشئ ان يترد عن طاعة الله الا انه سبحانه عبر عن هذا  
المقصود على سبيل الرمز والكناية نظيره قوله تعالى في عيسى بن مريم  
وامه كانا يا كلالا الطعام والمراد منه قضاء الحاجة الا انه تعالى  
عبر عن هذا المعنى بقوله كانا يا كلالا الطعام وكان الحسن البصري  
يقول كيف يليق التكبر والتجبر بمن مر على مجرى البولي مرتين  
الصفة الرابعة قوله تعالى الم خلقتكم من ماء مهين وقال ايضا  
وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين  
وفي المراد بكونه مهينا وجوه الاول قال ما لكدنى الله عنه  
نجس وطبا وبسا وقال الشافعي رحمه الله انه طاهر وطبا وبسا  
وحجة الشافعي من وجهين الاول انه تعالى من خلقنا منها حيث  
قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلنا نطفة  
في قرار مكين ولو كان نجسا لما حسن هذا الامتان فان الزموا  
القطعة والمضغة قلنا الجواب من وجهين الاول اننا لاندرى  
ما حالها حين ما يكون في الرحم الثاني ان المنى انما يصير علقة  
ومضغة بسبب انه يمزج به الدم الطيب والطيب نجس فلهذا  
المعنى حكى بالنجاسة الا ان اصل الانسان بالتحليق منه يفتى كونه  
طاهرا الحجة الثانية انه تعالى من علينا بان جعل اللبن طاهرا  
لاجل انه غذاءنا ومن المعلوم ان الحاجة الى طهارة الذات

اعظم من الحاجة الى طهارة الغذاء فلما من بجعل اللبن الذي  
هو الغذاء طاهرا فبان بمنى طهارة المنى الذي هو الاصل  
كان اولى واعلم انا وان حكما بطهارة الا ان العلماء لما اختلفوا  
في طهارته ونجاسته كان ذلك دليلا على غاية حقارته وبهاية  
مهانة الثاني ان مهانة مستقذرا الثالث ان مهانة لاجل  
مروره على امر النجاسة الصفة الخامسة اخبرنا ان الرحم الذي  
هو موضعه في قرار مكين وهو قوله تعالى ثم جعلناه نطفة  
في قرار مكين وفيه فوائد الفائدة الاولى ان من ملاكوزا  
من الماء ثم قلبه انصب ذلك الماء ثم انه تعالى اودع النطفة  
ثم خلق الرحم منكسا ثم حفظ فيه تلك النطفة بقدرته وحكمته  
وهذا وان كان عجيبا بالنظر الى قدرتنا الا انه غير عجيب بالنظر  
الى قدرته وذلك لان اجرام السموات والارض والجبال والبحار  
انقل بكثير من تلك القطرة كما قال الخلق السموات والارض اكبر  
من خلق الناس فلما امسك السموات والارض بقدرته من غير  
علاقة فوقها ولادعامة تحنها كما قال ان الله يمسك السموات  
والارض ان تزولا فبان يقدر على امساك النطفة في قعر الرحم  
بقدرته كان اولى واخرى الفائدة الثانية انه تعالى سمي الرحم  
قرارا مكينا ومعلوم ان النطفة في الرحم ليست مستقرة بل  
بقيت معلقة في الهواء فكيف يجوز تسمية الرحم بالقرار المكين



وجوابه كانه قيل انا امسك النطفة في هواء الرحم بقدرتي كما يمكن  
 واحد منكم الشئ الثقيل في مستقر الارض والمراد منه اظهار كمال  
 القدرة ونظيره انه تعالى سمي تخلق السماء بناء فقال الله الذي  
 جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء والشئ المعلق في الهواء لا يسمى  
 بناء انما الشئ المستقر على القرار هو الذي سمي بناء الا ان الجواب  
 عنه كانه قيل اني لما امسكت السماء بقدرتي في جو الهواء كان ذلك  
 السكون جاريا مجرى الشئ الذي يكون مستقرا على الارض وينبني عليه  
 البناء وتسمية السماء بالبناء انما كان لاجل التبيه على احكام خلقها  
 والمقصود منه التبيه على كمال قدرة الصابغ سبحانه فكذلك ههنا سمي  
 الرحم بالقرار المكين لتقدير هذا المعنى الفائدة الثالثة وهوان  
 استقرار النطفة في الرحم انما كان بسبب انه سبحانه بقدرته وحكمته  
 يحفظها في الرحم فلما كان المستقر هو القدرة الارضية ولا شك  
 ان القدرة الارضية مبراة عن الخلل والعجز والنقص الاجرم  
 سمي السماء بناء والرحم قرارا ونظم قوله تعالى الذي رفع السموات  
بغير عمد تر ونها ينفخ لها عهد غير مرئي وهو قدرته وحفظه وحكمته  
الصفة السابعة للنطفة قوله تعالى في الانسا انا خلقنا الانسا  
 من نطفة امشاج نبليها فخلقناه سميعا بصيرا واعلم ان النج  
 في اللفظ الخلط والامشاج الاخلاط قال صاحب الكشاف  
 الامشاج لفظ مفرد وليس يجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد

وهو قوله

وهو قوله من نطفة امشاج ويقال ايضا نطفة مشيج ولا يصح  
 ان يكون امشاجا جمعا للمشيج بل هما مثالان في الافراد ونظم  
 برمة اعشار اي قطع منكسرة وثوب اخلاق وارض سباب  
 واختلفوا في معنى كون النطفة مختلطة على وجوه فالاول  
 انه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة قال ابن عباس ماء  
 الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فيختلطان ويخلق  
 الولد منهما فاما كان من عصب وعرق وعظم فمن نطفة الرجل  
 وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة وقال الحسن من نطفة مشيج  
 بالدم وهو دم الحيضة فان المرأة اذا بلغت ماء الرجل وحبلت  
 امسكت حيضها فاختلطت النطفة بالدم وقال قتادة الامشاج  
 هو انه تخلط الماء والدم او لا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة  
 وبالجملة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة الى صفة  
 ومن حال الى حال وقال آخرون الامشاج عبارة عن كون النطفة  
 مختلطة من الامهات الاربعة والتقدير من نطفة ذات امشاج  
 وهذا يدل على قدرة الله لان الطبايع المتنافرة لا يجتمع الا  
 بقهر قاهر ثم ان كل واحد من تلك الطبايع منافية للحياة فبناء  
 امر الحياة عليها يكون اظهار اللص من الضد فيكون ادب  
 على كمال القدرة نظم قوله في آخر يس الذي جعل لكم من الشجر  
 الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ويحتمل ايضا ان يكون



المراد ما ذكرنا من كون النقطة متولدة بعد الهضم الرابع فبعضها  
يكون فيه خاصية العظم وبعضها فيه خاصية اللحم وخاصية العرق  
وتلك الاجزاء مخلوطة بعضها ببعض فيكون امشا جابها هذا التأويل  
المرتبة الثالثة من مراتب خلقه الانشا صيرورة النقطة علقه  
وزعم اصحاب التجارب ان المتى في اول الامر يصير كرة مستديرة  
ويبقى على لونه الابيض في الرحم ستة ايام كما شرحناه ثم انه بعد  
ذلك يظهر في الباطن اعني مركز هذه الكرة نقطة دموية وذلك  
الموضع هو الذي ذكرناه انه مجمع الارواح وهو الذي اذا تمت  
خلقته كان قلبا فلهذا المعنى قالوا ان اول عضو يتكون من البدن  
هو القلب ثم يحصل بعد ذلك نقطتان دمويتان احدهما  
فوق النقطة الاولى وهو الذي استحكت خلقته كان دماغا  
والنقطة الثانية يحصل على عيين النقطة الاولى وهي التي اذا استحكت  
خلقته كانت كبدا ثم ان هذه النقطة الثالثة تمتد في الصفاق  
امتدادا واما هذه الاحوال يحصل بعد ثلثة ايام اخرى ويكون  
ذلك تسعة ايام من الابداء وقد يتقدم يوما او يتأخر يوما  
ثم بعد ستة ايام اخرى وهو الخامس عشر من العلق وينفد  
الدموية في الجميع فيصير علقه وربما تقدم يوما او يومين  
او تأخر يوما او يومين وهذا شرح احوال العقلة ثم ههنا اسرار  
وفوائد الحكمة الاولى ان كل من نقش نقشا على شيء فانما يحتاج

الى امور احدها ان يكون محل النقش جسما صلبا كثيفا وههنا الحق  
نقلى وضع نقشه على الماء المهين والثلث يجب ان يكون المكان  
الذي ينقش فيه واسعا وان يكون الموضع مضيقا وههنا الحق  
نقلى نقش هذا النقش العجيب في الرحم وهو موضع مضيق  
فقال هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء ولست ادل  
بهذا على الهية ووحدا نيته فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم  
ونقش ايضا هذا النقش في ظلمات الارحام فقال في الزمر  
يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث  
ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فخلق نضرون فما اعظم  
درجة الانسان وما اعجب خلقته وذلك لانه اينما ذكر حاله  
من احوال الخلق ذكر عقيبها اما التهليل كما في هاتين الايتين  
واما التعظيم والتفديس كما في قوله فتبارك الله احسن الخالقين  
الحكمة الثانية ان كل نقاش وكاتب اراد ان يكتب شيئا على جسم  
فانه يكتب اول ذلك النقش على ظاهر ذلك الجسم ثم انه يصل  
الاثر من الظاهر الى الباطن وههنا الحق نقلا اظهر ان اثار كتابته  
ونقشه وتصويره اولها في الباطن وهو ظهور النقطة الثالثة  
الدموية في الباطن اولها ثم سريلها من الباطن الى الظاهر وهذا  
التعلم كما ان ذاته وصفاته لا يشبه الذوات والصفات فكذلك  
لا يشبه فعله افعال سائر الفاعلين وان اشبهه هذا عليكم



في مبداء الخلقة والفطرة فله مثال حاضر في الطال وذلك لان  
 الاعضاء الظاهرة لا يتحرك ولا يسكن الا اذا حدثت في القلب  
 داعية واردة لذلك الفعل ومحدث تلك الدواعي والارادات  
 في القلوب هو الله سبحانه وتعالى وهو المراد بقوله اولئك كتب  
 في قلوبهم الايمان ولقوله هم قلوب العباد بيد الله ولقوله  
 قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالحق تعالى يكتب  
 في القلب تلك الدواعي والارادات ثم يتولد منها فنون الافعال  
 والحركات في ظاهر البدن فظهر ان تأثير قدرة الله يظهر الآن  
 في القلوب والضمائر اولاً ثم يسري تلك التأثيرات من البواطن  
 والضمائر الى الظواهر ولما عرفت هذا المعنى في الحال فاعرف مثله  
 في تخليق البدن في الابداء والحكمة الثالثة ان كل نقاش اربع  
 نقاشات طيافاً في يبالغ في صون نقشه عن اربعة اشياء  
 عن التراب فان الغبار يبطل رونق النقش ويزيل طراوته  
 وعن الماء فان الماء يفسله ويزيله وعن الرياح فانها تكدر النقا  
 ويبطلها وعن النار فانها تحرق وتفني الاثر ثم تعالى عكس هذه  
 القضية فظهر نقش خلقه البشر من التراب فقال ان مثل  
 عيسى عند الله واظهر نقش خلقه الدواب من الماء فقال  
 والله خالق كل دابة من ماء واظهر خلقه عيسى من الهوا فقال  
 فنحن افي من روحنا وايضا جعل نفحة سببا لتخليق الحيوانات

فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتفتح فيها فيكون  
 طيرا باذني وخلق الجن من النار فقال ولجان خلقناه من قبل  
 من نار السموم وذلك يدل على ان فعله لا يشبه فعل احد من  
 الفاعلين للحكمة الرابعة انه سبحانه خلق القلب اولاً وذلك  
 لانه سرير الروح ومدرسة المعرفة وخافقاه الصفوة ومنزل  
 المحبة والنور الغايض من خطاب القدس فاعلم انه لا اله الا الله  
 لا يتجلى الا فيه والكرامة الحاصلة من تشریف مجتهد ومحبته  
 لا يظهر الا فيه والاستقرار المتولد من وعد الابد ذكر الله تطمئن  
 القلوب لا يحصل الا فيه فلما كان هو المقصود في الثواب  
 والعقاب والمطلب والعتاب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب  
 لاجرم كان هو المخلوق الاول ثم انه تعالى خلق الدماغ فوقه  
 والكبد تحته لان الدماغ منشأ العقل الذي هو الواسطة  
 بين العالم العلوي والكبد منشأ الغذاء وهو الواسطة بين  
 القلب وبين العالم السفلي فجعل العلوي في العلو والسفلي  
 في السفل تنبيهاً على هذه الدرجات والحكمة الخامسة ان القلب  
 سلطان البدن وليست سلطنة بسبب كثرة الجنة والاول  
 لوجب ان يكون الفخذ اولى بهذه السلطنة ولا سبب الحدة  
 والا لكانت المراتة اولى بها ولا سبب كثرة الزخيرة والا لكانت  
 المعدة اولى بها ولا سبب القوة والا لكانت العظام اولى بها



ولاسبب الحكمة والقطعية والآلات الاسنان اولى بها ولما  
بطل كل هذه الوجوه ولم يبق للقلب خاصية سوى كونه معدنا  
للعلم والحكمة والفهم والادراك علمنا انه انما كان سلطانا  
للبدن لكونه موصوفا بالعلم والحكمة والفهم والادراك فكل  
من كان علما حكما كان سلطانا بالحق ونائب الحق بالحق وكل  
من كان محروما عن العلم والحكمة كانت سلطنته في التلبس بنابة  
ابليس الحكمة السادسة ان الروح سلطان الجسد وسرير الروح  
هو القلب لاجرم كان القلب هو اول الاعضاء الحادثة في البدن  
فنقول لما كان الروح سلطانا محتاجا الى سرير جسم كان ذلك  
السرير اولى الاعضاء المتكونة في البدن فالحق مع سلطان الموجود  
فلو كان محتاجا الى سرير جسماني هو العرش لوجب على هذا القائل  
ان يكون العرش اول المحدثات واول المكونات لكنه ليس الامر كذلك  
بنص القرآن والخبر اما نص القرآن فهو قوله تعالى ان ربكم الله الذي  
خلق السموات والارض الاله بين تعالى ان الاستواء على العرش متأخر  
عن تخليق السموات والارض الاله بين تعالى واما الخبر فاروى  
انه عليه السلام قال اول ما خلق الله العقل وفي رواية اول ما  
خلق الله القلم وفي رواية ثالثة اول ما خلق الله نوري وفي  
رواية رابعة اول ما خلق الله جوهر ثم نظر اليها بعين الهيبة  
فصارت ماء وجميع هذه الروايات مطابقة على ان العرش ليس هو

المخلوق الاول وذلك يدل على كونه منزها عن العرش والكرسي  
والمكان والجهة الحكمة السابعة ان القلب سلطان الجسد  
فكان اشرف اعضاء الجسد هو القلب ثم ان المجسم يقولون  
كل موجود هو اشرف من غيره وجبان يكون اعلى من غيره ولما  
كان الحق اشرف الموجودات يجب ان يكون في مكان اعلى من جميع  
الموجودات فهنا القلب سلطان البدن واشرف الاعضاء مع انه  
ليس في اعلى موضع من مملكة البدن بل هو مستقر في الوسط فظهر  
بهذا فساد قول المجسم ان الاشرف يكون اعلى في المكان والجهة  
بل ههنا دققة اخرى وهي ان اصغر اعضاء البدن انما هو الشعر  
والجلد والعظم واعلى شيء في البدن هو هذه الثلاثة فعلمنا ان العلو  
لا يقضي الشرف ولا يقل لا يقضي الخسة الحكمة الثامنة ان كل  
طباخ وضع اللحم الاحمر في قدره وطبخه فانه يزول تلك الحمرة ويحدث  
البياض وههنا الحق تعالى وضع المنى الابيض في قدر الرحم وطبخه  
بنار الطبيعة فانقلب الابيض احمر وايضا كل احد يسلط الحرارة  
على جسم لطيف فان بسبب تلك الحرارة يزداد الرقة والرخاوة  
فالحق تعالى قلب هذه القضية ههنا فسلط الحرارة على النطفة الرطبة  
فصيرها منعقدة قوية كثيفة فان قيل انما حصلت الكثافة و  
الانفقاد لان الحرارة لما عملت في تلك الرطوبة سخى عنها الاجزاء  
الرطبة فبقى الباقى صلبا يابسا فنقول ان كان الامر كذلك كما يجب



ان يؤثر تلك الحرارة القابضة برحم المرأة وسائر اعضائها في تخفيف  
 تلك الاعضاء فان تأثير تلك الحرارة في محلها اولى من تأثيرها  
 في الجسم الاجنبي عنها المبين لها فلم لم تؤثر تلك الحرارة في تخفيف  
 اعضاء الام وانثرت في تخفيف جوهر النطفة علما ان تأثيرها  
 في احد المحلين وعدم تأثيرها في المحل الثاني بتدبير مدبر المخلوقا  
 وتقدير مقدر الكائنات والطبايع معزولة والخواص باحالة  
 والافلاك معطلة والكواكب مسخرة ولان تأثير الاله للقدرة الالهية  
 ولانفاذ الالهية السرمدية سبحانه وتعالى يقول الظالمون  
 علوا كبيرا المرتبة الرابعة هي صيرورة العلقه مضغعة والمغني  
 انه ينقلب ذلك الدم للجأمد مضغعة او قطعة لحم كانه مقدار  
 ما يمضغ كالغرفة اسم لما يفتقر واعلم اننا بينا انه يصير علقه  
 في مدة خمسة عشر يوما ثم انه بعد ذلك باثني عشر يوما يصير  
 مضغعة ويمتيز الاعضاء الثلث بعضها عن البعض وامتنع وطول  
 النخاع وربما يقدم ذلك او تاخر يومين او بثلاثة ثم بعد تسعة  
 ايام ينفضل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبهن  
 ثم يميز الحس به في البعض ويخفى في البعض ويمس بعد ذلك تمام  
 الاربعين في الاكثر وفي الآية لجأت الى الحن الاول  
 وهو ان المضغعة اسم للقطعة من اللحم فقوله ثم خلقنا المضغعة  
 عظما يقتضي تقدم تخليق اللحم الذي هو المقصود على تخليق العظام

وقوله ثم كسونا العظام لما يقتضي تقدم العظام على اللحم وذلك  
 متناقض والجواب ان المضغعة اسم للقطعة المضغعة من اللحم  
 فهذا الجسم المسمى بالمضغعة لا يكون لها البنية ولا يكون املس السطح  
 وذلك لانه مركب من اجسام مختلفة الصورة فبعضها يكون  
 اذا استحكمت خلقة كان عروفا ثم هذه الاجسام بعد ما استحكمت  
 خلقتها ولم يتميز بعضها عن البعض بتمام التميز ولم يظهر فيه صلابة  
 وكثافة بل هي باقية على الرخاوة فهي من حيث كونها البنية رطوة  
 يشبه اللحم ومن حيث انها لم يبق على كبريتها وملاستها بل صارت  
 اجساما مختلفة الطبايع صار اللحم الممضوغ فلهذا المعنى سمي  
 الله تعالى هذا الجسم في هذا الوقت مضغعة الحج الثاني انه تعالى وصف  
 المضغعة في سورة الحج فقال ثم من مضغعة مخلقة والمخلقة المسواة  
 المسواة السالمة من النقص والعيب يقال خلق السواد والعو  
 اذا سواه وملسه من قولهم صخره خلقاء اذا كانت ملساء  
 ثم للمفسرين في المعنى اقول الاول ان يكون المراد من تمت فيه عوالة  
 ومن لم يتم كانه تعالى قسم المضغعة قسمين احدهما تامة الصورة  
 والحواس والتخاطيط والثاني الناقصة في هذه الامور فبين  
 انه بعد ان صير مضغعة ففيها ما يخلق انسانا تاما بلا نقص  
 وفيها ما ليس كذلك فهذا قول قتادة والضحاك فكانه تعالى خلق  
 المضغعة متفاوتة منها ما هو تام خال عن العيوب ومنها ما يكون



معيوبة ويتبع هذا التفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم  
وقصرهم وقامهم ونقصانهم والقول الثاني المخلقة الولد الذي  
يخرج حيا وغير المخلقة السقط وهو قول مجاهد والثالث المخلقة  
المصورة وغير المخلقة اي غير المصورة وهو الذي يبقى لحما من غير  
تخطيط وشكل واحتج اصحاب هذا القول بما روى علقمة  
عن عبد الله انه قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا  
وقال يارب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة تجزئها الارحام  
دما وان قال مخلقة قال يارب فما صنعتها اذكر ام انى ما رزقها  
ما اجلها اشقى ام سعيد فيقول الله سبحانه انطلق الى ام الكتاب  
فاستنسخ منه صفة هذه النطفة فينطلق الملك فيستنسخها  
ولا يزال النسخة <sup>بذلك</sup> حتى ياتي على اخر صفتها والرابع قال القفال  
الخلق ما خوذ من الخلق بما يتابع عليه الخلق بعد الخلق حتى تتم  
فهو المخلق وما لم يتم فهو غير المخلق لانه لم يتوارد عليه التخليقات  
واعلم ان القول الاول اقرب لانه تعالى قال في اوله الاية انا خلقناكم  
واشار الى الناس فيجب ان يحمل مخلقة وغير مخلقة على من يصير  
انسانا وذلك يبعد في السقط لانه قد يكون سقطا ولم يتكامل  
في المخلقة فان قيل هلا حملتم ذلك على السقط لاجل قوله  
ونقر في الارحام ما نشاء وذلك كالدلالة على ان فيه ما لا يقر  
في الرحم هو السقط قلنا ان هذا لا يمنع من صحة ما ذكرنا

فيكون المصنعة مخلقة وغير مخلقة لانه تعالى بعد ان تتم خلقه  
البعض ونقص خلقه البعض لا يجب ان يكمل ذلك فيه بل فيه  
ما يقرم الله في الرحم وفيه ما لم يقرم واذا كان قد اظهر فيه خلقه  
الانسان فيكون من هذا الوجه قد دخل فيه السقط اما قوله لنبين  
لكم فيه وجهان الاول لنبين لكم ان انقسام المصنعة الى  
المخلقة وغير المخلقة يدل على ان هذا المتولى لهذا التدبير ليس  
هو الطبع بل الصانع المختار والثاني ان اول هذه الاية هو قوله  
يا ايها الناس ان كنتم في ريب مما نبعث فانا خلقناكم من تراب  
فيكون المعنى انا اخبرناكم انا خلقناكم من كذا وكذا وكذا لنبين لكم  
ما يزيل عنكم ذلك الريب في امر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء  
كيف يعجز عن الاعادة واما قوله ونقر في الارحام ما نشاء الى  
اجل مستي فالمراد منه ان من اقسام هذه المصنعة من يبلغه الله  
حد الولادة والاجل المسمى هو الوقت المضروب للولادة وهو  
اخر ستة اشهر او تسعة اشهر او سنتين او اربع سنين  
كما شاء الله وقد روي انه تعالى لما كتب ذلك الوقت المعين  
في اللوح المحفوظ صار ذلك اجلا مستي البحث الثالث  
من مباحث هذا الموضوع انا قد ذكرنا ان اصحاب الجوارب زعموا  
ان في مدة اربعين يوما يصير الحال بحيث يتميز بعض الاعضاء  
عن بعض وفيه اشكال وذلك لانه روي في الصحيحين عن الانبياء



عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احداكم يجمع  
في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون  
مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه ملكا ينفخ فيه الروح فيومر  
باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد فوالله  
الذي لا اله الا هو ان احداكم لي عمل عمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه  
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيجتمعه له بعمل اهل النار فيدخلها  
وان احداكم لي عمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع  
فيسبق عليه الكتاب فيجتمعه له بعمل اهل الجنة فيدخلها فلهذا الحديث  
يدل على انه يبقى اربعين يوما ثم يبقى علقه مثل هذه المدة ثم  
يبقى مضغة مثل هذه المدة وذلك على خلاف ما حكيت عن اهل  
التجارب الجواب انه وان اختلفت اعضاؤه في مدة الاربعين  
الا ان صورة العلقه والمضغة انما تتم عند انقضاء الاربعين  
الثلاثة فلا منافاة بين التجربة وبين كلام صاحب الشرع  
المرتبة الخامسة هي صورة المضغة عظيما واعلم ان بدن  
الانسان مركب من الاعضاء والاعضاء تنقسم الى قسمين الى الاعضاء  
بسيطة والى اعضاء مركبة فالاعضاء المركبة هو الذي لا يكون  
جزؤه المحسوس مساويا لكله في الاسم والحقيقة كاليد فان كل  
جزء من اجزاء اليد لا يكون مساويا لكلها في الاسم والحقيقة

واما الاعضاء البسيطة فهي التي تكون جزؤه المحسوس مساويا  
لكله في الاسم والحقيقة كالعظم فان كل جزء من اجزاء المحسوسة  
يكون مساويا لكله في الاسم والحقيقة واعلم ان الاعضاء المركبة  
انما يتركب من الاعضاء البسيطة فلهذا السبب لم يذكر الله تعالى  
في هذا المقام شيئا من الاعضاء المركبة واما الاعضاء البسيطة  
فهى كثرة العظام والاعصاب والرباطات والاورتار والاوردة  
والشرايين الاغشية واللحم والشحم والجلد الا ان اصل  
البدن واساسه هو العظام فلهذا السبب خص الله العظام  
 بالذكر في هذا الموضع واعلم ان العظام يمكن تقسيمها على جهتين  
الاول ان العظام بسبب منافعها على اقسام احدها ما قياسه  
من البدن قياس الاساس وعليه مبناه مثل فقار الصلب  
فانه اساس البدن عليه بني كما تبقى السفينة على الخشب التي  
تنصب فيها اولواؤها فيها ما قياسه من اليدين قياس المجرى  
والوقاية كعظم اليافوخ والثنا قياسه قياس الآلات التي يتم  
بها الاعمال وهي عظام اصابع اليدين والرجلين ثم ما كان من  
هذه العظام انما يحتاج اليه للدعامة او الوقاية ولا يحتاج اليه  
لحركة فانه خلق مصمتا وما كان منها يحتاج اليه للحركة  
فقد زيد في مقدار تجويفه وجعل تجويفه في الوسط  
واحد ليكون جرمه صلبا ولا يصير رخوا بسبب كثرة المنافذ



ثم جعل الخ في وسطه ليرطب به ويمنع جفافه ففائدة زيادة  
 تجويف ان يكون اخف وفائدة توحيد التجويف ان يبقى جرمه اصلب  
 وفائدة صلابة جرمه ان لا ينكسر عند الحركات العنيفة التقيم الثاني  
 للعظام انها يجب تجاوزها على اقسام فاحدها ما يتجاوز تجاوز  
 مفاصل سليس وهو الذي لاجل عظمية ان يتحرك حركته سهلا من  
 غير ان يتحرك معه العظم الاخر كعظام الاصابع مع الكف ومفصل  
 الرسغ مع الساعد وثانيها ما يتجاوز تجاوز مفصل عشرين  
 غير موثق وهو كعظام فقرات الظهر فاما النصف الاسفل  
 من الظهر ومفاصل عظامه موثقة محكمة ولولا ذلك لما قدر الانسان  
 تارة ان ينصب انتصابا تاما وقت القيام وتارة يصير منحنيا  
 كما في وقت الركوع فاما النصف الاعلى من الظهر فمفصل عظامه  
 موثقة محكمة وثالثها ان يكون المفصل موثقا ليس لاجل عظمية  
 ان يتحرك وحده البتة مثل مفصل عظام الفخذ ورابعها المركز  
 وهو ما يوجد لاجل العظمين زيادة والثاني نفق تركب فيها  
 تلك الزيادة ارتكازا لا يتحرك فيها مثل الانسان وخامسها المد  
 وهو الذي يكون لكل واحد من العظمين اسنان كما للنشار ويكون  
 اسنان كل واحد منهما منهدمة في تخاريز الآخر كما يركب الصفار  
 صفائح الخنافس كفاصل الفم وسادسها ان يكون العظام متلاصقة  
 فيها ما هي متلاصقة طولاً مثل مفصل ما بين عظمي الساعد

ومنه ما هو ملتصق عرضاً مثل مفصل الفقرات السفلى من فقار  
 الصلب واعلم ان عظام البدن جملة ما تسن وثمانية واربعون  
 عظماً اما عظام الرأس خمسة وخمسون سبعة هي عظام اليافوخ  
 واربعة عشر عظام الجمجمة الاعلى واثنان هما اللحيان الاسفلان  
 واثنان وثلاثون سنناً فالجميع خمس وخمسون واما خرزات الظهر  
 فتسعة وعشرون سبعة للفخذ واحد عشر يتصل بها الاضلاع  
 وخمسة هي القطن وثلاثة العجز وثلاثة العنق واما الاضلاع  
 فاربعة وعشرون من كل جانب اثني عشر والعنق مؤلفة من عظام  
 سبعة والترقوتان عظامان موضوعتان على كل واحد من جانبي القس  
 والكفان معلومان وكل واحد من اليدين مؤلف من احد وثلاثين  
 عظماً العضد وطرقة والساعد وهما عظامان ملتصقان بالطول  
 والكف وهو اثني عشر الرسغ وهو صفتان في كل صف اربعة والنشط  
 اربعة اخرى والاصابع خمسة عشر فالجميع احد وثلاثون ومجموع  
 عظام اليدين اثنان وستون وعند العانة عظامان وفخذان  
 وطرقاتها والرصفتان وعظام القدم سبعة وعشرون فهذا  
 هو مجموع عظام البدن والكلام فيها وفي منافعها طويل  
 والنكتة الظاهرة في كيفية الاستدلال بهذه الحالة على الصانع  
 الحكيم ان العظام اجسام صلبة قوية فكيف تولدت من النطفة  
 السخيفة الرقيقة وايضا فمن هذه العظام مختلفة فمنها صغير



وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومممت وعريض ودقيق واللائق  
 بكل موضع من مواضع البدن عظم مخصوص لجعل في ذلك المكان  
 عظم اخر لا خلت المصالح فالطبيعة التي لا شعور لها ولا ادراك  
 كيف يمكن لسانا تخلق هذه الاعضاء اليها وكيف يعقل ان يقال  
 هذه الطبيعة رتب هذه الاعضاء بهذا الترتيب الموافق للمصلحة  
 ان هذا مما لا يقبله العقل بل الفطرة السليمة والطباع المستقيمة  
 تشهد بان التخليق هذه الاعضاء وترتيبها لم يصدر الا عن الصانع  
 الحكيم المدبر اما المرتبة السادسة وهي قوله فكسونا العظام لحما  
 فاعلم ان هذا التشرح ذكروا ان جميع عضل البدن خمسمائة وتسعة  
 وعشرون عضلة واعلم ان الخالق تعالى لما اقتضت حكمة ان يجعل منبع  
 قوة الحس والحركة هو الدماغ ويكون الالة الحاصلة لها تين  
 القوتين من الدماغ هو العصب ثم كانت العصب لا يحصل اتصالها  
 بالعظام التي هي بالحقيقة اصول الاعضاء المتحركة ان كانت العظام  
 صلبة والعصب لطيفة فاشت الخالق بحكمة من العظام شيئا شبرا  
 بالعصب سمي رباطا يجمع مع العصب وشبكة به كشيء واحد الا ان  
 هذا الجرم الملتئم من العصب ومن الرباط كان ايضا دقيقا فذبر  
 الخالق في ذلك بان جعل ذلك الجرم متفوشا وملاخللة لحما وغشاء  
 غشاء دقيقا صلبا وجعل في وسطه شيئا كالجرود من جملة العصب  
 فهذا العضو هو العضلة وفيه فوائد كثيرة احوها انه لما فيه

**العضلة**  
 انفتحت كبروات جمعي  
 عضلات كلور يقال عضل  
 الرجل فهو عضل اذا كان  
 كثير العضلات وكل لحم  
 مجتمعة كتسنة فرعصته  
 فهي عضلة والعضلة تنفق  
 من منبع الدم منها وعصفت  
 المرات فكل واحد لها  
 ولم يسهل خروج احد

من اللحم

من اللحم من المانع كثيرة منها انه يكون حشو للخلل الفرج الحاصلة  
 بين العظام ومنها ان اللحم متولدة من الدم الذي هو حار رطب  
 فيكون اللحم سببا لزيادة التحونة في الاعضاء مثل حشو الجبة  
 ومنها ان يكون حايلا بين عظام البدن وبين اجسام الصلبة  
 الخارجة عن البدن ويكون ذلك اللحم سببا بالمضربة اللينة التي  
 تخلق الانسان عليها ولا يلنا بسبب المصاكنة الحاصلة بين  
 العظام البدن وبين الاجسام الصلبة الموجودة من الخارج  
 والفائدة الثانية ان هذه العضلات بسبب ما فيها من شظايا  
 العصبية يتحرى فيها قوة الحس والحركة فيمكن للانسان بسببها من الحركة  
 الارادية والافعال الاختيارية الفائدة الثالثة ان هذه العضلات  
 بسبب ما فيها من شظايا الرباط وبسبب كونها مجللة بهذه الغشية  
 الصلبة يكون صلبة قوية لا يتعرض لها الانتهاك والانقطاع سرعا  
 فهذه اشارة مختصرة الى منافع هذه العضلات فان قيل انه تعالى  
 ذكر في جميع المراتب المتقدمة لفظ الخلق قال تعالى ولقد خلقنا الانسان  
 من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة  
 علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا  
 العظام لحما فما السبب فيه قلنا السبب فيه ان العظام والاعضاء  
 والعروق اعضاء اصلية متولدة من النطفة ولذلك قال فان  
 شيئا منها اذا بطل لا يعود اما اللحم فانه ليس من الاعضاء الاصلية

الشظايا  
 من شظايا اللحم  
 من شظايا اللحم



ولذلك فانه اذا ذهب بالهزال عاد بالسمين مرة اخرى وهو انما  
يتولد من دم الطمث لا من المني فلما كان الامر كذلك لا جرم جعل  
اللحم كالكسوة للاعضاء الاصلية وايضا فقد ذكرنا ان فائدة  
اللحم افادة التحنونة للاعضاء الاصلية وان يكون كالمضربة اللينة  
التي اذا اجلس للانسان عليها لم يتألم بسبب المصاكة للحاصلة <sup>هذه</sup>  
الفوائد والمنافع شبيهة بالفوائد المطلوبة من الثياب الملبوسة  
لهذين السببين ذكر في هذه المرتبة لفظ الكسوة ضحا من له  
تحت كل كلمة من كلمات هذا الكتاب الكريم سر شريف ونكتة <sup>حانية</sup>  
اما المرتبة السابعة وهي قوله ثم انشأناه خلقا اخر فاعلم ان المراد  
بالخلق الاخر قولان الاول المراد منه نفخ الروح وزعموا ان  
الروح ليس من جنس البدن فلهذا جعل هذه المرتبة نوعا اخر من  
الخلق مغاير <sup>المراتب</sup> المتقدمة واحضرت عليه بوجوه من المنقول  
والمعقول <sup>للحجة</sup> الاولى ان المراتب المذكورة لا يكمل الانتفاع  
بها الا بنفخ الروح فوجب في الحكمة ذكر الروح عقب تلك المراتب  
والمذكور عقب تلك المراتب هو قوله ثم انشأناه خلقا اخر  
فدل على ان المراد منه نفخ الروح فلما عبر عن نفخ الروح بانه خلق  
اخر علم ان الروح ليس من جنس البدن <sup>للحجة</sup> الثانية قوله تعالى  
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية عبارة عن تخليق  
الابغاض والاعضاء ونفخ الروح فيه اشارة الى تعلق الروح

بالبدن ثم لما اضاف الروح الى نفسه دل على انه تعالى يتميز في نفسه  
بمزيد شرف لا يحصل مثله للاجسام <sup>للحجة</sup> الثالثة انه تعالى متين بين  
هذين النوعين ثم انه تعالى حكم بان الروح من عالم الامر فقال  
قل الروح من امر ربي ثم بين انه لا سبيل للبشر الى معرفته فقال  
وما او تبيته من العلم الا قليلا ولو كانت من جملة الاجسام لما صحت  
هذه الاحوال <sup>للحجة</sup> الرابعة انه تعالى اضاف الافعال الى النفس فقال  
ان النفس لامارة بالسوء وقال ولا اقسم بالنفس اللوامة وقال  
يا ايها النفس المطمئنة ومعلوم ان جميع اجزاء البدن ليس مبدءا  
للافعال فعلنا ان النفس شئ يدبر البدن وهو غير البدن  
<sup>للحجة</sup> الخامسة قوله تعالى ان افلقوا انفسكم وهذا شئ صريح في ان  
النفس شئ مغاير للبدن تارة يدخل البدن وتارة يخرج منه  
<sup>للحجة</sup> السادسة قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسهم  
انفسهم فكل احد لا ينسى هذا الهيكل الذي يشاهد بجواسه  
فدل هذا على ان تلك النفس التي ينساها الانسان عند فرط جهله  
شئ اخر غير هذا البدن <sup>للحجة</sup> السابعة قوله ثم ونفسي وما سواها  
فالهمها تجورها وتقويها وهذا صريح في ان ههنا نفسا هي محل  
الالهامة ومحل الفجور والتقوى ومعلوم ان كل واحد من اجزاء  
<sup>البدن</sup> وابعاضه ليس كذلك فهذا النفس شئ مغاير لهذه <sup>الاعضاء</sup>  
<sup>للحجة</sup> الثامنة القران دل على ان الشئ المشار اليه بانه هو الانسان



المخصوص باقى بعد الموت قال تعالى في صفة الشهداء ولا تحسبن  
 الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون  
 فرحين بما آتاهم الله وقال في صفة المعذبين بالنار النار غير  
 عليها غدا ووعشيا وقال تعالى اغرقوا فادخلوا ناراً وقال عليه السلام  
 انبياء الله لا يموتون ولكنهم ينقلون من دار الى دار فثبت ان المات  
 اليه بانه هو الانسان باقى بعد الموت حتى يدرك الالام والذات  
 واما ان هذا البدن المشار اليه ليس حياً بعد الموت فهو معلوم  
 بالضرورة ولو جوزنا كونه حياً لجاز مثله في جميع الجمادات وهو  
 سفسطة واذا الاحت المقدمتان علما ان المشار اليه بقولنا  
 هذا الانسان ليس هو هذا البدن الحجة التاسعة قوله عليه السلام  
 من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان في كتب الله المنزلة اعرف  
 نفسك تعرف ربك ولو كان المراد من النفس هو هذا الجسم المشاهد  
 لما ائزنا بمعرفة لان معرفة حاصلة بالضرورة والحاصل لا يمكن  
 تحصيله الحجة العاشرة انا نجد من انفسنا انا نضيف كل واحد  
 من هذه الاعضاء الى انفسنا فنقول يدي ورجلي وقلي ودماغي  
 والمضاف غير المضاف اليه فعلنا ان النفس غير هذه الاعضاء  
 فان قالوا فقد يقول نفسي وذاتي وهذا يقتضي ان يكون نفس  
 الشئ مغايرة لنفسه وهو محال وجوابه انا اذا اصفنا النفس  
 والذات اليك ان المراد من النفس والذات هو البدن وهو مغاير

لذلك

لذلك الشئ المشار اليه بانه هو الانسان وهذه الاستدلالان سمعية  
 دالة على اثبات النفس ولما انكر النفس ان يجيب عن الكلي جواب  
 واحد وهو انه لا نزاع ان النفس شئ مغاير لهذا البدن المحسوس  
 وكيف لا يقول ذلك والانسان قد يمرض فيذبل غاية الذبول  
 ثم يبرأ فيسمن بعد ذلك غاية السمن والانسان واحد الخالقين  
 مع ان هذه الاجزاء البدنية متبدلة لكن لم لا يجوز ان يقال  
 البدن منقسم الى قسمين احدهما اجزاء اصلية باقية من اول  
 الحلقة الى اخرها والثاني اجزاء متبدلة عرضية تطرأ ويذول  
 فالانسان عبارة عن تلك الاجزاء الاصلية فهذا ما في هذا البحث  
 اذا عرفت هذا فنقول اذ احملنا قوله ثم انشأناه خلقا آخر  
 على الروح فهذه الطائفتان الاولى قال بعضهم انه تعالى خلق الارواح  
 من انوار عالم الجمال والجلال والقوة النظرية مع ما فيها  
 من بهجة المعرفة والمحبة من عالم الجمال والقوة العملية المذبة  
 للبدن من عالم الجلال ولولا ان انوار الارواح مستورة بظلال  
 الاجساد والاسجدها كل كافر والثانية قال بعضهم انه تعالى  
 خلق الارواح من النور والطيب والبقاء والعلو والعلم  
 والحيوة اما النور فلانه ما دام الروح في الجسد يكون  
 للجسد نورانيا فالعيان يبصران والاذنان يسمعان واللسان  
 يتكلم والقلب يفهم والدماع يتفكر فهذا يدل على ان الروح



من عالم الانوار والدليل على انه من جوهر الطيب انه مادام الروح  
في البدن يكون الجسد طيب الرائحة مصونا عن العفونة والدليل  
على انه من جوهر البقاء انه مادام الروح في الجسد يكون الجسد  
مصونا عن الفساد والتفريق والاضلال والدليل على انه من  
جوهر العلو انه مادام الروح في الجسد يكون البدن مرتفعا عن  
الارض غير ملتصق بها وكلما ازداد قوة الروح ازداد الارتفاع  
الا ترى ان الانبياء عند استيلائهم الانوار عالم الروحانيات على وجه  
ياخذ في الرقص والسب فيه ان قوة روحانية وضارت تلك  
القوة الروحانية جاذبة له من الارض الى عالم السموات والانباء  
عليهم السلام لما حكمت هذه الاحوال فهم صعدوا الى السموات  
فقال في حق ادريس عليه السلام ورفعه مكانا عليا وقال  
في حق محمد عليه السلام اني متوفيك ورافعك الى وقال في حق محمد  
عليه السلام فكان قاب قوسين او ادنى والدليل على انه من  
جوهر العلم ان محل العلم هو الروح وذلك لان العلوم نقوش  
علوية غيبية ظاهرة مقدسة فلا يكون محلها الا الجوهر القدسي  
العلوي والدليل على انه من جوهر الحيوة انه متى انقطع اثر الروح  
عن كل البدن صار كالميتا وان انقطع اثره عن جزء من اجزاء  
البدن صار ذلك الجزء ميتا كما في المفلوج وان تعلق بكل البدن  
صار كالحيا وبالجملة فالروح كالشمس والحيوة الغايضة

٢٩٦  
على الروح كالانوار الغايضة عن الشمس فكل جسم وصل اليه  
نور الشمس انقلبت احواله من الظلمة الى الضياء كذلك كل عضو  
يصل اليه نور الروح انقلبت حالته من الموت الى الحيوة  
النكتة الثالثة دلالة ارتباط تدبير هذا البدن بالروح  
على اقتدار كل العالم الى الصانع في غاية الظهور وذلك لان  
هذا البدن مملكة صغيرة جدا فاذا كانت هذه المملكة الصغيرة  
لا يعقل استغناؤها عن ملك مطاع فيه فكل العالم الذي  
هو المملكة الكبرى كيف يمكن استغناؤها عن مدبريها  
ومتصرفيها وكما ان المدبر في هذه المملكة الصغير  
واحد ولا تغفل حصول روحين في بدن واحد كذلك المملكة  
الكبرى يجب ان يكون مدبرها واحدا والنكتة الرابعة ان المؤمن  
بذاته علوي وبصفاته علوي اما ذاته فلقوله تعالى فلا تمسوا  
ولا تحزنوا وانتم الاعلوان ان كنتم مؤمنين وقال هيرير  
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وايضا  
اقواله وافعاله علوية قال تعالى يصعد الكلم الطيب والعمل  
الصالح يرفعه وكتابه علوي قال تعالى كلا ان كتاب الابرار  
لغي عليين كما ان كلمة الله هي العليا واما الكافر فكلمة سفلى  
قال تعالى وارادوا به كيذا فجعلناهم الاسفلين وافعاله سفلية  
قال تعالى ان الذين كفروا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم



ابواب السماء وكتابه سفلية قال تعالى كلا ان كتاب الفجر لفي سجين  
فيا ايها المؤمن العلوي لا تجعل روحك سفليا بالمعصية ويا ايها  
النوري لا تجعل نفسك ظلامية بالاعراض عن الله ثم انه تعالى  
بين من خلقتك ان العلوي اشرف من السفلي والروحاني افضل  
من الجسماني وذلك لانه خلق فيك اعضاء علوية واعضاء سفلية  
اما العلوية فالقلب والعين واللسان واما السفلية فالبطن  
والمخرجان فمن استعمل العين في العبرة واللسان في الحكمة والقلب  
في المعرفة صار علويا شريفا ومن استعمل البطن في اكل الحرام والفج  
في الزنا والحرام صار خبيثا سفليا ثم احده هذه الدلالة بان جعل  
الرئة التي هي معدن النفس الصاعد فوقانيا والمعدة التي هي  
معدن الهابط سفليا لتعلم ان كل ما كان علويا سماويا فهو الشريف  
وما كان ارضيا سفليا فهو الخسيس النكته الخامسة الروح  
محل العلم ويجب ان تعلم ان الموجودات على ثلثة اقسام موجود  
لا يجوز ان لا يعلم وهو الله سبحانه وتعالى وموجود لا يجوز ان يعلم  
وهو الجاد وموجود يجوز ان يعلم ويجوز ان لا يعلم وهو انت  
فان صرت تعلم شيئا فقد خلقت باخلاق الله وان صرت لا تعلم  
شيئا فقد صرت مثابها للجادات فامتيازك عن الجادات او التحاكد  
بالملائكة المقربين وملازمتك لعتبة رب العالمين انما حصل  
بسبب اتصال الروح بالبدن وعند هذا يظهر منقبة الروح

وفضيلة القول الثاني ان المراد من قوله ثم انشأناه خلقا آخر  
تخليق الاعضاء الجسماني واعلم ان تمام الكلام في شرح قدرة الله  
وحكمة في خلق الانسان قد ذكرناه في علم التشریح من الطب  
الكبير الذي صنفناه ولنذكرهم هنا نكته قليلة من المنافع  
الظاهرة للجسماني التي يصل اليها فهم كل واحد فنقول انظر  
الى النطفة وهي قطرة قدرة من الماء لو تركت ساعة ليضربها  
الهواء بطلت وفست كيف اخرجها رب الارباب من بين  
الصلب والترائب وذلك لانه تعالى اوقع الالف والمحة في  
قلوبهم ثم قادهم بسلسلة الشهوة والمحة الى الاجتماع ثم  
استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع واخرج دم الحيض  
من اعماق العروق وجمعها في الرحم ثم خلق المولود من النطفة  
وسقاه بماء الحيض حتى نما وربى وكيف جعل النطفة وهي  
بيضاء مشرقة علقه حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف  
قسم اجزاء المضغة الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار  
واللحم في داخل الرحم في الظلمات الثلث ولو انكشفت العظام  
والغشاء فكنت ترى التخطيط والتصوير يظهر في المضغة شيئا  
فشيئا ولا ترى المصور ولا قلمه ولا الله فهل رايت مصورا  
وفاعلا لا يمتس الله مصنوعه ولا يلاقيه فيجانه ما اعظم شأنه  
ولشهره هنا الى قليل من تشرح الاعضاء اما الرأس فتأمل



انه تعالى دورها وشوق سمعها وبصرها وانفها وفمها وانه تعالى  
 ركب كوة الرأس في بطن الالب من ثلثة وعشرين عظام وخلق  
 تلك العظام على كيفيات مختلفة فكيف تولد العظام الصلبة  
 من النطفة السخيفة الرقيقة ثم انه سبحانه وتعالى قد ركب كل واحد  
 من تلك العظام بشكل مخصوص ومقدار مخصوص ووضع  
 مخصوص لو وقع بخلاف ذلك لبطلت المنفعة وفات الغرض  
 ثم ركب بعضها من بعض بحيث يحصل من مجموعها كوة الرأس  
 على هذه الحلقة المحصورة واعلم انه تعالى لما اظهر الاحتياط  
 في عظم الرأس لاجل ان الدماغ اشرف اعضاء الانس فانه  
 محل الفكر والعقل ولما كان في غاية الشرف صانه سبعة انواع  
 من الصوانات وذلك لان الدماغ يحيط به غشاء رقيق  
 يقال له الغشاء المشيمي وفوق ذلك الغشاء غشاء اخر صلب  
 وهو ملتصق بمقعر عظم اليا فوخ ثم فوقها عظم اليا فوخ  
 ثم خلق خارج العظم غشاء آخر يقال له السحياق وفوق هذا  
 الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية الجلد وفوق  
 الجلد الشعر فتأمل انه تعالى خلق فوق دماغك سبع طبقات  
 جارية مجرى السموات السبع والمقصود من تخطيطها الاحتياط  
 في صون دماغك عن الافات والمقصود من تخطيط دماغك  
 ان يكون من المتفكرين في دلائل الله المتأملين في مخلوقاته

ليستد بها على جلالة خالقها وحكمة ولذا ذكر الان بعض  
 صفات الدماغ فنقول انه تعالى قسمه في طوله الى ثلثة اقسام  
 وجعل القسم المقدم محل الحفظ والتخيل والبطن المتوسط  
 محل التفكير والتأمل وجعل البطن المؤخر محل الاسترجاع  
 والتذكر وكل واحد من هذه الاحوال الثلاثة امور مهمة  
 للانسان لا يحصل الانتفاع بالانسانية الا معها اما الحفظ والتخيل  
 فامر لا بد منه في الانسانية ويدل عليه وجوه الاول ان الانسان  
 محتاج الى التفهيم والتفهيم بالكلام والكلام مركب من الحروف  
 وهذه الحروف لا يوجد مجتمع البتة بل متعاقبة فلو لم يكن الا  
 حافظ الصور المحسوسات بعد غيوبيتها كان الانسان اذا سمع  
 حرفا ثم انقضى ذلك الحرف الاول ووجد الحرف الثاني فقد حصل  
 الحرف الثالث لا يكون الحرف الاول موجودا في الخارج ولا يكون اثره  
 باقيا في الحفظ فحينئذ لا يكون المسموع ابدا الا حرفا واحدا  
 والحرف الواحد لا يفيد المعنى البتة فثبت انه لو لم الحفظ ما كان  
 يحصل التفهيم والتفهيم من الكلام فكانت هذه المصلحة العظيمة  
 يختل ويبطل الثاني ان الانسان اذا راى شيئا ثم غاب عنه ثم راه  
 مرة اخرى عرف ان هذا الذي يراه قبل ذلك وذلك لانه لما راه  
 في المرة الاولى ثم غاب عنه بقيت صورته في الحفظ فلما راه مرة  
 ثانية صارت هذه الصورة المحسوسة ثابتا منطبعة على تلك الصورة



المحفوظة في الخيال فيحصل الشعور بان هذا الذي راه الآن هو  
الذي راه قبل ذلك فلولو القوة الحافظة لما حصل هذا المعنى  
ولولم يحصل هذا المعنى لاختل نظام العالم فما كان تعرف الزوج  
زوجته والسيد عبده ولا صانع كل احد الى تعرف حال كل شخص  
في كل مرة يراه الثالث ان خاصية الانسان ان يتوصل بالفكر الى  
تصوير المجهول معلوما والفكر عبارة عن تركيب الاشياء المخزنة في  
الذهن ليتوصل بتركيبها الى ان يصير المجهول معلوما ولا معنى  
لحضور الاشياء في الاذهان الا حضور مثلها واستنتاجها في القوة  
الحافظة والقوة الحافظة في دماغك حادية مجرى اللوح المحفوظ  
في عالم السموات وبقاء صور المحسوسات في ضياك كبثبه بقاء كسبة  
احوال المخلوقات في اللوح المحفوظ فثبت بما ذكرنا ان القوة الحافظة  
من اعظم نعم الله على الانسان ثم فيه امر اخر عجيب لا يعرفه الا الله تعالى  
وذلك لان هذه الصورة التي يتجلى بها ويشاهد لها ما يستحقها  
اما ان يقال انها موجودة او يقال انها معدومة والقول بكونها  
معدومة باطل لانها تتميز بين كل واحد منها وبين غيرها بل اننا  
نشاهدها وننظر اليها في خيالنا فاننا اذا نظرنا الى قرص الشمس  
ثم غمضنا العين فاننا نشاهد قرص الشمس حاضرا في خيالنا كما اننا  
ننظر اليه فثبت انها موجودة ثم قال قوم ان محل هذه الصورة  
الخيالية مقدم دماغنا وقال آخرون بل مقدم الدماغ آلة

في هذا العمل ومحل هذه الصورة جوهر الروح والروح ليس بجسم  
ولا جسم وكل واحد من القولين عجيب جدا اما الاول فهو ان  
مقدم الدماغ جسم صغير جدا فكيف ارتسم في ذلك الجسم الصغير  
صور السموات والارضين والشمس والقمر وصور البلدان والممالك  
والممالك والانسان بما يحفظ اشياء كثيرة فكيف اتسع ذلك الجسم  
الصغير لهذه الصور العظيمة وقد تحفظ الكلمات التي سمعها  
من اول عمره مع كثرتها فكيف ارتسمت هذه الصور الكثيرة في هذا  
الجسم الصغير من غير ان يختلط شيء من هذه النفوس ببعضها ببعض  
لاستكد ان هذا من العجائب التي لا تعرفها الا المدبر الخالق واما  
القول الثاني وهو ان محل هذه الصور جوهر الروح وهو ليس  
بجسم ولا جسم فهذا العجب لان هذه الصور لها اطوال وعروض  
وامتداد في الجهات والاحياز وبالجملة فحقى بفهم بالضرورة اننا  
محفظ صور هذه المحسوسات واذا اردنا ان نعلم اننا كيف يحفظها  
عجزنا عن ذلك ففجأ الخالق الحكيم ومن جملة نعم الله تعالى علينا  
في كيفية هذا الحفظ انه جعل الحافظ لصور هذه المحسوسات  
للمنسة شيئا واحدا والفائدة فيه اننا اذا سمعنا صوتا علمنا ذلك  
الشخص لان القوة الحافظة يعلم ان الذي له هذا الصوت  
فله ذلك الشكل حينئذ يفيد السمع فائدة البصر ويقوم كل  
واحد من الحواس الخمس مقام الآخر واما البطن الاوسط



من الدماغ فهو محل الفكر ومعنى الفكر وهو ان يركب القوة المفكرة  
شيئين من الاشياء الحاضرة عند القوة الحافظة فيصير ذلك التركيب  
سببا لاستحداث صورة جديدة عند العقل وجميع التركيبات  
التي احدثها اهل الدنيا في بناء المساكن واخراج الحرف والصناعات  
من اعمال القوة المفكرة والقوة المفكرة يخرج تلك الصور  
بهذا الطريق ثم ان القوة العملية ينقل تلك الصورة من الافكار  
الى الخارج ومن المعلوم انه لولا الفكر لما اهتدى الانسان الى تحصيل  
المصالح ودفع الاقاف بها اعظم النعمة بخلق القوة المفكرة ومن اراد  
ان يعرف قدر هذه النعمة فليتنظر الى البهايم والمجانين واعلم ان  
القوة المفكرة كالقلم والقوة الحافظة كاللوح المحفوظ فان  
القوة المفكرة اذا استنبطت صورة جديدة وارسمت تلك الصورة  
في لوح الخيال فكان المثب هو المفكرة والقابل هو الخيال فكانت  
المفكرة قلمي والحافظة لوحا واعلم انا وان كنا نعلم بالضرورة انا  
لا نتفكر الا انا اذ اردنا ان نعلم ان هذا الفكر ما هو صعب ذلك  
علينا فان هذا الذي صليناه هل نعلمه ام لا فان علمناه فكيف  
نطلب العلم وان لم نعلمه فكيف يمكننا طلب شيء لم يحضر ببالنا  
واما البطن الاخير من الدماغ فهو التذكر ومعنى التذكر ان  
من حضر في ذهنه امر من الامور ثم غاب عنه فانه يسترجعه  
بعد غيبوبته وهذه الحالة حاصلة للانسان فانه ليس كل ما رآه

الانسان وسمعه في مدة عمره فانه يكون حاضرا في خياله بل اكثر  
هذه الصورة في اكثر الاحوال غير حاضرة في الذهن ولكنها وان  
كانت غائبة الا ان الانسان اراد استحضارها قد ر عليه  
فهذا الاستحضار هو التذكر ولا شك ان خلق هذه القوة نعمة  
عظيمة من الله على الناس واعلم ان ههنا ايضا حالة عجبية يعجز  
العقول البشرية عن معرفة كيفيتها وذلك لان هذه الصورة اذا  
كانت غير حاضرة فتذكرها عبارة عن طلب رجوعها وهذا الطلب  
اما ان يكون طلبا لتلك الصور بعينها او يكون طلبا لصورتها  
بمهمة اى صورة كانت فان كان الاول فهو محال لانها غير معلومة  
بعينها اذ لو كانت معلومة ههنا بعينها لكانت حاضرة فما كان  
الانسان يحتاج الى طلبها واذا لم يكن معلومة بعينها امتنع طلبها  
بعينها والثاني ايضا محال لان المطلوب اذا كان صورة ما هذه  
الصورة فلم حصلت هذه الصورة بعينها دون سائر الصور  
ولم اذا حصلت هذه الصورة بعينها حكم العقل بان مطلوب  
كان هو هذه الصورة فهذا اشكال عظيمة وبالجملة فكيف احد  
يجد من نفسه بالضرورة انه يحفظ الاشياء فيستذكر فيها ويستعيد  
بعد غيبها ثم العقول متخيرة في معرفة حقيقة هذا الحفظ والفكر  
والذكر فسيبان ما اعظم شأنه واهم برهانه في اصناف ملكه  
وملكوته فهذا هو اللسان المختص بالخلق الى خلقه الدماغ ثم تأمل



احوال العين فانها مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات  
 وفي الحقيقة فهو مركبة من عشر طبقات وثلاث رطوبات  
 والطبقة السفلى هي الطبقة الصلبة وفوقها المشيمية  
 وفوقها الشبكية وفي الطبقة الشبكية الرطوبة الزجاجية  
 وفوقها الجليدية وفوق الجليدية الطبقة العنكبوتية وفوقها  
 الرطوبة البيضية وفوقها الطبقة العنابية وفوق الطبقة  
 العنابية الطبقة القرنية وهذه الطبقة القرنية لا يراها اهل  
 الظاهر طبقة واحدة لكنها في الحقيقة اربع طبقات ثم يحيط بهذا  
 المجموع الطبقة الملتهمة فاذا عرفت ان طبقات العين ثلث عشرة  
 طبقة على عدد طبقات عالم الاكبر فان طبقات العالم الاكبر  
 العرش وتحت الكرسي وتحت السموات السبع وتحتها الطبقات  
 الاربعة العناصر فمجموع طبقات العالم الاكبر ثلث عشرة ومجموع  
 طبقات العين ثلث عشرة ثم ان تقاخص كل واحد من الطبقات  
 والرطوبات بشكل مخصوص ولون مخصوص ومقدار مخصوص  
 وترتيب مخصوص لولم يوجد على ذلك الوجه بل على وجه آخر  
 لاختلف المصالح ثم تأمل في احوال العين من وجوه احدها  
 ان تقا جعل موضع الابصار مقدار عدسية ثم اظهر في تلك  
 العدسة صورة السماء والعالم مع اتساع اطرافها وتباعد  
 اكناؤها والثاني ان البياض مناسب للنور والسواد مناسب للظلمة

فجعل البياض سببا للعي والسواد معدنا للقوة الباصرة لتعلم  
 ان سبب حصول هذه النعمة هو فضل الله وكرمه لا الطبع والثالث  
 ان تقا جعل الحدقة مصونة بالاجفان ليسترها ويحفظها  
 ويصقلها وتدفع الاقذاء عنها والرابع ان تقا جعل الاجفان  
 سودا ليكون سوادها سببا لاجتماع النور الذي يعين على  
 الابصار ويكون مانعا عن تفرق ذلك النور الخامس ان تقا  
 خلق لتحريك الحدقة اربعة وعشرين عضلة لونها نقصت واحدة  
 من جملة ما اختل العين السادس ان العين يشبه المرأة ومعلوم  
 ان المرأة انما ينتفع بها اذا كانت في غاية السقاة والصفاء  
 لا جرم خلق الخلق سببا وتعالى هذه الاجفان متحركة الى الابد  
 ابد من غير اختيار الانسان حتى يبقى الحدقة نقية صافية  
 عن جميع الكدورات واما الذبابة فلما لم يخلق لمعينها الاجفان  
 لا جرم اهمها حتى انها بيديها ينظر منه اثار الغبار والكدورات  
 التابع ان تقا جعل العين هاديا لصاحبها الى ادراك الاشياء  
 وسببا للاطلاع غير بواسطتها على ما في قلبه وذلك لان  
 القلب في داخل البدن والعينان كالزجاجتان الموضوعتان  
 على جدار البيت فكيف ما كان الشمع في داخل البيت وقع ضوؤه  
 على الزجاجتين فكذلك يستدل باحوال العين على احوال القلب  
 في الرضاء والغضب والرغبة والنفرة فيحسان من جعل العين



هاديا لصاحب العين الى معرفة العين والعين على معرفة احوال  
 قلب صاحب العين الثامن هو ان الطف اعضاء البدن  
 هو العين ثم جميع الاعضاء يتاثر من الحر والبرد فوق ما يتاثر  
 منها العين وكان ينبغي ان يكون الامر بخلاف ذلك لان الالطف  
 اسرع تاثيرا لكن انرى بان الرجل على صلابه جلدها متأثر من  
 الحر والبرد فوق ما يتاثر العين منها وما ذاك الا ليعلم الانسان  
 ان حصول هذه المصالح ليس بالطبع والخاصية بل بحفظ الجسم  
 العليم اما احوال الاذن فاعلم انه تعالى شق الاذنين واودعها  
 ما هو ليكون ذلك معينا على ادراك السمع ولينع الهوام عن  
 الدخول فيه ثم راعى فيه انواعا من المصالح الاول انه تعالى حوّلها  
 بصدقه الاذن ليجمع الصوت فيردها الى الصماخ الثاني انه تعالى  
 جعل في نقيها الاذن انحرافات وانعوجات حتى يصير المسافة  
 لهذا السبب طويلا فلو دخل تلك النقية شيء من الهوام والخسائر  
 فحينئذ يكون حركته بسبب طول المسافة يشبه الانسان ويسعى  
 في اخراجه عن الاذن والثالث انه تعالى خلق العينين مقدمتين  
 والاذنين مؤخرتين لان العينين يدخلان الاجسام والاعراض  
 وهي ادلة وجود الصانع والاذنان تسمعان الكلام والدلائل  
 العقلية متقدم على الدلائل السمعية فلا جرم قدم البصر على السمع  
 والرابع خلق العينين مع الفطاء والاذنين بلا غطاء لان متعلق

العين اجسام واعراض باقية فلو لا الفطاء لحصلت الملافة والحد  
 واما مدرك الاذن فهو الاصوات وهي غير باقية فلو كان الفطاء  
 فرمازال الصوت قبل ارتفاع الفطاء فلا يحصل الانتفاع  
 بالسمع روى ان كعب الاخبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها  
 فقلت للانسان عيناك هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداها  
 جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب  
 جنوده فقالت هكذا سمعت رسوله الله صلى الله عليه وسلم  
 واما الانف فانه سبحانه رفعه من وسط الوجه واحسن شكله  
 وفتح مخزبه واودع فيها خاصية الشم وفيه منافع الاول  
 انه يستدل باستنشاق الروائح على الاغذية والمطاعم المستورة  
 الثاني يستشوق بمنفذ المخزبين الهواء البارد الطيب فيستغنى  
 بالمخزبين عن فتح الفم ابد الثالث انه جعل مخزيفه واسعا  
 حتى ينحصر فيه الهواء اكثر فيكسر برده قبل النفوذ الى الدماغ  
 فان الهواء المستشق وان كان ينفذ اكثر الى الرية فان شرا  
 صالح المقدار ينفذ ايضا الى الدماغ ولذلك فان المزكوم نضر  
 استنشاق الهواء البارد والرابع انه يجويفه الواسع يجذب  
 الى نفسه هواء اكثر حتى يصل امامة آلة الشم فيكون ادراك  
 الشم اسهل ولذلك فان من يبالغ في الشم جذب الهواء  
 بخيشومه اكثر الخامس انه يعين في تقطيع الحروف وتسهيل



اخراجها ولذلك فان من قبض بها انفسه عشر عليه التكلم بالكثير  
الحروف والسادس ان يكون الفضول المندفعة من الراس ستور  
ووقاية عن الابصار واعلم ان منفعة النفس عظيمة فانه لو  
انقطع عن الانسان الحظوة واحدة لمات ثم تأمل ان الهواء المستنق  
يدخل اولاً من المخرب فينكسر برودة هناك ثم يصل الى الحلقوم  
فيعدل مزاجه هناك ثم يصل الى الرية ويستصفى فيها ثم يصل  
الى القلب وتزوح عن الحرارة الفريزية وينفذ من القلب الى  
العروق المتحركة ويبلغ الى اقاصي اطراف البدن ثم اذا بسخى  
جدا وخرج عن حد الانتفاع عاد من تلك الاقاصي الى القلب  
ثم الى الرية ثم الى الحلقوم ثم الى المخرب ثم يخرج ويعود مثله  
فجميع هذه الاعمال هو المسمى بالنفس الواحد ويقال ان الانسان  
يتنفس في كل يوم اربعة وعشرين الف نفس فاعرف مقدار  
النفس الواحد في المنفعة فانه لو انقطع لحصل الموت ثم انظر  
الى كثرة الانفاس لتعرف عظم نعم الله عليك كما قال وان تعدوا  
نعمه الله لا تحصوها واما الفم فانه تقا جعله آلة لتجصيل مصلح  
الروح ولتحصيل مصلح البدن اما مصلح الروح فلانه اودع  
فيه اللسان الناطق المعروف بعملة القلب واعلم انه سبحانه خلق  
القلب اميراً للبدن ومعدناً للحرارة الفريزية فاحتاج القلب  
في تعديل تلك الحرارة القوية بالنسيم البارد المعتدل فاذا استدخل

الهواء

الهواء البارد وصل الى القلب واعتدلت حرارة القلب به وبقي  
ذلك ~~للمنفس~~ <sup>للمنفس</sup> سبباً للهواء هناك ساعة فتسخن واحترق  
فاحتاج القلب الى اخراجه وذلك هو اخراج النفس فجعل  
المدير الحكيم اخراج ذلك النفس سبباً لحدوث الصوت ثم جعل  
في الخنجرة وفي اللسان وفي الحنك والاسنان وفي الشفتين مقاطع  
ومخارج لحروف مختلفة فحصلت الحروف بهذا الطريق ثم جعل  
تلك الحروف عندنا ليعلمها وتركيبتها مؤدية للمعاني فانظر الى حال  
الحكمة فان المقصود الاصل من النفس ايضا هو اصيل النسيم  
البارد الى القلب فاما اخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة  
العاسلة ثم انه تقا صرف هذا المعنى الى رعاية مصلحة اخرى  
وهو انه جعلها مادة للحروف والاصوات والكلام ثم انه تقا  
خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة  
والملاسية حتى اختلفت الاصوات لاجل اختلاف هذه الاحوال  
فكما لا يشابه صورتان البتة فكذلك لا يشابه صوتان  
البتة وكما لا يحصل الامتياز بين الأشخاص بالقوة الباصرة  
فكذلك لا يحصل الامتياز بينهم بسبب القوة السامعة فجعل  
في الظلة هذا التميز ويحصل للاعني هذا التميز واما ما يتعلق بتجصيل  
مصلح البدن فهو ان اعظم الاشياء المحتاج اليها في مصلحة البدن  
هو الاكل وهو سبحانه اعز في الفم لسباب الاكل وذلك من وجوه



الأول انه تعالى خلق في الفم اللسان ولها منافع الأول ما ذكرنا  
 انه يكون مقاطع الاصوات فيحدث الحروف المختلفة بسببها  
 والثاني انها يكون آلة للقطع والكسر والطحن ثم انظر الى الحكمة  
 وذلك لان الانسان في اول ما يتناول للكمة يحتاج الى القطع  
 فجعل اللسان المقدمة حادة عريضة الرأس جارية مجرى  
 السكين وجعل الأنياب مستديرة حادة الرأس للكسر  
 وجعل الأضراس مسطحة الرأس خشنة الرأس كالنحو لاجل  
 الطحن ولو قد ركون الأضراس مقدمة وكون الرابعتين  
 مؤخرتين لبطلت المصالح والمنافع بأسرها الثاني ليكون رنية  
 للوجه وذلك انه تعالى رتب الفم باللسان فيبيض الوانها  
 ورتب صفوفها وجعلها متناسبة متناسقة كأنها الدر  
 المنظوم ثم انه تعالى خلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما  
 لينطبقا على الفم ويد منفذها وليتم بهما مخرج الحروف  
 ومن لطيف الحكمة انه تعالى جعل الأذن بلا حجاب ولا باب  
 وخلق وراء اللسان بابين أحدهما اللسان والثاني الشفتان  
 وفيه تنبيه على انه يجب ان يكون استماع الكلام أكثر من الاشتغال  
 بالكلام فان استماع الكلام يجري مجرى الدواء والاشتغال بالكلام  
 كالذو النوع الثاني ما حصل في الفم من سباب الأكل وذلك  
 انه تعالى جعل معدنا للرطوبة العذبة اللعابية باللسان اذ وضع

الطعام في الفم طحنه بلسانه امتزج ذلك المطحونة باللعاب  
 الذي في الفم فوصلت آثار تلك الطعوم اللذينة بواسطة ذلك  
 اللعاب الى اللسان فيصير ذلك الطعام سببا للذة في الحال كما انه  
 يصير سببا في الاستقبال ثم ههنا انواع من العجايب  
 الأول ان كل من اراد اداة الرعي سبب انصباب الماء اليه  
 وضع الرعي في موضع يكون اسفل من مجرى الماء حتى اذا انصب  
 الماء من الاعلى الى الاسفل فحينئذ يقوى على اداة الرعي والله  
 تعالى ادار رعي الفم بالماء الذي يصعد اليه من اسفل المعدة ليعلم  
 الخلق ان ذلك بسبب الحكمة والقدرة لا بسبب الطبع والخاصية  
 والثاني ان الانسان قبل ان يضع الطعام في الفم لا يجتمع فيه  
 من تلك الرطوبات شئ كثير ولو اجتمع كان في عناء بسبب اجتماعها  
 وكما وضع الطعام في الفم اجتمعت من تلك الرطوبات بقدرها  
 يستل ذلك الطعام ولولم يجتمع تلك الرطوبات في الفم في هذا  
 الوقت لتقدر على الانسان مضغ ذلك الطعام ولعسر عليه ابتلاعه  
 فانظر الى كمال الحكمة في الوقتين الثالث ان الانسان لما احتاج  
 الى طحن الطعام ومضغه بالاضراس فقد تنقلت اجزاء الطعام  
 حابين تلك الاضراس فجعل اللسان متحركا في ذلك الوقت حتى ان  
 اللسان يجر كانه المختلفة يرمى الطعام الى ما بين الاضراس حتى  
 يتطحن على سبيل الكمال والتمام فيسحق من له الحكمة والدلائل



الباهرة فهذا إشارة مختصرة الى احوال الناس وشرح الاحوال  
 هذه الخواص ثم ههنا انواع آخر من الحكمة في الرأس الاول تأمل  
 وضع الخواص وقوة الحفظ والذكر والعكر في الرأس وذلك  
 انها جعل الرأس كالمصباح فوق المنارة ليتمكن الانسان  
 انقطاع ارتفاع هذه الخواص من ادراك الاشياء البعيدة فما  
 احسن قول الحكماء الرأس صومعة الخواص والثاني كان بعضهم  
 يقول عند امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما عجب  
 امر الطير فان تلك الرقعة على غاية صغرها يشتمل على انواع  
 لا نهاية لها من اللعب فقال عمر بن الخطاب بل ههنا ما هو  
 اعجب منه واعزب وذلك لان رقعة الوجه اصغر بكثير من رقعة  
 الشطرنج ثم ان كل عضو من اعضاء الوجه لا يتغير عن مكانه  
 فالعينان ابدائيتان في ذلك الموضع المعين وكذا الانف والفم  
 ثم مع ذلك فانه يحصل فيه من التفاوت ما لا يتعد حجة انك  
 لا ترى شخصين في الشرق والغرب متشابهان من كل الوجوه  
 فسيح ما اعظم شأنه واعلم ان التفاوت في الصورة ظاهر  
 قوي فيما بين الادميين وبعده في التفاوت حاصل بين صنف  
 الحيوانات الالهية الا ان التفاوت في الادميين اكثر واما  
 للحيوانات البرية فالتفاوت فيما بين صورها قليل جدا  
 والسبب فيه اننا ذكرنا انه لولا اختلاف الناس في الصور لما تميز

الزوج عن الاجنبى والسيد عن غير سيد ومالك الدار والمتاع  
 عن غير فكان ذلك يفضي الى المقاسد العظيمة فلهذا المعنى  
 اقتضت بالحكمة الالهية اظهار التفاوت في صور الادميين  
 اما الحيوانات الالهية فقد يتعلق بعض الغراض باعيانها  
 من بعض الوجوه الا ان اشتداد الحاجة الى معرفتها باعيانها  
 واشتغالها ليس كالحاجة الى الناس باشخاصها واعيانها فلا  
 جرم اظهار الله المخالفة بينهما في الصور الا تلك المخالفة اقل  
 من المخالفة الحاصلة بين اشخاص الناس واما الحيوانات  
 البرية فلا يتعلق مصلحة البينة بمعرفة اعيانها واشخاصها  
 فلا جرم لم يظهر المخالفة بين صورها واشكالها الا في القليل  
 فسيحان من له في كل شئ حكمة مرعوية واسرار مخفية  
 الثالث قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان  
 وان تعجب من هذه الحالة فانظر الى وجهك على صغرها فانه يجمع  
 وضع فيه اربعة من البحار المختلفة الطبايع والصفات فجعل  
 بحر الاذن مملوا من الماء الصالح والمر وبحر العين مملوا من الماء  
 المالح وبحر الفم مملوا من الماء العذب وبحر الانف مملوا من الماء  
 العفن المتغير وجعل بين كل واحدة من هذه البحارات حاجزا  
 وما نفا وابقى كل واحد منها على صفة وخاصيته لحكمة بالغة  
 اما مرارة الهمزة الاذن فلئلا يدخلها شئ من الخمران واما ملوحة



ماء العين فلذلك ينطق العفونة الى ذلك الشحم اما عذوبة ماء  
 الفم فلاجل ان يجرد الطعوم على غاية اللذابة واما عفونة  
 ماء الانف فلاجل ان جعل مصبا لفضلات الدماغ فجهانه  
 ما اعظم شأنه الرابع قال الباقر كل ما خلق الله تعالى في العالم  
 الاكبر خلق نظيره في العالم الاصغر ولهذا قال وفي انفسكم افلا  
 تبصرون يعني ان عجزت من مطالعة العالم الاكبر فانظر في العالم  
 الاصغر وذلك لاني خلقت في العالم الاكبر شمسا وقمر ونجوم  
 فجعلت في العالم الاصغر مثلها فشمس العالم الاصغر هو الروح لانه  
 الروح يضيئ جسدا كما ان الشمس يضيئ العالم واذا خرج الروح  
 عن جسده صار جسده مظلما كما ان الشمس اذا غابت صار  
 العالم مظلم والعقل كالقمر فكما ان القمر يستمد النور من الشمس  
 فكذلك العقل يستمد النور من الروح وكما ان القمر يزيد ضوءه  
 نارا وينقص اخري فكذلك العقل يزداد قوته نارة وينقص  
 اخري واما النجوم الخمسة السيارة الباقية فنظيرها في البدن  
 الحواس الخمسة ونظير الجبال عظامك ونظير البحار العروق  
 الكبار في البدن ونظير الاودية والانهار العروق الصغار  
 المنشعبة بين تلك العروق الكبار وكما انه يحصل في البحار  
 الحيات مضطربة فكذلك ترى في بحر فمك لسانك مضطربا يذكر  
 الحكمة وفي بحر معليك ترى حد فتك مضطربة بمطالعة العبرة

كما انك

كما انك ترى بعض اجزاء الارض فيه نباتا وبعضها ليس كذلك فهكذا  
 ترى في بعض اجزاء بدنك شعورا وفي بعضها ليس كذلك وبالجملة  
 فاختصاص كل عضو بصفة خاصة وخلقة خاصة لا بد وان يكون  
 بقدره الكفا العزير العليم الخامس انه تجميع اكثر المحاسن  
 في الوجه فجعل اربعة اشياء من اعضاء الوجه ملونا بلون السواد  
 جعل موضع النور من الحدقة ملونا بلون السواد وجعل الاهداب  
 سوداء والحاجبين اسودين والشعر اسود وجعل منه اربعة  
 منهم ابيض جعل الملحمة من الحدقة ملونة بلون البياض وجعل  
 الاسنان بيضا وجعل الجبهة كالسطح المنحدر من الفضة النقية  
 وجعل الذقن كالكرة المنحذرة من الفضة ثم جعل الخدين عيالون  
 حمرة الورد والشفتين عيالون حمرة الياقوت ثم جعل الوجه  
 دائرة تامة على شكل القمر والجيئة نصف دائرة والحاجبين  
 خطين مقوسين والامتداد في الانف كالخط المستقيم  
 فتأمل في ورقة الوجه وانظر الى هذه الاوضاع المختلفة وتأمل  
 في تركيب الحدقة من السواد والبياض فهما لونان في غاية  
 المصانة والمنافرة فجعل النور في وسط الحدقة ثم جعل السواد  
 محيطا بالنور ثم جعل البياض محيطا بالسواد ثم جعل الاهداب  
 السود مرقعة اخرى محيطة بذلك البياض ثم جعل بياض الاهداب  
 مرقعة اخرى محيطة بذلك السواد ثم جعل سواد الحاجبين



مرة اخرى محيطا بذلك البيض ثم جعل بياض الجبهة مرة اخرى  
محيطا بذلك السواد ثم جعل سواد الشعر مرة اخرى محيطا  
بذلك البياض فتأمل في هذه الاوصاف العجيبة والتركيبات  
البديعة يشهد عقلك وحسك ولبك وقلبك وفكرك  
وذكرك وجميع ذرات اجزائك وابصارك على جلال قدرة  
الخالق ومكان حكمته سبحانه وتعالى يقول الظالمون علوا كبيرا  
السادس قال صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا الخواص عند حسن  
الوجوه فجعل حسن الصورة الظاهرة دليلا على حسن السيرة  
الباطنة في الاعمال الاكثر ومنهم من ذكر فيه وجوها اخرى  
الاول كانه عم قال من حسن الله خلقه وجب عليه ان يجعل  
شكر هذه النعمة حسن الفعل والثاني انه اراد بحسن الوجه  
الدين وذلك لان العبد انما يتوجه الى ربه بدينه والدين  
عند الله الاسلام فاذا رفع المحتاج حاجته الى من حسن دينه  
لم يرض عن دينه ان يرد غير مقضى الحاجة الا اذا كان عاجزا  
عن قضائها الثالث انه اراد بحسن الوجوه المتجدين بالليل  
بدليل قوله عم من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار  
السابع روى انه عليه السلام يقول في سجدة سجدة وجهي للذي  
خلقته وشق سمعي وبصرم بحوله وقدرته وايضا قد يعتبر  
بالوجه عن الذات قال تعالى وبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام

وقال كل شئ هالك الا وجهه وقال عليه السلام وجه دينكم  
الصلوة ويقال للعرني يا وجه العرب ويقال للطريق المفضي  
الى حصول المطلوب هذا وجه هذا الامر وقال الخليل عليه السلام  
وجهي وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وكل هذا  
الاستعمالات بيد علم انهم يحملون الوجه اسما لكل ذلك الشئ  
قارة واسما لا تشرف اجزائه اخرى وهذا يدل على ان اشرف  
اجزائه بدن الانسان انما هو الوجه والامر في الحقيقة كذلك  
وذلك لان العين المبصرة للاعتبار فيه والاذن السامعة للآراء  
فيه واللسان الناطق بذكر الجبار فيه فلهذا قال امير المؤمنين  
عليه السلام كرم الله وجهه سبحانه من بصر شحم واسمع بعظم وانطق  
بلحم ولا شك ان مصالح هذا العالم انما يتم بهذه الخواص  
واما مصالح العالم الروحاني والعتبات القدسية فلا يتم  
الا بالفكر والذكور وهما لا يتان الا بالذماغ واللوح والقلم  
هناك والانوار والظلم هناك فلهذا السبب كان رسول الله صلى الله  
عليه واله وسلم لا ياكل الثوم لانه كان مضر بالذماغ وكان يحب الطيب لانه  
يقوى الذماغ وكل مناصبه العالية ودجاته الشريفة كان  
منشأ على مصالح الذماغ ولما كتف بهذا القدر من اثار  
حكمة الله تعالى في خلق الرحمن والخواص والله اعلم وامامنا يتعلق  
في القلب فانه نفرد له فصلا النوع الثاني في شرح اثار



حكمة الله تم في خلق الانسان وفيه وجوه الاول ان يقول تفكر  
في خلق الجنين في الرحم فانه لا حيلة له في طب الغذاء فصرف  
الله تعالى من دم امه ما يكفي ثم لا يزال ذلك غذاء له الى ان يستحكم  
بدنه ويقوى جلده على مباشرة الهواء وحينئذ يهيج الطلق  
بالام وينفصل الولد عن الام فبعد ذلك يصرف الله ذلك  
الدم الى ثدي الام ويحصل له ضرب اخر من الغذاء اوفقوله  
مما كان وهو اللبن الخالص ثم هم بالطيفتان فاللطيفة الاولى  
انه سبحانه وتعالى لما اغذاك حين كنت في بطن امك بالدم لاجرم  
ما اوصل اليك هذا الغذاء من طريق الفم بل من طريق السرة والحكمة  
فيه ان الفم الذي موضع الذكر والتسبيح والتهليل والدم  
يخس ولا يليق بالحكمة تلطخ الفم الذي هو موضع ذكر الله بالدم  
النجس والامثارة فيه ان الفم الذي لم يصير محل الذكر بل ليس  
الا مجرد صلاحية ان يصير محل الذكر فالله تعالى نزهه عن التلطيخ  
بالدم فالآن وقد صار هذا الفم محل التسبيح والتهليل بل منذ  
خمس سنين فلا يجوز ان تلطخه باكل الميتة وهي الغيبة والنيمة  
واكل الحرام اللطيفة الثانية فرغ خاطر عن طلب الرزق  
ويثقن انه تعالى اذا سدد عليك طريقا ففتح طريقا اخر اجود من  
الاول انظر الى الجنين فانه كان بانيه غذاءه وهو الدم من  
طريق واحد وهو السرة فلما خرج من بطن الام وانقطع

ذلك الطريق انفتح طريقان آخران وهما الثديان وخرج منهما  
غذاء طاهر لطيف وهو اللبن الذي يخرج من بين فرت ودم  
ليعلم انه مما انسد طريق واحد ففتح الله طريقين احسن  
وانفع من الاول ثم اذا تم الحولان وتمت مدة الرضاع انقطع  
هذان الطريقان ولكن انفتح طرق اربعة طعامان وشرابان  
اما الطعامان فالنبات والحيوانات واما الشرابان فالملياه  
والالبان ثم اذا مات الانسان انقطعت هذه الطرق الاربعة  
ولكنه تعالى بفضل ورحمة يفتح عليك الابواب الثمانية من الجنة  
لدخول الجنة من ايها شئت بفضل ورحمة الوجه الثاني في بيان  
الحكمة انه تعالى خلقك في احسن تقويم وذلك لانه خلق الخلق  
في عالم الاجسام على اربعة اصناف قائم كالاشجار وراكع  
كالبهائم وساجد كالحيات والحيتان وجالس كالجبال ثم انه  
تعالى خلق الادنى بحيث يكون تارة قائما وتارة راكعا وتارة ساجدا  
وتارة قاعدا ثم انه يذكر الله تعالى جميع هذه الاحوال كقوله  
الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية ثم انه يضم الى هذا  
الفكر فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض فما اعظم  
هذه الحالة ولجل هذه الدرجة وقد ذكر هذه الحكمة على وجه  
اخر فيقال النبات رؤسها في عمق الارض وارجلها ماعدة  
في السماء فهي منكسة كأنها وضعت قمة رأسها على الارض



واما الانسان فانه بالعكس من ذلك فرجلاه على الارض ورأسه  
في السماء والحيوانان متوسطة في هاتين الحالتين لامتكوسية  
كالنبات ولا منتصب كالانسان والسبب فيه عند اهل الطبائع ان النبات  
حسما في تحض فلا جرم كانت رؤسها نحو الارض والانسان روحاني  
محض بالنسبة الى سكان الارض فلا جرم كانت رؤسها على عالم  
الروحانيات هو عالم السموات ومسكن الملائكة واما الحيوانان  
فهني متوسطة في هاتين الحالتين في الجنة والروحانية فلا جرم كانت  
متوسطة بين الانتصاب والتكس واعلم ان هذا الكلام يوهم  
ان السبب لهذه الاحوال انها هو الطبع والخاصية الا انه تعالى ابطال  
هذا الوهم وازال هذا الخيال فقال ايها الناس ما دامت راسك  
منتصبه كنت في مقام التكبر وفي متابعة ابليس حيث قال ابي  
واستكبر فكان من الكافرين فاذا وضعت راسك على الارض  
فهناك يقرب من الحضرة القدسية كما قال واسجد واقرب  
لتعرف ان هذا ليس بالطبع بل بفضل الله ورحمته الوجه الثالث  
اعلم ان بدنك يشبه الدار المحل الكاملة التي بنيت وكتلت  
بيوتها وخزانتها وفتحت ابوابها واعدت فيها كل ما يحتاج اليها  
صاحب المنزل فالرأس كالغرفة في اعلى الدار والثقب التي في  
الرأس كالرواذين في غرفة الدار ووسط دماغك كالابواب  
في الدار والعم كباب الدار والانف كالطاق التي فوق باب الدار

والشفقان كصراعي الباب والاسنان كاللبواين واللسان كالحاجب  
والظهر كالجدار القوي الذي هو حصن الدار والصدر كوجه الدار  
والرئة التي هي الحاذية للنفس الباردة كالبيت الصيفي وجريان  
النفس فيها كالهواء التي تجري في البيت الصيفي والقلب مع حارة  
الغريزية كالبيت الشتوي والمعدة ونضج الغذاء فيها كالمطبخ  
والكبد وحصول الدم فيها كبيت الشراب والعروق التي تجري  
فيها الدم كسالك الدار والطحال بما فيه من السوداء كالحوالي  
التي بقيت فيها الدرريات والمرارة بما فيها من الصفراء كالحارة  
كبيت السراح والامعاء بما فيها من ثقل الطعام كبيت الحلاء والمثانة  
بما فيها من البول كبيت البيرو والنبيلان في اسفل البدن كالمواضع  
التي يخرج منها الغازات من الدار والرجلان كالمركوب المطيع  
والعظام وبناء الجسد عليها كالخشب التي عليها بناء الدار والدم  
في خلال العظام كالطين والعصب التي يربط بعض العظام ببعض  
كالرسن الذي يربط به بعض الاشياء من بعض والجويفات في جوف  
العظام كالصناديق في الدار والطح فيها كالجواهر والامتععة  
المخزونة في الصناديق فيجان من هيا في بيت بدنك لماسفر وحك  
هذه المصالح العجيبة والاسرار الغريبة فهذا ما يتعلق ببيوت  
هذه الدار ثم ان الروح في هذه الدار كالمملك والمتصرف فيبصر  
بالعينين ويسمع بالاذنين ويشتم بالمنخرين ويذوق باللسان



وينطق بالغم ويمس باليد وينعمل الصنيع بالاصابع ويمشي بالرجلين  
ويركب على الركبتين ويقعد على الاليتين وينام على الجنبين ويستند  
بالظهر ويحمل الاثقال على الكتفين ويخيل بمقدم الدماغ ويتفكر  
بوسط الدماغ ويندكر بمؤخره الدماغ ويصوت بالحجرة وتنشق  
الهواء بالخيشوم ويمضغ بالاسنان ويستلغ بالمرئ والمقصود من  
كل هذه الاحوال ان يكون في حضرة الربوبية مستغلا بالعبودية  
كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انه تعالى فوض بديار  
هذه المملكة الى ثلاثة من الروساء احدها الشهوة ومسكنها في الكبد  
وجريانها مع الدم في العروق الساكنة ولهذا المعنى قال عليه السلام  
ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وذلك لان القوة الشهوانية  
لايسرى الا من الكبد مع الدم في العروق الساكنة وثانيها القوة  
العنسية ومسكنها القلب وهي تجري في العروق المتحركة لاجميع اطراف  
البدن وثالثها القوة النفسانية المدبرة ومسكنها الدماغ وهي  
تجري في الاعصاب الى جميع اطراف البدن ثم هؤلاء الروساء الثلاثة  
ليسوا اشياء متباينة مستقلة بانفسها بل هي كالفرع المتفرعة  
من اصل واحد كالاعصان النابتة من شجرة واحدة كالمنبع الذي  
ينشق منه ثلاثة انهار وكالاب الذي يتولد منه اولاد كثيرة وكل  
يعمل اعمالا ثلاثة فيسمى ثلاثة اسما الحداد والصايغ والبناء مثلا  
هؤلاء الثلاثة كلوك الاطراف الذين ولاهم الملك الاعظم فالشهوة

يشبه

يشبه افعالها افعال النساء والصبيان والجمعي من الناس اذ الم يؤد  
بهم اباؤهم وازواجهم والغضب يشبه افعاله افعال العياريين  
والقتالين اذ الم يؤد بهم الملوك والقوة المدبرة يشبه افعالها  
افعال الحكماء والعقلاء والفقهاء واهل الخير والصلاح الوجه الرابع  
كانه تعالى يقول عبدي اريد ان اخرجك الى الدنيا واعرضك على  
والديك وعلى اهل الدنيا فلما اردت ذلك زينتك كاترين الام  
المشفقة لولدها حين تريد عرضه على الناس فجعلت جبهتك  
كالتسليح المتخذ من الفضة النقية ليكون محل السجود واظهرت في  
رفعة وجهك انواع النقوش العجيبة واعطيتك الحاجب المقوس  
والعينين الملوزة والعنق المدور واخذ الموردة وجعلت وجهك  
كالقمر ثم جعلت العينين للاهتداء والاذنين للاصغاء والاسنان  
والمعدة للهضم والكبد للامتصاص وكل العروق ليكون كالانهار  
والمناقد لدفع الفضول واليدين للاعمال والرجلين للمشي وانما  
فعلت بك كل هذه الاعمال لتكون عند خروجك الى الدنيا مبرا  
عن النقصا واذا ابرأتك عن النقصا عندما اخرجتك الى الدنيا  
مع انها سجن ودار محنة وموضع عمر لا مسكن مفرق اعرف انه  
كيف يكون عنايتي بك وبتحسين احوالك اذ اخرجتك من القبر  
الى محفل القيامة الوجه الخامس انه تعالى خلق اليدين آلة للطلب  
والرجلين آلة للهروب ثم انه تعالى خلق اليد مركبة من اربعة



مفاصل محسوسة العضد والساعد والكف والاصابع فان اراد  
الانسان جعل هذه العظام الاربعة بمنزلة العظم الواحد يقدر  
عليه فيمد اليد وجعلها كالرمح وان اراد ان يأخذ جسما مستديرا  
تحت ابطه جعل اليد كالدايرة المحيطة بذلك الشيء لاجل انه حصل  
في اليد هذه المفاصل ثم انه تعا جعل الاصابع خمسا وقسم كل اصبع  
بثلاث اناصل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب اخر وبهذا  
الترتيب صحت للاعمال الكثير فان بسطها كان كالطبق يضع  
عليها ما يريد وان جمعها كانت آلة للضرب وان ضمها ضمما غير تام  
كانت معرفة له وان ضم احد الكفين الى الآخر صاد المجموع كالفتح  
الكبير ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعما دالها  
من ورائها حتى يمكنه ان يلتقط باصابعه الاشياء الدقيقة ويمكنه  
ايضا ان يحكم بها بدنه عند الحاجة ثم تأمل في هذا المقام فان  
الظفر الذي هو احسن الاشياء لو لم يحصل للانسان لصاد اعجز  
للخلق عند الحاجة الى الحكم فان احدا لا يقوم مقامه في حكم بدنه  
ثم من عجائب هذا الباب انه اذا احتاج الى حكم موضع معين  
من بدنه فانه لا يخطئ فيه البتة ولو في الوقت والنوم والغفلة  
ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحكم الا بعد تعب طويل  
ولذلك منافع اليدين من وجه اخر فنقول من المعلوم ان  
مصالح الانسان تنقسم الى قسمين الى جسمانية وإلى روحانية

اما المصالح الروحانية فللبدن فيها اعظم انواع المعونة وذلك  
لان عقل الانسان الواحد لا يستقل باستنباط جميع العلوم المحتاج  
اليها بل لابد من استعانة بعض العقول ببعض وذلك لا يتم  
الا بان يكتب المقدم ما حصله من العلوم حتى يصل ذلك المكتوب  
الى المتأخر فيمكنه وينتفع به ومعلوم ان الكتب لا يحصل الا باليد  
واما المصالح الجسمانية فهي قسمان جلب المنافع ودفع المضار  
اما جلب النفع فللبدن فيه اعظم انواع المعونة وذلك لان الانسان  
يتخذ بيديه آلات يصيد بها ما في البر والبحر والهواء من الحيوانات  
ويعمل السفن فينقطع بها البحار والمسافات البعيدة ويتخذ  
آلات يخرج منها اصوات لذينة نافعة للبدن وللروح وبني  
بيديه المساكن الحسنة وينسج الثياب الحسنة ويتخذ الاطعمة  
الطيبة اللذيذة ومعلوم ان كل هذه الاعمال لا يتم الا باليد  
فتارة ينسج الثياب المنقوشة بعجايب النقوش وصنوف الالوان  
والاصباغ فيصير لونه احسن من لون الطاووس وتارة يعمل لنفسه  
من الذوايب ما يتشبه بذوايب الاعراف وتارة يتخذ لنفسه  
من اصناف الخلى ما يصير احسن من ذوات الاطواق واما دفع  
الضرر فهو على قسمين تارة بالمجاهدة واخرى بالتحرز اما الجهاد  
فانما يكون بالسلاح فهو يمسك بيديه ما هو اعظم وابلغ  
من القرون كالرمح ومنها ما هو اقسط من الانياب كالسيف



ومنها ما هو ابلغ في الخس من الخالب كالخبر وما هو أشد  
رضا من الحافر كاللون والاحجار فاذا تأملت علمت ان اليد  
مع الرمح قرن ومع السيف ناب ومع الابرة حجة ومع الخبر  
مخرب واما الحرز فاما ان يكون بالهروب او بالتحصين اما الهرب  
فانه بذلك الفرس بيديه فيعلوه حتى يصير سرعة ركض الفرس  
فيدرك به اذا طلب ويحجز طاله اذا هرب واما التحصين فانه  
يعمل بيديه ما هو افضل مما جعلت للحيوانات من الجلود الفليضة  
والاطلاف والاصداق وذلك مثل القوس والدروع وانواع السلاح  
ويتخذ بيديه القلاع والحصون احسن مما سائر الحيوانات  
وكل هذه الاعمال انما يتأتى باليدين ثم انما تخدما ن كل البدن  
خدمة عظيمة فتبعدان انواع الآفات والقاذورات من كل  
البدن ويحتران جميع المنافع اليها ولو غاصت العقول ادوارا  
واعصارا في معرفة انار حكمة الله في خلق اليدين لا عترف  
بعد التوغل التام بالعجز والعصور واعلم ان الاستقصاء في بيان  
انار حكمة الله في خلق الانسان لا يمكن شرحه في هذا الكتاب  
ونعم ما قال الشيخ ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء قال  
والعجب كل العجب ممن يرى صورة انسانا يحيط في تحسنه ويصرف  
جميع همته الى النقاش وانه كيف نقشه وكيف قدر عليه مع انه  
يعلم ان ذلك النقش انما تم وكل بالصنع والقلم والحائط

واليد والقدرة والعلم والارادة وشئ من ذلك ليس من فعل  
النقاش ولا من خلقه بل كل ذلك من خلق الله وانما عناية  
فعل هذا النقاش للمجمع بين الصنع وبين الحائط على ترتيب  
مخصوص فاذا كان هذا القدر من العمل سببا للاعتراف  
بذلك النقاش بالعلم والحكمة فبان يستدل بظهور تركيب  
الانسان وتخليقه على جلال علم الخالق ونهاية قدرته وحكمته  
كان اولى الوجه السادس انظر الى كمال قدرته وتمام حكمته  
وذلك لان الجنين حين ما يكون في الرحم يكون بعض اعضائه  
مغمورا الى البعض ويكون مجموع كالكرة الموضوعة في كيس الرحم  
وذلك لانه يكون قد ضم مخذنه الى صدره ووضع راحتيه  
على ركبتيه ووضع راسه على ركبتيه فيكون عيناه على ظهري كفيه  
ويكون انفه بين الركبتين ويكون جالس على رجليه ومعتمدا  
على عقبه كالشخص المتفكر المغموم المغموم المنتظر لورود  
الامر عليه ويكون وجهه الى ظهر امه حماية للقلب وهذه الجلية  
ايضا اوفق للانقلاب ثم اذا صار الجنين كبيرا وضاق عليه  
الموضع فانه تولى يلهمه الى كيفية الخروج فيستكس ويعتد  
على الانقلاب ثقل الاعالي في الجنين ثم في ذلك الوقت ينفتح  
الرحم الانفتاح الذي لا يمكن ان يتخيل في مثله مثله ولا بد  
من انفصال بعض المفاصل العظيمة وميدد وعناية من الله



في ذلك الوقت يعجز عن كنفيتها العقول البشرية ثم ههنا  
الاحوال العجيبة الاولى ان الجنين كان في البطن ايده الحق  
تعا باللاهام حتى اعرف ان مصطحة عند الخروج في ان ينقلب  
وينتسكس ثم بعد الانفصال من البطن والخروج الى الدنيا  
لا يهتدي الى شيء البتة من مصالحه وذلك لانه عند كونه في البطن  
ليس هناك شيء يعينه على مصالحه فلما كمل عجزه هناك هدى  
الى رعاية مصالحه ولما خرج الى الدنيا فهنا من يعينه على  
رعاية مصالحه فلا جرم انقطعت تلك الهداية وهذا يدل على  
ان الانسان كلما كان اشده عجزا وقصورا كانت عناية الله به  
اتم ولا شك ان عجز المخلوق في موقف القيامة اشد واكمل  
فخرجوا من فضل الله ان يكون عناية بهم في ذلك الوقت اتم  
والثاني ان البيضة اذا انفقت عن الدجاجة خرج الفرج  
عنها وعدت والتقطت من الحب ما ينفعها واحترزت عما  
يؤذيها وفرفت بين امها المشفقة بها وبين الهرة الطالبة  
لايدلها اما الان فانه حال انفصاله عن الام لا يميز بين  
النافع والضار والصديق والعدو فكان في هذا الوقت  
اكثر جهالة من الفرج عند خروجه من قشر البيضة ثم ان الام  
لو كان مستمر اعلى فانون الطبيعة والخاصية وجب ان يكون  
الفرج لما كان انكى واكثر تميزا في مبداء الامر ان يكون

اكثر

اكثر تميزا من الانسان عند المنتهى والكمال لكنه في قلب هذه  
القضية يجعل من كان كثير التميز في اول الامر قليلا عند الكمال  
والعناية وجعل الانسان الذي هو اقل الحيوانات تميزا في اول  
الامر اكثرها معرفة وعقلا ومن كان قليلا التميز في اول الامر  
اكثر معرفة وهداية وعقلا يعرف ان كل ذلك بحسب القدرة  
والحكمة والعناية لا بحسب الطبع والعلّة والخاصية الثالث  
ان الصبي بعد الخروج من بطن الام لما احتاج الى الغذاء فانظر  
كيف هداه الله الى النقام الذي ولما كان بدنه نحيفا  
لا يحمل الاغذية الكثيفة فانظر كيف دبّره في خلق اللبن  
اللطيف ثم خلق الثديين وجمع فيهما اللبن واشت على رأس  
الثديين حلمتين على قدر ما ينطبق عليه ثم الصبي ثم جعل في  
تلك الحلمة ثقبه ضيقة جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المض  
والاعلى سبيل الذبيح فان الطفل لا يطيق من اللبن الا القليل  
ثم انظر انه تعالى كيف هداه الامتصاص حتى يستخرج من ذلك  
المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع على سبيل الرفق ثم انه تعالى  
اخر خلق الانسان الى تمام الحولين لان في الحولين لا يتغذى  
الا باللبن فيستغنى من السن واذا صار كبيرا ولم يوافق اللبن  
واحتاج الى الطعام الغليظ فيحتاج حينئذ الى المضغ والطحن  
فلا جرم اثبت له الأسنان عند حدوث الحاجة لا قبلها ولا بعدا



فتبارك الله احسن الخالقين **الفصل الخامس** في شرح احوال  
الانسان من وقت ولادته الى وقت موته في عجائب القلب  
ذهب اكثر العقلاء الى ان اشرف اعضاء البدن هو القلب  
وهو الرئيس المطلق لساير الاعضاء وهو المخاطب في الحقيقة  
وهو موضع التميز والاختيار واما ساير الاعضاء فمنه قوله  
والدليل عليه القران والاحبار والمعقول اما الاولى قال  
في سورة البقرة قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل به على قلبك  
وقال في سورة الشعراء نزل به الروح الامين على قلبك فدللت  
هاتان الايتان تصريحاً على ان التنزيل والوحى كان على القلب  
فوجب ان المخاطب والمكلف هو القلب **الحجة الثانية**  
قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والايدى والاله  
تصريحاً على ان الذكرى والفهم انما يحصل بالقلب وتأويل القاء  
السمع الجدة في الاستماع حتى يصير سمعه كالشيء الذي القى الى  
الكلام بلا اضطراب فيه ومن الناس من قال ان اوتي هذا  
الاية بمعنى الواو وذلك لان الهمزة الذكرى لا بد فيه من مجموع  
الامرين لا بد فيه من حضور القلب ولا بد فيه من القاء السمع  
لان القلب عبارة عن محل ادراك الحقائق والقاء السمع  
عبارة عن الجدة والاجتهاد في تحصيل تلك الادراكات ومن  
المعلوم انه لا بد من الامرين معاً فكان اوهما بمعنى الواو

والجواب ان ما ذكرتم محتمل ولكن يمكن ايضا اجراء الاية على  
ظاهرها وذلك لان القوى العقلية قسمان منها ما يكون في غاية  
الكمال والصفاء ويكون محالاً لساير العقول بالكمية والكيفية  
اما الكمية فلان حصول المقدمات البديهية والحسية **والجزئية**  
لها اكثر واما الكيفية فلان ما يركب تلك المقدمات على وجه  
ينساق الى النتائج الحقة ومثل هذه القوة العقلية يستغنى  
في معرفة حقائق الاشياء عن التعلم والاستعانة بالغير الا  
ان مثل هذا يكون في غاية الندرة واما القسم الثاني وهو الذي  
لا يكون كذلك فهو يحتاج في اكتساب العلوم النظرية الى التعلم  
والاستعانة بالغير والتمسك بالقانون الصانع الذي يعصمه  
عن الخلل والزلزلة اذ اعرفت هذا فقوله ان في ذلك لذكرى  
لمن كان له قلب اشارة الى القسم الاول وانما ذكر القلب بلفظ  
التكثير ليدل ذلك على الكمال التام بدليل قوله تعالى ولتجدنهم  
احصوا الناس على حيوة اي على حيوة عظيمة مطوية المدرة فكذا هنا  
قوله لمن كان له قلب كامل في قوة الادراك عظيم الدرجة في  
الاستعداد لمعرفة الحقائق اما قوله او القى السمع وهو شهيد  
فهو اشارة الى القسم الثاني فيفتقر الى الكسب والاستعانة بالغير  
وهذا من اسرار الاله عليه بناه اصل العلم المنطق وقد لا يحق  
الله تعالى في هذه الاية لما كان القسم الاول نادراً جداً وكان الغالب



هو القسم الثاني لاجرم ~~في~~ امر الكل في اكثر الايات بالطلب الاكتساب  
فقال افلم يسيرا في الارض فتكون لهم قلوب لا يعقلون بها  
او اذان لا يسمعون بها فان قوله افلم يسيرا واحت على الطلب  
والجهد في الكسب وقال صاحب المنطق ان القسم الاول وان  
كان غنيا عن الاستعانة بالمنطق الا انه نادر جدا والغلبة  
للقسم الثاني وكلام محتاجون الى المنطق فانظر الى هذه الاسرار  
العميقة فكيف تجدها مدرجة في الفاظ القرآن الحجة الثالثة  
على ان استحقاق الجزاء ليس الاعمال ما في القلب من المساعي قال  
لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم ثم  
بين تعالى في آية اخرى ان التقوى في القلب فقال اولئك الذين  
امتن الله قلوبهم للتقوى وقال تعالى وحصل ما في الصدور  
الحجة الرابعة قوله حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع  
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وسعر ان العقل في القلب  
وان السمع منفذ اليه الحجة الخامسة قوله تعالى ان السمع والبصر  
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ومعلوم ان السمع والبصر  
لا فائدة فيهما الا ما تؤدى به الى القلب فكان السؤال عنها الحقيقة  
سؤال عن القلب ونظيره قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي  
الصدور ومعلوم ان خيانة الاعين لا يكون الا بما يضره  
القلوب عند التدقيق والنظر الحجة السادسة قوله تعالى وجعلكم

السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فخص هذه الثلاثة  
بالزام الحجة تشبيهها واستدعاء الشكر عليها وقد قلنا انه لا  
طائل في السمع والابصار الا بما يؤدى به الى القلب ليكون القلب  
هو القاضى فيه والحاكم عليه الحجة السابعة قوله تعالى ولقد مكناهم  
فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما غنى  
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ فجعل هذه الثلاثة  
تمام ما الزمهم من حجة والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضى  
فيما يؤدى اليه السمع والبصر الحجة الثامنة قوله تعالى ختم الله  
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجعل العذاب لازما لهذه  
الثلاثة ونظيره قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وطمع اعين  
لا يبصرون بها وطمع اذان لا يسمعون بها ووجه الاستدلال بهذه  
الآية ان المقصود من هذه الآية بيان انه لا علم لهم اصلا ولو ثبت  
العلم في غير القلب كنبأته للقلب لم يتم الغرض الحجة التاسعة  
انه تعالى كلما ذكر الايمان في القرآن اضافة الى القلب فقال  
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقوله الامن  
اكره وقلبه مطمئن بالايمان فقال وكتب في قلوبهم الايمان  
وقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم ثبت ان محل هذه المعارف  
هو القلب واذا كان كذلك كان محل الارادات هو القلب لان  
الارادة مشروطة بالعلم واذا كان محل العلم والارادة هو القلب



كان الفاعل هو القلب لحجة العاشرة ان محل العقل هو القلب  
واذا كان كذلك كان المكلف هو العقل وانما قلنا ان محل العقل  
هو القلب لقوله تعالى افلم يسيرا في الارض فيكون لهم قلوب  
يعقلون بها وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها وقوله ان  
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او التي السمع اي عقل اطلق  
على العقل اسم القلب لان القلب محل العقل وايضا انه تعالى  
اصداد العلم الى القلب فقال في قلوبهم مرض ختم الله على قلوبهم  
وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم يحذر المناقفة  
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقولون بالسنتهم  
ما ليس قلوبهم كلاً بل ران على قلوبهم افلا يتدبرون القرآن  
أم على قلوب اقفالها فانها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب  
التي في الصدور قدلت هذه الآيات على ان موضع الجهل والغفلة  
هو القلب فوجب ايضا ان يكون موضع العقل والفهم هو القلب  
واما الخبر ما روى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى  
يقول ألا وإن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله  
واذا فسدت فسدت الجسد كله ألا وهي القلب وهذا يخرج بان  
الفاعل هو القلب وباقي الاعضاء تتبع له وروى ان اسامة  
لما قتل الكافر الذي قال لا اله الا الله فقال عليه السلام لم قتله  
قال لانه قال هذه الكلمة عن الخوف فقال هلا شقت عن قلبه

وهذا

وهذا يدل على ان محل المعرفة هو القلب وكان عليه السلام يقول  
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وهذا يدل على ان المقصود  
الاصلي هو القلب واما المعقول فاعلم ان هذه المسئلة مما اعظم  
اختلاف الفلاسفة فيها فزعم ارسطاطاليس ان النفس  
واحدة ولها افعال ثلثة الفكر والغضب والشهوة فهذه صفات  
ثلثة لجوهر واحد هو النفس والمتعلق الاول للنفس هو القلب  
ومنه يتبع القوى النفسانية الى سائر الاعضاء وزعم ابقراط  
وافلاطون وجالينوس انها نفوس ثلثة كل واحد منها مستقل  
بنفسه ولكل واحد منها عضو على حدة ففقدت النفس المفكرة هو  
الدماغ ومعدن النفس الغضبية هو القلب ومعدن النفس  
الشهوانية هو الكبد واعلم ان القرآن والاخبار مطابقان  
لقول ارسطاطاليس ونحن نورد في هذا المقام هذه المسئلة  
على سبيل الاستقصاء فنقول اثبات صحة على ما ذهب اليه ارسطاطاليس  
يتوقف على اثبات مقامين احدهما بيان ان النفس واحدة والثاني  
ان العضو الرئيس على الاطلاق واحد وهو القلب اما المقام  
الاول وهو بيان ان النفس واحدة فنحن ههنا بين مقامين  
اما ان ندعي البديهة واما ان ندعي الاستدلال واما دعوى  
البديهة فهو ان المراد من النفس ما يشير اليه كل احد الى ذاته  
لخاصة بقوله انا وكل واحد يعلم بالضرورة انه اذا اشار الى احد



الى ذاته الخاصة بقوله انا فان ذلك المشار اليه شئ واحد غير  
متعدد فان قيل لم لا يجوز ان يكون المشار اليه لكل احد بقوله  
انا وان كان واحدا الا ان ذلك الواحد يكون مركبا من ثلثة  
اشياء وهي القوة المفكرة والغضبية والشهوانية الجواب هذا  
باطل وذلك لان بديهية عقل حكمة باقية اشتهايت وغضيت و  
تفكرت وبديهية عقل حكمة باقية اذا قلت انا اشتهايت وانا اغضب  
وانا تفكرت فالموضوع في هذه القضايا الثلاثة شئ واحد والتعدد  
انما وقع في المحمول كما اني اذا قلت هذا الجسم حلو واسود وبابس  
فالموضوع واحد والتعدد واقع في المحمولات واذا كان هذا معلوما  
بالضرورة علمنا ان الجوهر واحد في الذات متعدد بالصفات  
واما طريق الاستدلال فيدل على صحة قولنا وجوه الحجية الاولى  
ان الغضب حالة نفسانية يجذب عند دفع المنفعة والشهوة حالة  
نفسانية يتولد عند طلب الملايم ودفع المنافي وطلب الملايم  
مشروط بالشعور بكون الشئ ملايما ومنافيا والقوة الغضبية  
التي هي قوة دافعة للمنافي ان لم يكن لها شعور بكونه منافيا امتنع  
كونها دافعة للمنافي على سبيل الاختيار والقصد لان القصد الى الدفع  
او الجذب مشروط لاحتمال بالشعور بالشئ فالشئ المحكوم عليه  
بكونه دافعا للمنافي على سبيل الاختيار لا بد وان يكون له شعور  
بكونه منافيا فالادراك والغضب صفتان من صفات شئ واحد

وكذا

وكذا القول في الشهوة فثبت بهذا البرهان القاطع ان التفكير والغضب  
والشهوة صفات ثلثة لذات واحدة لانها صفات متباينة للحجة  
الثانية انا اذا فرضنا مبدئين يكون كل واحد منهما بنفسه مستقلا  
بفعلة الخاص امتنع ان يكون اشتغال احدهما بفعلة الخاص به  
مانعا للاخر من الاشتغال بفعلة الخاص بذلك الاخر واذا ثبت  
هذا فلو كانت القوة الفكرية مبداء مستقلا بنفسها وكذا القوة  
الشهوانية والغضبية بفعالها مانعا للقوة الشهوانية من الاشتغال  
بفعالها ولا بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان بالشهوة  
وانصيابه اليها يمنع من الاشتغال بالغضب والانصيابه اليه  
فعلمنا ان هذه الامور الثلاثة ليست مبادئ مستقلة بانفسها  
بل هي صفات لجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر  
باحد هذه الافعال مانعا له من الاشتغال بالفعل الاخر للحجة الثالثة  
انا اذا ادركنا شيا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة  
وقد يكون سببا لحصول الغضب فلو كان الجوهر المدرك معايرا  
لجوهر الذي يغضب والجوهر الذي يشتهي فحين ما ادرك صاحب  
الادراك لم يكن من هذا الادراك اثر ولا خبر عند صاحب الشهوة  
وعند صاحب الغضب فوجب ان لا يترتب على ذلك الادراك  
حصول الشهوة ولا حصول الغضب وحيث حصل هذا الترتيب  
علمنا ان صاحب الادراك نفسه هو صاحب الشهوة وهو صاحب الغضب



فهذا جملة ما يحتج به على وحدة النفس واحتجوا على تعدد هذه  
النفوس فقالوا رأينا النفس الشهوانية حاصلة في النبات بدون  
النفس الغضبية ورأينا النفس الغضبية حاصلة في الحيوان بدون  
النفس النطقية ثم رأينا هذه الآثار الثلاثة حاصلة في الإنسان  
فعلينا أن كل واحدة من هذه الثلاثة جوهر مستقل بنفسه منفرد  
بذاته الجواب ثبت في أصول المعقولان أن الماهيات المختلفة  
يجوز اشتراكها في آثار متساوية وإذا ثبت هذا فنقول من  
المايز أن يكون النفس الانسانية متساوية للنفس النباتية  
في أفعال التغذية والنمو وإن كانتا مختلفتين في الماهية ومن  
المايز أن يكون النفس الانسانية متساوية للنفس البهيمية  
من فعل الغضب وإن كانتا مختلفتين في الماهية وعلى هذا يكون  
جوهر النفس الانسانية واحدة بالذات إلا أنها مبدأ الأفعال  
الثلاثة أحدها النطق ولا يشاركها فيه سائر النفوس وثانيها  
الغضب ويشاركها فيه الله البهيمية فقط وثالثها الشهوة  
ويشاركها فيه البهائم والنبات فان قالوا فالنفس الواحدة كيف  
يكون مصدرا للأفعال المختلفة قلنا لم يجوز ذلك لاسيما  
عند حصول الآلات المختلفة فهذا هو البيا المخلص في وحدة النفس  
وهو اقوى مما كتب جالينوس في المجلدات أما المقام الثاني  
في بيان أن العضو الرئيس محل الاطلاق هو القلب فنقول

أنا قد بينا فيما تقدم أن المتي اذا وقع في الرحم صار كالكرة وتجتمع  
الاجزاء النارية والهوائية ويصير مادة الارواح ويجمع الاجزاء  
المائية والارضية ويحيط بتلك الارواح لتكون صوانا لها  
وما نعالها من الخلل والنفس وذلك الموضع المتوسط الذي  
فيه اجتمعت تلك الاجزاء اللطيفة هو الموضع الذي اذا تمت  
خلقة كان قلبا وبهذا الطريق عرفنا أن أول عضو يتكون هو  
فاذا كانت النفس واحدة كان تعلمها الاول بالقلب وبواسطة  
القلب يسرى اثره الى سائر الاعضاء فثبت أن العضو الرئيس  
على الاطلاق هو القلب هذا هو الكلام المعقول عليه في اثبات  
هذا المطلوب وهنا وجوه اخرى اقناعية رضوه ونحن نذكرها  
للمحة الاولى ان العقلاء يجرون الهمم والادراك والعلم من ناحية  
القلب فعلمنا ان القلب محل العلم قال جالينوس سلم ان القلب  
محل الغضب فاما انه محل العلم فمنوع وجوابه ان الغضب دفع  
المنافي ودافع المنافي له شعور بكونه منافيا فوجب ان يكون  
القلب محل العلم والشعور للمحة الثانية ان النفس هي الحاسة  
المحركة بالارادة فاذا تعلقت النفس بالقلب فلا بد وان يفيد  
الحس والحركة الارادية فيكون القلب منبعا للحس والحركة  
الارادية للمحة الثالثة ان الحس والحركة الادادية انما يحصلان  
بالحرارة اما البرودة فعاقبة عنها والقلب منبع الحرارة والدم



للبرودة فجعل القلب مبدأ للحس والحركة الارادية اولى من جعل  
 الدماغ مبدأ لهما الحجة الرابعة كل احد اذا قال انا فانه يشير  
 بقوله انا الى صدره وناحية قلبه وايضا اذا قال الرجل العاقل  
 انا افعل كذا وانا اقول كذا يصنع يده على ناحية قلبه وهذا يدل  
 على ان كل احد يعلم بالضرورة ان المشار اليه بقوله انا موجود  
 في القلب لا في الدماغ الحجة الرابعة اظهر انا النفس الناطقة  
 النطق فوجب ان يكون معدن النفس الناطقة هو الموضع الذي  
 منه ينبعث النطق لكن النطق والكلام انما ينبعث من القلب  
 لان الصوت انما يتولد من اخراج النفس وادخال النفس ولخارج  
 فعل القلب وذلك لان المقصود من ادخال النفس ترويح حارة  
 القلب والمقصود من اخراجه دفع الفضلة المحترقة واذا كان  
 ادخال النفس ولخراجه مقصودا للقلب بالذات كان اسناد هذا  
 الفعل الى القلب اولى من اسناده الى الدماغ الذي لا حاجة اليه البتة  
 الى النفس فثبت ان اخراج النفس فعل القلب والصوت انما يحدث  
 من اخراج النفس فثبت ان فاعل الصوت هو القلب قال  
 جالينوس الصوت لا ينبعث من القلب بل من الدماغ ويدل  
 عليه وجوه الاول ان الالة الاولى للصوت هي الخنجرة بدليل  
 انه اذا حرق قصبة الرية اسفل من الخنجرة لم نسمع لذلك  
 الحيوان بعد هذه الحالة صوتا فثبت ان الالة الصوت هي الخنجرة

والخنجرة مؤلفة من ثلثة غضاريف وهذه الغضاريف تحرك  
 بمعضلات كثيرة وتلك العضلات انما تحرك بالاعصاب والاعصاب  
 نابتة من الدماغ فثبت ان فاعل الصوت هو الدماغ الثاني  
 اذا نرى عضل البطن يمدد عند التصويت بالصوت العنيف  
 واما القلب فانه لا يناله القلب عند التصويت الثالث ان  
 القلب اذا كشف عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيوان صوته  
 وان كشف عن الدماغ ثم ضغط يبطل في الحال صوت ذلك  
 الحيوان فثبت ان مبدأ الصوت هو الدماغ لا القلب والجواب  
 اننا بيننا بالحجة القوية ان مبدأ الصوت هو القلب اقص ما في  
 الباب ان الدماغ يعين عليه الا ان هذا لا يقدح في قولنا  
الحجة السادسة ان القلب موضوع في موضع يقرب ان يكون  
 وسطا من البدن والعضو الرئيس يليق به وذلك حتى يكون  
 ما ينبعث منه من القوى الى جميع اطراف البدن على القسم العادلة  
 والدماغ موضوع في اعلى البدن وذلك ينافي هذا المقصود  
الحجة السابعة ان الناس يصفون القلب بالذكاء فيقولون  
 قلب زكي وقلب بليد قال جالينوس الناس اذا وصفوا انسانا  
 بان له قلب قوي مرادهم منه الشجاعة واذا قالوا فلان لا قلب  
 له فالمراد هو الجبان والجواب ان هذا يدل على ان القلب  
 موضع الغضب وهذا لا ينافي ان يكون القلب ايضا موضع النهم



والعلم وأنتج جالينوس على أن معدن الإدراك هو الدماغ بوجه  
أحدها وهو أن الدماغ منبث العصب والعصب إلى الإدراك  
ومكان منبث لالة الإدراك وجب أن يكون معدن القوة الإدراك  
فهذه مقدمة ثلثة أما المقدمة الأولى وهي أن الدماغ منبث  
العصب والدليل عليه أن الأعصاب الكثيرة إنما يوجد في الدماغ  
وأما القلب فلا يوجد فيه الأعصاب الصغيرة وإذا كان كذلك  
وجب أن يكون الدماغ منبث للأعصاب وأما المقدمة الثانية  
وهي أن الأعصاب آلات الحس والحركة فالدليل عليه أنه إذا  
كشفت عن عصبه وشددتها وجدت مكان أسفل من موضع  
الشدة فإنه يبطل عنه الحس والحركة ومكان أعلى منه مما يلي جانب  
الدماغ لا يبطل عنه قوة الحس والحركة وهذا يدل على أن آلة الحس  
والحركة هو العصب أما المقدمة الثالثة وهي أنه لما كان الدماغ  
منبث للحس والحركة وجب أن يكون معدناتها فالدليل عليه أنه  
إذا كان قوة الحس والحركة إنما يصلان من الدماغ إلى جميع أطراف  
البدن بواسطة هذه الأعصاب الثابتة من الدماغ ثبت  
أن المنبع والمعدن لهذه القوة هو الدماغ وأعلم أن أصحاب  
أرسطاطاليس أجابوا عن الحجة بوجهين أحدهما قالوا لا نسلم  
أن الدماغ منبث العصب أما دليل جالينوس على ذلك هو  
أن الأعصاب كثيرة قوية عند الدماغ وقليلة وضعيفة

عند القلب فقد أجابوا عنه من وجهين الأول أن هذه المقدمة  
الواحدة غير منتجة المقصود بل لابد من ضم مقدمة أخرى إليها  
وهي أن القوة والكثرة إنما يكون عند المبدأ والصغر والقلة  
عند غير المبدأ إلا أن هذه المقدمة غير برهانية بل هي منقوضة  
من وجوه الأول أن العصب مجوفة يكون دقيقه عند المبت  
وإذا دخل الموضع الذي يتكون الحدة فيه بغلظ تلك العصب  
ويتسع وهذا نقض على هذه المقدمة الثانية أن الحبة التي  
يتولد منها ساق الشجرة يكون أصغر بكثير من ساق الشجرة  
فلم لا يجوز أن يكون العصب الصغيرة التي في القلب تكون كالحبة  
التي فيها انتشبت الأعصاب الكثيرة في الدماغ الثالث لو صح  
دليل جالينوس لوجب أن يقال أن مبدأ العروق الصوارب  
هي الشجرة الشبيهة بالشبكة التي في الدماغ لا القلب لأن  
في تلك الشجرة من العروق الصوارب عدد لا يحصى وهو غاية  
المشابهة لعروق الشجرة الوجه الثاني في الجواب سلمنا أن  
الكثرة والقوة لا يحصلان إلا عند المبدأ لكن لا نزاع أن القلب  
منبث للشرانين بل أن أجرام الشرانين من جنس أجرام الأعضاء  
ممكن أن ينبت الأعصاب منها إنما قلنا أن العروق من جنس  
أجرام الأعصاب وذلك لأن أجرام العروق ينتشر وينقسم  
إلى الشطايا الكيتية التي لا حس لها وهي نبض لرب عديمة الدم



صلبة غير حساسة في نفسها والاعصاب كذلك في جميع الصفات  
والدليل على أن الاعصاب غير حساسة في نفسها أنك إذا شددت  
العصبة برباط شداً قوياً صار ما هو أسفل منه من موضع  
الشدة عديم الحس وذلك يدل على أن العصب غير حساس في نفسه  
وإنما يجري إليه الحس من موضع آخر فثبت أن العروق والاعصاب  
مشاركة في هذه الصفات والاحوال فعلمنا أن العروق والاعصاب  
من جوهر واحد وإذا ثبت هذا فنقول لم لا يجوز أن يقال هذه  
العروق الصوارب لما انقسمت وتشعبت ودقت وصغرت  
ونفذت في الدماغ التف بعضها إلى البعض وانضمت أجزاءها  
وانصلت فصار على شكل الاعصاب وتحقيق القول فيه  
أن هذه الشرايين حين ما انفصلت عن القلب كان يحتاج  
إليها ليكون حاملة للدم والروح إلى جوهر الدماغ فلما صغرت  
ونفذت في جوهر الدماغ وحصل هذا المقصود بحصول الانتفاء  
عنها فلا جرم صرفت إلى غرض آخر وهو أن ازبل عنها وصف  
التجويف وانضمت تلك الشطايا بعضها إلى البعض وصارت  
على شكل الاعصاب فبهذا الطريق صارت العروق اعصاباً  
ولما كان منبث العروق هو القلب لا جرم كان منبث الاعصاب  
أيضاً هو القلب بهذا الطريق أحاط بسبباليوس عن هذا  
الكلام من وجهين الأول فقال الدليل على أن الاعصاب

من جنس

من جنس العروق وجوه الأول أن الشرايين نابضة والاعصاب  
ليست نابضة الثاني أن الشرايين مجوفة والاعصاب ليست  
مجوفة إلا القليل والثالث أن الشرايين محتوية على الدم بدليل  
أنها إذا بقيت جلب ذلك الثقب على صاحبها من انفجار الدم  
أمر أصعب والاعصاب كله لا دم له والرابع أن الشرايين مؤلفة  
من طبقتين أحدهما نخل إلى الجزء ذاهبة في العرض على الاستدارة  
والآخر إلى نخل إلى آخرها يذهب على الاستقامة في الطول وأما العصبة  
فهي نخل إلى ليف أبيض عديم الدم ذاهب على الاستقامة في الطول  
والخامس أنك إذا شددت العصبة حصل عدم الحس والحركة  
الارادية ولا يبطل منه حركة النبض وإن شددت الشرايين  
بطل النبض ولم يبطل الحس والحركة والسادس أن العصب  
قديم يسكن عن فعله كثيراً والشرايين فعلها فعمل دائم فثبت  
بهذه الوجوه أن الشرايين ليست من جنس الاعصاب والثاني  
من الجواب عن هذا الكلام قال إن أصل الشرايين المتولد من  
القلب ينقسم إلى قسمين قسم يصعد إلى جانب الرأس وقسم  
ينزل إلى أسفل البدن والقسم النازل إلى الأسفل لا شك أنه  
ينقسم ويتفرق إلى العروق الرفاق ثم أنها بعد دقتها صارت  
اعصاباً فوجب أن يكون الحال كذلك في الشرايين الداخلة في  
الدماغ أجاب أصحاب أساطيل ليس فقالوا أما الجواب الأول



فهو ضعيف لان الصفات المذكورة للشرابين انما يكون باقية  
قبل نفوذها في جوهر الدماغ اما بعد نفوذها في جوهر الدماغ  
فلم قلتم بان هذه الصفات تبقى والذي يدل على ان الروح  
الدماغية لا تشك ان كان متولدا في القلب ثم ان تصاعد من  
القلب وبقي في الشبهة المتولدة تحت الدماغ مدة ثم ان ينفذ  
في الدماغ فيحدث له حال كونه في الدماغ احوال وصفات  
ما كانت حاصلة حين كان في القلب فلم لا يجوز ان يكون  
الحال في الشرابين كذلك وهو ان الصفات المذكورة للشرابين  
كانت حاصلة لها قبل نفوذها في جرم الدماغ اما بعد نفوذها  
في جرم الدماغ وتغيرها في الغاية اثر فيها جرم الدماغ وقبلها  
عن طباعها فصارت في الصورة والحلقة شيئا اخر فلهذا  
الاحتمالات لا تبطل بما ذكره جالينوس اما جوابه الثاني فهو ايضا  
ضعيف وذلك لان الروح القلبية كما صعد الى الرأس في الشرابين  
الصغيرة صعد الى اسفل البدن في الشرابين الصغيرة ثم ان الجزء  
تصاعد الى الرأس تغير عن حالته بسبب اختلاطه بجرم الدماغ  
والجزء النازل الى الاسفل لم يتغير عن حالته البتة فلم لا يجوز ان يكون  
الحال في اجرام الشرابين كذلك فهنا فهذا تمام الكلام على حجة  
جالينوس على ان الدماغ منبت العصب واجمع ارسطاطاليس  
على ان منبت العصب هو القلب فقال للحركة الارادية لا بد

وان يكون

وان يكون بالصلة قوتية والدماغ ليس لجرمه شيء من الصلابة  
والقوة واما القلب ففيه انواع من الصلابة منها ان لحمه قوي  
شديد صلب اصلب من سائر اللحوم ومنها ان فيه من الرباطات  
العصبية مقدارا كثيرا ومنها ان بسبب كثرة حركة لا بد وان يكون  
اقوى جرما واذا كان كذلك كان جعل القلب منبتا للاعصاب التي  
هي الآلات للحركات القوتية اولى من جعل الدماغ منبتا لها اجاب  
جالينوس عنه من وجهين الاول انه بنى كلامه على المقدمة  
القياسية والحسد على ان المنبت هو الدماغ والقياس المعارض  
للحس لا يلتفت اليه الثاني ان المتولى لتحريك الاعضاء ليس هو  
العصب فقط بل العصل والعضلات مركبة من الاعصاب والرباطات  
والاغشية واللحوم وهي مستبقة الى الاعضاء فالاعصاب بقيد  
الحس والقوة على الحركة واما ما يختلط بها من الرباطات والآلة  
فيقيد القوة والشد والامن من الانقطاع وعلى هذا التقدير  
لا يمنع كون الدماغ منبتا للاعصاب اجاب اصحاب ارسطاطاليس  
عن الاول بان الحس لم يدل على كثرة الاعصاب وقوتها عند الدماغ  
فقد بينا ان هذا القدر لا يدل على كون الدماغ منبتا للاعصاب  
واما الثاني فضعيف ايضا لان جالينوس استدل بلفظ العصب  
وكثرة على تولد منه وارسطاطاليس عارض هذا فقال  
ان كان هذا الوجه يدل على قولكم لكن كون الدماغ لنا والعصب



من يغليظ يمنع من تولد منه بل يكون العصب قويا صلبا مع  
 كون القلب قويا صلبا يدل على كون العصب نابتا من الدماغ  
 فسقط كلام جالينوس بالكلية النوع الثاني من الجواب <sup>شبهة</sup>  
 جالينوس سلمنا ان الدماغ منبث العصب الذي هو الاله الحس  
 والحركة ولكن لم قلنا ان يلزم من هذا كون الدماغ معدنا لقوة  
 الحس والحركة ببيان ان لا يبعد ان يكون قوة الحس والحركة من القلب  
 الا ان الدماغ توصل الى القلب الاله نابته منه يستعبد بتلك  
 الاله قوة الحس والحركة من القلب واذا كان هذا الصمم قائما  
 سقط كلام جالينوس بالكلية الحجة الثانية لجالينوس على ان  
 معدن القوة المدركة هو القلب وهذه الحجة احسن دلائله  
 انه لو كان قوة الحس والحركة الارادية ينفذ من القلب الى الدماغ  
 لكنا اذا سدنا على العصب مخطط سدا قويا وجب الابقى  
 الحس والحركة في الجانب الذي يلي القلب وان يبطل من الجانب  
 الذي يلي الراس لكن الامر بالصد فعلنا ان قوة الحس والحركة  
 يجري من الدماغ الى القلب ولا يجري من القلب الى الدماغ <sup>هنا</sup>  
الحجة لا يحتاج فيها الى المقدمات الكثيرة المذكورة في الحجة الاولى  
 لم لا يجوز ان يقال الروح القلبية يكون في غاية الحرارة فاذا كان  
 بينه وبين الدماغ منفذ مفتوح وصل تبريد الدماغ اليه فاعتدل  
 واستعد لقبول قوة الحس والحركة فاما اذا سد المنفذ انقطع عنه

تبريد الدماغ فلا جرم لم يبق مستعدا لقبول قوة الحس والحركة  
 فبطلت هذه القوة من الجانب الذي يلي القلب وانما لم يبطل من  
 الجانب الذي يلي الراس لان الشرايين في الدماغ كثيرة جدا وكلها  
 مودية اليه قوة الحس والحركة الحجة الثالثة لجالينوس قال  
 الحكماء والاطباء اتفقوا على ان الحامل لقوة الحس والحركة جسم  
 لطيف نافذ في الاعضاء هو الروح واذا كان كذلك فالدماغ  
 يكون مبداء لهذا الروح اولى من القلب وذلك لاننا نجد في الدماغ  
 مواضع خالية واما القلب فليس كذلك واما التجويف الامين  
 منه فملوا دما انما الشبهة في التجويف اليسر فانه يعتقد  
 انه مملوء من الروح قال جالينوس وليس الامر كذلك فان القلب  
 اذا كشف عنه وبرز من غير ان يثقب ويحرق اغشية بل تمت  
 الحيوانات بسبب ذلك حتى انه يمكنك ان يلبث مدة طويلة  
 تلمسه بيدك وتنظر اليه بعينك وهو مكشوف فتعرف كيف  
 ينبض ويعلم ان نبضه عند ذلك كما لم يزل ينبض قبل ان يكشف  
 عنه ولكن بشرط ان يقع هذا التشریح في موضع لا يكون هواه  
 باردا لئلا يبرد القلب فانه لو برد صار النبض حينئذ ضعيفا  
 بطيئا متفاوتا اذا عرف هذا فنقول اذا ثقبنا التجويف اليسر  
 في هذه الحالة سال في الحال دم ولو كان هذا التجويف مملوءا وحا  
 لوجب ان لا يسيل منه دم البتة ولو كان هذا التجويف في بعضه



روح وفي بعضه دم لوجب ان يخرج الروح اولا ثم يسيل الدم  
بعده فكان يجب ان لا يسيل الدم في الحال على هذا التقدير فلما  
سأل الدم في الحال علمنا ان التجويف الايسر مملوء من الدم وايضا  
الحويان الذي مات نجد في التجويف الايسر من تجويفي قلبه علق  
الدم واما الدماغ فان جرمه مورد فلا يمنع ان يحصل في تلك  
العصون اجزاء الروح للجواب ان هذه الحجة في غاية الضعف  
وذلك لان هذا الكلام ان صح فهو يقتضي ان لا يكون في القلب  
روح اصلا وجالينوس في كون القلب معدن الارواح الحيوانية  
وسلم ان روح الحيوان يصعد من القلب ويصير هناك  
روحا نفسانيا للحجة الرابعة ان العقل اشرف القوى فيكون  
مكانه اشرف واشرف الامكنة اعلاها فوجب ان يكون مكان العقل  
هو الدماغ وهو بمنزلة الملك العظيم الذي يسكن القصر العالي  
وايضا الحواس محيطة بالرأس كلها خدوم الدماغ واقفة حوله  
على مراتبها وايضا محل الرأس من البدن محل السماء من العالم  
فكما ان السماء منزل الروحانيات فكذلك الدماغ وجب ان يكون  
مسكنا للعقل الجواب ان ما ذكرناه من البراهين لا يعارضه  
هذه الاحتمالات والافتعالات وهذا اخر الكلام المنقح في  
هذه المسئلة وكنت قد طالعت كتاب ابقراط وافلاطون وهو  
كتاب طويل والمقصود منه هذه المسئلة فتعبت في انتخابه

ونصحت اليه شيئا كثيرا من العقولات ثم خفت من ان تضيق ذلك  
من فكتبت في هذا المكان المسئلة الثانية في شرح احوال القلب  
والذي يدل على شرف القلب وجوه الاول ان المقصود من خلق  
الانسان الشغف بالمعرفة الله وخدمته وذلك لانه تعالى قال وما  
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين ان المقصود من الخلق  
هو العبادة ثم قال في اية اخرى المقصود من العبادة هو المعرفة  
اما المعرفة فلعوله تعالى موسى عليه السلام واقم الصلوة لذكرى  
واما الاخلاص فلعوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له  
الدين فظهر ان لب القلب ومقصود المقصود انما هو معرفة الله  
ثم انك قد عرفت ان محل هذه المعرفة هو القلب فحينئذ ظهر  
ان المقصود من خلق العالم هو القلب للحجة الثانية انه ثبت  
في الروايات ان اول ما خلق الله جوهره ثم نظر اليها بعين  
الهيبة فصارت ملائمة سبط الحرارة عليها فارتفع زبد وعلاه  
دخان فخلق الارض من الزبد والسموات من الدخان فنقول  
انه تعالى خلق تلك الجوهرة شيئا واحدا وسيله من العدم الى الوجود  
وكل ما وجد من المخلوقات فهو سلاله المعدومات ثم سل من  
ذلك المخلوق الارض لانه قال كانتا دقا ففتقناهما وهذا هو  
السلالة الثانية ثم سل من الارض قمضة آدم كما قال ولقد  
خلقنا الانسان من سلالة من طين وهذا هو السلالة الثالثة



ثم سئل من حصل آدم قلبه فكان هذا هو السلالة الرابعة ثم  
جعل القلب سرير المعرفة فظهر تلك الحكمة المطلوبة في اربع السلال  
ليعلم انه الشئ المعظم من جميع المخلوقات وعند هذا ظهر ان الانسا  
منقسم الى قسمين الى الهيكل الظاهر والى المصنفة الباطنة وهو  
القلب الذي هو سرير المعرفة والقلب تبع للهيكل الظاهر في الصور  
والهيكل الظاهر تبع للقلب في المعنى ولما جعل الهيكل الظاهر تبعا  
للمصنفة الباطنة علم انك ما خلقت لاجل الظاهر بل لاجل ان يطلب  
من هذا الظاهر باطنا ومن هذا الشاهد غايبا ومن هذا المحسوس  
معقولا فظهر بما ذكرنا ان المقصود الصلي هو القلب وحضنه هو  
كل البدن وحصن البدن هو كل الارض وحصن الارض هو كل  
السموات وحصن السموات عالم الممكنات وكل مستخر في قبضة قدرته  
ونفاذ آلهيته اذ اعرفت هذا فنقول القلب له في القران اسمان  
احدهما القلب والثاني الفؤاد قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان لهم  
قلوب لا يفقهون بها وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك  
كان عنه مسئولا وقال واقتد بهم هواء وقال نار الله الموقدة  
التي تطلع على الافئدة ثم نقول يحتمل ان يكون الفؤاد اسما لجميع  
هذه المصنفة والقلب يكون اسما لجزء مخصوص منه نسبة الى  
كل هذه المصنفة كنسبة العين الى الهيكل الظاهر والشئ لا يكون  
اسما للشئ الذي يكون نسبة الى عين هذه المصنفة كنسبة النقطة

الظاهر الى العين وتلك النقطة هي المسماة بسويداء القلب فمن  
التسويداء بالنسبة الى العين الباطنة لسواد العين بالنسبة الى  
العين الظاهرة والسبب في ان الابصار الظاهر يحصل بالسواد  
البصيرة الباطنة يحصل بالتسويداء وجهان الاول وهو ان الابصار  
يجري مجرى النور والسواد من جنس الظلمة فالسواد والابصار  
كالمضادين واطها واحد الصدين من الخراد لعل القدرة والحكمة  
التان ان يكون الانتهاء على وفق الابداء فكما ان في الابداء  
يظهر نور الوجود من ظلمات العدم بايجاد الحق سبحانه فكذلك  
في الانتهاء ظهر نور البصر والبصيرة من ظلمات سواد العين  
وسويداء القلب ليكون المبدأ والغاية دالتين بقرائن الاحوال  
وشواهد المقال على تحقيق قوله فائق الاصباح وعند هذا ظهر  
ترتيب عجيب للظاهر والباطن اما الظاهر فاولة الهيكل الظاهر  
ثم العين ثم النقطة الناطقة ثم النور الباهر الموجود في النقطة  
الناطقة واما الباطن فالفؤاد هم لهم لقيام هذه المصنفة  
ثم القلب ثم النقطة الناطقة وهي سويداء القلب ثم نور البصر  
اذ اعرفت هذا فنقول ان الابصار في عالم الظاهر يتوقف  
على شرايط وتلك الشرايط بعينها معتبرة في ادراك البصيرة  
الشرط الاول للابصار ان لا يكون المبصر في غاية الجلاء ولا  
في غاية الخفاء فاما الذي في غاية الجلاء فكما الشمس فان العين



يتجبر فيها ولا يقدر على ابصارها بالتمام والحكم والكمال وأما  
 الذي في غاية الخفاء فكذلك الذرة فكذلك العقل مدرجات في غاية  
 الجلالة والعظمة ومدركات ابصارها بالتمام والكمال وأما التي  
 في غاية درهي مدرجات في غاية الخفاء والصغر أما الأشياء التي  
 هي في غاية الجلال والاشراف فهو جلال الله وكبرياؤه وتليه  
 عظمة الارواح العالية المقدسة فنور سويده القلب بحرق  
 في هذه الحفرة فلا يصل اليها واليه الاشارة بقوله من قال سبحان  
 من احبب عن العقول بشدة ظهور واخفى عنها بكمال نوره  
 وأما الذي في غاية الخفاء فكذلك تفاصيل الاحوال وجريان المحدثات  
 أما تفاصيل الاحوال فقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فان النطفة  
 من حين ما يقع في الرحم الى ان ينفصل الجنين لها في كل لحظة  
 حالة وفي كل لحظة صفة الا ان التفاوت بين كل لحظتين مما لا يصل  
 اليه عقول البشر وأما جريان المحدثات فهو ان تامل ما ذكر من  
 الحيوانات الانعام فقال والانعام خلقها لكم فيها ذكركم  
 بعدد والخيول والبغال والحمير لتربوها وزيينة ويخلق ما لا تعلمون  
 والمفصّل انه لا يمكنكم ان تحيطوا علمًا بتفاصيل جميع الحيوانات  
 لكثرة واختلاف احوالها وبالجمل فالعقول قاصرة عن معرفة  
 الاوائل والاواخر ونظير ان العقول متغيرة في مبداء الخلق  
 والايجاد وفي منتهى الاعدام والافناء بل العقول لا يسيل لها

الى معرفة الاول والابد فان كل ما يستحضر في ذهنه يكون متوسطا  
 بين الاول والابد ولو انه بقي الى قيام القيامة يتقدم الى ما قبل  
 ويتأخر الى ما بعد لم ير نفسه الا المتوسط بين الاول ويرى  
 حقيقة الاول والابد منزّهة عن لواحق الانظار وعلايق  
 الافكار وتمام هذا الكلام سيأتي في باب الصفات في تفسير  
 العدم والبقاء وشرح كونه اولا واخر الشرط الثالث ان المبصر  
 اذا كان حاضرا فلما لم يحرك الانسان حقيقة من جانب الى جانب  
 بحركات كثيرة فانه لا يرى المبصر فكذلك الفؤاد ما لم يحرك عينه  
 من معقول لا يتمكن من ابصار المطلوب وفلك الحركات هي  
 المستمارة بالفكر والروية والنظر وكما ان نظر العين عبارة عن  
 تقليب الحديقة من جهة الى جهة طلبا للروية المرئية فكذلك نظر القلب  
 عبارة عن تقليب الحديقة من جانب الى جانب طلبا لادراك  
 المعقول والشرط الثالث ان القوة الباهرة لا يمكنها ادراك  
 المبصرات الا عند صيرورة الهواء مضيئا بسبب طلوع الاشياء  
 النيرة فكذلك العقل لا يقدر على الابصار الا عند طلوع الاشياء  
 النيرة ثم نيرات العالم الجسماني اربعة الشمس والقمر والكوكب  
 والنار واعظمها الشمس ثم القمر والكوكب ثم النار فكذلك  
 نيرات العالم الروحاني اربعة اولها نور جلال الله كما قال  
 واشرق من الارض بنور ربها وهي بمنزلة الشمس وكما لا يستطيع



ابصار الخفافيش مطالعة قرص الشمس فكذلك لا يستطيع ابصار  
الارواح البشرية مطالعة نور الجلال وهذه المرتبة بمنزلة الشمس  
والمرتبة الثانية الارواح العلوية والروحانية والكروبية كما قال  
ينزل الملائكة والروح من امره على من يشاء من عباده وقال  
نزل به الروح الامين على قلبك واكابر الانبياء والمرسلين  
هم الذين يطبقون مطالعة هذه الانوار وقال في واقعة موسى  
وانه هورت الشرى وقال في واقعة الخليل فلما اجن عليه  
الليل راي كوكبا وهذه المرتبة بمنزلة القمر فكما ان القمر تارة  
تكون بدر ابيض العالم اضاءة كاملة وتارة تكون هلالا لا ريقا  
يظهر قليلا ثم تختفي فكذلك الارواح العلوية قد يكون عظم  
الاضاءة والانارة كقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادة  
وقوله ويستغفرون الذين امنوا وتارة تكون كالهلال الضعيف  
وهو قوله ولم من ملك في السموات لا يغني شفاعتهم شيئا والمرتبة  
الثالثة انوار الارواح السفلية وهم الصديقون الملائمون  
لعتبة الجلال المعتكفون في حظائر قدس الله استنارت  
ادواهم فاناروا ارواح غيرهم وهذه المرتبة بمنزلة الكواكب  
وكما ان الكوكب في العظم الاول قد يكون درية متلالية كما قال  
كانها كوكب دري تو قد من شجرة مباركة وقد يكون ضعيفة  
جدا كالشهي وامثاله فكذلك الارواح السفلية منها ما يكون

قوة ومراتبها اربعة الاول الذين يكونون في العظم الاول  
وهي روح الخليل والكليم والحبيب فان ارواح الخلق يهتدي  
بانوار هذه الارواح السفلية لانها قدسية قريبة الدرجة من  
الارواح العلوية ولهذا قال قد جاءكم من الله نور وكتاب  
مبين وكان الفائدة في الكواكب هي قوله وعلامات وبالنجيم  
هم يهتدون فكذلك دعوة الانبياء عليهم السلام اعلام نورانية  
يهتدي بها في ظلمات الشهوات وبحر الضلالات والشبهات  
كما قال وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذي  
له ما في السموات وما في الارض وثانيها الذين يكونون في العظم  
الثاني وهو ارواح اولوا العزم كما قال فاصبر كما صبر اولوا العزم  
من الرسل وثالثها ارواح المرسلين وهم ثلثمائة وثلاثة عشر  
وهؤلاء هم الذين يكونون في العظم الثالث من الكواكب  
ورابعها ارواح حملة الانبياء وهم كما يقال مائة الف واقعة  
وعشرون الفا وهؤلاء هم الذين يكونون في المرتبة العظم  
الرابع من الكواكب ثم بعد هذا مراتب المؤمنين وهي ثلثة  
السابقون والمقتصدون والظالمون كما قال فمنهم ظالم  
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله  
فالسابقون هم الاولياء كما قال الا ان اولياء الله لا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون والمقتصدون هم العلماء كما قال لعلماء الذين



يستبطنونه منهم والظالمون هم العوام لكل واحد من هذه الارواح  
 اثر ونور واذا اتصلت صارت كالمرآة المنحاذية فينعكس  
 انوار بعضها الى البعض فيصير كل واحد منها متكاملة للآخر من قو  
 ومستكملة من وجه ولهذا السبب كان احد مقامات الصديقين  
 الحب في الله والمرتبة الرابعة من مراتب العالم الروحاني  
 العقل ومرتبته مرتبة النار في عالم الجسمانيات واعلم ان  
 نور العقل له عيوب كثيرة كما ان نور النار له عيوب كثيرة  
 فلا اول ان نور النار محموج بدخان كثيرة السواد يسود  
 الثوب ويجفف نور الدماغ فكذا نور العقل محموج بدخان  
 الشبه وذلك الدخان تارة يسود ثوب العبودية ويلطخه  
 التشبيه والتعطيل واخرى يجفف الدماغ البشرية فيلقه  
 صاحبه في وهم الحلول والاتحاد والثاني ان نور السراج فيه  
 اشراق وفيه احراق فكذا نور العقل فيه احراق وفيه اشراق  
 اما اشراقه فهو التفكير في غير الله استدلاله على جلال عظمة  
 الله واما احراقه فهو التفكير في جلال الله فلهذا السبب قال  
 عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق والثاني  
 ان نور السراج ينطفئ بادي ريح فكذا نور سراج العقل  
 ينطفئ بادي شهوة فلهذا السبب قال المجد عليه السلام  
 ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا

وقال الخليل عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف  
 عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال سليمان  
 عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال  
 الحكيم عليه السلام رب اشرح لي صدري وقال عيسى عليه السلام  
 ربنا انزل علينا مائدة من السماء وتلك المائدة مائدة الهداية  
 والمعرفة والرابع ان السراج انما يضيئ اذا وضع في بيت صغير  
 فاما اذا وضع في صحراء واسعة فانه يقل صنوه فكذا سراج  
 العقل انما يظهر اذا وضع نوره في بيت البدن كما قال وفي افئكم  
 افلا تبصرون فانه هذا البيت بيت صغير مختصر لا ترى  
 ان سراج العقل لما وضع في ميدان الارواح انطفى ولم يظهر  
 له لمعان وشروق كما قال ويسئلونك عن الروح قل الروح  
 من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كان حاله  
 في ميدان الارواح كذلك فاعرف كيف يكون حاله في صحراء  
 جلال الانوار القدسية وفضله كالالسرار الالهية التي تقدر  
 عن ان يكون لها بداية ونهاية او مقطع وغاية الخامس  
 ظهور نور السراج مشروط بان يكون بينه وبين قرص  
 الشمس حائل اما اذا وضع في مقابلة قرص الشمس انطفى فكذلك  
 العقل انما يضيئ فيما وراء حجب الغيب وعالم انوار القدسية  
 فاما اذا ازيل الحجاب وتجلت الانوار انطفى نور العقل ولهذا



قال موسى عليه السلام فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى  
فقله فاخلع نعليك إشارة الى تلاشي قوة العقل واضمحلالها  
وقوله انك بالواد المقدس طوى إشارة الى تجلي لمعان انوار  
العظمة والكبرياء السادس ان نور السراج وان طال بقاؤه  
ولكنه بالآخرة ينطفئ وان استمر لكن اذا طلع الشمس يبطل  
ظهوره لاحماله فكذلك نور سراج العقل اما ان ينطفئ بطربان  
الفغلات والشهوات وان بقي الى اخر الامر لكنه اذا انقضى  
ليل الحيوه الدنياوية وتجلي نهار عالم الآخرة وانكشف  
الرائث وتجلت الضامير لم يبق لسراج العقل نور ولا قوة البتة  
فهذا هو شرح نيران عالم الروحانيات الشرط الرابع  
لابصار القلب انه كما ان انتفاع البصر بنيران عالم الجسمانيات  
يتوقف على امور فكذلك انتفاع البصيرة بنيران عالم الروحانيات  
يتوقف على مثل تلك الامور وبما انه وهو ان ابصار الأشياء  
ورؤيتها تختلف بالكمال والنقص فمارة يرى الانسان اشياء  
رؤية تامة وتارة يراه رؤية ناقصة وسبب التفاوت اما ان يكون  
عايدا الى ذات وقوة البصيرة او الى امور خارجة عنها فكذلك  
ادراكات البصيرة قد تختلف بالكمال والنقص وذلك التفاوت  
قد يكون بسبب عايد الى ذات البصيرة وقد يكون بسبب امور خارجة عنها  
اما العايد الى ذات البصيرة فهو على وجهين الاول اختلاف جواهر

الارواح قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وال ابراهيم  
وال عمران على العالمين وهذا يدل على ان ارواح هذه الشبهة  
من معشر البشر وجنس الانس مخصوصة بمزيد القوة والجلالة  
والرفعة فتارة يظهر آثار تلك القوة بالنبوة وتارة بالخلقة  
فقال في صفة عيسى عم فنحن فيها من روحنا وقال في صفة  
محمد عم علمه شديد القوى ثم ترقى في تعليم الملك الى تعليم  
الملك فقال الرحمن علم القرآن ثم انتقل من خطاب الغيبة  
الى خطاب الحضور فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وقال تعالى  
في حق جميع الانبياء عليهم السلام على العموم الله اعلم حيث يجعل  
رسالاته فقال عم الارواح جنود مجندة فقال عم للامة  
من قرئش وهو إشارة الى اختصاص هذه الشبهة بمزيد قوة  
نفسانية وروحانية فلما لم يظهر اثر تلك القوة بالنبوة بعد محمد  
فلا بد من ظهور آثارها بقوة الخلافة والرياسة وكل ذلك  
يدل على اختلاف الارواح في ماهيتها فمنها ما يكون في غاية  
الجلالة والقوة ومنها ما يكون في غاية النذالة والذنابة  
ومثاله في عالم الجسمانيات الابصار ففيها ما يكون في غاية  
القوة كزرقا اليمامة ومنها ما يكون في غاية الضعف وهذا  
الاستعداد الذاتي لا سبيل البتة الى تبديله والثاني اختلاف  
جواهر الارواح بسبب صفات العرضية التي يقبل العلاج

فما تعارف منها ائتلف  
وما تناكر منها اختلف



ومثاله في الجسمانيات انه قد يكون بصيرا اضعف من بصير  
للاجل الخلقة الاصلية بل بسبب وقد عرض له فاورث ضعفه  
او بسبب انه استعمل كحلا قويا فافاده ذلك لكل في تلك  
الساعة زيادة قوة فكذلك الارواح ربما تعرض لها عارض  
فيحصل نوع من الكلال بسبب ذلك العارض واليه الإشارة  
بقوله عم وانه ليغان على قلبي وهذا النوع من التفاوت  
قد يطري ويرزول واما التفاوت الى اصل بسبب الامور الخارجية  
فهو انواع السبب الاول الاشتغال بغير الله في عالم المحسوسات  
ان من شغل حرقته بالنظر الى شيء كان نظره اليه مانعا  
من ابصار غيره ثم كل ما كان التحديق الى الاول اشد واكمل  
كان للمؤمن ابصار التلذذ اشد واكمل فكذلك في عالم الروحانيات  
على هذا القياس كلما كان اشتغال القلب بغير الله اشد واكمل  
كان حرمانه عن الاطلاع على انوار جلال الله اشد واكمل  
ولهذا المعنى حكم الله تعالى بموتوع المنافاة بين الامرين فقال  
كَلَّا بَلْ يَحِبُّونَ الْفَاحِشَةَ وَتَذَرُونَ الْآفَةَ وَفِي آيَةِ أُخْرَى وَتَحِبُّونَ  
الْمَالَ حُبًّا جَمًّا وَقَالَ وَانْزِلْ لَنَا زَيْتًا وَلَنَا  
حُبَّ الشَّهَادَاتِ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ  
ثُمَّ اِذَا انْصَفْنَا عَلِمْنَا اَنَّهُ كَالْمَعْذُورِينَ فِي حُبِّ الدُّنْيَا  
وَكَيْفَ لَا نَحِبُّهَا وَنَحْنُ اِنَّمَا خُلِقْنَا مِنْهَا وَانَّمَا ارْتَضَعْنَا مِنْ شَرِّهَا

٢٢٨  
وطعامها وانما ترتبنا على ظهورها وانما الفنا شاهدنا  
اصولها ولو اتفق لبعض الخلق على سبيل الذرة اطلاق على شيء  
من الروحانيات فذلك انما يكون بعد استحكام الالف بالدنيا  
فمع هذه الاسباب القوية كيف ينفك قلب الانسان عن محبة الدنيا  
اليس انه عليه السلام قال جبلت القلوب على حب من احسن  
اليها وبغض من اساء اليها فانظر الى الدنيا كم انتفعنا بطعامها  
وشربها وانهارها واشجارها ولذاتها وطيناتها واذا كان  
كذلك فلا محالة يكون مجبولون على حبها اذا عرفت هذا فنقول  
كل من احب شيئا نظر اليه بكل عينيه ومن نظر الى شيء بكل عينيه  
لم ير غيره وايضا اذا كنت محبا لشيء عميت عن رؤية معاييه  
وصرت مشتغلا بروية محاسنه وفضائله وايضا اذا احتكمت  
تلك المحبة امتلاء القلب منها والطرف اذا امتلاء من شيء  
لم يتسع لغيره فهذه قلوب لا يدخل فيها محبة الله تعالى واليه الإشارة  
بقوله كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَقَالَ صَبِّحْكُمْ  
عَمَى مِنْهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَذَلِكَ لَانَّهُ كَانَ قُلُوبُهُمْ مَلُوءَةً مِنْ حُبِّ  
الدُّنْيَا فَمَا كَانُوا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَرُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ  
ثُمَّ اِنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ كُلَّمَا كَانَ دَوَامُهَا أَكْثَرَ كَانَ اسْتِحْكَامُهَا أَشَدَّ  
وهو مرض القلب كما قال تعالى في قلوبهم مرض والمرضى كما لم يكن  
مستحي كما فانه يرجى علاجه فاذا استحكمت وصار لا يقبل العلاج



قرب من الموت واليه الميثارة بقوله انك لا تهدي من احببت  
 ويقولون ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم  
 لا يؤمنون وعند هذا يظهر ان الكل منه وان الخير والشر  
 بقضائه وقدره وهما سوالات السؤال الاول اذا  
 استحکم مرض الجسم بحيث لا يرجي علاجه سقط الخطاب واذا  
 استحکم مرض القلب فلم لا يسقط الخطاب الجواب عدم سقوط  
 الخطاب في هذه الحالة انما كان حتى يعلم الانسان قبل انتهائه  
 في هذه الحالة انه لو لم يشتغل بالعلاج قبل الانتهاء الى هذه  
 الحالة وانه سينتهي الى هذه الحالة وعند انتهائه الى هذه  
 الحالة لا يمكن العلاج ولا يسقط ايضا عنه الخطاب فلا جرم  
 لاجل الخوف من هذه الحالة يشتغل بالتوبة والعلاج قبل الانتهاء  
 الى هذه الحالة ثم ان هذه المرتبة لما لم يكن محدودة وكان هذا  
 الخوف حاصلًا عند الاقدام على كل مكان ذنبا فكانت القوة  
 حاصلة عن جميع الذنوب السؤال الثاني انكم ذكرتم انما يجزى  
 عا حبه الدنيا وذكرتم ان حبه الدنيا يورث الاعراض عن  
 الآخرة ثم انما مع ذلك امرنا ببغض الدنيا وحبه الآخرة فكيف  
 يجمع هذا مع قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الجواب قد ظهر  
 منه ان العبد لا قدرة له على الوفاء بهذه الطاعة الا بفضل  
 المولى واعانة والابان يجذب من التوكل في حبه الدنيا

الى حب المولى فلهذا السبب امر الله تعالى ان يقول كل يوم مرات  
 اياك نعبد واياك نستعين وجاء في الاخبار المتواترة فضل عظيم  
 في قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم السؤال الثالث  
 اليس ان الدنيا ام حاضرة فما السبب في ان اوجب الله بغضها  
 للجواب ان حبها مانع عن حب الله تعالى وهذا كما انه فرض  
 بغض الابوين الكافرين وعصيانها عند دعوتها الولد الى الكفر  
 قال وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تقم  
السؤال الرابع ما علامة رجحان حب المولى على حب الدنيا  
 الجواب ترجيح المحبة على المحبة انما يظهر باحد امرين احدهما  
 قدر الحزن عند الفوات والثاني قدر السرور عند الوجود ان  
 واعلم انه ما لم يترجح حب الله تعالى على حب الدنيا فلا ايمان  
 واذا حصل الرجحان فلا يطلب الايمان الا عند زوال المعارض  
 من كل الوجوه وعلامة ذلك ان لا يخطر الدنيا ببالي الا عند  
 الحاجة اليها كانتا شربة ماء او مدرة استنجاء السبب الثاني  
 لحصول التفاوت في هذه الانوار الروحانية طيب الغذاء  
 وخبيثه قال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال تعالى ويحرم  
 عليهم الحبايب والسبب فيه ان الغذاء يصير جزءا من البدن  
 ومن القلب ولا شك ان الذي يصير جزءا من الشيء يختلف حال  
 ذلك الشيء بسبب اختلاف هذا الذي يصير جزءا له فالبس



ان طينته بالطين الكدر جاء كدرا وان طينته بالجنس الابيض جاء  
صافيا نورانيا واذا اختلف حال البدن باختلاف حال الاغذية  
لاجرم يختلف احوال تلك الانوار بسبب اختلاف احوال البدن  
الارتي ان الماء الصافي يكون لونه لون الظرف والقارورة ثبت  
ان طيب الغذاء وخبثه سبب لاختلاف احوال الانوار  
الروحانية السبب الثالث الامكنة والازمنة اما الامكنة  
فلقولهم تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقال  
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله واما الازمنة  
فقال تعالى في ايام محضات وهذا يدل على انها اذا كان ايام رحمة  
كانت متصفة بالسعود اى يسعد فيها كل من اقدم على عمل  
من الاعمال ومن كلام اهل التصوف الوقت سيف قاطع ولا ريب  
القلوب في هذه الكلمة كلمات والذي يميل اليه قلبه انه تعالى عتيق  
كل وقت بمحادث مضار تلك الوقت مربوطا بذلك الحادث برابطة  
الشيئية الازلية الذي لا يمكن دفعه وابطاله فاذا جاء ذلك الوقت  
جاء معه ذلك الحادث فكما ان السيف قاطع فالوقت بما يمضيه  
الحق ويجري به غالب فاذا كان الوقت الذي فيه يفتح الله رحمة  
متأخر فلا ينفع الجهد والجهاد في الزمان المتقدم وسمعت بعض  
المتأخرين قال بعث الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير رحمه الله واحدا  
الى النهر ليحجبه بماء يتوضأ وكان يبطل في الرجوع فقال الشيخ

ذلك

ذلك الماء الذي يمكننا ان نتوضأ به بعد ما خرج من النهر  
السبب الرابع وهو الاقوى الجذبة العلوية والهداية الالهية  
ولا يتم جميع الاسباب الا بهذا المعنى قال الله تعالى الله يجتبي اليه  
من يشاء وليهدي اليه من يشاء وقال والذين جاهدوا فينا  
لنهديهم سبلنا وقال ان من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور  
من ربه فهذه الاحوال المشار الى مبداء هذه الدرجة واما وسطها  
فهو قوله ففرقوا الى الله ونهايتها قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم  
يلعبون وايضا الى قوله الاشارة بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به  
والى وسطه الاشارة بقوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا والى اخره  
الاشارة بقوله انت مولانا ثم اذا وصل القلب الى هذه الحالة  
صار القلب في عالم القلوب كالشمس في عالم الافلاك فعند هذا  
يبقى مستحرة في انوار عالم الجلال كما قال والشمس والقمر والجوهر  
مسخرات بامرهم ثم صار هذه الروح ينبوع الفيض الانوار  
على اسرار الارواح كما قال واما ان كان من اصحاب اليمين  
وبعد هذا درجات لا يصل اليها الخيال ولا يعبر عنها المقال  
ومن اراد ان يعرف فليستدرك الى ان يصير من الواصلين الى العين  
لا من التامعين للآثار الشرط الخامس من الابصار اعلم  
ان الجنين حين ما يكون في رحم الام في اول ما يخلق الله عينيه  
يكون الجفنان ملتصقين ثم بعد زمان بفضل الله رفع احد الجفنين



عن الآخر اذا اجفنا ان يكونان منطبقين فاذا انفصل عن بطن الام  
انفتح العينين في بعض الاوقات الا انه في اكثر الاوقات يغضهما  
ويكون نائما وعند فتح العينين في بعض الاوقات يكون جاهلا بانه  
والام مع ذلك تراعى مصالحه وبعده وعلما بانه ما جاءه او ان  
قدرته على التمييز بين الحسن والمسيء ثم لا يزال الطفل ينظر اليها  
الى ان يميز بين الام وبين غيرها ثم اذا واطب على النظر الف النظر  
والابصار حتى يصير بحيث لا يمكنه ان لا ينظر الى شيء اذا عرفت هذه  
المراتب في العين الظاهرة فاعرف مثلها في العين الباطنة ففي اول  
الامر يكون عين القلب منطبقا ثم ينفتح ولكنه لا يقدر على ان يميز  
به بين الخير والشر ثم لا يزال ينظر بعين عقله الى ان يصير بحيث  
يدرك الفرق بين الحسن وبين المسيء فيعرف ان الحسن هو الحق  
وان ما سواه فهو سبب للفر ثم اذا واطب على هذا النظر صار بحيث  
لا يمكنه ان يصبر عن نظر العقل وكما ان الام تقدر الطفل في اول  
عمره عن التمييز بينها وبين غيرها فكذا الحق ههنا تقدر على الانسان  
في اول عمره ان يعرف ربه وذلك سن ما قبل البلوغ ثم اذا واطب  
عن النظر في افعال الله واثار حكمته في مخلوقاته فانه حصل له عشق  
ومحبة مع هذا النظر فلا يرى شيئا بعقله الا وينقل منه الى مبداه  
وغاياته اما المبدأ فهو قدرة الحق واما الغاية فهي حكمه الحق فيصير  
بحيث لا يرى شيئا الا ويرى الله بعده وحينئذ يستنير السر

كما يستنير القمر بمقابلة الشمس والقلب في هذا المقام قد استلذ  
النظر والذوق فلا جرم ابدأ يقرب الفؤاد والقلب حدقه في منظور  
الى منظور وقد كان للقلب عين واحدة واما الآن فقد صارت  
كل ذرة من ذرات المبدعات والكائنات عينا للقلب وذلك  
لان العالم كله يصير مرآة للقلب والمرآت للعين بمنزلة بصر زائد  
فانه يراها ما لا يراه بدونها فعند ذلك يصير كل ذرة من ذرات  
الممكنات عينا له والعين ينبوع النور فيصير كل العالم ينبوع النور  
في حقه واذا اتصلت انوار العالم به صار كله نورا قال تعالى في صفة  
هو لا يدري نورهم بين ايديهم وبأيمانهم وفي الحديث ان اهل  
الجنة ليرون اهل عليين كما يرون الكوكب في السماء وان ابا بكر  
وعمر منهما وبالله التوفيق اللهم اجعلنا منهم بفضلك وبرحمتك  
واحسانك **الباب الرابع** في الاستدلال باحوال الحيوان  
على وجود الصانع الحكيم وفيه فصول في الاستدلال الكلي باحوال  
الحيوان انا وقبل الخوض في المقصود لابد من الاشارة الى تقييد الحيوان  
فنقول اعلم ان الحيوانات التي يطير في الهواء احوالها الطيور والثالث  
الحشرات والفرق بين القسمين ان كل حيوان صغير الحشرة ليس  
عظم ولا ريش فهو من الحشرات وما كان له عظم وريش وهو  
من الطيور اذا عرفت هذا فنقول اقسام الحيوانات اقسام خمسة  
قسمان منها حيوانات الهواء والقسم الثالث حيوانات الماء



والقسم الرابع حيوانات وجه الارض كالبهايم والسباع والقسم  
الخامس حيوانات تحت الارض وهي الحشرات والحيات والخنافس  
والديدان واشباهها واعلم ان حيوانات الماء اعظم الحيوانات  
وهي ايضا اصغرها والمراد منه انه يوجد في حيوانات الماء  
ما يكون في العظم فوق جميع الحيوانات ويوجد ايضا فيه ما يكون  
اصغر من جميع الحيوانات واما حيوانات وجه الارض فهي دون  
حيوانات الماء في العظم وبين حيوانات وجه الارض وحيوانات  
الارض في حيوانات الهواء فانها اصغر حبة من حيوانات وجه الارض  
واخر المراتب في الصغر لحيوانات المولدة في داخل الارض فهذا  
هو ضبط هذه الاقسام ثم نقول اعلم انه تعالى استدل بخلقة  
الحيوانات على وجود الصانع الحكيم تارة محجلا وتارة مفصلا  
واما المفصل فسيأتي شرحه في فصول الآتية واما المحجّل فقال  
في سورة البقرة والحمد لله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ثم ذكر  
عقبيه مما يدل على وجود الصانع الحكيم ثمانية انواع من الدلائل  
فقال ان في خلق السموات والارض وهما دليلان ثم قال واختلاف  
الليل والنهار وهو الدليل الثالث ثم قال والفلك الذي تجري  
في الجوهري ينفع الناس وهو الدليل الخامس الرابع ثم قال وما انزل  
الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وهو الدليل السادس  
ثم قال وبث فيها من كل دابة وهو الدليل السابع ثم قال

وتقريب

وتقريب الرياح وهو الدليل السابع ثم قال والسحاب المنحدر من  
السماء والارض وهو الدليل الثامن ثم لما ذكر هذه الدلائل الثمانية  
مدح المتفكرين والمندبرين والمنأملين فيها فقال لايات لقوم  
يعقلون والمقصود انه تعالى اخرج بخلقة الحيوانات المختلفة على وجود  
الصانع الحكيم وهو قوله وبث فيها من كل دابة ولما كان الامر كذلك  
وجب علينا ان نبحث عن وجود دلالة هذا الدليل فنقول الاختلاف  
في ابدان الحيوانات وفي صفاتها ظاهرة ونحن نشير الى بعضها ثم  
نستدل بها على وجود الصانع الحكيم واعلم ان الاختلاف بين الحيوانات  
حاصل من وجود المحيط بها علم البشر الا انا نشير الى بعض تلك الوجوه  
فالاول الاختلاف الحاصل في صورها واشكالها فاحدها الاختلاف  
الحاصل في الجردة الظاهرة وذلك لان بعضها كالسحفاة يحيط  
به صدق وبعضها كالسمك على جلدة فليس وبعضها على جلدة شوك  
كالقنفذ وبعضها على ظاهر ريش وجناح كالطير وبعضها على ظاهر  
مشعور ووبر وصوف كالبهايم والانعام والسباع وبعضها  
يكون عاريا عن كل ذلك كالانسان وثانيها الاختلاف في الالوان  
والاشكال فمنه ما يكون ملونا بلون واحد وهو الانسان ومنها ما يكون  
ملونا بلونين كالفرس الابلق ومنه ما يكون ملونا بالوان كثيرة عجبة  
حسنة كالطاووس وثالثها الاختلاف في الاصوات فمنه ما هو صوت  
ومنه ما لا صوت له والمصوت منه ما هو طيب الصوت كالغديب



وما هو قبيح كالحمار قال الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمار وبها  
 قد يكون صغير الجنة عظيم العين كالبعوض وقد يكون كبير الجنة  
 صغير العين كالعقاب وقد يكون عينيهِ سحر سريع التغير من الضوء  
 كالحفاش وقد يكون بخلاف ذلك كالحطاف وخامسها ما يمشي على بطنه  
 كالحية ومنها ما له رجل اما رجلان كالطيور والادمي واما اربع كالبهائم  
 والسباع واما ارجل كثيرة ستة او ثمانية وكل طائر ذو جناح  
 فهو يمشي على رجليه ومن جملة ذلك ما يكون المشي صعبا عليه كالحفاف  
 الكثير الاسود والحفاش واما الذي يكون جناحه جلدا وغشا  
 فقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالجنة تطير وسادسها  
 ثدي الفيل والانت يكون عند الصدر وثندي البقر والغنم  
 عند السرة وسابعها اذن الفيل صالح للذب مع كونه آلة للسمع  
 وانه آلة للقبض مع كونه آلة للشتم فهذا اختلاف الحيوانات  
 في الحلقة الظاهرة النوع الثلاثة اختلاف احوالها في المسكن والمأوى  
 فمنها ما تئمة ومنها ارضية ومنها لا ما يكون ارضيا وما تئما  
 اما الحيوانات المائية فمنها ما يكون مكانه وغذائه ونفسه مائيا  
 وله يدل النفس السمي تنشق مائيا فهو يقلب الماء الى باطنه  
 ثم يردّه ولا يعيش اذا فارقته والسمك كلها كذلك ومنها ما مكا  
 وغذائه مائى ولكنه يتنفس من الهواء كالسحفا المائية  
 ومنها ما مكانه وغذائه مائى ولا يتنفس ولا تنشق مثل اصناف

من الصدق ولا يظهر للهواء ولا يستدخل الماء الى باطنها وايضا  
 الحيوانات المائية بعضها ما واهها الانهار والجارية وبعضها مياه  
 البطائح مثل الصفادع ومنها ما واهها مياه البحار وايضا  
 الحيوان المنقلب في الماء منه ما يعتمد في غوصه على راسه وفي السبح  
 السباحة على اجنحة كالسمك ومنه ما يعتمد في السباحة على ارجله  
 كالصفادع ومنه ما يمشي في قعر الماء كالسرطان ومنه رجف مثل ضرب  
 من السمك لا جناح له او كالديد واما الحيوانات البرية فمنها  
 ما تنفس من طريق واحد كالغنم والحيثوم ومنه ما تنفس على هذا  
 الوجه بل من مسامحه مثل الزنبور والنحل وايضا الحيوانات الارضية  
 منها ما له ماوى معلوم ومنها ما واهه كيف اتفق الا ان يلد  
 للحضنة واللواتي لها ماوى معلوم فبعضها ما واهه شق  
 وبعضها ما واهه حفرة وبعضها ما واهه قله راسه فبعضها ما  
 ما واهه اسق وبعضها ما واهه وجه الارض وايضا الطير مختلف  
 فبعضها يتعاشش معا كاللكرى وبعضها يختار التفرّد كالعقاب  
 وجميع الجوارح التي يتنازع على المأكول ينفرّد لاجل احتياجها الى  
 الاحتيال في الصيد ومناقصتها فيه ومنه ما يتعاشش زوجا ويكون  
 معا كالقطا ومنها ما يجتمع تارة وينفرّد اخرى والحيوانات المنفرّد  
 قد يكون مدنية وقد يكون برية صرفة وقد يكون بستانية والان  
 من بين الحيوانات هو الذي لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسبب



حيوة لا يتم الا بالمشاكة بالمدينة والنخل والنمل وبعض الفرائق  
يشارك الانسان في ذلك لكن النخل والكراتى تطيع رؤسها واحدا  
والنمل له اجتماع لكن لا رؤس لهم واما الحيوان الذي يكون تارة  
مائيا واخرى ارضيا فيقال انه حيوان له يتكون في البحر ويعيش  
فيه ثم انه يبرز الى البر وسقى فيه النوع الثالث اختلاف احوالها  
بحسب الاخلاق فاعلم ان الحيوان منه ما هو انسى بالطبع كالانسان  
ومنه ما هو انسى بالمولد كالطير والفرس ومنه ما هو انسى بالقر  
كالهيد ومنه ما لا يانس كالنمر والذي يستانس بالقر منه ما يحصل  
الاستانسه سريعا ثم يبقى مستانسا كالفيل ومنه ما يكون ذلك مطيئا  
كالاسد ويشبه ان يكون من كل نوع صنف انسى وصنف حشيشه  
وايضا بعضها يكون ساكن الطبع قليل الغضب كالبقرة وبعضها  
ردية الحركات كالحيه وبعضها شجاع كريم النفس كير الطبع كالاسد  
ومنها قوى وحشه محتمل كالذئب ومنها مكآر ردي الحركات  
كالثعلب ومنها غضوب شديد الغضب الا انه ملق متودد  
كالكلب وبعضها شديد الذكاء كالفيل والقرود والفرس وبعضها  
حسود مباه بحاله كالطاووس وبعضها شديد الحفظ كالنمل  
والحمار وايضا احوالها في التناسل مختلفة فبعضها تلد ابنا  
حيوانا وبعضها يبيض ابنا بعضا وبعضها تلد ابنا دودا  
كالنمل والعنكبوت ثم ان تلك الدود يستكمل اعضاؤها بعد ذلك

ويقال

ويقال انه اذا ظهرت السخونة وقت الربيع طلب الجراد ارضا  
طيبة الزرته دخوة الجسم وطرحته في تلك الارض بيضها ثم  
طار بعد ذلك وعاشت اياما وماتت واكلتها الطيور  
فاذا دار الحول وجاء الربيع مرة اخرى وطاب الهواء خرجت  
من تلك البيضة المدفونة في تلك الارض امثال الديدان الصغار  
ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلاء خرجت لها  
اجنحة فطارن واكلت من ورق الاشجار وسمت ثم ماتت  
كما في العام الاول وهذه عاداتها بتقدير العزيز العليم واما  
دود القز التي يكون على رؤس الاشجار في الجبال فانها اذا شبت  
من الربيع ايام الربيع وسمت اخذت على نفسها من لعبها  
شبه العنكبوت ولكن ثم ينام فيها اياما معلومة فاذا انتهت  
طرحت بيضا في ذلك الكوة الذي نجت على نفسها ثم يتقبحها  
ويخرج منها وسدت ذلك الثقب ثم يخرج لها اجنحة فتطير  
فاكلها الطيور واماتت من الحر والبرد والبلج والمطر ويبقى  
ذلك البيض في تلك الاكثان محروزة ايام الصيف والخريف  
والشتاء الى ان يحول الحول ويحجى ايام الربيع فينشأ من ذلك  
البيض ديدان صفار ويخرج من تلك الثقب ويدب على  
ورق الاشجار اياما معلومة فاذا شبت وقويت اخذت  
تنسج على نفسها من لعبها كما في العام الاول وهذا عاداتها



بتقدير الحكيم العليم سبحانه من هدى كل واحد من هذه الحيوانات  
الى هذه الاعمال واعلم ان الاستدلال بحوال هذه الحيوانات  
من وجهين الاول انه تعالى خلق مختلف الصور متفقة الاشكال  
بعضها بكثرة الآلات والادوات وبعضها بصغر قليلة  
الالات وكما اعطى الفيل الجثة العظيمة والبنية والقوة الآلات  
حتى يدفع المكاره عن نفسه بانيها الطوال الصلاب ويتناول  
بحر طومه الطويل انواع المنافع فكذلك اعطى البقرة عياصفر جثتها  
جناحين لطيفين حتى قدرت بهما عيا سرعة الطيران ويتناول  
الغذاء بحر طومه الصغير والكبير هذه المواهب متساوية وفي  
جذب المنافع والاعتزاز عن المضار متشاكلة بل هيما لطيفة  
عجيبة وهي انك ترى ما كان منها اصفر جثة واقل حيلة كان اكثر  
راحة واطيب نفسا واقل اضطرابا في جبر المنافع ودفع المضار  
مما هو اعظم جثة واغوى قوة بيانه ان منها ما كان اقوى القوة  
كامل البنية يدفع عن نفسها المكاره بالتهر والغلبة كالاسد  
والفيل ومنها ما يدفع عن نفسه المكاره بالفرار وسرعة العدو  
كالعزكان والارانب ومنها ما يدفع المكاره عن نفسها بالطيران  
كالطيور في الجو ومنها بالفصوص في الماء بالاختفاء في الثقوب والاهرج  
كالغار والفيل كما قال تعالى قالت نملة يا ايها الفيل ادخلوا مسكنكم  
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون واما طلبها المنافع

فتارة بقوة البصر وشدق الطير ان كالسر والعقاب وتارة بقوة  
الشم كالنمل والجمل وتارة بقوة السمع كالسرفا ماسائر  
الحيوانات الصغار والجثة الضعاف القوي والبنية التي ليس  
لها شيء من الادوات والآلات ولا شيء من الادراكات والاحساسات  
كالديدان الصغار وما خفيها فانها جعلت في اماكن مكنية  
ومواضع خفية اما في النبات او في حب النبات او في جوف  
الحيوانات او في الطين او في السرفين وجعل غذاها محيطا بها  
وجعل في جميع اجزاء ابدانها قوى جاذبة تمتص الرطوبة  
المغذية لها المقوية لا بدانها ولم يخرجها في الطلب ولا الى الهرب  
فسيحان الخالق الحكيم الذي اعطى كل شيء مصلحته ويروى  
ان الليلة التي اوحى الله الى موسى عليه السلام كان قلب موسى  
متعلقا باحوال زوجته فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك  
عيا ذلك الحجر فخرج منه حجر اخر ثم ضرب العصا عليه فخرج منه  
حجر اخر ف ضرب العصا عليه فخرجت منه دودة في غاية الصغر  
وفيها مثل مقدار ذرة من ورق الشجر فرفع الله الحجاب من  
سمع موسى وكان هي يقول سبحانه من يراني ويسمع كلامي  
ويذكرني ولا ينساني الوجه الثالث من الاستدلال باحوال هذه  
الحيوانات ان يقول هذه الحيوانات كثيرة جدا ويقال ان  
حيوانات البحر ستمائة نوع وحيوانات البر خمسمائة واحد



هو البشر واذا كان كذلك فكيف يمكن الاطلاع على احوالها وعجائب  
صفاتها الا ان وجه الاستدلال بها على وجود الصانع الحكيم ظاهر  
وذلك لانه لو كان السبب لوجودها تركيب الطبايع وتأثير الافلاك  
والكواكب فذلك بالنسبة الى الكل على النسبة بل صريح العقل يشهد  
بان اختصاص كل واحد منها بما له من الاعضاء والقوى والصفات  
والاشكال لا بد وان يكون لتدبير مدبر حكيم يخلق الاشياء بقدرته  
ويدبرها بحكمته واعلم انه تعالى قد نبه في القرآن على عجز البشر  
عن معرفة الحيوانات في ايات احديها انه تعالى لما شرح احوال الحيوانات  
في سورة النحل في قوله والانعام خلقها لكم فيها الى قوله والخيول  
والبغال والحمير لتركبوها وقال بعد ذلك ويخلق ما لا تعلمون  
والمعنى انا نشرحنا لكم احوال بعض الحيوانات فاما شرح احوال  
الكل فذلك مما لا يليق بعقولكم بل يجب تفويض معرفتها  
الى خالقها فلهذا ختم الكلام في شرح احوال الحيوانات بقوله  
ويخلق ما لا تعلمون وتاينها قال في النور الم تراه الله يسبح  
له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته  
وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ثم قال بعد والله ملك السموات  
والارض والى الله المصير وفيه فائدتان الفائدة الاولى  
انزع وجازنة دال على تمام معرفة المبدأ والمعاد فقوله والله  
ملك السموات والارض تنبيه على ان الكل منه لان كل ما سواه

ممكن ومحدث والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء الى قدرة الواجب  
في وجوده الا ان في ثبوتة ثم ان حدوث هذه الحيوانات  
دال على قدرة الصانع وحكمته فكان حدوث هذه الحيوانات  
من ادل الدلائل على كونه تعالى ملكا بالحق ومالك بالصدق  
فلهذا قال والله ملك السموات والارض ثم قوله والى الله المصير  
دال على ان المعاد حق وان البعث والحشر والتشرعق حية يظهر  
في ذلك اليوم نتائج افعال هذا اليوم الفائدة الثانية انه تعالى  
لما شرح احوال بعض الحيوانات على سبيل التفصيل وهو قوله  
والطير صافات قد علم صلوته وتسبيحه ثم ذكر بعد التفصيل هذا  
الكلام الجمل وهو قوله تعالى والله ملك السموات والارض كان  
ذكر هذا الجمل بعد ذكر المفصل تنبيها دال على انه لا سبيل للمقول  
البشرية الى الوقوف على تمام تلك التفاصيل وتاينها قال تعالى  
ايضا في هذه السورة والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي  
على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع ثم  
قال بعد ذلك يخلق الله ما يشاء وهو على كل شئ قدير وذلك  
لانه تعالى ذكر انقسام الحيوان الى هذه الاقسام وهذا الكلام تفصيلي  
ثم انه تعالى اورد به بالكلام الجمل وهو قوله يخلق الله ما يشاء  
والمقصود التنبيه على انه لا سبيل للبشر الى معرفة تمام هذه التفاصيل  
وقد ذكرنا في الفصول المقدمة انه في شرح احوال الافلاك



جري على هذا المنهاج فقال في آل عمران ويتفكرون في خلق السموات  
والارض اي يطلبون معرفة الحكمة في كل واحد منها ثم عدل الى  
التعظيم الاجمالي فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال في الاعراف  
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر ثم عدل منه الى التعظيم المجمل  
فقال الآله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين والمقصود  
من هذه الايات التنبيه على انه لا سبيل للعقول البشرية الى الاطلاع  
على تمام الحكمة الالهية في تدبير العالم العلوي والسفلي بل الواجب  
تفويض اسرارها الى عمله المحيط بالغيوب المقدس عن  
النقصانات والعيوب كما قال وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها  
الا هو وهمنا سؤل الات الاولى قال تعالى في سورة الانعام  
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم  
فظاهر هذه الآية يوم مذهب التناسخ من وجوه الاول  
ان قوله تعالى الا امم امثالكم يقتضي حصول المماثلة بينها وبيننا  
في الروح والعقل والتكليف الثاني انه ثبت بهذه الآية  
ان كل نوع من انواع هذه الحيوانات امة واذا ثبت هذا وجب  
ان يحصل في كل واحد منها رسول ونذير لقوله تعالى وان من  
امة الا خلا فيها نذير والانداز لا يتحقق الا في حق العقلاء  
المكلفين وهذا يقتضي كون هذه الحيوانات عارفة بربها  
مكلفة بالطاعات الثالث ما روي عن النبي الذوداء انه قال

انهم عقول البهائم عن كل شئ الا عن اربعة اشياء معرفة  
الرب والسعي في طلب الرزق ومعرفة الذكور والانثى واهتمام  
كل واحد منهما بما امر صاحبه الجواب ان لفظ المثل لا يقتضي حصول  
المثلية في كل الامور فاذا حملنا الآية على ثبوت المثلية ولو في  
شئ واحد فقد وفينا بمطلق اللفظ ثم اختلف المفسرون  
في معنى المثلية على وجوه الاول اما امثالكم في كونها اما  
وجماعات وكان المراد من ههنا كونها انواعا مختلفة واقساما  
متباينة في الخلق والخلق والطبيعة والشكل الثاني انها امثالكم  
في كونها مخلوقة لله تعالى وفي انه تعالى تكفل بارزاقها كما قال وما  
من دابة في الارض الا اعيا الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها  
الثالث انها امثالكم في ان مقادير اعمالها معلومة لله تعالى مع  
انها خالية عن التكليف وخوف العقاب فاحذروا ايها البشر  
المكلفون فانكم احصى الله اعمالكم اولى الرابع انها امثالكم  
في انها محشورة يوم القيامة والله تعالى يقضي لهم بالحق كما يقضي  
للائم دليله ما روي في الحديث انه تعالى يقبض للحجاء من القرناء  
الخامس انه لا يبعد حمل الآية على جميع ما ذكرنا من الوجوه  
لانه لا يختص ولان على هذا التقدير يكون الفائدة اكثر  
واما التمسك بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير الجواب  
انه مخصوص بالامة الموصوفة بالعقل بالدلائل العقلية



وباجتماع الامة السؤال الثاني ما الحكمة في خلق الحيوانات المؤذية  
كالحيات والعقارب والذئب والاسد الجواب المعتمد عندنا  
في الجواب انه تعالى مالک الملك والمالك له ان يفعل ما شاء وحكم  
ما يريد الا انا نذكر ههنا وجوها اخرى فالاول انه تعالى رغب  
المكلفين في الطاعات بان وعد عليها بالثواب وزجرهم عن  
المعاصي بان يوعدهم عليها بالعقاب فلا بد وان يشاهدوا  
في الحال شيئا يشبه الثواب وشيئا يشبه العقاب حتى يتكامل  
رغبتهم في طلب الثواب ويقوים عن الهرب عن العقاب فلا  
جوم اظهر في الدنيا انواع اللذات وانواع المحن والافات  
ليكون ذلك كالمعرف لاحوال الثواب والعقاب وقد نبه الله  
على ذلك في قوله افرأيتم الله النار التي توردون وانتم انتم  
شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين  
اي جعلنا الناسبا للمنافع في الدنيا وجعلناها ايضا تذكرة  
للعذاب في الاخرة الثاني انه جعل الذئب بحيث يفرس الغنم  
ثم ان الانسان يبالغ في صون غنمه عن الذئب فاذا بالغ في  
هذا الحفظ مع ان هذه المصرة قليلة فلان يبالغ في صون طاعنا  
عن الشهوات والشهوة مع ان نتائج تلك المطرقة عظيمة  
كان ذلك اولى الثالث ان الانسان اذا احتزن عن ستم الحية  
ولا فني فلان يحترق عن ستم الكفر والبدعة والفواحش والذنوب

مع شدة

مع شدة الآلام الحاصلة منها وطول مدتها كان ذلك اولى  
الفصل الثاني في الاستدلال باحوال الطيور على وجود  
الصانع المختار الحكيم اعلم انه تعالى ذكر الاستدلال بوقوف الطير  
في الهواء على وجود الصانع المختار في مواضع من القرآن العظيم  
احدها قال في النحل الم يروا الى الطير مستخرات في جو السماء ما  
يمسكنهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وثانيها  
قال في النور الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض  
والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون  
وثالثها قال في المائدة الم يروا الى الطير فوفهم صافات ويقبضن  
ما يمسكنهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير اما الآية الاولى الاولى فنقول  
فتراد ابن عامر وحرز والكسائي الم تروا على سبيل المخاطبة والباقي  
بالماء على الحكاية لمن يقدم ذكره حجة من قراها على مخاطبة  
ان ما قبل هذه الآية مخاطبة وما بعدها مخاطبة فوجب ان يكون  
هذه الآية ايضا مخاطبة اما ان ما قبلها مخاطبة فهو قوله تعالى  
والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم  
السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون واما ان ما بعدها  
مخاطبة فهو قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من  
جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم  
واذا ثبت ان ما قبل هذه الآية وما بعدها جاء على سبيل المخاطبة



وجب ان يجي هذه الآية ايضا على سبيل المخاطبة حتى يكون النسق  
 واحدا في الكل حجة القراءة الثانية ان الغرض من ذكر هذه الآية  
 الارشاد الى الدليل والارشاد الى الدليل انما يحتاج اليه الجاهل  
 لا العالم فوجب ان يحمل هذا على لفظ المفاتيحة صرفا الى الكفار  
 والمنكرين قلنا نحن لانكر احتمال ما ذكرتم الا ان ما قلنا ايضا  
 محتمل لان الدليل كما يذكر للمنكر حتى يصير مقرا فذلك قد يذكر  
 للمقر حتى يزداد ايمانا على ايمان وعرفانا على عرفان وهذه السورة  
 مشتملة على دلائل كثيرة ولا شك ان المقصود منها هو التاكيد  
 بسبب تكثير الدلائل اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى في النحل  
 الم يروا معناه والدليل عليه انه تعالى عدا الرؤية في هذه الآية  
 الى شيئين احدهما كون الطير مستخرجة في جو السماء ومن المعلوم  
 ان كونها مستخرجة يعلم ولا يرى والثاني هو قوله ما يمسكهن الا  
 الله وهذا المعنى يعلم ولا يرى فثبت بهذين الوجهين ان قوله  
 في هذه الآية الم يروا معناه الم يعلموا واعلم انه تعالى ذكر في هذه  
 الآية من دلالة التوحيد امرين الاول كون الطير مستخرجة والثاني  
 انه ما يمسكهن الا الله والمراد من كونها مستخرجة انها في انفسها  
 اجرام ثقيلة والجرم الثقيل يكون هاويا بالطبع الا ان قدرة  
 الله تعالى غلبه على جميع الطباع والخواص فهذا بقدرته يمسك  
 الثقيل في فوق وينزل الخفيف الى تحت من غير ان يشق عليه هذا العمل

ومن غير ان يتعب بسببه وكيف والسموات السبعة مع ما فيها  
 من الشمس والقمر والنجوم التي لا يعلم مقادير ثقلها الا الله  
 والارض مع ما فيها من البحار والجبال والحيوان والنبات  
 هو تعالى يمسكها بقدرته ويسكنها بحكمته كما قال الله الذي  
 رفع السموات بغير عمد ترونها فان من قدر على تسكين هذه  
 الاجسام العظيمة من غير تعب ولا مشقة فكيف لا يقدر على  
 امساك اجرام الطيور بقدرته في الهواء اليس اننا قلنا قلع  
 الجبل في وقت موسى عليه السلام واوقفه في الهواء كما قال واذا  
 نتقنا الجبل فوهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم فهنا قدرة  
 على امساك الطير في الهواء اولى اذا عرفت هذا فنقول كون  
 هذه الاجرام منقادا بقدرته والهيته من غير منازعة ولا  
 مدافعة هو المراد بكونها مستخرجة في جو الهواء وبين كونها  
 واقعة هناك بامساكه وتسكينه فهذا هو الكلام في هذه  
 الآية واما الآية المذكورة في سورة النور وهي قوله تعالى الم تر  
 ان الله يبيع له من في السموات والارض فظاهرا لم تر خطاب  
 مع الرسول فلا جرم اشتملت هذه الآية على قولين قوله على  
 ما في الآية الاولى اوها قوله تعالى يبيع له من في السموات وفي هذا  
 التسبيح ثلثة اقوال وذلك لان التسبيح المذكور ههنا اما ان يكون  
 المراد منه دلالة هذه الاشياء على قدسه وعزته وعظمته واما ان يكون



انها ينطق بالتسبيح واما ان يكون المراد منه حصول هذه الدلالة  
في حق البعض وحصول هذا النطق في حق الباقيين والقسم  
الاول اقرب اما القسم الثاني ففيه اشكال لان بعض من في الارض  
ليسوا مكلفين وهم الاطفال والمجانين وهو لا يستجوبون  
باللشأ واما المكلفون ممن في الارض فيهم من لا يستجيب بهذا  
التفسير وهم الكفار اما تفسير التسبيح بكون هذه الاشياء دالة  
على السبوحية والعظمة فهذا عام في حق كل الممكنات وهذا هو  
المراد ايضا من قوله وان من شيء الا يسبح بحمده فان قيل التسبيح  
بهذا المعنى حاصل في كل المحدثات والممكنات فما وجه تخصيصه  
في هذه الآية بالعقل قلنا لان خلقه العقلاء اشد دلالة  
على وجود الصانع سبحانه لان الحمايى والغرائب في خلقهم  
اكثر وهي العقل والنطق والفهم مع حصول الشهوة وحصول  
الغضب وحصول الشيطانية وتانيها قوله تعا والطيور صافات  
فلما قيل ان هؤلاء ما وجه اتصال هذا بما قبله والجواب انه تعا  
لما ذكر ان اهل السموات يستجوبون واهل الارض ايضا يستجوبون  
ذكر ان الاشياء التي مقرها فيها بين السماء والارض هي الطيور  
وهي ايضا مستحبة لله وذلك لان ابدان هذه الطيور اجرام  
ثقيلة ثم انه تعا اعطاها قوى يقوى بها على الوقوف في الهواء  
صافية باسطة اجنحتها وذلك من اعظم الدلائل على كمال

قدرة الصانع وانهية علمه وحكمته واعلم ان هذا الوصف قد وصف  
الله الملائكة به فقال والصافات صفا وقال وترى الملائكة  
حافين من حول العرش والملائكة ايضا وصفوا انفسهم بهذا  
الوصف فقالوا وانا لحنى الصافون وانا لحنى المستجوبون وعلى  
الجملة فهذا شعر بكون الصافين واقفين في موضع الهيبة  
ومقام العظمة مستغلين بتسبيح جلال الله وتقظيم كبريائه  
على وجه الخضوع والخشوع وثالثها قوله كل قد علم صلوته ونسبحه  
وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون المعنى كل من الطير قد علم صلوته  
وتسبحه وهذا قول جماعة من اصحاب الاخبار وقال ابو ثابت  
كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي ان تدري ما نقول  
هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا اعلم  
انها تقدس ربها ويسأله فتون يومها وتانيها ان يكون معنى  
الآية كل مسبح قد علم صلوته وتسبحه ويدل على صحة هذا التأويل  
قوله تعا عليهم بما يفعلون وثالثها ان يكون الهاء راجعة الى الله  
وتقدير الآية كل مسبح ومصلى قد علم صلوة الله التي كلفه اياها  
فهذا تأويل لفظ الآية والكلام الذي لابد من البحث عنه في  
هذه الآية انه هل لا يجوز ان يكون الطيور والبهائم عارفة  
بربها ام لا فان اكثر ارباب الانا دار الاخبار جوزوا ذلك  
واحتجوا عليه بان كون هذه الطيور عارفة بربها مستغلة



بتسبيح ربها امر جاز في العقول والنصوص وردت بوقوعها  
فوجب الاعتراف بذلك أما الجواز العقلي فيدل عليه وجهان  
أحدهما الإجمال والثاني التفصيل أما الإجمال فهو أن حصول  
الفهم والعلم من ذوات هذه الحيوانات من جملة هذه الممكنات  
والله تعالى قادر على كل الممكنات وإذا احتج المقدمتان وجب  
القطع بهذا الجواز وأما التفصيل فهو أننا نشاهد من هذه الحيوانات  
أفعالا لا يصدر إلا من أفاضل العقلاء وذلك يدل على كونها عاقلة  
ومعنى كان الأمر كذلك ثبت جواز كونها عارفة بربها وببيت  
ما ذكرنا بوجوه الأول أن القارة تداخل ذنبها في قارورة  
الدهن ثم تلحمة وهذا الفعل لا يصدر عنها إلا لعلمها بقبول  
مركب من مقدمات وهي أنها محتاجة إلى الدهن وإن رأسها  
لا يدخل في رأس القارورة وذنبها يدخل والمقصود حاصل  
بهذا التقدير فوجب الإقدام عليه الثاني أن النمل يتنبه البيت  
المسدسة وهي لم تفعل إلا بعلمها بأنها محتاجة إلى أن تبني بيوتها  
من أشكال موصوفة بصفتين أحدهما أن لا يكون زواياها  
ضيقة حتى لا يبقى بالموضع الضيق معطلا والثاني أن يكون  
تلك البيوت مشكلة بشكل مئة انضم بعضها إلى بعض امتداد  
العرض منها ولا يبقى منها شيء منها يعمد إليها علمت أن الشكل  
الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط لأن المثلثات

والمرتبات وأن كان يمكن أن يمتلي العرض منها إلا أن زواياها  
ضيقة وأما سائر الأشكال فإن زواياها وإن كانت ولعة  
إلا أنها لا يمتلي العرض منها بل يبقى فيها بينها فرج خالية  
ضاربة وأما المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين  
فإقدام النمل على تسديس بيوتها بمنى علمها بأنه لا بد أن يكون  
بيوتها موصوفة بهاتين الصفتين وعلى علمها بأن المسدس  
موصوف بهاتين الصفتين فلا جرم علمت بأن البيت الموافق  
له هو المسدس ثم أنه تعالى أعطاه من الذكاء ما قدر به على بناء  
تلك البيوت مسدسة من غير مسطر ولا آلة ولا شك أن البشر  
لا يقدر على بناء البيت المسدس إلا عند الاستعانة بالآلات  
كثير فظهر أن علم النمل بهذه الحقائق وقدرته على بناء هذا  
البيت ازيد من عقل البشر وقدرته الثالث أن النمل  
يسعى في تحصيل الذخيرة وكان ذلك لعلمه بأنها قد يحتاج في  
الازمنة المستقبلية إلى الغذاء ولا يكون قادرا على تحصيله في تلك  
الافاق فوجب التسعي في تحصيله في هذا الوقت التي حصلت  
فيه القدرة على الادخار الرابع أن العنكبوت يتنبه بيوتها  
على وجه عجيب وإنما ما شجعت الشبكة التي هي مصيدها إلا  
بعد أن تفكرت كيف يمكن اصطيد الذباب فهذه أفعال فكرت  
ليست بأقل من الأفعال الفكرية الإنسانية فوجب الاقرار بشي



العقل لها الخامس ان الجمل والحمار اذا ذهب طريقا ليلة ظلماء  
ففي المرة الثانية يقدر على سلوك ذلك الطريق من غير ارشاد  
مرشد حتى ان الناس اذا ضلوا في ذلك الطريق فقد هوى الجمل  
او الجمل وتبعهم وجدوا الطريق المستقيم عند متابعة وايضا  
ان الانسان لا يمكنه المشي من بلد الى بلد طيرا ناسوتيا من غير  
غلط ولا خطأ وكذلك الكراكي ينتقل من طرف من اطراف العالم  
الى طرف اخر من غير ان يصل البتة له لطلب الهواء الموافق فهذا  
فعل يعجز عنه عقل البشر وهي قدرة عليه السادس ان الدب  
اذا اراد ان يتفرس الثور فاذا قرب الثور منه واراد نطحه  
جعل قرنية فيما بين ذراعيه ولا يزال يهرس فيما بين ذراعيه  
حتى تنحف وايضا انه يأخذ العصا ويضرب الانسان حتى يقوم  
انه مات فيتركه ورتبما عاد يتشم ويتحسس نفسه وايضا يصعد  
الشجر اخف صعودا ويهشم الجوز بين كفيه تقوينا بالواحدة  
وصدمها بالاخري ثم ينفخ فيه فيذروا قشره ويأكل لبه  
والسابع يقال ان من خواص الفرس ان كل واحد منها يعرف  
صوت الفرس الذي قابله والكلاب يتعاجل بالعتبة المعروفة  
لها والعهد اذا سقى الدواء المعروف بخسافو الهند طلب  
ذيل الانسان فيأكله والتاسع تفتح افواهها الطيور يفتح عليها  
كالعقيق حتى ستلف ذلك الطائر ما ينزل بين اسنانها وعلى راس

الطائر شئ كالشوك فاذا هم التماسح بالتقام ذلك الطير تاذي  
من تلك الشوك ففتح فاه فخرج الطائر والسحفاة يتناول  
بعد اكل الحية صغرا جبليا ثم يعود وقد شوه ذلك وحكي  
بعض الثقة المحبين للصيد انه شاهد الحباري يقابل الافعى  
وينهزم عنه الى بقله يتناول منها ثم يعود لا يزال ذلك فعلة  
وكان ذلك الشح قاعدا في كن غار كما يفعله الصيادون وكانت  
البقلة قريبة من ذلك الموضع فلما اشتغل الحباري بالافعى قلع  
الرجل البقلة فعاد الحباري الى منبتها فاحذت تدور حول  
منبتها دورانا متابعا حتى جرت ميتة فعلم الرجل انه كان  
يتعاجل باكلها من لسعة الافعى وتلك البقلة هي الحسن البري واما  
ابن عروس فيستظهر في قبالة الحية باكل السذاب فان النكمة  
السذابية مما يشتمى عنها الافعى والكلاب اذا نذودت بطيها  
اكل سنبل الحنطة واذا خرجت النفاق بعضها بمضاد اوت  
تلك الجراحات بالصصة الجبلي فانظر من اين حصل هذه الحيوانا  
هذا الطب وهذا العلاج الثامن ان القنافذ قد تحس برج  
الشمال والجنوب قبل الهبوب فيفر الى مجرىها يحكي انه كان  
بالقسطنطينية رجل قد اترى بسبب انه كان يبذر بالرياح  
قبل هبوبها وينتفع الناس باذاره وكان السبب فيه فنقد  
في داره يفعل الفعل المذكور التاسع ان الحظاف صنائع حسن



في اتخاذ العش لنفسه من الطين وقطع الخشب فاذا اعوزه الطين  
ابتل وتمزج في التراب ليجل جناحه قدر من الران واذا فرغ  
بالغ في تعهد الفراخ وياخذ حروفها بمنقارها وترميها  
عن العش ثم يعلمها القاء الذرق بالتولية نحو طرف العش  
العاشر اذا دنا الصايد من مكان فراخ القبجة طهرت له القبة  
وقربت منه مطعمه لاجل ان يتبعها ثم ذهب الى جانب اخر  
سوى جانب فراخ الحادي عشر فاقرا الحش قلما يجلس على الارض  
بل يجلس على الشجر وينقر الموضع الذي يعلم ان فيه دود الثاين عشر  
الفرانيق تصعد في الجو جدا عند طيرانه فان حجب بعضها عن بعض  
صناب او سحاب احدثت عن اجنحتها خفيفا مسموعا فيلزم  
بسبب ذلك الصوت بعضها بعضا واذا نامت نامت على فروع  
رجل قد اصطفت الروس الا القليل قليلولة فانه ينام مكشوف  
الرأس فيسرع انتباهه واذا سمع صوتا واحس باقتراب صاح  
الثالث عشر ان النعامة اذا اجتمعت لها من بيضها عشرين  
او ثلثين قسمتها ثلاثة اثنان ثلثان فنها في التراب وثلثا  
يتركها بالشمس وثلثا يحطنه فاذا خرجت فراخها كسر مكانات  
في الشمس وسعت فراخها ما كان من تلك الرطوبة التي  
ذوبتها الشمس ورققتها واذا اشتدت فراخها وقويت  
اخرجت المدفون فيها في الارض وفحت لها ثقبا وقد اجتمعت

فيها النمل والذباب والديدان والحشرات ثم يطعمها الفراخها  
فاذا تناولت ذلك قويت وقدرت على الرعي واللعب فعلى  
ايها العاقل اي امرأة في تربية اولادها تهتدي الى مثل  
ذلك الحيلة واعلم ان الاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب  
طبائع الحيوان وهذا القدر يدل على ان الحيوانات قد تأتي  
بافعال يعجز عنها اكثر الادياء والعقلاء ولولا كونها عاقل  
ما صح منها شيء من ذلك واذا ثبت كونه مهتديا عارفة بهذه  
الدقائق فاني بعد في كونها عارفة بربها مستحقة لما لكها فثبت  
بمجموع ما ذكرنا ان الامكان حاصل واما النصوص الدالة  
على حصول هذه المعرفة فكثير من الحجج الاولى قوله تعالى  
عن سليمان عم يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من  
كل شيء ان هذا هو الفضل المبين الثانية قوله تعالى وتفقد  
الطير فقال مالي لا اري الهدى هدا ام كان من الغائبين  
لا عذبة عذابا شديدا ولا ذبحته اوليا يتنى بسلطان  
مبين وهذا التهديد والوعيد لا يحسن الا مع الفاهم العاقل  
الثالثة قوله تعالى حجة اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة  
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الرابعة قوله ثم حكايته عن  
الهدى فقال احطت بما لم تحط به وجئتكم من ساء بناء  
يقين اني وجدت امرأة تملككم الى قوله ثم لا يهدون



وهذا الترتيب في ايراد الكلام لا يتأتى الا من العاقل الذي  
يكون في غاية الذكاء وذلك لان اشد الاشياء اخذا بقلوب  
الرجال امر النساء ولهذا السبب بدأ تعالى بذكر النساء بقوله  
زَيْنَ للناسِ حبّ الشهوات من النساء وما لم يلتفت سليمان  
الى ذكر المرأة ثنى الهدى بذكر المال فقال واوتيت من كل  
شئ فلم يلتفت ايضا سليمان فثنت بذكر الجاه والمملك العظيم  
فقال وطاع عرش عظيم فلما لم يلتفت سليمان البتة الى شئ  
من امور الدنيا رجع الهدى بما يتعلق بالدين فقال وجدتها  
وقومها يسجدون للشمس من دون الله ومعلوم ان مثل هذا  
الترتيب لا يتأتى الا من الذكاء العظيم العظيم الخامسة ظاهر  
هذه الآية التي سخن في تفسيرها وهو قوله كل قد علم صلوة  
وتسبيحه فانه يدل على ان كل الطير التي هي صافاة في السماء  
قد علم صلوة وتسبيحه السادسة قوله تعالى قصة داود  
يا جبال اوبي معه والطير والتكليف لا يتوجه الا على العاقل  
السابعة قصة قابيل وهابيل وهو قوله فبعث الله عزابا  
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواه فاحيه فثبت بما ذكرنا  
من ان الجوارب امكان كونها عارفة بربها وثبت بهذه النص  
كونها عارفة بربها فوجب الاعتراف بذلك هذا تمام حجة القائلين  
بانها عارفة بربها واجتمع من انكر كونها عارفة بربها بانها

لو كانت عاقلة لكان اثار العقل ظاهرا في حقها لان ايجاد العقل  
لها مع انه لا يظهر اثره في حقها عبث وذلك لا يليق بحكمة الحكيم  
وكنتا لا نرى اثار العقل حاصلة في حق شئ منها لانها لا يجترع عن  
الافعال القيمة ولا يتميز بين ما ينفعها وبين ما يضرها فوجب  
القطع بانها غير عاقلة احباب الاولون بان المتكلمين لما استدقوا  
بدليل الاحكام والاتفاق على كونه تعالى عالما او ردا على انفسهم  
سواء الا وهو ان نرى في العالم افعالا خالية عن الاحكام والاتفاق  
فوجب ان يدل ذلك على جهل الفاعل فاجابوا ان الاحكام والاتفاق  
يدل على علم الفاعل اما عديم الاحكام والاتفاق لا يدل على الجهل  
لان الجاهل لا يمكنه الفعل المحكم اما العالم يمكنه الفعل الخلق  
عن الاحكام فكذلكهم باننا شاهد صدور الافعال المحكمة عن هذه  
الحيوانات ونشاهد ايضا صدور افعال غير محكمة عنها فيكون  
افعالها المحكمة دالة على عقلها اما الافعال التي ليست بمحكمة  
لا يدل على عدم عقلها فهذه اتمام الكلام في هذا الموضع والاية  
الثالثة في هذا الباب قوله تعالى في سورة الملك او لم ير والى  
الطير فوفهم صافات ويقبضن ما يمكنهن الا الرحمن انه بكل  
شئ بصير اما مسألة الرؤية فقوله صافات اي باسطات  
اجنحتهن في الجو عند طيراتها ويقبضن اي يضمها اذا ضربن  
بها جنوبهن وهنا سؤال الاول لم قال ويقبضن



ما يمكنهم ولم يقل قابضات حتى يكون مطابقا لقوله صافات  
**الجواب** لان الطيور في الهواء يشبه السباحة في الماء  
والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطاري  
على البسط للاستظهار به على الحركة والاسم يدل على الثبات والاستقرار  
والفعل يدل على التجدد فغير عن البسط بقوله صافات ليدل  
لفظ الاسم على ان هذا هو الاصل وعبر عن القبض بلفظ الفعل  
ليدل على ان هذا القبض تبع وعلى انه يصدر القبض من الطير  
تارة بعد تارة كما يكون من السباح نظير ما يقال فلان رجل  
مناظر ويشعر فهذا يدل على ان حرفة هي المناظرة ثم انه  
قد يشعر في بعض الاوقات فكذا همنا ثم قال وما يمكنهم  
الا الرحمن وذلك لانها مع ثقلها وضخامة اجسامها وضعف  
اذمقتها وقلة اهتدائها الى الفرق بين المصلحة والمفسدة  
لا يمكنه البقاء في جو الهواء الا بامساك الله سبحانه وتعالى  
**السؤال** الثاني انه تعالى قال في سورة النحل الم يروا الى الطير  
مسخرات في جو السماء ما يمكنهم الا الله وقال همنا ما يمكنهم  
الا الرحمن فما الفرق **الجواب** ذكر في النحل ان الطير مسخرات في جو  
السماء فلا جرم كان امساكها هناك بحضرة الالهية وذكر همنا  
ان صافات وقابضات مكان الهامها الى هذا التصفيف  
والقبض على هذا الوجه المطابق للمصلحة والمنفعة من كمال رحمة

ثم قال

ثم قال انه بكل شيء بصير والمراد من البصرة كونه تعالى عالما بالاشياء  
الرفيعة وحاصل الامر ان امساكها في جو السماء فعل على خلاف  
الطبايع وهو موافق للمصلحة فدل كونها على خلاف الطبيعة على  
وجود مدبر قادر قاهر قلب الطبايع وابطل الخواص ودل  
كون هذا الفعل محكما متقنا مطابقا للمصلحة على كون ذلك المدبر  
الفاعل القادر عالما بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة  
في الارض ولا في السماء فهذا ما يتعلق بهذا البحث يروى ان الشبلي  
راى طوطيا في القفص وقال سبحان من صورني وفي الهواء  
طيرني وفي القفص صيرني سيكون بما وقع العبد سخط العبد  
ام رضى فاشتراه الشبلي بثمن كثير واخرجه من القفص  
وخلصه وقال اسبحي ان اترك من يسبح الله ثم مسجونا الهنا  
ان الشبلي خلص ذلك الطير لانه سبح الله مرة ففنى المساكين  
نستجك من اول عمرنا من جميع قلوبنا فخلصنا من الهم عقابك  
انك ارحم الراحمين **الفصل الثالث** في البحث عن اربعة  
انواع من الطيور الخفافيش والطاووس والطوطى والعنديل  
ولان امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه خطبتان جلستا  
في خلقة الخفافيش والطاووس فنقول اما الخفافيش فقد جعل الله في  
معجزة عيسى م قال تعالى في آل عمران اني اخلق لكم من الطين كهيئة  
الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله يروى ان عيسى عليه السلام



لما ادعى النبوة واظهر المعجزة اخذوا يستعينون عليه وطالبوه  
بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم انفتح فيه فاذن هو يطير  
بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون  
اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ثم اختلف الناس فقال  
قوم ان عليه سلام لم يخلق غير الخفاش ولا جله قراء نافع فيكون  
طائرا باذن الله بالالف على الواحد وقال اخرون انه خلق انواعا  
من الطير ولهذا قراء الباقيون فيكون طيرا لانه لم يسم جنس يقع  
على الواحد وعلى الجمع وانما قال باذن الله اي بتكوينه وتخليقه  
كقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله قال هو الذي خلق  
الموت والحياة ليعلمكم وانما ذكر عيسى عم هذا القيد ازالة للشبهة  
وتبيينها على ان الذي اعلمنا هو هذا التصوير فاما خلق  
الحياة فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزات **الفصل الرابع**  
في الاستدلال بحال الحروف على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى  
اعلم انها كثيرة الا انا ذكر التي ذكره الله سبحانه وتعالى  
في القرآن وهي النحل والذباب والعنكبوت  
والجراد والقمل والضفادع والفراسخ والذابة التي في الخشب  
فياكلها قوله تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذى  
من الهام بيوتا ومن الشجر وما يعرشون فقال في اول البقرة  
ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها اما الذين

امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون  
ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وفي الآية  
ايجاز الاول ذكر وانما سبب نزول الآية اقوال الاول قال ابن  
عباس لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له فطعن  
في الاصنام ثم شبه عباداتها ببیت العنكبوت واتي قدر العنكبوت  
حتى يضرب الله المثل بها فنزلت هذه الآية والقول الثاني  
ان المنافقين طعنوا في ضرب المثل بالنار والظلمات والرعد  
والبرق في قوله تعالى مثل الذي استوقد نارا والقول الثالث  
ان هذا الطعن كان من المشركين فقال القفال رحمه الله  
والاقوال الثلاثة كلها محتملة ههنا اما اليهود فلانه تعالى قال  
في اخر الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله  
من بعد ميثاقه وهذا صفة اليهود ولانه قال بعد هذه الآية  
يا بني اسرائيل اذكروا نعمة التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي  
اوف بعهدكم واما الكافرون والمنافقون فقد ذكر الله تعالى  
في سورة المدثر وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا  
اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء  
فاما الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون واما الذين كفروا  
فيحتمل ان يكون هم المشركون لان السورة مكية فثبت ان الكل  
محتمل البحث الثاني الحياء تغير وانكسار يحصل في مزاج الانسان



من خوف ما يعاب به ويذم الاترى انه يقال هلك فلان حياء من كذا  
ومات حياء وذاب حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء  
اذا ثبت هذا كان الحياء من صفات الاجسام والله تعالى ليس بجسم  
فكان الحياء محالاً في حقه الا انه ورد في القرآن والاحبار اما في القرآن  
ففي هذه الآية وذلك لانه لا يجوز ثبوته في حق الله ولا يجوز اثباته  
في حق الله على طريق النفي وانما الواجب ان يقال انه تعالى لا يوصف به  
فاما ان يقال لا يستحي فغير جائز لانه توهم نفي ما يجوز عليه وما ذكره  
تعالى في كتابه من قوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد ولم يكن  
له كفوا احد فهو وان كان في صورة النفي الا انه ليس بنفي في الحقيقة  
وكذا قوله ما اتخذ الله من ولد وقوله وهو يطعم ولا يطعم وليس  
كل ما ورد في القرآن اطلاقاً جازاً ان يطلقه الواحد منا فلا يجوز  
اطلاق هذه الالفاظ مع الامع بيان ان ذلك محال ولقائل ان يقول  
هذه الصفات لما كانت مستغنية عن الله مع وجوب كونها مستغنية  
كان الاخبار عن انتفاءها صدقاً فوجب ان يجوز اطلاقه بقى ان يقال  
الاخبار عن انتفاءها يوهم محتها فنقول هذه الدلالة ممنوعة  
لفظاً لان تخصيص هذا النفي بالذكر لا يدل على نفي صحة بل لوقوع  
باللفظ ما يدل على انتفاء الصحة كان ذلك احسن من حيث انه  
يكون مبالغة في البيان وليس اذا كان غير احسن لزم ان يكون  
تركه قبيحاً واما الخبر فاروى سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله تعالى حي كريم يستحي اذا رفع العبد يديه اليه ان يردّها  
صِفراً حتى يضع فيها خيراً وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى اولاً  
مستم النساء ان الله حي كريم يكنى عن العيب بالحسن وان مما يكنى  
ان قال اولاً مستم النساء واعلم انه لما ثبت بالدليل انه لا يمكن اجراء  
لفظ الحياء في حق الله على ظاهره فوجب تأويله وفيه وجهان  
الاول وهو القانون في امثال هذه الالفاظ ان كل صفة  
ثبت للعبد مما يخص بالاجسام فاذا وصف الله تعالى به فذلك  
محمول على نهايات الاغراض لا على بدايات الاغراض مثله ان الحياء  
حالة تحصل للانسان بسبب انكسار وتغير في المزاج فهذه حالة  
طامسداً وغاية اما المبدأ فهو ذلك التغير المزاجي واما النهاية  
فهو ان يترك الانسان ذلك الفعل فاذا ورد الحياء في حق الله  
فليس المراد منه ذلك الانكسار الذي هو المبدأ بل المراد منه ترك  
الفعل الذي هو الغاية وكذلك الغضب له مقدمة وهي غليان  
دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية وهو انزال العقاب  
بالمفصوب عليه فاذا وصفنا الله بالغضب فليس المراد ذلك  
المبدأ الذي هو غليان دم القلب بل المراد تلك النهاية وهي انزال  
العقاب فهذا هو القانون الكلي في هذا الباب الوجه الثاني ان يقع  
هذه العبارة في كلام الكفرة فيقولون اما يستحي رب محمد  
ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فجاء هذا الكلام على سبيل



اطباق الجواب على لفظ السؤال وهذا فن مشهور من الكلام  
البحث الثالث هو ان شبهة هؤلاء الكفار اما ان يقال  
انما وقعت من حيث انهم استبعدوا من الله ضرب المثل بالذباب  
والعنكبوت والبعوض وامثالها فاما الاول فباطل لان ضرب  
الامثال لتعريف المعنى مستحسن في العرف وفي العقل  
وفي الشرع اما انه مستحسن في العرف فلان امثال العرب كثيرة  
مشهورة وايضا كتاب كليله دمنه اكثره امثالا واما في الشرع  
فلانه ضرب الامثال في الانجيل بالاشياء الحقيرة تشبه ملكوت  
السموات رجلا اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب فزرعها  
في قرية فلما نبت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول  
وجاء الطير السماء ففتشت في ذروعها فكلت احدى من دعا  
اليه ضاعف الله له اجره وعظمه ونجابه من اهتدى وقال  
ايضا لا يكونوا كمنخل منه الدقيق الطيب ويمسك الخبثا لذلك  
انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبغون الغذاء في صدوركم  
وقال ايضا قلوبكم كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يليتها  
وقال لا تذخروا ذخايركم حيث السوس والارض فيفسدها  
ولا في البرية حيث السموم والنصوص فيجرها السموم ويسرقها  
النصوص ولكن ادخروا ذخايركم عند الله وقال ايضا تحفروا  
فتجودوا بعلها لباسها فحردوا وتعلوها لباسها وهناك

رزقها وهن لا يعزلن ولا يشخصن ومنه ما هو في جوف  
الحجر الاصم او في جوف العود من ياتيهن بلباسهن وارزاقهن  
الا لله افلا تعقلون وقال لا تدينوا الذين باير فيلادغكم كذلك  
لا تخاطبوا السفهاء فيشتمون فثبت ان الله تم ضرب الامثال  
بهذه الاشياء الحقيرة واما ان ضرب الامثال مستحسن في العقول  
فلان من طبع الخيال حب المحاكاة والتشبيه فاذا ذكر المعنى  
وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر معه  
التشبيه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثاني  
يكون اكمل وايضا فحين نرى ان الانسان يذكر مع فلا يلوح كما يجب  
فاذا ذكر الامثال اتضح وصار مبينا مكشوفاً واذا كان التمثيل  
يفيد زيادة البين والوضوح كما ذكر مفيداً نافعا واما ان  
ان موضع شبهة للقوم انهم استبعدوا ان يضرب الله الامثال  
بهذه الاشياء الحقيرة فاعلم ان هذا جهل لانه تعالى هو الذي خلق  
الكبير والصغير وحكمة في ظلال ما خلق وبرأ عام لانه قد احكم جميعه  
وليس الصغير اسهل عليه من العظيم ولا العظيم اصعب من الصغير  
واذا كان الكل بمنزلة واحدة كان ضرب المثل بالكل جائزا  
حسابا للمعتبر ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها ضرب  
المثل بالبعوض والذباب كان ضرب المثل فيها بالفيل والحمل  
عجزا جازا وهذا المقصود تبسيط عبادة الاصنام وكان ضرب المثل



فيها بالذباب والعنكبوت اولى ويدل عليه وجوه الاول  
 انه تعالى خلق عباده منعفاء فقال وخلق الانسان ضعيفا وقال  
 الله الذي خلقكم من ضعف فلا جرم ضرب المثل لهم بالاشياء الضعيفة  
 لانه الجنس اقرب الى الجنس قال عليه السلام امرت ان اكلم الناس  
 على قدر عقولهم الثاني انه تعالى لم يستحي من خلقها ورزقها  
 فاولى ان لا يستحي من ذكرها وضرب المثل بها وكيف يستحي من  
 ذكر شيء لو اجتمع الخلائق على ان يخلقوا مثله لم يقدر واعليه  
 قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا  
 ولو اجتمعوا الثالث ان البعوض لحي اذا جاعت فاذا امت  
 الدم كثيرا اشبع ومات فهذا تشبيه للانسان على انه  
 اذا تم امر الانسان فقد قرب اجله كما قيل اذا تم امر دنا نقصه  
 توقع زواله اذا قيل تم واعلم ان المفسرين اختلفوا في لفظ  
 ما في قوله مثلاما بعوضة فما فوقها فقال بعضهم انها صلة زائدة  
 كقوله فيما رحمة من الله لنت لهم وقال ابو مسلم معاذ الله  
 ان يكون في القرآن زائدة ولغولان الله تع وصف القرآن بكونه  
 هدى وبيانا وكونه لغويا في ذلك وفي بعوضة قرائتان احدهما  
 النصب وعلى هذه القراءة بلفظ ما ابهامية والمفعول مثلا اي  
 مثل كان واما على قراءة الرفع ففيه وجهان الاول انها موصولة  
 صلها الجملة وتقديرها الذي هو بعوضة الا انه حذف المبدأ

كما حذف

كما حذف في قوله تماما على الذي احسن والثاني ان يكون استهامة  
 فانه لما قال ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا لانه قال بعد ما بعوضة  
 فما فوقها حتى لا يضرب المثل به بل له تعالى ان يتمثل بما هو اقل من  
 البعوضة وهو كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ماد يبارود دينار  
 يهب ما هو اكثر منه واما لفظ البعوضة ففيه اشتقاق قولان  
 الاول ان البعوض من البعوض وهو القط كالبعوض والبعوض  
 يقال بعوضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض  
 في اصله صفة على ففول كالقطوع فقلت والقول الثاني ان  
 اشتقاقه من بعض الشيء سمي به لقلة جرمه وصفه لان بعض الشيء  
 قليل بالقياس الى كله واما قوله تعالى فما فوقها ففيه قولان الاول  
 ما هو اعظم منها في الجنة كالذباب والعنكبوت والكلب والحمار  
 وذلك لان القوم استبعدوا تمثيل الله على هذه الاشياء والقول  
 الثاني وهو اختيار المحققين ان المراد فما فوقها في الصغرى اي  
 بما هو اصغر منها واحتجوا على هذا القول بوجوه الاول ان المقصود  
 تحقير الاوتان وكما كان المشبه به اشد حقارة كان المقصود  
 من هذا الباب اكمل الثاني ان المقصود من هذا الباب بيان  
 ان الله تعالى لا يترك التمثيل بالشيء الحقير واذا كان الامر كذلك  
 كان المذكور ثانيا يجب ان يكون له حقارة من الاول  
 يقال ان فلانا يتمثل الذل في اكتاب الدنيا بل في اكتاب ما فوقه



والمراد ما فوقه في القلة الثالث ان الشئ كلما كان اصغر كان  
الاطلاع على اسراره اصعب فاذا كان على نهاية الصغر لم يحيط به  
الا علم الله تعالى فكان التمثيل به اقوى واكمل في الدلالة على الحكمة  
والعلم والتمثيل بالشئ الكبير الحجث الرابع في شرح عجائب  
حكمة الله في خلقه البعوض وبيان من وجوه الاول ان اكثر  
الناس يتعجبون من خلقه الفيل ثم الفيل مع كبر حثته ليس له الا اربعة  
ارجل وخرطوم وذن وبالعوضه لها هذه الاعضاء مع يدين  
زايتين واربعه اجنحة ثم انه شارك الفيل في الفم والخرطوم  
والجوف واعضاء اخرى لا يدركها ابصار الخلق ولا يحيط بها  
الا علم الخالق الثاني ان هذا البعوض مع غاية صغره مسلط على  
الفيل والاسد بالايذاء ولا قدرة لهما على البعوض وهذا يدل  
على ان الاستيلاء على الغير ليس بالقوة والشدة وكثرة العدد بل بقوة  
الله وتأنيده كما قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله  
وقال ان يضركم الله فلا غالب لكم اليس ان نمرود كان اكبر ملوك  
بنى آدم واطفاهم واعظمهم سلطانا واشهرهم صولة ثم ان بعوضه  
طار على دماغه وكانت تؤذيه وتوقع الدغدغة في دماغه  
فكان اكثر الناس محبة لنمرود وشفقة عليه من يضرب على  
دماغه ما به صفة بالشدة والقوة واكثر حية تسكن تلك الدغدغة  
بل ان كنت ما شهدت نمرود ولا احواله فاعتبر نفسك فانك

اذا وقعت

اذا وقعت بعوضة على رأسك او وجهك فربما صفت رأسك  
ولطمت وجهك مرات وكرات تريد ان يقتلها ثم انها يطير ولا  
تصيبها منك آفة البتة ويبقى ضرر اللطم والصفع على خذلك ورأسك  
الثالث ان الصانع البشري يقدر ان تصور فيلانا من الخشب  
او من الحديد ولا يقدر احد من الصانع ان تصور بعوضة من  
الخشب ولا من الحديد ففعل هذا ليكون البعوضة اشرف من الفيل  
من ذلك الوجه وذلك لان الفيل والبعوضة يشتركان في دلالة  
اجزاء كل واحد منهما على قدرة الصانع وحكمة ثم ان كل ما حصل  
في الفيل من وجوه الدلائل فهو حاصل في البعوض وقد حصلت  
وجوه من الدلائل في البعوض ما لم يحصل في الفيل فانا بينا ان  
الصانع البشري يمكنه تصوير الفيل ولا يمكنه تصوير البعوض  
فكانت البعوضة اشرف من الفيل من هذا الوجه فتأمل انك  
اذا اعتبرت الاعضاء الظاهرة فالبعوض ازيد فيها من الفيل  
وان اعتبرت الاستيلاء والمهتر فالبعوض مستول على الفيل والفيل  
لا قدره له على البعوض وان اعتبرت الدلالة على قدرة الله وحكمة  
فالبعوض ازيد من الفيل بالوجه الذي ذكرناه لتعلم انه لا عبرة  
بالصور الظاهرة وانما العبرة باعانة الله وتأنيده الرابع اعتبر  
قوة حواس البعوضة وكما لمعرفتها بمصالحها اما حاسة البصر  
فلان البعوض اذا جلس على عضو من اعضاء الانسان فانه لا يزال



يدبر خرطوم من جانب الى جانب حتى يجد الموضع المثقب من  
جلد الانسان وذلك لان جلد الانسان فيه مسام كثيرة يخرج منها  
النفس والعرق فهو برئس خرطوم يطلب ذلك الثقب فاذا وجدها  
غوص بخرطوم فيها من الذي هداه الى مقصوده من جذب  
ومن الذي استدفه ان بدن الانسان فيه منافذ ومسام وان  
ادخل الخرطوم في تلك المنافذ الموجودة اسهل من احداث  
منفذ في الجلد واما حسن السمع فلان البعوضة في الليلة الظلماء  
اذا وقعت على عضو الانسان فاذا حاول الانسان تقرب اليد  
منها ليصير بها احست بحركة اليد فطارت ولو بالغ الانسان  
في اخفاء حركة اليد فانها لا بد وان يحس بتلك الحركة فمن ذلك  
اعطاه هذه القوة السامعة بهذا الكمال ثم هنالك شيء اخر وهو  
انها علمت ان مض الدم من جلد الانسان اجنبية عليه واذا له  
وان الانسان لا بد وان يقاوم تلك الجناية بان يقصد قتلها  
واذا نجاها فالبعوضة يعلمها بهذا المعنى بقيت مستعدة للفرار  
والحذر فانظر ان سجانة كيف هداه الى تحصيل الغذاء الموفق  
له ثم اودع في خياله انه لا بد من الحذر فكلما قرب البشطار  
وتخلصت لا يتأتى مثل هذا التدبير من الاله ~~الطاهر~~ الذي خلق  
فسوى والحكيم الذي قدر فهدى الخامس تأمل في صفر جثة  
البعوض ولا شك ان خرطومها اصفر بكثير ثم ان ذلك الخرطوم

مع غاية

مع غاية صفر مجوف ولولا ذلك التجويف لما قدر على امتصاص  
الدم منه فانظر الى ذلك الخرطوم مع كونه مجوفا كيف يكون غاية  
رقته ثم تأمل انها مع غاية رقتها كيف قوتها وشدها فانها  
يفوض في ذلك الخرطوم من جلد الجاموس والفيل على شدة  
وثخانة ويستخرج الدم منه كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص  
السادس انه تعالى خلق في خرطوم البعوضة عصبو كثيرة كما في  
خرطوم الفيل فتارة تمدها ويطولها وذلك عندما بعوض  
الخرطوم في الجلد وتارة يقبضه الى نفسه وذلك عند الاخراج  
فتأمل في كل واحد من اجزاء ذلك العصب وذلك لانه على ما  
خرطوم الفيل لا بد وان يكون اصله غليظا ويكون رأسه مستدقا  
ولا بد وان يندرج من العلف الى الدقة على تناسب مخصوص ولا بد  
وان يكون قد احتض كل واحد من تلك الاجزاء بشكل مخصوص  
وصفة مخصوصة ولا يقدر على ذلك التشكيل والتصوير الا  
القادر بجميع المكنات العالم بجميع المعلومات السابع تأمل  
في جسد البعوضة فانها في غاية الصغر وخرطومها اصفر منه  
بكثير ورئس خرطومها اصفر من ذلك الخرطوم بكثير ثم انه تعالى  
اودع في رئس خرطومها سماً وفيه فائدتان الفائدة الاولى  
ان ذلك السم اذا انصب على ذلك الموضع من الجلد افسد مزاج  
ذلك الموضع وبسبب فساد مزاجه يحدث فيه نوع من اللين



والرخاوة فيخند بسهولة على البعوضة غوص خرطومها في ذلك  
الموضع والقائدة الثانية ان تلك الحارة السمية تعين البعوضة  
على هضم ذلك الدم المخصوص وقال اهل العلم ان الحكمة في خلق  
السم فيما بين فكي اللحية انه ليس لها اضرار يفتقر بها على مضغ  
الاغذية خلق الله تعالى فيما بين فكها سماً قويا حاداً اضطر فالحية  
اذا قبضت على جثة الحيوانات وجعلها بين فكها اقبل ذلك للجسم  
وهربها من ساعتها فيخند يستلمها وستمها بها ولم يخلق  
فيها بين فكها ذلك السم لما تمكنت من الاكل لانه ليس  
لها اسنان ماضفة لحاجته فكانت تموت من الجوع اذا عرفت  
هذا فنقول جثة البعوضة صغيرة وحرارة بدنها قليلة وليس  
لها شيء من الاسنان فخلق الله تعالى في رأس خرطومها ذلك السم  
ليعينها ذلك السم على هضم الغذاء واعلم ان سم البعوضة له قوة  
شديدة في الكيفية ولذلك فانه اذا كثرت اجتماع البعوض على بدن  
الانسان اسود البدن وربما تآدى الى الموت ثم هناك حالة  
اخرى اعجب من كل ما تقدم وهو ان جثة البعوضة في غاية  
الصغر وخرطومها اصغر منها ورأس الخرطوم اصغر من ذلك الخرطوم  
والسم الذي في رأس ذلك الخرطوم اصغر لا محالة من رأس ذلك  
الخرطوم ثم ان البعوضة اذا وضعت رأس خرطومها على موضع  
من بدن الانسان فانه لا ينصب على ذلك الموضع جميع ما معها

من السم

من السم فانها اذا عصت موضعاً اخر حصل فيه مثل ذلك الالم  
فعلما انه لا ينصب من السم الذي في رأس خرطومها الا القليل  
واما الاكثر فيبقى هناك فتأمل ان ذلك الذي ينصب منه  
على بدن الانسان يكون في القلة والصغر فلعله يكون جوهراً  
فرداً او جزءاً لا يتجزى في علم الله تعالى ثم انه تعالى اودع ذلك  
الجزء القليل من الخاصية والقوة ما يزعج الفيل ويقلقه  
ويجعله مضطرباً محتيراً ثم انه تعالى اودع تلك القوة الشديدة  
في سم البعوضة الاليعينها على اصلاح غذائها ونظم معيشتها  
فكل من له عقل سليم وطبع مستقيم شهد بان هذا لا يكون  
الا بتدبير مدبر عالم بجميع الكليات والجزئيات قادر على جميع  
الكليات والممكنات الثامن تأمل في حال البعوضة فانها  
اذا وقعت على عضو الانسان اعتمدت على ما لها من الايدي  
والارجل وغوصت خرطومها في الجلد فاذا احت مسحة اليد  
اخرجت ذلك الخرطوم في الحال على اسهل الوجوه وطارت قبل  
وصول اليد اليها ولو ان الانسان جعل ابرة او مسلة في جرم  
غليظ فانه لا يمكنه ان يخرجها منه الا بعد تعب شديد التاسع  
تأمل ايضا في حالها فانها اذا وجدت الفرصة والمهلة  
مضت دماً كثيراً الى ان ينشق وتموت وربما مضت  
الى حيث يعجز عن الطيران فاذا حاول الانسان ضرب يد عليها



عجزت عن الطيران بسبب ثقلها فبقيت هنا وتصل اليديها  
وتموت وهذا فيه تنبيه عظيم للانسان على احوال دنياه واخراه  
اما الدنيا فلان الانسان كثير من اللذات والشهوات سبب  
لوقوع المحن والافات واما الآخرة فلان الانسان اذا كان خفيفا  
قليل العلائق فاذا وصل اليه نداء قوله ارجع الى ربك راضية  
طار من ~~هه~~ وكره مكر الدنيا الى عرش عيش الآخرة اما اذا كان  
ثقيلا من حب الدنيا عجز عن الطيران فبقي في هاوية الجسمانيات  
وظلمات الخيالات كما قال تعالى في صفتهم ناكسوا رؤسهم العاشر  
تأمل في رأس البعوضة ووجهيها فانها مع غاية صغرها  
قد جعلها الله منقسما الى اقسام كثيرة واودع في كل قسم من  
تلك الاقسام خاصية معينة وقوة معينة وذلك لانه تعالى  
خلق في رأس البعوضة عينين واودع فيهما قوة باصرة اكمل  
مما للانسان ويدل عليه وجهان الاول انه يبصر في الظلمة الشديدة  
الموضع الذي يمكنها من الدم الثاني انها ترى ببصرها  
مسام جلد الانسان ولذلك فانها اذا وجدت غوص خرطومها  
فيها والانسان لا يرى ذلك البتة وايضا انه تعالى خلق في رأسها  
اذنين اودع فيهما قوة سامعة اقوى مما للانسان ولذلك  
فانها تسمع في الظلمة خفيف اليد مع ان الانسان البتة لا يسمعها  
والثالث انه تعالى خلق في رأسها قوة الشم ولذلك فانها تحس لوقوع

الجيف من المكان ولولا الشم لما عرفت ذلك والرابع انه تعالى خلق  
في رأسها الفم واودع فيها القوة الذائقة ولذلك فان البعض  
يرغب في بعض الطعوم دون البعض ولولا القوة الذائقة  
لما كان الامر كذلك الخامس انه تعالى اودع في يديها القوة اللمسة  
ولذلك فانها تهرب من الحر الشديد والبرد الشديد السادس  
انه تعالى خلق في رأسها قوة الحفظ ولولاها لما ميزت بين ما  
ينفعها وبين ما يضرها وخلق فيها ايضا قوة الفكر ولولاها  
لما عرفت وجوب الفرائض عند محيئ اليد وخلق فيها قوة الذكر  
ولولاها لما ميزت بين معاني النافعة والضارة فانظر الآن  
الى رأس البعوضة كم يكون مقدرا لم ذلك الجرم ثم انه تعالى  
قسم ذلك الجرم الصغير الى اجزاء صغيرة واودع في كل واحد  
من تلك الاقسام خاصية معينة فهذا عيناه وهذا اذناه  
وهذا انفه وهذا مقدم دماغه الذي فيه قوة الحفظ وهذا  
وسط دماغه الذي فيه قوة الفكر وهذا مؤخر دماغه  
الذي فيه قوة الذكر ولا شك انه تعالى خلق له منفذا للغذاء  
ومخرج الفضلة ومته كان الامر كذلك فقد خلق الله تعالى جوفها  
وامعاء وعروقها وعظامها فيحضر بباله العاقل السليم العقل  
ان يسند هذه التأثيرات العجيبة والتصرفات البعيدة  
الى الطبيعة مع انها قوة لا شعور لها بشئ من الاشياء ولا تميز لها



في حال من الاحوال هذا مما لا يقول عاقل بل يشواهد النظر  
وصرايح الافكار وبداية الانظار تتأني باعلى صوتها على انها  
انما حدثت بتدبير عمن لا يعزب عن قدرته وعلمه وحكمته  
ذرة في الارض ولا في السماء الخلق والامر تبارك الله رب  
العالمين ورحم الله من قال • يا من يرى مذبذب جنات  
في ظلمة الليل البهيمه الليل • ويرى عروق نياطه في مخرم •  
والخ من تلك العظام المتحل • اغفر لعبد قاب من فرطاته •  
ما كان منه في الزمان الاول • وصلى الله على محمد وآله الحميين •  
**الفصل الخامس في الذباب** قال تعالى في سورة الحج يا ايها  
الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله  
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلمهم الذباب شيئا  
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدر والله  
حق قدره ان الله لقوي عزيز وفي الآية ابحاث • الاول  
اعلم ان هذه الآية من جملة الايات التي اقرب فصاحتها الصدق  
والزندق والمخالف والموافق يحكي انه اجتمع اربعة من الزنادقة  
بمكة ابن المقفع وابن ابي العوجاء وابوشاكر الديصاني وعبد  
الملك البصري وقالوا نعالوا نعارض القرآن كل واحد منها  
ربعه فتواعدوا وتفرقوا على ان يجتمعوا في السنة المقبلة  
فلما رجعوا قال ابن المقفع اني عجزت عن معارضة قوله

وقيل يا ارض ابلغى ماؤك وياسماء اقلعي وقال ابن ابي العوجاء  
اني عجزت عن معارضة قوله فلما استبأسوا منه  
خلصوا نجيا وقال ابو شاكر اني عجزت عن معارضة قوله  
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال عبد الملك اني عجزت  
عن معارضة قوله يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له هؤلاء  
الزنادقة كانوا فضحاء اهل العلم وقد عجزوا عن معارضة  
هذه الايات وذلك لجرالة لفظها وقوة معانيها وعذوبة  
سياقها وفي هذه الفضة نكتة اخرى عجيبة وذلك لان  
الاعداء لما طعنوا في فصاحة القرآن فقالوا كيف يليق بالله  
ذكر الذباب والعنكبوت فاجاب الله تعالى عنه بان حقارة هذه  
الحيوانات لا يقدح في فصاحة هذه الايات اذ كان نذكرها  
التسبيه على الحكم البالغة والمعاني الدقيقة الشريفة ثم ان  
اشد الزنادقة عداوة واكثرهم علما بوجوه الفصاحة والبلغة  
اعترفوا بالعجز عن معارضة هذه الايات المشتملة على ذكر الذباب  
فكان ذلك جارا يا مجري معجزة اخرى لمحمد عليه السلام وفي الآية  
سؤالان السؤال الاول ان الذي ذكره الله تعالى  
في هذه الآية ليس بمثل فكيف سماه مثلا الجواب لما كان  
المثل في الاكثر ملته عجيبة غريبة جازان يسمى كل ما كان كذلك  
مثلا السؤال الثاني قوله ضرب مثل يفيد ان هذا الكلام



المذكور ليس كلام الله بل هو كلام لبعض المتقدمين وذلك  
يجترأ إلى القرآن اعظم وجوه الطعن الجواب لما كان الكلام  
المذكور في هذه غاية القوة والبعد عن الشبهة كان ذلك  
كلاما معلوما من قبل لاجرم كان ذكره بمنزلة اعلاء امر قد تقدم  
اما قوله تعالى فاستمعوا له اي تدبروه حق التدبر لان نفس  
السمع لا ينفع انما ينفع هو التدبر والتأمل ثم انه تعالى احتج  
بامر الذباب على اهل مذهب عبدة الاوثان فقال ان الذين  
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له والمغني  
ان هذه الاصنام لو اجتمعت باسرها واجمعها لما قدرت  
على خلق ذبابة على ضعفها فكيف يليق بالعاقل الاشتغال بعبادة  
مثل هذا الشيء وقوله تعالى ولو اجتمعوا له نصب على الحال  
كانه تعالى قال مستحيل ان يخلقوا ذبابا حال اجتماعهم فكيف  
حال انفرادهم ثم قال وان يسلمهم الذباب شيئا لا يستقذوه  
منه فالمغني كانه تعالى قال اترك حديث الخلق والايجاد واذكر  
ما هو اسهل منه فان الذباب ان سلب منها شيئا فهي لا يقدر  
على استنقاذ ذلك من الذباب واعلم ان المقصود من هذا  
الاستدلال يظهر من وجوه الاول ان فعل الفاعل لا يند  
وان يشتمل على مصلحة وتفضيل هذه الاصنام لافائدة فيه لانها  
جمادات لا تفكر ولا تنفع والاشتغال بالعبث مخطور عند العقول

الحجة الثانية ان العبادة غاية التعظيم والانسان اشرف من  
الجمادات واقدم الاشرف على غاية التواضع للاخص خلافا للعقل  
الحجة الثالثة انهم لما عظموا الاوثان غاية التعظيم لم يقدر  
على ان يعظموا الخالق سبحانه تعظيما ازيد من ذلك فحينئذ يلزم  
حصول التسوية في التعظيم بين مدبر السموات وبين مدبر  
تلك الاحجار والجمادات وذلك غاية السفاهة وقوله تعالى ضعف  
الطالب والمطلوب ففيه اقوال احدها المراد منه الصنم  
والذبابة والصنم كالطالب من لو طلب ان يخلقه او يستنقذ  
منه ما اسلبه لعجز عنه والذبابة بمنزلة المطلوب والثاني  
ان الطالب عابد للصنم والمطلوب نفس الصنم وهذا القرب  
لان كون الصنم طالبا ليس على سبيل الحقيقة بل على سبيل التقدير  
اما هنا فعلى سبيل والقول الثالث ان يكون معنى قوله لا من  
حيث القوة لكن لظهور قبح هذا المذهب كما يقال للرجل عند  
المناظرة ما اضعف هذا المذهب وما اضعف هذا الوجه اما  
قوله وما قدره الله حق قدره فالمغني ما اعظمه حق تعظيمه  
حيث جعلوا هذه الاصنام على نهاية حساستها شريكة الخالق  
السموات والارض في العبودية واعلم ان منشأ جميع الشبهات  
هو القول بالتشبيه والتشبيه بالذات باطل كما يقول المجتمة  
والتشبيه في الصفات باطل كما يقول الكرامية والتشبيه في الافعال



باطل كما يقول المعتزلة قال الامام ابو القاسم الايضاري انه تعالى  
 جبار النعم عزيز الوصف فالأوهام لا تصوره والافكار  
 لا يقدره والعقول لا يمتثلها والارزمنة لا تدركه والجهات لا تحويه  
 ولا تخله صمدى الذات سرمدى الصفات اما قوله ان الله  
 لقوى عزيز فاعلم انه تعالى ذم الاصنام باشيائهم اثني على نفسه  
 باضدادها فالاول انه تعالى لما قال في هذه الآية للاصنام  
 ضعف الطالب والمطلوب فوصفها بالضعف ووصف نفسه  
 بالقوة فقال وكان الله قويا عزيزا والثاني قال في حقها ويعبدون  
 الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وقال لنفسه وان يمسك الله بضر  
 فلا كاشف له الا هو الثالث انه تعالى قال لها فادعوهم فليستجيبوا لكم  
 ان كنتم صادقين وقال لنفسه ادعوني استجب والاربع قال  
 في حقها لبس المولى ولبس العشير وقال لنفسه نعم المولى ونعم النصير  
 الخامس قال في حقها وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون  
 وقال لنفسه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار والسادس  
 قال في حقها ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم  
 وقال لنفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير البحث الثاني  
 في اثار حكمة الله تعالى في خلق الذباب اعلم ان اكثر الاصول  
 المذكورة في البعوض عائدة في الذباب ثم انما نخصه بمزيد  
 وجوه الاول ان في الذباب ثلاثة انواع من المنافع الدينية

فالاول انه يدل على التوحيد من وجهين الاول انه من  
 جملة من يسبح الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا  
 يفقهون سبهم فهو سبحانه حاله ولا يعصيه بعباده البتة  
 واما الكافر فهو وان كان يسبح الله بدلائل خلقته لكنه ينكره  
 باللسان ويعصيه باعماله فكان الذباب مع غاية حقارته خيرا  
 من الكافر والثاني انه تعالى جعل الذباب حجة على بطلان مذهب  
 عبدة الاوثان فقال وان يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه  
 منه فعبودا تم لا يقدر على خلق ذباب واحد ولا على ذهابها  
 عن انفسهم ولا على استرجاع شيء يسلبها الذباب عنهم  
 ومن كان في الضعف والعجز هكذا كيف يستحق ان يعبد واما الثاني  
 فهو ان الذباب يدل على النبوة فلا بد من صح في الاخبار انه ما كان  
 يقع من البعوض ولا الذباب على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فانه كان اعز على الله عز وجل من ان يكون مركبا للبعوض والذباب  
 او دمه مشربا لهما فيكون هذين الحيوانين مسطين على كل  
 المخلوق مع كونها ممنوعين عنه على التقيين من اقوى البينان  
 واظهر المعجزات واما الثالث فهو ان الذباب يدل على طهارة  
 الصحابة وروى ان المنافقين لما طعنوا في عيشة رضى الله عنها  
 ونسبوا اليها الفاحشة حصل الغم العظيم في قلب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي فقال الرسول دم



ما قولك في هذه الواقعة فقال يا رسول الله انا قاطع بكذب  
المنافقين فقال عليه السلام وما الدليل عليه فقال عمر الدليل  
عليه ان الله تعالى عصمك عن وقوع الذباب على جلدك فلما تفكرت  
فيه علمت ان السبب انها يجلس على الجحاش فيتلطخ ارجلها  
فقاله تعالى عصم جلدك عن ذلك القدر من القاذورات فكيف  
لا يعصمك عن كل ما يكون متلطخا بالفواحش والسيئات فاستحسن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل عليه عثمان رضي فسله عن  
هذه الواقعة فقطع بكذب المنافقين فطلبه بالدليل فقال عثمان  
الدليل عليه ان الله تعالى ما وقع ظلك على الارض فالدليل على ذلك  
احد من وضع القدم على ظلك فكيف يمكن الاجنبى من تلويث  
عرض وجهك ثم دخل على رضي فساله عن الواقعة فقطع بكذب  
المنافقين فطلبه بالدليل فقال الدليل انا كنا نصلى خلفك  
فزعمت في اثناء الصلوة رجلك عن نعلك فنزعنا ايضا ارجلنا  
عن نعالنا فلما تمت الصلوة قلت لنا لم نزعتم ارجلكم عن  
نعالكم فقلنا فعلت ذلك فوافقناك فعلت انما فعلت ذلك  
لان جبرئيل عم اخبرني ان عليه قدرا فلما امر الله تعالى باخراج  
تلك النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من العذارة فكيف يليق  
بهذه العناية ان لا يأمرك باخراجها بتقدير ان يكون ملطخة  
من الفواحش فطلب قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع هذه

الدلائل ثم انزل الله تعالى الايات الدالة على طهارتها وبرائتها  
عن الفواحش والمقصود من رواية هذا الخبر ان الذبابة  
وان كانت ملطخة ملوثة الا انها دلت على براءة عايشة رضي الله عنها  
عن كل لوث وهذا يقتضي كون الذبابة اشرف واعلى وارفع  
درجة في اولئك المنافقين فصارت الذبابة دالة على قدرة  
الله تعالى وحكمته ووحدانيته ودالة على ابطال القول بعبادة الاوثان  
ودالة على نبوة سيد الانبياء محمد عليه الصلوة والسلام ودالة  
على طهارة عايشة رضي الله عنها فصارت على حقارتها مسجدة  
للدلالة على صحة اصول الاسلام الوجه الثاني انه تعالى اظهر  
بخلق الذبابة قبائح الكفار وفصائح الفساق والفجاء اما قبائح  
الكفار فلانه اذا وضعت قصعة من المرقة الحارة تبادرت  
الذبابة والانسا يذبحها عن تلك المرقة الحارة بكل طريق ثم  
انها يلقى نفسها في تلك المرقة وتموت فيها وهذا يشبه طريقة  
الكفار فان الانبياء عليهم السلام يدبونهم عن نار جهنم باقصة  
ما يقدرون ثم انهم يلقون انفسهم في نار جهنم الا ان عاقبة  
الذبابة احسن من عاقبة الكفار لان الذبابة لما ماتت تخلصت  
والكفار لما ماتوا بقيت ابد الاباد قال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا  
واما فصائح الفساق فلان في الذباب حساسة عظيمة ولا يميز  
بين الطيب والخبث فتارة يقع على السكر وتارة يقع على القاذورات



فكذا الفاسق قد وضعت له مأثرة الجنة واعدت له جميع النعم  
الطيبة فهو قارة يقدم على تلك الطيبة واخرى يجلس على مأثرة  
المعاصي والمنكرات وهي من جنس القاذورات والنجاسات فمن اراد  
ان يصون نفسه عن خساسة الذباب وجب ان لا يدور حول  
الخبائث والمنكرات الثاني انه تعالى اظهر خلق الذباب ذل  
المتكبرين حكى عن سعيد بن جبيرة انه سار عن الحاج وكان  
مع ذلك لا يترك الصلوة بالجماعة فقل له اياك والخروج من الدار  
فان عليك من الحاج عيوننا فقال كيف اختلف عن الجماعة والمؤذن  
ينادي بحجى على الفلاح ثم اخذ اعوان الحاج في طريق المسجد  
واتوا به فقال الحاج يا ابن جبيرة ما الحكمة في خلق الذباب وكان  
قد تأذى به لكثرة ما كان يذب عنه وهو يعاوده فقال انما خلق  
الله الذباب ليدل به الجبابرة وذلك انه يقع على النجاسة ثم يقع  
على وجوه الجبابرة فيظهر بذلك ذلهم حيث عجزوا عن دفع اضعف  
المخلوقات واحقرها عن انفسهم الوجه الرابع قال اهل الحكمة  
ان في الذباب منفعة عظيمة من ثلثة اوجه وذلك لان الذباب  
لا يظهر الا في مواضع العفونة والاماكن المستقدرة ثم انه تعالى  
يخلق من بعض اجزاء تلك العفونات ذات الذباب ويجعل بقية  
تلك العفونات غذاء لها ثم انها بكثرة طيرانها يحرك الهواء وتحريك  
الهواء سبب لازالة بقية العفونات على الهواء فنصارت الذبابة

سببا لازالة العفونات من هذه الالوجه الثلثة فالذبابة  
اذا صارت وجلت على وجه الانسان وذاته فذلك في الحقيقة  
انعام عظيم في حق الانسان فانه لولا وجوده وطيرانه لاستولت  
العفونات على الهواء فادى ذلك الى حصول الضرر العظيمة  
فكما ان الصبي يتأذى من القصد والحجامة والعاقل يعلم انه  
من اعظم وجوه الانعام في حق ذلك الصبي فكذا وقوع الذبابة  
على وجه الانسان وان تأذى منه الجاهل الا ان العاقل يعلم  
انه من نعم العظيمة في حق من حيث انه سبب لازالة العفونات  
عن الهواء الذي هو مادة الحياة فان قيل خالق العفونات  
هو الله سبحانه فكيف ينبغي ان لا يخلقها حتى لا يحتاج في دفعها  
الى خلق الذباب قلنا هذا السؤال غير مختص بالذباب فانا  
اذا قلنا انه تعالى خلق الحب والماء واصناف الفواكه ليلتذ  
الانسان باكلها فيقول السائل خالق اللذات هو الله سبحانه  
فكان ينبغي ان لا يخلقها ابتداء حتى لا يحتاج الى خلق الماء  
والحب ولما كان هذا واردا على كل القرآن علمنا سقوطه  
ثم التحقيق ان الدنيا دار الاسباب فربط الله تعالى كل شئ  
بشئ حتى انه كما اظهرت قدرته بايجاد الاشياء فكذلك يظهر  
حكمة بجعل الاشياء اسبابا لساير الاشياء الوجه الخامس امثال  
العرب اجراء من الذباب واطيش من الذباب والحق من الذباب



واشبه من الذباب بالذباب اما شدة جرأة فظاهرات  
 الانسان كلما دفعه عاد اليه وقيل انما سمي الذباب ذبابا لانه  
 كلما ذب أب والحكمة في وصفه بالجرأة انه لما كان المقصود من خلقه  
 افناء العفونات تارة بالاغتذاء بها وتارة بتحريكه وتلطيفه  
 بسب الطيران وجب كونها موصوفة بالجرأة حتى انها متى ذبت  
 لم يمنع عن الحركة فيحصل هذا المقصود وكذا طيشها ولحاحها  
 من الامور المعينة على هذا المقصود واما كون بعضها شبيها ففيه  
 حكمة عجيبة وذلك لانا بيننا الوصلت المشابهة بين الاشخاص  
 الانسانية اختلف مصالح العالم فان على هذا التقدير ما كان  
 يتميز زوج هذه المرأة عن غيرهم وما كان يتميز مالك العظمة في  
 العالم ولاجل رعاية هذه المصالح ميز الله تعالى كل انسان عن غير  
 في الشكل والصورة والصوت اما الحيوانات الالهية فهي غير  
 مكلفة فما كانت مصالحها يختل عند حصول هذه المشابهة في  
 الصورة والحلقة الا ان الانسان ربما انتفع بفرد معين منها ولم  
 ينتفع اخر منها مثل ان كان هذا الفرس احسن ركضا واشد  
 عدوا من سائر الافراس فلاجل هذا المصلحة اظهر الله تعالى المخالفة  
 بين صورها الا ان المخالفة ههنا اقل بين صور الحيوانات  
 الالهية واما هذه الحيوانات الخسيسة التي لا يتعلق حاجتها الى  
 بها البتة فلم يحصل المخالفة بين صورها البتة وصارت

في المشابهة بحيث لا يمكن تمييز بعضها عن البعض وهذا الترتيب  
 الذي ذكرناه في تخلق اهل ان الحيوانات يدل على انها باسرها مخلوقة  
 لمنفعة الانسان حتى انها صارت مخلوقة على وفق مصلحة الانسان  
 واذا عرفت هذا فنقول ان امتياز الانسان عن سائر الحيوانات  
 ليس الا بكونه عارفا بالله مستغلا بطاعة الله فذل هذا على  
 ان كل الحيوان مخلوق لهذه الحكمة كما قال وما خلقت الجن والانس  
 الا ليعبدون ودل ايضا على ان خالق هذه الحيوانات ليس هو الطبيعة  
 ولا العلة ولا الخاصية بل المؤثر فيها هو الله الصانع المختار  
 حتى انه تعالى حيث تعلق المصلحة باظهار المخالفة بين الصور والاشكال  
 اظهرها وحيث لم يتعلق المصلحة باظهار هذه المخالفة لم يظهرها  
 فسيح من لم يخل ذرة من ذرات الارض والسماء عن دلائل ظاهرة  
 وبراهين باهرة على كمال قدرته وغاية حكمته الوجه السادس  
 من عجائب خلقه الذباب انا بيننا ان كثرة طيرانها من الامور المطلوبة  
 في الحكمة من حيث ان طيرانها سب لزوال العفونة عن الهواء  
 فنقول ان كثرة طيرانها في العفونات يصير سببا لوقوع تلك  
 على اجنتها ومنه اجتمعت تلك العفونات على اجنتها ثقلت  
 وعجزت عن الطيران فذبح الخالق الحكيم المدبر الرحيم ان اقدر  
 الذبابة على ان ينظف جناحيها برجليها عن كل ما التصق بها  
 من العفونات ثم انها كما تنظف جناحيها برجليها فكذلك خلق



في مقدم بدنهما يدين زائدين تنظف ابداءها عيناها وذلك  
لان العين لا يكمل الانتفاع بها الا اذا كانت صافية صفيحة و  
الحيو انا الكثير خلق الله على وجه احداقها اجفانا وهي تكون  
مطرقة ابداحة ان الاطرافات الكثيرة لتلك الاجفان ينظف  
سطح الحدقة في كل لحظة وآوان عن انواع الجمار والغبار  
تبقى صفيحة صافية فيبقى القوة الباصرة كاملة فاما الذبابة  
فان رأسها صغيرة ولا يحتمل اعينها الاجفان فلما لم يحصل لها  
الاجفان التي يصقل عيونها لاجرم دبر الحكيم في ذلك ان خلق  
في مقدم بدنهما هاتين اليدين الزائدين واقدرها على ان  
ينظف بهاتين اليدين الزائدين عينيها حتى يبقى صفيحة صافية  
ابدا فيبقى من خلق كل شئ على احسن الوجوه وهدى كل شئ الى  
رعاية مصلحته على اقصى الوجوه الوجه السابع في عجائب خلقته  
الذباب قوله عليه السلام اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوه  
فان في احد جناحيه داء وفي الآخر دواء واعلم ان هذه حاشية  
اطلع عليها الرسول عليه السلام ببور النبوة والرسالة وهذا  
ايضا من عجائب الخلقة فان كون احد الجناحين داء والآخر دواء  
مخصوص بالذباب ولا يوجد في غيره الثامن انه تعالى جعل حالتي  
الذباب بحسب الصيف والشتاء دليلا على اختلاف حالتي الانسان  
بحسب الموت والبعث فكما ان الذباب يغيب في الشتاء ثم يظهر في الصيف

فكذا

فكذا الانسان يغيب في الخلد بالموت ويظهر في القيامة بالبعث  
**الفصل السادس** في الكلام في بقية الحيوان  
المذكورة في القرآن اما العنكبوت قال تعالى كمثل العنكبوت  
اخترت بيتا وان اوهر البيوت بيت العنكبوت وفي تشبيهه  
عبادة الاصنام ببيت العنكبوت وجوه **الاول** ان بيت  
العنكبوت لا يصون عن الحر والبرد فكذا عبادة الاوثان لا يجلب  
النفع ولا يصون عن الضرر الثاني ان بيت العنكبوت ينهدم  
باده في سب فكذا مذهب عبدة الاوثان يبطل باده في حجة الثالث  
ان الشئ انما يعرف بضده فلما كان الاشتغال بغير الله كبت العنكبوت  
في الضعف لزم ان يكون الاشتغال بطاعة الله وعبوديته سبحانه  
اعظم واغنى من السموان السبع ثم في الالة لطايف دللت على  
شرف الموضع فالاولى انه تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله  
اولياء سمي الاصنام اولياء للكافرين ثم وصف نفسه بكونه  
وليا للمؤمنين فقال الله ولي الذين امنوا فالصنم ولي الكافر  
وجبار السموات والارض ولي المؤمن الثانية انه تعالى خلق  
البعوضة والعنكبوت فجعل البعوضة لهلاك اشد للخلق <sup>كفينا</sup>  
وكفرا وهو غرود وذلك لان البعوضة التي اهلكته غرود  
قالوا كان لها نصف البدن اما النصف الثاني فكان مفلوجا  
فاستادوا اما العنكبوت فانه تعالى جعل سببا لنجاة محمد عليه السلام



عن شرة الكفرة وذلك لانه عم لما دخل الغار نسج العنكبوت  
على باب الغار والحكمة في الكل انه تعالى خلق الاشياء الحقة و  
الصغيرة ثم جعلها اسبابا للامور العظيمة ليعلم الخلق ان الامر  
بيد الله يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ومن عجائب احوال  
العنكبوت انها اذا اراد ان تبني بيتها تطلب زاوية يحيط لها  
ضلعان ثم يبتدئ فيلقى اللواب الذي هو خيطه على جانب  
ليلتصق به ثم تعدد الى الجانب الاخر فيلصق الطرف الاخر من  
الخيطه ثم لا تزال تذهب ويحجى ثانيا وثالثا على تناسب مخصوص  
ثم اذا احكم الخيط كالستى استغل بالحكمة ويضيف البعض الى  
البعض على مناسبه هندسية ثم يهيأ شبكة يقع فيها البق  
والذباب ثم يقعد في زاوية مترصدة لوقوع الصيد في الشبكة  
فاذا وقع الصيد فيها بادرا الى اخذه فان عجز عن الصيد بهذا  
الطريق طلب لنفسه زاوية من خيطه ووصل بين طرفي الزاوية  
بخيط ثم علق نفسها من الخيط اخره وبقى متسككا في الهواء  
ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت الذبابة رمى بنفسه اليها فاخذ  
ولف خيطها على رجليها واحكمها ثم مامن حيوان صغير ولا كبير  
الا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى أفترى انه يعلم هذه الصفة  
من نفسه او بتعليم آدمي بل هذا من الالهامات الربانية والهدايا  
الرحمانية واما النمل قال تعالى في سورة النمل في قصة سليمان عم

حتى أتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم  
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قال المفسرون  
وادي النمل بالشام كثير النمل فان قيل لم تعدى اتوا بعلى فلما  
لوجهين الاول ان انبياءهم كان من فوق فأتى عبرة الاستعلاء  
والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على  
الشيء اذا بلغ اخره كأنهم ارادوا ان يزلوا عند مقطع الوادي اما  
قوله قالت نملة فالفى انها تكلمت بذلك وهذا غير مستبعد  
فان حصول العلم والنطق لها ممكن في نفسه والله قادر على  
كل الممكنات وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس  
فقال سألوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وكان غلام حدث  
فقال سلوه عن نملة سلما كان ذكرا او انثى فسلوه فاجاب فقال  
ابو حنيفة كانت انثى فقيل له كيف عرفت قال من كتاب الله  
وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال نمل وذلك لان  
النملة مثل الحمامة والاشاة في وقوعها على الذكر والانثى ثم  
يميز بينهما بعلامة كقولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو هو  
اما قوله ادخلوا مساكنكم فاعلم ان النملة لما قارنت حد العقل  
لاجرم خوطب بما يخاطب به العقلاء فلهذا قال ادخلوا مساكنكم  
واما قوله لا يحطمنكم ففيه وجهان احدهما التقدير ادخلوا  
مساكنكم لئلا يحطمنكم والثاني التقدير لا تكونوا حيث انتم



فيحيطنكم على طريقة لا رسك هنا وفي هذه الآية تنبيه على امور  
 احديها ان من سير في الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من  
 في الطريق التحرز وثانيها ان النملة قالت وهم لا يشعرون  
 كانوا عرف بان النبي يكون معصوما والمعصوم لا يقع منه قتل  
 هذه الحيوانات الا على سبيل السهو ثم انها كما اثبتت هذه العصمة  
 سليمان اثبتت هذه العصمة لاصحاب سليمان حيث قال لا يحيطنكم  
 سليمان وحبوده وهم لا يشعرون فتلك النملة كانت اكثر عقلا  
 من الحشوية الذين يجوزون العصمة على الانبياء عليهم السلام  
 ومن الروافض الذين يطعنون في اصحاب محمد عليه السلام  
 فان النملة ما طعت في اصحاب سليمان عليه السلام وهؤلاء  
 الروافض يطعنون في اصحاب محمد عليه السلام وثالثها  
 ما رايت في بعض الكتب ان تلك امراة رعيها بالدخول  
 في مساكنها لتلا ترى تلك النعم فلا يقع في كفر ان نعم الله تعالى  
 وهذا تنبيه على ان مجالسة ارباب الدنيا محذورة ويروى  
 ان سليمان عليه السلام قال لملك النمل لم قلت للنمل ادخلوا  
 مساكنكم اخفت مني عليها ظلي قال لا ولكن خشيتم ان يفتنوا  
 بما يرون من مملكتكم فيسغلهم ذلك عن طاعة الله قال بعض  
 اهل التذكير ان النملة تكلمت في هذه الآية بعشرة اجناس  
 من الكلام ونهت وسمت وامرت ونصت وحذرت وخضت

وعمت

وعمت وشارت وعذرت اما النداء فيا واما التنبيه فقوله ها  
 واما التسمية فقوله مساكنكم واما التحذير فقوله لا يحيطنكم  
 واما التخصيص فقوله سليمان واما التعميم فقوله وحبوده واما  
 الاشارة فقوله وهم واما العذر فقوله لا يشعرون وايضا هذه  
 النملة قامت باداء خمسة من الحقوق اولها حق الله تعالى فانه تم  
 جعلها ملك النملة فاحتاطت في رعاية الرعية وثانيها حق  
 سليمان عليه السلام فانها نبهته على الاحتراز من قبل البري  
 عن الجرم وثالثها حق النمل فانها نصحت النمل حتى دخلت مساكنها  
 فتخلصت من البلاء ورابعها حق جنود سليمان نعم فانها  
 حذرتهم الاقدام على ايراد الحيوانات من غير فائدة وخامسها  
 حق جميع الخلق فانها بهذا الكلام علمت جميع الخلق للاجتهاد في  
 احيال الاحسان الى الخلق والمبالغة في كف الاذى عن الخلق كما قال  
 عليه السلام كلكم راج وكلكم مسئول عن رعيته فهذا ما يتعلق  
 بهذا الآية على سبيل الاختصار واما الحكمة في خلق النمل  
 ففيه عجائب اولها من وجوه الاول انه تعالى اشار بخلق  
 النمل في الدنيا الى كيفية حال المتكبرين في القيامة من الذل  
 والحقارة قال عليه السلام يحشر المتكبرون من امثال الذر  
 يوم القيامة يطأهم الناس باقدامهم الثاني ان النمل يجمع  
 في الصيف ليشاء وفي وقت الوجدان لوقت الفقدان فينبغي



ان يكون العبد كذلك يشتغل بالطاعة في الدنيا ليجد الثواب  
في العقب قال عليه السلام في خطبة له فليأخذ العبد من نفسه  
لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن السعد قبل الكبر ومن  
الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت  
من مستعيب ولا بعد الدنيا الا الجنة او النار الثالث ان  
النملة قد يتكلف حمل نوى التمر ويحمل العناء والمشقة العظيمة  
في ذلك ثم انها لا يستفيع بتلك النواة الا ان ينظر اليها ولا يستفيع  
بها قط الى ان يموت فيكون نصيبها من تلك النواة محض المحنة  
والمشقة فهكذا الخريص يحمل المشقة في جمع الدنيا ثم يموت  
ولا يستفيع بها ولا يكون له منها حظ الا القليل الرابع ان النملة  
تعمل اسعاف وزن بدنها فكذلك العبد ينبغي ان يتحمل اسعاف  
قوة المشقة في طاعة الله تعالى الخامس من عجائب احوالها انها  
تتخذ تحت الارض منازل وبيوتا وهلالا حبوبا وذخائر  
قوتاً للشتاء ثم يجعل بعض بيوتها متوجها عن البعض لئلا  
يجري اليها ماء المطر وربما اتخذت بيتاً فوق بيت لئلا يسيل  
اليها ماء المطر واذا ابتل من تلك الحبوب شئ اخرجه الى الشمس  
ايام الصيف ليحفظ ثم انها تقطع الحبة بنصفين خوفاً من ان ينبت  
وكذلك تعثر الشجر والعنكبوت لاجل ان لا ينبت واذا خرجت  
من حجرتها فيوما يذهب بمنة ويوما اخر يذهب يسرة ثم انها

اذا ذهبت

اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيئاً لا يقدر على حملها اخذت  
منها قدراً ورجعت واخبرت الباقيين بذلك ورتبما اجتمع على الشئ  
الواحد عدد من النمل يحملونه ويقبلونه ويذهبون به الى البحر ويحملون  
العناء والشدة فيه واذا علمت بان واحدة توانت في الحمل او  
تكاسلت في الاعانة اجتمعت على قتلها ورمت بها في البحر لغيرها  
قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه في خطبة له انظر  
الى النملة في صفر جشها ولطافة هياتها كيف دبت على ارضها  
وصفت عمارزقها بنقل الحبة الى حجرها وقدرها في مستقرها  
يجمع في حرها البرد هاو في ورودها الصبر ها مكفول برزقها  
مرزوقه برفقها لا يعظمها المنان ولا يحرمها الرمان ولو  
في الصفا النابس والحجر الحامس واما الارض فقد قال تعالى  
في سورة سبا في قصة سليمان عليه السلام فلما قضينا عليه الموت  
ماد لهم على موته الآداة الارض تأكل منسأته فلما اخرجت بيت  
الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين  
قيل انه عليه السلام قال اياهم على الجن مرقى يعلم الاسنانهم  
لا يعلمون ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات وبقي حتى  
بنى بيت المقدس ثم سلب الله الارض على منسأته فخرى ففرق  
الجن موته وكانوا يحسبونه حياً للكرامة ما شاهدوا من طول  
قيامه قراء نافع وابوعمر وابن كثير منسأته بغير همزة وقراء ابن



بهمزة ساكنة والباء قون بهمزة مفتوحة وكلها لغات صحيحة واصل  
الهمزة لانه من سأت الشيء طردته اما قوله تبينت للجن ان لو كانوا  
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ففيه قولان احدهما  
تبينت حال الجن والانس ان للجن لا يعلمون الغيب والثاني  
عرف عوام الجن ان رؤسائهم لا يعلمون الغيب فانهم كانوا  
يوهمون انهم يعلمون الغيب والعذاب المهين هو تلك الاعمال  
الشاقة في البناء ومن عجائب احوال هذه الحيوانات امور ثلاثة  
الاول ان الله تعالى سمى السواطين بعرض بهما الخشب ونوى  
التمر وينقب الاجر والحجارة وهذا من العجائب فان ذلك  
للحيوان على صغر جرمه ورخاوة بدنه كيف حصل له هذه القوة  
العظيمة والثاني انها تنقب الخشب من الداخل بنيت هناك  
على نفسها بيوتا من الطين القرف يشبه الازاج والاردقة فمن  
ابن وجدت هناك التراب والماء حتى جعلها طينا وبنيت لنفسها  
في ذلك الطين بيوتا والثالث ان الطير المستى يناقر الخشب لا يقر  
الا ينقر الاعلى الارض وكيف يتميز عند ذلك الموضع من الشجرة عن  
سائر المواضع ومن انصف علم ان علوم الخلق لا تنصل هذه الاسرار  
واقرب جلاله تعلم خالق العالم وكما له قدرته وحكمته اما الفراش  
فقال تعالى في سورة القارعة يوم يكون الناس كالفرش المبثوث  
قال الزجاج الفراش هو الحيوان الذي شهافت في النار وسمى

وسمى فراشا لفرشه وانتشاره ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث  
بالفراش وفي آية اخرى بالجراد المنشورا اما وجه التشبيه بالفراش  
فلان الفراش اذا تار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحد منها يذهب  
الى غير جهة الاخر وهذا يدل على ان الخلق اذا بعثوا فرغوا فختلفوا  
في المشي الى جهات مختلفة غير مطبوعة والمبثوث لانهم لما بعثوا  
بموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش ويؤكد ما ذكرناه بقوله  
فتأتون افواجا وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله في قصة  
يا جوج وما جوج وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض فان قيل  
الجراد بالنسبة الى الفراش كبار فكيف شبه الشيء الواحد بالصغير  
والكبير قلنا شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير لكن في وصف شيئين  
الاول التشبيه بالفراش لاجل ذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر  
واما بالجراد فلجل الكثرة والتابع ويحتمل ايضا ان يقال انها  
تكون كبارا اولاً ثم صفارا كالفرش بسبب احتراقهم بحر الشمس  
وذكر وان التشبيه بالفراش وجوها اخرى الاول ما روي انه عم  
الناس عالم ومتعلم وسائر الناس همج رعاع فجعلهم الله تعالى  
في الاخرة كذلك جزاء وفاقا الثاني انه تعالى قال كالفرش لانهم يكونون  
في ذلك اليوم اذل من الفراش لان الفراش لا يعذب وهو لاهم  
يعذبون فيظهره قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل الثالث  
ان الفراش كلما منع ان يلقى نفسه النار فانه يعود فكذلك هؤلاء الكفار



كانوا يسمعون على نار جهنم وهم كانوا يلقون انفسهم فيها  
الصفة الثانية من صفات ذلك اليوم قوله ويكون الجبال  
كالعهن المنفوش والعهن الصوف والالوان والنقش  
هو جعل الصوف بحيث ينفش بعضه بعضا واعلم انه تعالى  
اخبر ان الجبال مختلفة الالوان كما قال ومن الجبال جدد  
بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ثم انه تعالى  
يفرق اجزاءها ويزيل التأليف والتوكيب عنها فيصير  
ذلك مشابها للصوف الملوّن بالالوان المختلفة اذا جعل  
منفوشا واذا ضم تعالى بين حال الناس وبين حال الجبال  
كانه تعالى قال ان تأثير تلك القرعة في الجبال هو انها تصير  
كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان عند سماعها قال لو قيل  
ثم العويل لابن آدم ان لم يتداركه رحمة ربه ويحتمل ان يكون  
المراد ان جبال النار تصير لشدة حررتها واعمال يوم يكون  
كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش لان التكرير  
في مثل هذا المقام ابلغ في التحذير واعلم ان هذا الحيوان  
عجيب فانه كما يقال انه يحجب النور ويبغض الظلمة جدا  
فاذا احسرت السراج فلق انه منفذ الى عالم النور فيلقى  
نفسه على السراج لطلب ان يتخلص من عالم الظلمات الى الانوار  
ومنهم من قال انه يجب تشكّل النار وصورتها

فلنفرط حبة النار جعل نفسه فداء للمحبوب وعلى التقديرين فاما  
ان يكون محبا للنور او للنار وكيف كان فانه جعل نفسه فداء  
للمحبوب فاذا كان الامر كذلك فالانسان اولى ان يجعل نفسه فداء  
لنور معرفة الله ونار محبة بل اهل النار الهند يحرقون انفسهم  
على حب النار فالمولى اولى بان يحرق قلبه في حب الله تعالى فان قيل  
قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب  
الله والذين امنوا الشدح حب الله ثم ان الهند يحرقون انفسهم  
والمؤمن لا يفعل كذلك الجواب من وجوه الاول ان معبود  
الكافر لا رحمة له عليه ومعبود المؤمن رحيم وكذلك معبود الكافر  
لا علم بشئ ومعبود المؤمن عليم فعابد الصنم اذا حرق نفسه  
فالصنم ما علمه ولا رحمة واما الحق فانه عليم باحوال عبده رحيم  
بهم فلهذا منعه عن ذلك العمل الثاني ان الكافر يحرق نفسه  
وهو يرى معبوده بعينه والمؤمن يعرض نفسه للقتل ولا يرى  
معبوده فكان هذا اعظم الثالث ان قليل الحقيقة خير من  
كثير المجاز وفعل المؤمن حقيقة وفعل الكافر مجاز الرابع  
قال الجنيد ان اهل الهند يحرقون انفسهم لاجل الصنم فاذا كان  
يوم القيامة حشرهم مع اصنامهم الى باب جهنم فيقال لهم ادخلوا  
النار مع اصنامكم كما دخلتم النار في الدنيا فيأبون فيقول الله ثم  
للمؤمن ادخلوا النار فيقولون سمعنا واطعنا وسارعنا الى النار



فذلك هو قوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله **الفصل السابع**  
في حيوانات الماء قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من  
يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع  
يخلق ما يشاء ذكره والله حصل في الربع المعمور أربعة عشر بحرا  
كبارا منها بحر الروم وبحر القلزم وبحر الفارس وبحر الهند  
وبحر الصين وبحر يا جوج وما جوج وبحر الحبشة وبحر الأخضر  
وبحر الشرق وبحر الغرب وبحر الشمال وبحر الجنوب وبحر طرستان  
وثمانية انهار طوال مثل جيحون وسيمون والدجلة والفرات  
ونيل مصر ونهر الكروالرس وهرمند طول كل واحد من مائة  
فرسخ الى الف فرسخ وقريبا من خمسمائة انهار صفار اما الاحام  
والعذران والانهار الصفار فلا حد ولا يحصى فهذا مجموع ما  
في الربع المعمور اما الارباع الثلاثة من الارض فانها معمورة  
في البحر اذا عرفت هذا فاما مل في الحيوانات الموجودة في بحر الربع  
المسكون واوديتها واجامها ثم تأمل فيها فيما حصل في البحر  
المحيط من العجايب حتى تعلم ان حيوانات البحر لا نسبة لها في الكثرة  
وعجائب الخلقة والصفة الى حيوانات البر ثم ان الله تعالى  
يحفظها ويرعيها ولا تخفى عليه خافية من امورها ويعلم سرها  
ومستودعها كل في كتاب مبين ذكره وان ملك حيوانات البحر  
هو الثعبان وجنوده التماسيح والكواسح والسرطانات واصناف

من الحيوانات البحرية التي لا يحصى عددها وانواعها الا الله سبحانه وتعالى  
قالوا وهذا الثعبان حيوان هابل المنظر مهيب المحر  
يخافه كل حيوانات البحر لشدة وقوته وعظم صولته  
اذا تحرك يمتدج البحر من شدة سباحته يراق العينين  
واسع الفم والجوف كثيرا الاسنان يتبلغ كل  
يوم من حيوانات البحر عدد لا يحصى فاذا امتلأ  
جوفه منها نفوس والتوى واعتمد على رأسه  
وزنبه ورفع وسطه خارجا من الماء مرتفعا  
في الهواء مثل قوس قزح ومقصوده ان يؤثر فيه  
حر الشمس فيتهرب ما في جوفه ورتبا عرض له  
في تلك الحالة ما يشبه الغشي والسكر فيبقى  
كذلك اياما ثم ينفقد السحاب من تحته ثم  
ترفعه الرياح الشديدة وترمي به الى البر  
فيموت ويأكل من جيفته السباع مدة مديدة  
او ترمى به الى يا جوج وما جوج ما وراء السند  
فيصير غذاء لها ثم ان هذا الحيوان  
على عظمه لا يتأذى من شيء الا من حيوان  
صغير في البحر ليسعه وهو لا يقدر عليه فيدب  
سمه في جسم هذا الثعبان ويموت ويصير غذاء



لحيوانات البحر وهكذا حكم كل الحيوانات وذلك  
لأن الجراد والنمل والذباب والبق غذاء  
للعصافير والقناوير والحطاطيف ثم هذه  
القناوير والحطاطيف غذاء للبواشق و  
الشاهين ثم هذه الحيوانات اغذية للنسور  
والعينات ثم انها اذ ماتت اكلتها الحيوانات  
الصفيرة من النمل والذباب والدود وهكذا  
حال بني آدم فانهم يأكلون الطيور  
ثم ان الطيور يأكل الذباب والبق  
ثم اذ مات ابن آدم اكلته في قبورها  
الديدان والحشرات فتارة تأكل صفار  
الحيوانات كبارها وتارة تأكل صفارها  
كبارها ليحصل العدل فانه بالعدل قامت  
السموات والارضون ومن عجائب البحر  
صدفة الدر ويقال ان لها معينا في السنة  
يصعد في قعر البحر الى ظاهر سطح البحر في يوم المطر  
فيفتح اذنين لها شبه السفطين فيقطر فيها  
من مياه المطر حبة فاذا احست بذلك  
صم السفطين صما شديدا حتى لا يقع فيه

شيء من المالح الذي في البحر ثم ينزل برفق  
الى قعر البحر ويمكث هناك منقمة على الصدفين  
الى ان ينقصد فيه الدر **الفصل الثامن**  
في احوال الانعام اعلم ان تدقق استدلال  
على وجود الصانع الحكيم وقدرته وحكمته  
بأحوال البهائم وذلك في آيات كثيرة  
واجمعها ما ذكر في سورة النحل فقال  
والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ومنها  
تأكلون واعلم ان هذه الحيوانات  
مخلوقة لمصلحة المكلفين فكل حيوان  
كان انتفاع المكلف به اكثر كان اشرف  
ومعلوم ان انتفاع المكلفين بالانعام  
اكثر من انتفاعهم بغيرها وذلك لان  
الانعام منتفع بها في الاكل وذلك  
بأكل لحومها وبالشرب وذلك بشرب  
البانها وفي اللبس وذلك باتخاذ الملابس  
من اصوافها واوبارها واشعارها وبالركوب  
وذلك مركوبها وبالحمل وذلك بان يحمل  
امتعتهم في الاسفار وفي كثرة المال وذلك



بسبب درها ونسلها وفي التجمل بها وذلك  
لأنها أموال ظاهرة فيحصل التجمل بها ولما كان  
انتفاع الناس بالانعام أكثر من انتفاعهم  
بساائر الحيوانات لا جرم كانت الانعام  
اشرف انواع الحيوانات فلهذا السبب  
قدّمها الله تعالى في الذكر على ساائر  
الحيوانات فقال والانعام خلقها لكم  
فيها دفر ومنافع ثم انذ بقلى فصل  
القرآن في بيان منفعتها الأولى  
قوله تعالى فيها دفر والمراد من الدفر  
هو اللباس وذلك لأن اللباس سبب  
للدفر فسمى اللباس باسم الدفر  
وتحقيق الكلام أن الروح الانسانية اشرف  
الارواح السفلية بل هي سلطان الارواح  
السفلية والسبب في هذا الشرف العظيم  
كونها مشرفة بتشريف الاصناف المذكورة في قوله  
ونفخت فيه من روحي ولما كانت الروح الانسانية اشرف  
الارواح السفلية وجب أن يكون بدن الانسان اشرف الابدان السفلية  
ولذلك اعتدالها بعد عن الكثافة والضلا ولما كان بدنه في غاية

228  
الاعتدال لا جرم لم ينبت على جلده الشعور الكثيرة فيبقى عاريا  
عن الوطأ والدثار الذي هو حاصل لسائر الحيوانات واذا كان  
لكذلك فلطافة مزاجه نحوه الى النضون عن الحر والبرد وكذلك  
عري جلده عن الشعر نحوه ايضا الى ذلك فلا جرم احتاج الى  
ملبوس لصونه عن الحر والبرد وكيفيات الاهوية ورطوبات  
الامطار فهذا هو السبب في احتياج الانسان الى الملبوس المنفعة  
الثانية قوله تعالى في هذه الآية ومنافع واعلم ان قيل هذه الكلمة  
هو المذكر الدفر وما بعدها هو ذكر الاكل ولفظة المنافع مهمة  
بجمله فلما قدّم ذكر الدفر يحتمل ان يكون المراد من هذه المنافع  
هو المسكن ولما ذكر بعد هذه الكلمة الاكل يحتمل ان يكون المراد  
من هذه المنافع الشرب اما الاحتمال الاول فنقول الانسان  
كما هو محتاج الى اللبس وكذلك محتاج الى المسكن وسبب الاحتياج  
من وجوه الاول ان كل احد من الناس قد يقدم على ما سعى  
اطلاع الغير عليه فيحتاج الى مسكن مفرد الثاني ان الانسان  
لا يمكنه الجلوس في الحر الشديد للشمس في الهواء البارد جدا  
ولا يمكنه ان يجلس في الرياح الشديدة وفي الامطار القوية  
فلا جرم محتاج الى المسكن الثالث ان الانسان محتاج الى اذخار  
الاموال والمطعومات والملبوسات ولا يمكن حفظها الا بالدار  
الرابع ان الانسان محتاج ان يحترز عن ضرر الاعداء من الناس



والسباع وذلك لا يمكن الا بالدار فلاجل هذه الوجوه يحتاج  
الانسان الى التقرب بالمسكن واعلم ان المسكن يجري مجرى الثوب  
في كونه ساترا للبدن وما نفع من حصول الموزيات من الحر والبرد  
والرياح اليه ولما ذكر الله تعالى امر الملبوس قال بعده ومنافع اى  
ومنافع من جنس منفعة الملبوس وهي منفعة المسكن واعلم  
انه تعالى شرح امر هذه المنفعة في هذه السورة في آية اخرى فقال  
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام  
بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها  
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين فقله جعل لكم  
من بيوتكم سكنا اى مسكنا تسكنون فيه وهو اما ان يتخذ  
من الحجر او المدر وكل ذلك مخلوق لله تعالى ولكنه تعالى جعل حيث  
يمكن للمقيمين اتخاذ الابنية منها ثم قال وجعل لكم من جلود  
الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم يعنى  
الحيام والقباب والفساطيط المتخذة من النطاع والجلود  
للسفر والحضر ثم قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها  
اثاثا ومتاعا الى حين فالاثاث ما يحتاج اليه من البيت والمتاع  
ما ينعم ويحمل به ثم قال الى حين اى الموت والمعنى ان الانتفاع  
بالدنيا يكون الى مدة ولا يدوم فينبغى للعاقل ان يختار اللذة  
واما الاحتمال الثانى وهو ان يجعل المنافع المذكورة في هذه الآية

279  
على المشروب فاعلم انه تعالى جعل الباهيا مشروبا لطيفا طاهرا لينا  
وكل هذه النعمة في آيات اخرى قال تعالى في هذه السورة اعني سورة  
النحل وان لكم في الانعام لعبرة نسفيكم مما في بطونهم من بين فوف  
ودم لبنا خالصا سائغا وقال في سورة المؤمنين وان لكم في الانعام  
لعبرة نسفيكم مما في بطونهم ولكم فيها منافع كثيرة المنفعة الثالثة  
من المنافع المطلوبة من الانعام قوله تعالى ومنها ما يكون واعلم انه  
تعالى ذكر منفعة الاكل في المرتبة الثالثة وهنا الجحش البحر الاول  
في سبب احتياج الناس الى اكل اللحم واعلم ان السبب فيه ان  
الانسان مركب من اللحم والعظم ومن شأن الغذاء ان يكون شيئا  
بالمفترى فلهذا السبب كان اكل الاغذية للانسان هو اللحم الثانى  
ان قوله تعالى ومنها ما يكون يضيد الحصر والمعنى منها ما يكون لامن  
غيرها وظاهر هذه الآية يقتضى حرمة اكل غيرها الا ما خصه الدليل  
فلما قال بعده والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ذكر هذه  
الحيوانات وخصها بانها مخلوقة للركوب مع ان الآية المتقدمة دالة  
على حصر منفعة الاكل من جنس الانعام كان مجموعها بالاعمال حرمة  
لحم الخيل كما يقول ابو حنيفة ربح المنفعة الرابعة قوله ولكم فيها  
جمال حين تريحون وحين ترحون الاراحة ردة الماشية بالعيشة  
من مراعيها الى مباركها وسرح الماشية اطلاقها وانما قدم  
في الذكر مع انها متأخرة في الوجود لان وقت الاراحة يكون وقت



شعبها وامتلاء انذائها من اللبن بخلاف وقت التسريح ولا شك  
 ان الحمل في ذلك الوقت اكمل المنفعة الخامسة قوله تعالى وحمل  
 انثا لكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس الشق المشقة  
 والتحقيق ان الشق نصف الشئ والمعنى لم تكونوا بالفيه الا بذهابها  
 بعض قوتكم واعلم انه تعالى ذكر هذه المنفعة في آيات كثيرة منها قوله  
 ومن الانعام حمولة وفرشا ومنها قوله في يسا اولم يروا انا خلقناهم  
 مما عملت ايدينا انعاما فمنهم لهما ما لكون وذلنا هالهم فيها  
 ركوبهم ومنها يا لكون ولهم فيها منافع ومشارب افلا تشكرون  
 ومنها قوله في المؤمن الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها  
 ومنها يا لكون ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم  
 وعليها وعلى الفلك تحملون ويرىكم اياته فاي آيات الله ينكرون  
 ومنها قوله في الزخرف وجعل لكم من الفلك والانعام مراكبوا  
 لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ويقولوا  
 سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا  
 لمنقلبون وبالله التوفيق والنكتة فيه ان الابل اقوى سائقة  
 وكذا الخيل والفيل فذلك الانقياد لا يكون الا بتسخير الله تعالى كما قال  
 سبحان الله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وما الغرض منه  
 الا التنبية كانه تعالى يقول انا الذي خلقت القوى منقادا للضعيف  
 فاعلم اني قادر عليك ومستول عليك فينبغي ان تكون خائفا

منه منقادا للحكمي والا كسرت رقبك في محل الفهر  
 وبالله التوفيق اللهم لا تؤاخذنا بسوء اعمالنا برحمك  
 يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

تم كتاب اسرار التنزيل بعون الملك الجليل  
 من يد العبد الضعيف المحتاج  
 الى رحمة ربه الرحيم احمد بن  
 عبد الكريم غفر له  
 ونفعهما ولهن دعي  
 بالخير لهما





[illegible]